البيان

في تاريخ

جازان وعسير ونجران

الجزء الأول

العصر الجاهلي حتى الدولة العثمانية

تأليف

عبد الواحد محمد راغب دلال

البيان

في تاريخ

جازان وعسير ونجران

الجزء الأول

العصر الجاهلي حتى الدولة العثمانية

تأليف
عبد الواحد محمد راغب دلال

الطبعة الأولى
١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

حين نقدم هذا البحث إليك أيها القارئ الكريم عن تاريخ جازان وعسير ونجران، فإننا لاندعي أننا أدركنا ما استحال ادراكه على غيرنا من الباحثين ذلك أن الحقائق التاريخية، بكلياتها وجزئياتها مرقومة في ذاكرة التاريخ ومبثوثة بين دفتي الكتب، مثل المعادن منها ماهو ظاهر على سطح الأرض، وماهو مطمور قريب إلى السطح، أو أدنى إلى العمق، وبمقدار الظهور والخفاء، والقرب والبعد تكون المعاناة والجهد المبذول في اقتناص الأخبار والحقائق التاريخية، ومن ثم رصدها.

واكتشاف الحقائق التاريخية، أوجزئياتها، وسبك خيوطها في نسيج محكم، مدعم بالأدلة والبراهين الواضحة، وعلى الوجه الذي يجعلها مقبولة لدى كل منصف، هو عمل يحتاج إلى جهد جهيد، لما يقتضيه من إمعان نظر، وفحص وتمحيص.

ولاريب أن الباحث في تاريخ تلك المناطق، منذ ما قبل الإسلام حتى عصرنا الحاضر، يجد الارهاق عند تتبعه جزئيات تلك الحقائق التاريخية، من المصادر المختلفة، لأنها وإن كانت قد نالت حظاً من اهتمام الباحثين، فسجلوا تاريخها في العصر الحديث، لكنها لم تنل

الاهتمام نفسه من التسجيل فى أطوار التاريخ، ومراحله السابقة، وإنما ذكرت عرضاً ضمن التاريخ العام لشبه الجزيرة العربية وتاريخ العرب والإسلام، وأصل القبائل وأنسابها وتفرعاتها، وهجراتها، واستيطانها، وما وقع بينها من حروب أو موادعة وموالاة، وماقيل فيها من شعر أو روى من قصص ووقائع، وبخاصة عن العصر الجاهلي.

فالعرب لما كانوا أمة أمية، قليلو العناية بالكتابة، فقد استعاضوا عن ذلك بقوة الحفظ، وصقلوا موهبتهم على اختزان ما تلتقفه أسماعهم، في ذاكرة حفظ واعية، بغرض حفظ تاريخهم، وأنسابهم، ووقائعهم وغير ذلك مما يحتاجون إلى تداوله حفظاً لكيانهم بين الأمم المعاصرة لهم، حتى إذا ما جاء الإسلام كانوا قد بلغوا الغاية في ملكة الحفظ، وفي الفصاحة والبلاغة، فكان القرآن الكريم متحدياً لهم في أهم ميدان برعوا فيه .

بدأ المسلمون تدوين علومهم بجمع أحاديث الرسول ﷺ ومغازيه مبدعين في ذلك منهجاً لم يُسبقوا إليه، وهو الرواية والاسناد، والجرح والتعديل، وهو منهج تميز بالدقة والاتقان، وشدة الحرص والتحرى في نقل الأخبار .

وكان ممن أرخوا فى السير والمغازى مبكراً: عروة بن الزبير (ت ٩٢هـ) وعاصم بن قتادة (١٢٠هـ)، وابن هشام الزهرى (ت ١٢٤هـ)، وابن حزم الأنصارى (ت ١٣٥هـ)، والواقدى (ت ٢٠٧هـ) وابن هشام (ت ٢١٣هـ)، ثم تبعهم علماء أرخوا للإسلام

بالمنهج الذى اتسم بالحرص والتحرى في نقل الأخبار، إلى درجة بعيدة في مصداقية الخبر، اعتماداً على الراوية والسند، دون التحليل في معظم الأحوال كالطبرى (٣١٠هـ)، وابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، والذهبى (ت ٧٤٨هـ)، وابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، والمسعودى (ت٣٤٦هـ)، وابن كثير (ت٧٧٤هـ)، وتبعهم ثقاة في كل عصر سلكوا نفس المنهج أو قريباً منه.

ونحى فريق من علماء المسلمين منحى آخر، فصنفوا في جغرافية الأرض وطبيعتها، وتحديد اقاليمها، وخصائص كل إقليم، من حيث التربة والمناخ والكائنات الحية وغير ذلك مما هو مدون في كتب المعاجم والبلدان.

ومن الملاحظ ان من أرخوا للعرب في العصر الجاهلى، وبالأخص للدول والممالك التى اقاموها، قد اعتمد بعضهم على ما نقله الاخباريون، أو ماورد في مؤلفات أهل الكتاب، وهى أخبار تتسم في معظمها بالتضارب وعدم الدقة والواقعية، وغالباً أوردها هؤلاء المؤرخون بنوع من الحذر في مصداقيتها.

أما تاريخ العرب في ظل الإسلام، وكذلك تاريخ شبه الجزيرة، فقد وجد اهتماماً بالغاً من المؤرخين في مختلف العصور، وإن كان التركيز على بعض البقاع أو الأقاليم يجد الاهتمام الأوفى دون بقاع وأقاليم أخرى، وربما يعود ذلك إلى وجود السلطة الإدارية والسياسية في ذلك الاقليم، ولذا نلحظ أن الاقاليم المناطة بالبحث والدراسة، قد

اهملتها المراجع في بعض الفترات التاريخية أو بالأحرى لم تسلط عليها الأضواء كغيرها، وهذا شأن نظيرها في كثير من البقاع.

وعلى كل فنحن نحاول جهدنا تتبع الجزئيات المتناثرة، وايصال خيوطها في محاولة لايضاح ما خفى من تاريخ تلك المنطقة معتمدين في ذلك على المراجع الأساسية لتاريخ العرب والإسلام، وكتب المعاجم والبلدان، والمؤلفات المتصفة في كل عصر، مستأنسين في ذلك بالدراسة الوصفية التحليلية للأحداث والوقائع والأخبار، وظروف ودواعي وقوع الحدث، وارتباطه بأحوال المجتمع والعصر الذى حدث فيه، ومستعرضين الشواهد والأدلة على صحة ماانذهب إليه.

وبالرغم مما بذل من جهد وطاقة، فإن نتيجة أية مسألة تم التوصل إليها، قد تكون موافقة للصواب، وقد تكون عرضة للخطأ، وهو أمر مقضى به في أعمال البشر، إلا من عصمه الله، وللمجتهد منهم أجران إن أصاب، وأجر إن اخطأ .. وما علينا إلا بذل ما في الوسع والطاقة مستلهمين من الله التوفيق، داعين العلى القدير، المنزه عن الخطأ، أن يلهمنا الصواب وأن يجنبنا الزلل، إنه سميع مجيب.

المؤلف

الباب الأول

بلاد العرب

١- جغرافية بلاد العرب :

حظيت بلاد العرب باهتمام الجغرافيين العرب الأوائل، وأطلقوا عليها مجازاً جزيرة العرب[1] لإحاطة البحار من أقطارها وأطرارها، فصارت منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر[2] حيث تحيط بها مياه الخليج شرقاً، والمحيط الهندي جنوباً والبحر الأحمر غرباً.

ومع وحدة أرضها، وتشابه أصقاعها في العديد من الخواص، إلا أنهم حاولوا بشيء من الاهتمام توضيح طبيعتها الجغرافية، وقسموها إلى أقاليم ترتبط بتقسيمهم لأقاليم الأرض السبعة، تختلف إلى حد ما من حيث الطبيعة والمناخ، والخواص الأخرى.

---

[1] إنما كان ذلك مجازاً لأن الجزيرة هي ما تحيط بها المياه من الجهات الأربع، وبلاد العرب تحيط بها المياه من جهات ثلاث فقط على أرجح الأقوال، ولذا أطلق عليها: شبه الجزيرة العربية.

[2] الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، المتوفى بعد عام ٣٥٠هـ ، صفة جزيرة العرب ص٥٧.

فقالوا إنها تنقسم إلى خمسة أقسام هي : تهامة، والحجاز، ونجد، والعروض، واليمن[1] ويزيد بعضهم على ذلك بادية الشام، وبادية العراق، وأرض الجزيرة فيما بين دجلة والفرات[2] .

ومع وحدة أرض شبه الجزيرة العربية، والتشابه في كثير من الخواص إلا أن الجغرافيين العرب اعتنوا بالتفريق بين تلك الأقاليم من واقع الاختلاف في المناخ والمظهر التضاريسي، محاولين تحديد معالم كل إقليم، ومافيه من مفاوز وجبال، وقفاز ومناهل، وأودية، وزروع ومنازل للحضر، والبادية وغير ذلك.

والذي يعنينا من تقسيمهم هذا هما تهامة، والحجاز، ثم نجد واليمن من بعض الوجوه.

تهامة :

المتعارف عليه عند جغرافي شبه الجزيرة العربية تقسيمها إلى خمسة أقسام كما سبق أن ذكرنا:

١-تهامة ٢-الحجاز ٣-نجد ٤-العروض ٥-اليمن

---

(1) الهمداني، المصدر السابق، ص٤٧، وياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله، المتوفى سنة ٦٢٦هـ . معجم البلدان ١٣٧/٢، والقلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، المتوفى ٨٢١ هـ صبح الأعشى في صناعة الانشا ٢٤٥/٤، والبغدادي، صفي الدين بن عبدالحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ص٣٨٠.

(2) ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، صورة الأرض، ص٢٩.

فتهامة قسم من أقسام الجزيرة الخمسة، ورد اسمها في الكتب (الكلاسيكية) عند ورود ذكر تجارة الطيوب والفاوية والأصباغ، وارتياد بعض تجارة اليونان لشواطئها على البحر الأحمر.

جاء في الخط المسند بأن الملك شرحبيل بن يحصب كان من نعوته الملكية في أول أمره "مَلِكُ سبأ" ثم أضيف إليه عندما توسع مُلكه "مَلِكُ سبأ وذوريدان ويمنت" ثم "ملك سبأ وذوريدان ويمنت وتهامت" ... إلخ. والمقصود بتهامة هنا: تهامة اليمن.

أشرنا بعاليه إلى ماورد في الخط المسند من نعوت الملك شرحبيل بن يحصب ما يعرف منه أن اليمن كان يطلق على منطقة من مناطق ما شمله مُلك ذلك الملك لا الأسم السياسي المعروف الآن (اليمن).

والمتعارف عليه على وجه العموم أن (اليمن) اسم جهة أكثر منه الاسم السياسي الآن، فما كان شمال المستقبل للشرق فهو شام، وما كان على يمينه فهو يمن، وهكذا كل جهة تطلق على ما هو شمالها شام، وما على يمينها يمن، وأكبر دليل على صحة ما نقوله ما ورد في كتاب (صفة جزيرة العرب) لأبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني المتوفى بعد منتصف القرن الرابع.

فقد عقد فصلاً خاصاً في كتابه بعنوان "معرفة تفاصيل هذه الجزيرة عند أهل اليمن" فقال: "هي عند أهل اليمن: يمن وشام، فجنوبها اليمن وشمالها الشام ونجد وتهامة، فالنجد ما أنجد منها عن السراة، وظهر من

رؤوسها ذاهباً إلى المشرق في استواء دونها ينحدر إلى العروض، وحجاز هو ما حجز بين اليمن والشام، وسراة هو ما استوسق، واستطال في الأرض من جبال السراة مشبهاً بسراة الأديم، وعروض وهو ما أعرض عن هذه المواضع شرقاً إلى حيز شمال المشرق ... إلخ"[1] .

وبهذا التعريف فالشام واليمن أسماء جهات أكثر منها أسماء مواضع، وعلى سبيل المثال فنحن في منطقة جازان إذا استقبلنا المشرق نقول لمن في جنوبنا يمن، ومن في شمالنا شام، وكذا أهل مكة يقولون لمن شمالهم شام، ولمن جنوبهم يمن. فهي أسماء الجهات وأسماء الجهات ليس لها حدود متعارف عليها، وفيما بعد الحجاز يقال لسوريا الشام ــ بالتعريف ــ أما أين يبدأ الشام وينتهي، وكذا اليمن، فهذا لايستطيع أحد أن يحدده على وجه الدقة في ذلك الزمن الذى نتحدث عنه تاريخياً.

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية "... ومهما يكن من شيئ فإن الجغرافيين العرب لم يقفوا عند استعمالها ــ أي اسم تهامة ــ بمعنى ساحل البحر أو الغور أو السافلة، بل تجاوزا ذلك فجعلوها وحدة جغرافية وسياسية إلى جانب الحجاز ونجد، والعروض، واليمن".

---

[1] صفة جزيرة العرب للهمداني، طبعة ابن بليهد ص٥٠، وطبعة دار اليمامة للنشر، ص٦٤.

والحق أن تهامة كانت في عهود مختلفة من تاريخ جنوب الجزيرة لعربية وحدة قائمة بذاتها، وشاهد ذلك عهد الوجود الفارسي بجنوب الجزيرة في نهاية القرن السادس عشر الميلادي.

وتهامة هي الغور الضيق الذي يساير البحر الأحمر فيمتد من شبه جزيرة سيناء بمحاذاة الجانب الغربي والجانب الجنوبي من جزيرة العرب، وقد تناول الإدريسي تهامة بأوفى بيان فقال: إنه تتخللها جبال تخرج من خليج القلزم، ويتفرع من هذه الجبال فروع تتجه جنوب المشرق، ويتاخم تهامة من المغرب خليج القلزم، ومن المشرق تلال تسير شمالاً وجنوباً (السراة).

ويقول الإدريسي: إن تهامة تمتد من سرجة إلى عدن اثنى عشر يوماً ـ وأعتقد أنه يعني الشرجة وهي شرجة الموسم المدينة التاريخية ـ، وأوسع موضع في تهامة هو ساحل جدة ثغر مكة ومن نواحي مكة في تهامة: ضنكان، وعشم، وبيش، وعك، وروى المدائني أن من اجتاز وجرة وغمرة والطائف قاصداً مكة فهو في تهامة"[1] .

وذكر ابن خلكان في (وفيات الأعيان) ـ ج٣ ص٣٨١ ـ في ترجمة علي بن محمد التهامي الشاعر المعروف ".. نسبة إلى تهامة وهي تنطبق

---

[1] دائرة المعارف الإسلامية ١٠ ٩٦:١ نقلاً عن الادريسي.

على مكة، ولذلك قيل النبي ﷺ التهامي لأنه منها، وتنطبق أيضاً على جبال تهامة وبلادها، وهي خطة متسعة بين الحجاز وأطراف اليمن ".

هذا ماورد في المصادر المذكورة عن وحدة تهامة وتميزها كقسم من أقسام الجزيرة العربية.

أما ماورد في كتاب (صفة جزيرة العرب) من قول الهمداني عن أم جحدم وجبل (كذمبل)، وهو الاسم الوارد في المصادر التهامية (كتمبل). فقول تفرد به الهمداني، وهو قول قيل في عصره وتفرد هو به تقريباً، وهو تحديد إداري في وقت كانت الجزيرة العربية تابعة للخلافة العباسية، وإلا فجبل كتمبل هو في تهامة من بلاد كنانة قرب (القَحمة) لا في (حمضة)، كما يذكره الهمداني، فحمضة هي جنوب القحمة بـ (٢٢) كيلاً.

يوجد غرب القحمة جبلان، الأول في جهة الشمال يسمى (الْوسَمْ) على ميناء القحمة، والآخر يسمى (كتمبل) وهو في الغرب الجنوبي منها، ولطالما أشكل على بعض المؤلفين بين اسم (الْوسَمْ) آلة التعريف بعدها واو مفتوحة وسين ساكنة، الذى في شمال القحمة على الساحل. وبين اسم (المُوسَّم) بضم الميم ثم واو، ثم السين مشددة مفتوحة، الذى هو في أقصى الجنوب الغربي من حدود المملكة العربية السعودية، وبينهما أي بين الحدود من جهة الموسم وبين الحد الإداري للقحمة (٣١٠) كيلاً تقريباً.

الحجاز :

يطلق الحجاز على سلسلة جبال، أعظمها جبل السراة، تمتد من اليمن جنوباً حتى بادية الشام شمالاً، وسُمّي بذلك لأنه يحجز ما بين تهامة ونجد[1] وقال البكرى: الطود الجبل المشرف على عرفة ينقاد إلى صنعاء، ويقال له: السراة. أوّله سراة ثقيف، وسراة فَهْم، وعدوان، ثم سراة الأزد، ثم الحرة آخر ذلك كله[2] أى أن ذلك آخر جبال السراة، وليس جبال الحجاز.

ونلحظ أن هؤلاء الجغرافيين العرب قد بينوا الحدود الطبيعية الفاصلة بين الحجاز وغيره من الأقاليم، فمثلاً يقول المسعودى عند تحديده حدود اليمن: حده مما يلى مكة الموضع المعروف بطلحة المَلك[3] ، وقال البكرى: حدها مما يلى الحجاز، طلحة الملك إلى شرون[4] وشرون من عمل مكة أى تابعه لعمالة مكة[5] .

---

(1) ياقوت الحموى، معجم البلدان، ٢١٨/٢، البكرى: معجم ما استعجم ٩/١، والهمدانى، صفة جزيرة العرب ص٨٥.

(2) معجم ما استعجم، ١٥/١.

(3) انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودى، ٨٩/٢، وتاريخ مدينة صنعاء للرازي، تحقيق العمري، ص٥

(4) يبدو أنها حُرّفت إلى شرون، فسروم وادى في الجنوب الغربى من صعدة، ببلاد بنى جماعة. انظر صفة جزيرة العرب للهمدانى ص٢٠٥، ٢٥٠، ٤١٨، ٤٢١، وفي الأخيرة يقول: الطلاح موضع طلحة الملك، وجميعها مواضع في بلد واحدة من همدان، وهى من أحواز أرحب.

(5) البكرى معجم ما استعجم ١٦/١.

ويزيد الأمر وضوحاً قدامة بن جعفر الكاتب، وهو يصف الطريق المؤدى إلى مكة المكرمة، ومافيه من منازل، وقرى، وآبار وغيرها، محدداً المسافات بين المنازل والبقاع الواقعة على الطريق. فيصف الطريق من مكة إلى صنعاء حتى يأتي إلى مدينة جرش. ثم يقول: ... ومن جرش إلى كثبة[1] ، قرية عظيمة بينها وبين جرش ثمانية أميال، ومن كثبة إلى الشجنة، موضع البريد وفيه بئر ماء ينزله القوافل، وهو في بلاد زبيد[2] ، ومن الشجنة إلى شروم راح[3] إلى المهجرة وهي قرية عظيمة جبلية كثيرة العيون والأهل وفيما بينها — أي المهجرة — وبين سروم راح، شجرة تشبه شجرة الغَرَب إلا أنها أعظم، في وادي طلحة الملك وكان النبي ﷺ حجز بها — أي بتلك الشجرة — بين مكة واليمن، ومن المهجرة إلى عرقة، منزل في جبل فيه أعراب من خولان، وهي أول عمل اليمن، ومن أعمال صعدة[4] أي أن ما بعد عرقة منزل ينزله بعض قبائل خولان هو أول عمل اليمن. وهو غالباً بأرض خولان بني عامر.

ونلحظ أن ابن خرداذبة جاء بما يؤكد ذلك، حين ذكر مخاليف مكة فقال: الطائف، ونجران، وقرن المنازل، والفتق، وعكاظ، والزيمة، وتربة،

---

[1] نظن أنها "كتنة" الموجودة حالياً بهذا الاسم بأرض قحطان الجنوب.

[2] بمخلاف السحول بأرض اليمن، صفة جزيرة العرب ص٢١٢.

[3] الصواب: سروم بالسين، بدلاً من الشين.

[4] انظر: الخراج وصناعة الكتابة، ص٨٢،٨٣، لقدامة بن جعفر الكاتب بديوان الخراج بالدولة العباسية (ت٣٢٠هـ) بتحقيق. د/ محمد حسين الزبيدي، وابن خرداذبة ص١٣٥.

وبيشة، وتبالة، والمهجرة وثجة، وجرش، والسراة[1] وغيرها .. فقد ذكر هنا أن نجران من مخاليف مكة وكذا السراة.

وقال وهو يصف الطريق من مكة إلى اليمن، وبعد أن يعدد البلدان حتى كتنة: ثم الثجة، ثم إلى سروم راح، قرية عظيمة فيها عيون وكروم، ثم إلى المهجرة، وفيما بين سروم راح والمهجرة، طلحة الملك بها شجرة عظيمة تشبه الغَرَب[2] غير أنها أعظم منه، وهي الحد مابين عمل مكة وعمل اليمن[3] (والمهجرة من أعمال صعدة بينها وبين صعدة حوالي ٥٩ كيلا)[4] .

ويقول القلقشندي حدود اليمن مع مكة الموضع المعروف بطلحة الملك، وما على سمت ذلك إلى البحر[5] أي البحر الأحمر.

كما يقول صاحب تاج العروس: نجران يُعد من مخاليف مكة، فتح سنة عشر من الهجرة صلحاً على الفيئ[6] وفي موضع آخر قال: من نجران

---

[1] المسالك والممالك لابن خرداذبة، ص١٣٣.

[2] شجر الغرب، هو شجر كبير المحجم مثل شجر الصفصاف، وقيل هو الصفصاف، وكان يصنع منه السهام لمتانته، وله فوائد طبية ذكرها القزويني في كتابه "عجائب المخلوقات" ص١٧١.

[3] المسالك والممالك ص١٣٥.

[4] انظر صفة جزيرة العرب ص٢٥٠، ص٣٣٩، ص٤٢١.

[5] صبح الأعشى في صناعة الانشا ٥/٦، ٤٤.

[6] محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ٣/٥٥٦.

التي هي من أعمال مكة[1] . وذكر بعض الأسماء المشهورة، ونقل القلقشندي: أن نجران صقعاً مفرداً[2] أي إقليماً قائماً بذاته.

وقد أورد ابن زيارة العبارة التي قالها صاحبَ معجم البلدان نقلاً عن الأصمعي عند تحديده حدود اليمن، فقال: "اليمن ما اشتمل عليه حدودها ما بين عمان إلى نجران[3] . لأن "إلى" تفيد هنا انتهاء الغاية المكانية فلا يدخل في الغاية مابعدها، أي أن أرضها هي المنطقة الواقعة فيما بين عمان ونجران، وبذلك تخرج كل من عمان ونجران عن حدود وأرض اليمن .. وهذا فعلاً مايقول به التاريخ .. وما نتقصى أدلته في هذا البحث.

ونقل الفاسي أقوال من سبقه[4] كابن خرداذبه، والفاكهي، والحازمي، وغيرهم محرراً كلاً منها، ومنتهياً إلى ما قاله الفاكهي من أن آخر مخاليف مكة عن طريق تهامة فيما مضى هي بلاد عك[5] وأن آخر أعمالها ومخاليفها بطريق صنعاء هي نجران.

---

[1] نفس المرجع، والصفحة نفسها.

[2] صبح الأعشى ٥/٤١.

[3] مختصر أنباء اليمن ونبلائه في الإسلام، المطبوع مع مجموعة ضمن كتاب، الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ، ص٢٧٢.

[4] انظر شفاء الغرام، ج١، ١٠-٢٤، ٢، وأيضاً كتاب المنتقى في أخبار أم القرى، ٢/٥٠.

[5] سنعرض إلى بلاد عك فيما يأتي عند ترتيب الرسول ﷺ للولايات أواخر عهده.

كل تلك المواقع التي أوردناها واقعة في إمارة عسير – من البلاد السعودية – وأقصاها جنوباً "كتنة" يقع في بلاد وادعة التي تنتشر في منطقة ظهران الجنوب وما حولها وفق مواقعها على طريق الحج.

وعموماً لقد كان العلماء الجغرافيون العرب يحددون تلك المواقع التي على طريق الحج بحسب الوضع الإداري كل منهم في عهده، فإذا اتسع الحكم لمكة امتد نحو الحدود التابعة لها، والعكس بالعكس، فذلك يختلف باختلاف الأزمان والحكومات، والجغرافيا السياسية والإدارية في كل زمان ومكان فهي موضع للإمتداد والإنكماش والتغير والتبدل بحسب ما تقتضيه مصلحة الإدارة.

أما الحدود الحقيقية فهي تشمل بلاد عسير، وبلاد قحطان، وبلاد وادعة، ومعاهدة الطائف مبنية على الحدود الطبيعية الحقيقية بين حكومتي المملكة واليمن بموجب لجان مشتركة من قبائل الأرض في السعودية واليمن، وشخصيات مسئولة من الحكومتين ارتضتهم الحكومتان واختارتهم، وعملت المحاضر ووقعت عليها اللجان في عين الزمان والمكان، ووضعت الأعلام والصوى عليها.

غير أن سلطة ولاة مكة فيما مضى كانت تمتد فتشمل تهامة، وعسير ونجران في عهد الدولة الإسلامية الموحدة، عهد الرسول ﷺ، وخلفائه الراشدين، وعهد بني أمية والعباسيين.

ونحن من جانبنا سنأتي على ما يؤيد هذا النفوذ، وامتداد السلطة، خلال السرد التاريخي لعهد الخلفاء الراشدين، وبني أمية، والعباسيين.

ومما يلاحظ أن أسماء بعض المعالم التي ذكرها هؤلاء عند تحديدهم الحدود الطبيعية، مازالت قائمة حتى وقتنا الحاضر، وبعضها الآخر اندثر، غير أن كثيراً منهم أوضح مقدار المسافات بين تلك المعالم، ويمكن الاستئناس بذلك لمعرفة ما اندثر منها، كما يلاحظ عدم الدقة في التحديد لدى البعض، وذلك بالمقارنة بالتحديد الدقيق في العصر الحديث.

وعموماً فإن الأطوار التاريخية للمنطقة موضع الدراسة، من حيث اعتبار تلك المعالم الحدودية، أو عدم اعتبارها، أو زيادتها أو نقصانها، كان يخضع غالباً لعدة اعتبارات لعل من أهمها: حركة القبائل، واستيطانها، وهجراتها، والاعتبارات التي كانت تحكم قبائل وسط شبه الجزيرة العربية، منذ ما قبل الإسلام، حتى خضعت لعوامل التنظيم الإداري والسياسي في ظل الإسلام، وشمل هذا التنظيم الأرض التي يقيمون عليها، بدخولها في إطار الدولة الإسلامية، التي وضعت ترتيبات إدارية شرعية، شملت الأرض، وما يخرج منها من زروع، وما يدب عليها من كائنات، ومن يسعى في جنباتها طلباً للرزق..

ومن خلال حركة القبائل، والترتيبات الإدارية في ظل الإسلام، نستزيد إيضاحاً لتاريخ المنطقة، ولمعالمها الحدودية على ضوء ما يتم استعراضه من الجوانب التاريخية على مختلف الأطوار في هذه الدراسة.

٢- موقع أقاليم جازان، وعسير، ونجران :

جـــازان :

هو الاسم الذي يطلق على المنطقة التي تضم مجموعة من البلاد، والبوادي، قاعدتها الإدارية مدينة جازان، وكانت تعرف في السابق بمخلاف حكم، ومخلاف عثر إلى أن وَحَّدهما أميرهما سليمان بن طرف، في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، تحت مسمى: المخلاف السليماني، ثم استمر علماً على المنطقة[1] إلى أن امتدت إليها يد الاصلاح في عهد الملك عبد العزيز فاندمجت ضمن كيان المملكة العربية السعودية، مما سيأتي إيضاحه فيما بعد.

وحدوده الجنوبية والشرقية تخضع للتحديد الذي تم إيضاحه في معاهدة الطائف[2] ، ومن الغرب البحر الأحمر، أما الحدود الشمالية فتخضع للترتيبات الإدارية لمناطق المملكة.

---

(١) العقيلي، محمد بن أحمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، مقاطعة جازان، ص١٤.

(٢) حيث يبدأ خط الحدود ـ الموضح في البند ٤٤ من المعاهدة ـ من النقطة الفاصلة بين ميدي (اليمنية) والموسّم (السعودية) على ساحل البحر الأحمر إلى جبال تهامة في الجهة الشرقية، ثم يرجع شمالاً إلى أن ينتهي إلى الحدود الغربية الشمالية، التي بين بني جماعة ومن يقابلهم من جهة الغرب والشمال، ثم يتجهُ إلى جهة الشرق إلخ مما سيأتي ايضاحه في موضعه من هذا البحث.

وشواطئه الساحلية قليلة التضاريس غير صالحة لرسو السفن الكبيرة، ويتبعه مجموعة جزر بحرية، أشهرها جزيرة فرسان، وكان بالقرب من تلك الجزر مغاصات للؤلؤ، كما توجد بعض الشعب المرجانية.

أما أرضها فعلى ثلاثة أقسام:

١- سبخات ساحلية، بمتوسط عرض أربعة كيلو مترات، وبها بعض الحرار فيما بين مينائي الشقيق، والقحمة.

٢- سهول خصبة رملية في الناحية الغربية، مما يلي السبخات ثم طينية بعدها.

٣- حُزون يتخللها بعض الحِرار، وهي غنية بالمراعي والغياض، والأراضي القابلة للزراعة، بالإضافة إلى الأراضي المتجهة زراعياً لأفضل أنواع المحاصيل والخضر والفواكه.

وذلك بالإضافة إلى منطقة جبلية، وهي قسم من سلسلة جبال السروات، بها مدرجات زراعية غزيرة الانتاج[1] وبها ٢٩ وادياً تفيض بمياه غزيرة، كوادي بيش، ووادي تعشر، ووادي عتلب، ووادي جازان،

(١) انظر في كل ما سبق، العقيلي، المصدر السابق، ص١٥، ١٦.

الذي أقيم عليه سد من أكبر السدود في المملكة، كما أنها تحوي العديد من الينابيع المعدنية، كعين الحارة، والوغرة، والبُرَّة[1] .

عسير :

وكان يعرف فيما سبق باسم السراة، ذكر صاحب كتاب المسالك والممالك[2] عسير وعدها من مخاليف مكة، حيث قال تحت عنوان مخاليف مكة: "... نجد، الطائف، قرن المنازل، الفتق، بيشة، السراة، نجران، ومخاليفها بتهامة: ضنكان، عشم، بيش، عك".

لقد كانت المعلومات عن عسير قبل الإسلام بالنسبة إلى غيرها من أصقاع الجزيرة قليلة حتى سطع الإسلام بنوره، فتألقت فترة قليلة، وهنا هي حين انتقلت الخلافة إلى دمشق، وبدأت عزلة الجزيرة، فكانت عسير النقطة الأكثر تعتيماً في تلك العزلة. حتى إن كتب التاريخ التهامية والجنوبية مثل تاريخ عمارة والخزرجي والديبع التي حفلت بتاريخ الإمارة الزيادية والنجاحية والأيوبية والرسولية، وحروبها مع أئمة اليمن والدولتين الرسولية والطاهرية. لم تورد شيئاً يذكر عنها، إذا استثنينا ما ذكره عمارة

---

(1) العقيلي، المصدر السابق، ص١٩،٢٣.

(2) كتاب المسالك والممالك، ص١٣٢.

عن إرتباط أمور حرض بأمور المنطقة الجنوبية ابن زياد[1] عامل الخليفة المأمون على تهامة.

وكانت السراة وصعوبة مسالكها مما زاد في عزلتها حتى قامت الدعوة السلفية في نجد، فكان دخولها في الطاعة السعودية هو ثاني أعظم وأكبر حدث في تاريخها بعد دخولها في الإسلام.

هناك برزت عسير كمنطقة لها أهميتها تشترك في أحداث الجزيرة سياسياً وعسكرياً وإجتماعياً، فبرز ثاني أشهر أبنائها بعد صرد بن عبد الله الأزدي الذي وفد بإسلام قومه على الرسول ﷺ ألا وهو عبد الوهاب بن عامر الذي كان من أبرز رجال الدولة السعودية الأولى حتى في خارج المحيط العربي.

كما برزت بعد ذلك في حملات محمد علي باشا على الجزيرة العربية حيث تداول ذكرها إلى أن أظلها العهد العثماني أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، الثالث عشر الهجري.

كما طالتها سلطة حمود أبو مسمار أمير تهامة برهة، ثم قام بأمر عسير أمراء من أهلها إلى أن أخضعها الأتراك لسلطانهم على يد مختار باشا ورديف باشا القائدان العثمانيان في صفر سنة ١٢٨٩هـ ــ ١٨٧٢م، وسواء في العهد السعودي الأول أو في عهد أمراء عسير كانت إمارة

---

[1] عسير في أطوار التاريخ، العقيلي.

عسير في الأغلب الأعم تمتد كما يقال المثل العسيري (من زهران إلى الظهران) وهي الحدود الحالية تقريباً في عهدنا الحاضر.

وأمراء عسير في كل أطوارهم كانوا امتداداً للدولة السعودية الأولي عقيدة ونهجاً.

وعسير هي الامتداد الطبيعي الجنوبي لأرض الحجاز، والمتاخمة لليمن، فهي في النصوص الواردة عنهم أوضح وأثبت.

غير أننا رغبنا البحث عن نصيب اسم عسير في تلك النصوص، ثم لغلبة الاسم على السراة والمنطقة، حتى أصبحت لاتعرف إلا باسم عسير في الوقت الحاضر.

ورد ذكر عسير في أقوال بعض الجغرافيين عَلَماً على قبيلة، وتحديد موطنها، يقول الهمداني: "ثم يواطن حزيمة من شاميّها عسير، قبائل من عنز، وعسير يمانية تنزرت، ودخلت في عنز، فأوطان عسير إلى رأس تيّه، وهي عقبة من أشراف تهامة، وهي أبها ... الخ[1] ، وهذا النص يفيد أن قبيلة عسير كانت موجودة في السراة، ولها موطن معروف فيها وذلك قبل القرن الرابع الهجرى، الذى عاش الهمداني في نصفه الأول، لكن اسمها لم يكن قد غلب بعدُ على السراة كلها، ويبدو أن ذلك قد حدث في العصور اللاحقة لعصر الهمداني، بدليل أنه ذكر جبال السروات، ونسب كل سراة

---

[1] صفة جزيرة العرب، ص٢٥٦، وأبها هي قاعدة بلاد عسير، ومقر إمارة منطقة عسير في الوقت الحاضر.

منها إلى سكانها، فقال: ثم يتلو سراة عنز، سراة الحجر بن الهنو بن الأزد، ثم سراة غامد، ثم سراة دوس، ثم سراة فَهم وعدوان، ثم سراة الطائف[1] وقيل إن عسير قبيلة تنسب إلى عسير بن أراشة من عنز بن وائل[2] .

لم نخلص بعدُ إلى ذكر حركة القبائل، وهجرتها، ومواطن استيطانها، في شبه الجزيرة العربية، وبخاصة هذه المنطقة، كي نذكر عسير وغيرها من القبائل، فالمقام هنا لذكر الموقع الجغرافي، وما قادنا لذلك إلا غلبة اسم عسير على السراة، أو سراة الحجاز، التي وردت في النصوص القديمة، لتحديد الموقع.

نجران :

هي الواحة الخضراء في الجنوب الغربي من حدود المملكة العربية السعودية، والتي تمتد جذورها العربية في أعماق التاريخ ومتاهات الزمن، والتي احتفظت بسلالاتها الأصلية من (جرهم الأولى) مع من وفد إليها وتأقلم في بيئتها.

نجران التي نقشت اسمها على صفحات الدهر، وأبقت بصماتها على سجلات الآباد، ودانت للوثنية كغيرها من بلاد العرب، واعتنقت

---

[1] صفة جزيرة العرب، ص٢٥٨، وهو وإن لم يذكرها جميعها، وبالترتيب، لكن مجرد ذكره لها يفيدُ أنه كانت هناك قبائل لها مواطن على السراة تنسب لها، وأن قبيلة عسير إحدى تلك القبائل.

[2] كنز الأنساب ومجمع الآداب، حمد ابراهيم الحقيل، ص٢٥.

اليهودية، أو بالأصح اعتنقها بعضها، ثم اعتنقت المسيحية، ولما جاء الإسلام أسلم معظم أهلها، ثم رحل من بقي على نصرانيته، و لم يبق فيها غير الإسلام والمسلمين.

عرفها اليونانيون كسوق تجاري على طريق القوافل التي تحمل عروض تجارة البخور والتوابل والأفاوية والعقيق والأصباغ من العربية السعيدة، وبعض مناطق الجزيرة، وتعود إليها محملة بمنتجات اليونان، وعروض فارس ومنسوجات وسيوف الشام.

ومن نجران تتوزع طرق شتى في جنوب الجزيرة وشرقها، وقبل ذلك، وفي أثنائه كان للرواد الأوائل من اليونان فضل تعريف قومهم بأقطار من الجزيرة، وبالأخص ما كان على طرق القوافل والشواطئ البحرية، ومن تلك المعلومات تزودت حملة الإسكندر، غير أن الحملة لم يكتب لها النجاح لأسباب أهمها موت الإسكندر.

وبعد امتداد سلطان الرومان على مصر وسوريا، وبلاد الأنباط العربية، تطلعت مطامع (قيصر أغسطس) إلى أرض البخور والتوابل والأصباغ أغلى عروض التجارة العالمية آنذاك. محاولاً أن يحقق مشروعه الرائد ـ الذي لم تحققه حملة الإسكندر ـ فأصدر أمره على والي مصر بتجهيز حملة لغزو الجزيرة العربية، وبين ٢٤ـ٩ ق.م توجه القائد (يوليوس) يقود الحملة من مصر إلى ميناء النبطي (لويكا كوما)، ومن هناك صارت

برفقته بعض شيوخ ورؤساء العرب، وواصلت الحملة سيرها المضني والقتال المرير، مع ما قاسوه من نقص في الأقوات وشح في المياه.

وصلت إلى نجران ــ كما يقال ـــ وقد قطعت الحملة المسافة من لويكا كوما إلى ذلك الموضع في ستة أشهر، أما في العودة فقطعتها في أقل من ذلك.

وقد دون أحد مرافقي الحملة حركات الحملة وسيرها وعودتها، وإن كانت مدوناته لاتخلو من المبالغة، كما أن أسماء كثير من المدن والمواضع سجلت باللاتينية فصعب ذلك معرفتها، وبناء على تلك المدونات أصبح لدى الرومان معلومات عن هذه البلاد وبالأخص التي على خط سير الحملة، وعن نجران خاصة، وقد استغلت تلك المعلومات بعد ذلك عندما اعتنقت الأمبراطورية الرومانية المسيحية بعد نحو ٢٩٠ عاماً، وهي مدة في عمر الدول والشعوب الحية ليست طويلة.

وفي سنة ٣١٣م إهتم القيصر قسطنتين بنشر المسيحية والتبشير بها في أرجاء إمبراطوريته، والبلاد المجاورة، وأخيراً تمكن المبشرون من تأسيس كنائس في شبه الجزيرة العربية وغيرها، منها ما هو بعدن وسقطرة ونجران والحيرة.

هذا ما ورد في المصادر الغربية. أما المصادر العربية فتكتفي بتلخيص ما جاء في تاريخ الطبري عن بعض أهالي نجران أنهم كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان، وكان لهم ساحر يعلم غلمانهم، فبعث شخص منهم

يسمى (الشامر) ابنه (عبد الله) مع غلمان أهل نجران إليه، وكان قد وصل إليها شخص يسمى (فيمون) نصب خيمته على ذلك الطريق المؤدي إلى الساحل، فكان ابن الشامر إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته فجعل يجلس إليه حتى دخل في دينه، وصار داعياً للنصرانية في قومه.

ومع انتشار الاسلام معروف قصة وفد نجران، فقد جاء في كتاب (المحبر) ص٣٢ أن العاقب والسيد والأسقف الذين وفدوا على النبي ﷺ كانوا من بني الأفعي سكان نجران الأصليين من جرهم الأولى.

وجاء في تاريخ الطبري أنه وصل خبر وفاة رسول الله ﷺ إلى نجران، وإن بها أربعين ألفاً من بني الأفعى[1] ، ويحدثنا التاريخ أن من سكان نجران من هم من بني الحارث من مذحج وقوم من الأزد، ويقول المسعودي[2] إن أزد نجران تلاشوا في (مذحج).

وعلى كل فغالب الظن ــ إن لم يكن الأقرب لليقين ــ فإن قبائل نجران بسبب موقع نجران الجغرافي والعزلة التي فرضتها حروبها مع جيرانها، كل ذلك يرجح أنه لم تختلط بهم أي قبيلة منذ إسلامهم إلى الآن. باستثناء آل المكرمي الذين انتقلوا إلى نجران بزعامتهم قبل (٢٨٠) سنة ـ تقريباً ــ من تاريخنا الحاضر.

---

[1] لنا تعليق على هذا العدد الذي أورده الطبري، سيأتي في موضعه من هذا البحث.

[2] انظر مروج الذهب، ج٢، ص٢٩٠.

المهم أن نجران في العصر الجاهلي كانت قائمة بذاتها، وكما يقول القلقشندي: إنها صقع منفصل[1] ونقل عمارة بن الحسن، الملقب باليمنى عن صاحب الكمائم أنها صقع منفرد[2] .

وأيا كان فان الأقاليم الثلاثة موضوع الدراسة تقع في حيز وسط شبه الجزيرة العربية، وارتباطها بها أكثر من أية جهة أخرى، ومن كافة النواحي، وسنزيد هذا الأمر وضوحاً ودلالة، فيما بعد.

ومن المناسب الإشارة إلى لفتة بديعة لبعض العلماء[3] حين تناولوا بالبيان والتفسير دعوة الخليل ابراهيم عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾[4] فلقد دعا الخليل ابراهيم ربه أن يرزق ذريته من الثمرات، بل ويرزق أيضاً الوافدين إلى البيت للحج والعمرة، بينما الوادي الذي به مكة والبيت العتيق، غير ذي زرع، والخليل يعلم ذلك، ويعلم أنه غير صالح للزرع الذي يكفيهم هم والوافدون إلى البيت، فطلب من الله سبحانه أن يرزقهم من الثمرات، فإن كان قصده أن تحمل لهم من الآفاق، فإن الثمرات تشمل كل ما ينتجه النبات من حبوب، وفاكهة، وخضروات،

---

(1) صبح الأعشى، ج٥، ص٤١.
(2) تاريخ اليمن لعمارة، ص١٥١.
(3) الأزرقي، ج١، ص٣٧.
(4) سورة ابراهيم آية ٣٧.

ووسائل المواصلات في ذاك الوقت هي الإبل غالباً، ولئن أسعفت في نقل الحبوب الجافة فإنه يصعب نقل الفاكهة والخضروات وما شابهها. من أماكن نائية لتلفها إن نقلت على ظهور الإبل، لذا هيأ الله البقاع المجاورة لمكة المكرمة. كالطائف وتهامة وعسير لتكون امتداداً ومستودعاً لتلك الثمرات بمختلف أنواعها، لإطعام أهل الله، والوافدين إلى بيت الله، ومن هنا كان الارتباط قديماً، وامتداد الأرض شئ طبيعي بإرادة وتوجيه إلهي .. فقد توثقت الصلات بين فئة من الناس تجيد التجارة، وأخرى تجيد الزراعة، واستمر هذا التكامل والتلاحم لتلك المنطقة على امتداد السنين والأزمان.

وعموماً هذه بعض نصوص السابقين من علمائنا، في بيان الحدود الطبيعية للمنطقة موضع الدراسة، وربما تؤيدها إلى حد ما الأوضاع القبلية التي كانت سائدة إذ ذاك في شبه الجزيرة بصفة عامة، وفي وسطها على وجه الخصوص، وهذا لايعرف أثره إلا بالتنقيب في صفحات التاريخ، بمختلف أطواره وأدواره.

لكن مهما قيل في هذا التحديد الجغرافي الطبيعي، فإن وحدة عرب الجزيرة العربية اللغوية، والعرقية، والدينية ــ وبخاصة في ظل الإسلام ــ ثم العادات والتقاليد، جعلت بلاد العرب مشاعاً لهم ، يتحركون فيها حيثما شاءوا، منذ العصور السحيقة، ويتنازعون الهيمنة على بقاعها، إلى أن جاء الإسلام، فأزال التنازع ومنحهم الاستقرار.

ثم إننا لسنا في حل من عرض تلك النصوص، ولو من الوجهة العلمية البحتة بالرغم من ان هناك اصطلاحاً وعرفاً سائداً بين القبائل من

قديم، على معايير الاستقرار والترحال، والجوار، والولاء والأنتماء وغيره. ثم موالاتها بعضها لبعض لدرجة الاندماج تحت اسم واحد، وأخيراً ولاؤها في العصر الحديث لحكومات مدنية ترعى شئونها ضمن المجتمع الذى ترعاه الدولة.

وعلى ضوء هذه الاعتبارات وغيرها تم تحديد حدود دولية بموجب معاهدة الطائف الموقعة عام ١٣٥٣هـ، لتحديد الحدود الجنوبية للمنطقة موضوع الدراسة، أما الحدود الثلاث الأخرى فتنظمها ترتيبات إدارية داخلية، لإمارة المنطقة، سنذكرها في موضعها.

٣- أشهر القبائل العربية في الإقليم في العصر الجاهلي حتى ظهور الإسلام :

طبقات العرب :

يكاد النسابون والإخباريون والمؤرخون يتفقُون على أن العرب ينقسمون إلى ثلاث طبقات:

أ-العرب البائدة ب-العرب العاربة ج-العرب المستعربة

فالعرب البائدة: هي الشعوب العربية القديمة التي كانت تقطن جزيرة العرب ثم بادت، كطسم، وجديس، وعاد، وثمود، وإرم، وأميم، وقطورا، وجُرهم الأولى[1] .

والعرب العاربة: هم الذين يعودون في نسبهم إلى قحطان، واستوطنوا اليمن، وأقاموا بها ممالك، كانت لها حضارات سامقة، ومن أبناء قحطان تفرعت القبائل القحطانية، ويطلق كثير من المؤرخين عليهم:

---

[1] أبو الفدا، عماد الدين اسماعيل، المختصر في أخبار البشر ١/١٢٤.

ونشرة مجلة الهلال العدد ٢٥٧، أغسطس سنة ١٩٩٢، ص١٠، مقالا عن اكتشافات أثرية لمدينة وبار عاصمة إرم، بالطرف الجنوبي الشرقي للربع الخالي.

اليمانية. نسبة إلى موطنهم الأصلي، حتى لو استوطنوا أقاصي الأرض، كالأندلس وشمال افريقيا.

وأما العرب المستعربة فهم الذين يعودون في نسبهم إلى عدنان من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام، ويطلق عليهم العدنانيون، نسبة إلى عدنان هذا، وقد أنجب: معدّ، وعك، وأنجب مَعَدّ: نِزَار، وإياد، وقنص، والضحاك. وقيل: عبيد الله، ثم ولد نزار بن معد: مضر، وربيعة، وإياد، وقيل: وأنمار[1] ومنهم تفرعت القبائل العدنانية.

وقيل غير ذلك في تسمية كل من العرب العاربة والمستعربة.

وروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما[2] أنه سأله رجل عن ولد نِزَار بن مَعَدّ، فقال: هم أربعة، مضر، وربيعة، وإياد، وأنمار، وكان ــ أي نزار ــ يُكنّى بابنه ربيعة، ومنازلهم مكة، وأرض العرب يومئذ خاوية ليس بنجدها، وتهامتها، وحجازها، وعروضها كبير أحد، لإخراب بُخْتَنَصَّر[3] إياها وإجلاء أهلها، إلا من اعتصم برؤوس الجبال، ولاذ

---

[1] ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: د.عبد السلام هارون، ص٨،٩.

[2] البكري، معجم ما استعجم ١/٥ عن طريق ابن السائب الكلبي، وعن طريق ابن شبّه، كما ذكره الهمداني، صفة جزيرة العرب ص٥٦، عن طريق ابن السائب مختصراً.

[3] كان بختنصر أحد الملوك الكلدانيين بشمال العراق، بدأ حكمه عام ٦٠٤ قبل الميلاد وكان جباراً عاتياً، قام بحملات على الجزيرة العربية، والشام، ومصر وغيرها وسبى اليهود، وأحرق بيت المقدس، وكان خلال الفترة من ٦٤٠-٥٦٢ قبل الميلاد. انظر: أحسن التقاسيم للمقدسي.

بالمواضع الممتنعة، متنكباً مسالك جنوده، ومستن خيوله[1] فاراً إليها منهم، وبلاد العرب يومئذ على خمسة أقسام: (الحجاز، وتهامة، واليمن، ونجد، والعروض)[2] فاقتسم ولد مَعَدّ بن عدنان هذه الأرض على سبعة أقسام[3] فصار لعمرو بن معدّ، وهو قضاعة[4] لمساكنهم، ومراعي أنعامهم: جُلّة، من شاطئ البحر وما دونها، إلى منتهى ذات عرق، إلى حيِّز الحرم، من السهل والجبل، وبها موضع لكلب، يُدعى: الجديرُ، جدير كلب، وهو معروف هنالك، وبجُلدة وُلِد جُلّة بن جرم بن ربّان بن حُلوان بن عِمْران بن إلحاف بن قُضَاعة، وبها سُمّي.

وصار لجُنادة بن معدّ: الغَمْرُ، غمر ذي كِندة، وما صاقبها، وبها كانت كندة دهرها الأطول، ومن هنا احتج القائلون في كندة بما قالوا[5] لمنازلهم من غمر ذي كندة، فنزل أولاد جنادة هنالك، لمساكنهم ومراعي مواشيهم، من السهل والجبل[6] وصار لمضر بن نِزار: حيِّز الحرم إلى السروات، وما دونها من الغور، وما والاها، وصار لربيعة بن نِزار: مهبط

---

[1] المتنكب: المجانب الطريق، واستنان الخيل: رياضتها، والمستن موضع الاستنان.

[2] قطع البكري حديث ابن عباس عند ذكره خمسة أقسام، وجعل يأتي بروايات متعددة لتحديد وبيان كل قسم منها، ثم عاد لحديث ابن عباس رضي الله عنه مرة أخرى في ص١٧ من نفس الجزء، لذا تصرفنا بوضع الخمسة أقسام هكذا بين قوسين، لمواصلة ما يقوله ابن عباس رضي الله عنه. وهو هنا جعل قضاعة من أبناء معد بن عدنان.

[3] يقول محقق كتاب معجم ما استعجم هنا: إنه لم يذكر من السبعة أقسام إلا ستة.

[4] اختلف في نسب قضاعة، هل من عدنان، أم من قحطان، أم من غيرهم، انظر الجمهرة ص٨.

[5] أي من نسبتهم إلى عدنان، كما صرح به ياقوت الحموي في معجم البلدان، نقلاً عن ابن الكلبي.

[6] اختصرنا الحديث هنا.

الجبل من غمر ذى كندة، وبطن ذات عرق، وما صاقبها من بلاد نجد، إلى الغور من تهامة، فنزلوا ما أصابهم، لمساكنهم ومراعى أنعامهم، من السهل والجبل.

وصار لإياد وأنمار ابنى نِزار: مابين حَدِّ نجران[1] ، وما والاها وما صاقبها من البلاد. فنزلوا ما أصابهم، لمساكنهم ومسارح أنعامهم.

وصار لقنص بن معدّ، وسنام بن معدّ، وسائر ولد معدّ: أرض مكة، أوديتها وشعابها، وجبالها، وما صاقبها من البلاد، فأقاموا بها مع من كان بالحرم حول البيت من بقايا جُرهم.

فلم تزل أولاد معدّ في منازلهم هذه، كأنهم قبيلة واحدة، في اجتماع كلمتهم، وائتلاف أهوائهم، تضمهم المجامع، وتجمعهم المواسم، وهم يدٌ على من سواهم، حتى وقعت الحرب بينهم، فتفرقت جماعتهم، وتباينت مساكنهم.

قال مهلهل بن ربيعة يذكر اجتماع ولد معدّ في دارهم بتهامة[2] وما وقع بينهم من الحرب:

---

[1] انظر عبارة "ما بين حد نجران" فما بين الحدود من نجران هو وسطها، ولذا قال بعد ذلك، وما والاها وما صاقبها، أى مايلى حدودها، وما يجاورها ويقابلها من البلاد ومعروف تاريخياً أن بنى إياد قد استوطنوا نجران، كما سيأتى ذكره بعد.

[2] الطبرى ٢٨٦/٢، والجمهرة لابن حزم ص٣٠٥، ٤١٣. ويتهم الهمدانى البعض بتلفيق هذا الشعر وهو تحدث منه، وتهمة بغير دليل. صفة جزيرة العرب ص٣٢٣.

غَنِيَتْ دَارُنَـا تِهَـامةُ في الدهـــ ـــر وفيـها بَنُو مَعَـدّ حُلـُولاً
فتسـاقَوْا كأسـاً أُمِرَّت عليهـم بينهـم يقْتُلُ العزيـزُ الذَّليـلا

فأول حرب وقعت بينهم كانت بين أبناء قضاعة، وأبناء عَنَزة بن أسد بن ربيعة بن نزار[1] فاجتمعت نزار، وأعانتهم كندة، واجتمعت قضاعة، وأعانتهم علكٌ والأشعرون واقتتل الفريقان، فقُهِرت قضاعة، وأُجلوا عن منازلهم، وظعنوا مُنْجدين، فقال عامر بن الظَّرِب بن عياذ بن بكر، العدواني من قيس عيلان بن مضر:

قضـاعة أجْلَيْنـا من الغـور كُلّه إلى فَلَجَات الشام تُزجي المواشيا
لَعَمرى لئن صارت شطيراً ديارها لقد تأصِرُ الأرحامُ من كان نائياً
وما عن تَقَـالٍ كان إخراجُنا لهم ولكن عقوقاً منهمُ كـان باديـاً

فسارت تيم اللات بن أسد بن وبرة، بطن من قضاعة، ومعهم فرقة من بني رُفَيْدة من قضاعة وفرقة من الأشعريين نحو البحرين، حتى وردوا هجر فأقاموا فيها. ولحقت طائفة من بني حلوان من قضاعة إلى أرض الجزيرة بين دجلة والفرات. وسارت طائفة من سليح بن عمرو القضاعي إلى

[1] هنا نتصرف بغرض عدم الإطالة، وقد أنكر الهمداني أن تكون ربيعة قد استوطنت بلاد علك (بتهامة اليمن حالياً) وقال إن حمى كليب كان ضرية، وهي ببلاد نجد. انظر: صفة جزيرة العرب ص ٢٢٣، ويقال إنه وقومه انتقلوا من بلاد علك بتهامة إلى ضرية نتيجة للحروب المتواصلة بين بكر وتغلب.

فلسطين، ثم عادت بعض البطون إلى تهامة ونجد والحجاز. من بلّيّ، وجهينة، ونهد وسعد هذيم[1] .

وسارت طائفة من جرم ونهد القضاعية نحو نجران وتثليث وما والاها مما يلي السراة، وغلبوا على تلك البلاد شرقاً حتى جاوروا مذْحِج في منازلهم، وناكرتهم طوائف من مذحج، وطمعوا هم في مذحج، حتى قال عبدالله بن دعشم النهدي في ذلك:

لأُخرِجَنّ صُرَيْماً [2] من مساكنها ... والمُرّتين وهمّام بن سيّار

لم أدْرِ مايمنٌ وأرض ذي يمن ... حتى نزلتُ أديماً أفسح الدار

وقال عمرو بن معد يكرب الزُّبَيديّ:

لقد كان الخواضُر ماء قومي ... فأصبحت الخواضرُ ماء نَهْدِ

وقال هبيرة بن عمرو النهدي، وهو يذكر قبائل مَذْحِج، وخثعم، وتَنَمرُّهم لبني نهد، وتوعدهم إياهم:

وكندةُ تهذي بالوعيد ومَذْحِج ... وشهران من أهل الحجاز وواهبُ

---

[1] معجم ما استعجم ١/١٧-٣٩.

[2] صُريم: رجل من بني زُوَيّ بن مالك بن نهد وهمام منهم، والمُرّتان: مثنى مرة، أي مرة بن مالك بن نهد وأخ له غلب اسمه عليه.
انظر معجم ما استعجم ١/٤٠.

وكانت خثعم قد نزلت السراة قبل نهد..ثم حالفت نهد وجرم بني الحارث بن كعب[1] ولم تزل جرم ونهد بتلك البلاد على ذلك الحلف، حتى أظهر الله الإسلام[2].

وأقام أولاد معد في أرض تهامة، في بلاد قضاعة وديارها، بعد أن أزاحوهم عنها، ثم تيامنت عَكٌّ بن الديث بن عدنان بن أدد، ومن كان معهم ولحقوا بغور تهامة، وجاوروا الأشعريين بزبيد، وقيل إن عك هذ من الأزد من قحطان[3].

كما أقامت بطون من عنزة بن وائل بتهامة جنوباً، فيما حول مدينة الجَنَد، وكانوا ذا عدد عظيم بتلك المنطقة عند ظهور الإسلام[4].

وقاد الأفكل، عمرو بن الجُعَيد بني عبد القيس من تهامة إلى البحرين فاتخذوها موطناً لهم بدلاً من تهامة حتى جاء الإسلام وهم كذلك[5].

---

[1] معجم ما استعجم ١/٤٠-٤٢.

[2] نفس المصدر والجزء ص٤٣.

[3] ابن خلدون ٢/٢٩٩. ومما يؤيد الرأي الأول من أنهم من عدنان هي التقسيمات والترتيبات الإدارية التي حدثت في صدر الإسلام مما سنأتي على ذكره في حينه.

[4] الجمهرة، ص ٣٠٣.

[5] الجمهرة، ص ٢٩٩.

وإبان إنهيار سد مأرب خرجت من اليمن بجيلة وخثعم[1] ونزلوا جبال السروات، فصارت السراة لبجيلة إلى أعالي تربة (أتربة)[2] وهو واد يأخذ من السراة ويُفرغ في نجران، فكانت دارهم جامعة -أي لبجيلة وخثعم- وأيديهم واحدة، ثم تفرقت بجيلة بسبب حروب وقعت بينها، وتفرقت فروعها في القبائل، فلم يزالوا كذلك حتى أظهر الله الإسلام فسأل جرير بن عبد الله البجلي، صاحب رسول الله ﷺ بجمعهم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب لما أراد أن يبعثه لحرب الأعاجم[3]. وسوف نعود لذلك في موضعه.

ونزلت النخع -وهم من أبناء إياد بن نزار- ناحية بيشة، وما والاها من البلاد، وأقاموا بها، فصاروا مع مَذْحج في ديارهم بعد أن فارقت موطنها في تهامة، كذلك رحلت بقية إياد عن تهامة، ونزح كثير منهم إلى أرض العراق، وكان لها أرض في تهامة يقال لها: حانق، نزلتها كنانة بن خزيمة بن مدركة بعد رحيلهم عنها[4] وكانت طائفة من أبناء إياد قد نزلوا نجران، وكان منهم خطيب العرب وحكيمها وحليمها في عصره، قُسّ بن

[1] المشهور أن بجيلة وخثعم يرجعان إلى زيد كهلان بن سبأ، إلا أن ابن حزم يقول في الجمهرة ص٣٨٧، والبكري في معجم ما استعجم ٥٨/١، وابن خلدون في تاريخه ٣١٠/٢ : إنهما من أبناء أنمار بن نزار بن معد بن عدنان، وانتسبا في اليمن، استناداً إلى قول ابن عباس في شأنهما، وكذلك الأشعرون عدنانيون، استناداً إلى قول الرسول ﷺ لهم: (أنتم مهاجرة اليمن من ولد اسماعيل) معجم ما استعجم ٥٤/١.

[2] هكذا في معجم ما استعجم ٥٩/١.

[3] البكري، المصدر السابق ٦٣/١، والجمهرة ص٣٨٧.

[4] البكري، المصدر السابق٦٧/١.

ساعدة الإيادي، أسقف نجران في زمنه، كان يفد على قيصر الروم زائراً، فيكرمه ويعظمه، وهو من المعمرين، رآه الرسول ﷺ في سوق عكاظ قبل البعثة، وحين قدم إليه وفد إياد بعد البعثة، سأل الوفد عنه، قائلاً: ما فعل قُسّ بن ساعدة؟ قالوا : هلك يا رسول الله، فقال : كأني أنظر إليه بسوق عكاظ يخطب الناس، على جمل أورق (أي أحمر)، ويقول : أيها الناس؛ اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ماهو آت آت، ليلٌ داجٌ، ونهارٌ ساجٌ، وسماءٌ ذاتُ أبراجٍ ونجوم تُزْهِر، وبحارٌ تَزْخر، وجبالٌ مَرْساة، وأرض مَدْحاة، وأنهار مجراه، إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، ما بالُ الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا بالمُقام فأقاموا؟، أم تُركُوا فناموا؟ يُقْسِم قُسّ با لله قسماً لا إثم فيه: إن لله ديناً هو أرضى له، وأفضل من دينكم الذى أنتم عليه ... الخ ثم قال النبي ﷺ : يُعْرَض هذا الكلام يوم القيامة على قُس بن ساعدة، فإن كان قاله لله، فهو من أهل الجنة، وقال عنه: يُبْعَث يوم القيامة أمةً واحدة[1] . ولو لم يكن لقس بن ساعدة من فضل إلا رواية الرسول ﷺ ، وما سمعه منه في سوق عكاظ، لكفاه شرفاً.

وعلى كل فإنه لم يبق بتهامة وغورها بعد رحيل إياد عنها إلا بطون من ربيعة ومضر، وإلا قَسَيّ بن منبه جد ثقيف بالطائف، وهو من هوازن من مضر .. ثم لما تكاثروا، وتضايقوا في منازلهم، انتشرت ربيعة فيما

---

[1] انظر أبا هلال العسكري، الأوائل ١/١٠٧،١٠٨. والأصفهاني، أبي الفرج، الأغاني ١٥/٢٤٦، وابن عبد ربه، العقد الفريد ٤/١٢٨. والقزويني آثار البلاد ص٨٥.

يليهم من بلاد نجد، وتهامة. فكانت منها بطون بقرن المنازل، وحضن، وعكاية، وركبة، وحنين، وأوطاس، وذات عرق، والعقيق، وما والاها من نجد، ومعهم كندة. يغزون معهم المغازى، ويصيبون الغنائم، ويتناولون أطراف الشام، وناحية اليمن[1] ثم وقعت حرب بين بني ربيعة فتفرقت وسط الجزيرة، فذهبت عبد القيس إلى البحرين، وغيرها. وانتقلت أكلب بن ربيعة بن نزار ناحية تثليث، وما والاها، وجاورت خثعم وحالفوهم، وقال رجل من خثعم ثم من شهران، ينفى أن تكون أكلب منهم[2] :

ما أكْلُبٌ منا ولا نحن منهم ... وما خثعم يوم الفَخَار وأكلب

قبيلة سَوءٍ من ربيعة أصلها ... وليس لها عمٌّ لدينا ولا أب

فأجابه الأكلبى:

إنى من القوم الذين نسبْتَنى ... إليهم كريم الجد والعم والأب

فلو كنتَ ذا علم بهم ماتفيتنى ... إليهم ترى أنّى بذلك أُثْلَبُ

فإلا يكن عماى خَلْفاً وناهسا ... فإنى أمرؤ عماى بكر وتغلبُ

أبونا الذى لم تُركَب الخيل قبله ... ولم يدر أمرؤ قبله كيف يُركب

---

[1] البكرى معجم ما استعجم ١/٧٩،٨٠.

[2] البكرى، المصدر السابق ١/٨٢،٨٣.

ثم تيامنت أيضا عنز، وصارت حلفاء لخثعم في أرض السراة[1] ثم رحلت أيضاً بنو حنيفة إلى اليمامة، وانتقلت بقية ربيعة إلى ظواهر نجد، والحجاز، وأطراف تهامة[2]. وإلى أرض العراق.

وأقامت قبائل مدركة بن إلياس بن مضر، بتهامة وما والاها من البلاد وصاقبها، فصارت مدركة بناحية عَرفات، وعُرنة، وبطن نعمان، ورُحَيل، وكبكب والبوباة، وجوارنهم فيها طوائف من أعجاز هوازن[3].

وكانت لهذيل جبال من جبال السراة، ولهم صدور أوديتها، وشعابها الغربية، ومسايل تلك الشعاب والأودية على قبائل خزيمة بن مدركة في منازلها، وكان جوران هذيل في جبالهم فَهْم وعَدْوان إبنا عمرو ابن قيس عيلان بن مضر.

ونزلت خُزَيْمة بن مدركة أسفل من هُذيل بن مدركة، واستطالوا في تلك التهائم إلى أسياف البحر، فسالت عليهم الأودية التى هذيل في صدورها وأعاليها، وشعاب جبال السراة التى هذيل سُكّانُها، فصاروا فيما بين البحر وجبال السراة الغربية[4].

---

[1] انظر فيما سبق، البكرى، المصدر السابق ١/٨٣، والهمدانى، ص٢٥٦.

[2] البكرى، المصدر السابق ١/٨٣.

[3] البكرى، المصدر السابق ١/٨٨.

[4] البكرى، المصدر السابق ١/٨٨.

وأقام أولاد فهر ـ وهم قريش، ولايكون قُرَيْشيّ إلا منهم ـ[1] حول مكة، حتى أنزلهم قُصَيّ بن كلاب الحرم، وقُصي هو الذى انتزع ولاية البيت الحرام من خزاعة، وصارت له حجابة الكعبة، والرفادة، والسقاية، وبنى دار الندوة[2] .

ومن أولاد لؤي بن غالب بن فهر. بنو سامة بن لؤي هاجروا إلى عُمان، وأبناء حشم بن لؤي، هاجروا إلى اليمامة، ودخلوا في بنى هزان من عنزة[3] .

ثم يقول البكرى، بعد ايراد ما تقدم[4] : فهذا ما كان من حديث افتراق معدّ، ومنازلهم التى نزلوها، ومحالّهم التى حَلُّوها في الجاهلية، حتى ظهر الإسلام[5] .

ومما يلاحظ أن جلّ اهتمام البكرى تركز على ذكر مواطن أبناء معدّ بن عدنان، في تهامة، والسراة وغيرهما، و لم يذكر أبناء قحطان الذين

---

(1) الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك (المعروف بتاريخ الطبرى) ٢٦٤/٢، وفيه أقوال أخرى، وتاريخ ابن خلدون ٣٣٥/٢، وأيضاً ابن حزم، الجمهرة ص١٢، وهو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

(2) الأزرقى، أبى الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ص١٠٣-١٠٩، وابن خلدون ٣٣٥/٢ .

(3) الجمهرة، ص١٣، والمقدمة لابن خلدون، ص٣٤٠ .

(4) أوردنا بعضه على سبيل الايجاز والتصرف، فيما عدا المنطقة موضوع الدراسة.

(5) معجم ما استعجم ٨٩/١ .

كـان نـزح منهـم عديـد مـن القبـائل إلى الشـمال في فـترات متفاوتـة، قبـل وخـلال انهيـار سـد مـأرب[1] وأيضـاً أثنـاء هيمنـة الأحبـاش والفـرس، وأنفـة بعـض القبـائل مـن الخضـوع لهـم، ممـا دفعهـم إلى الهجـرة مـن موطنهـم الأصلـي، فـانتقلت طوائـف إلى وسـط شـبه الجزيـرة، وإلى الشـمال في أرض العراق، والشـام، وفلسـطين حتـى مصـر.

وكـان مـن أشـهر تلـك الهجـرات خـروج أبنـاء عمـرو مزيقيـاء بـن عـامر مـاء السـماء، هـو ومـالك بـن اليمـان مـن مـأرب، قبيـل انهيـار سـد مـأرب، وتفـرق الأزد في كثـير مـن البقـاع وغـالبوا أهلهـا واسـتوطنوها، وكـان منهـم من نـزل السـراة.

والواقـع أن البكـري لم يهملهـم تمامـاً، وإنمـا ذكرهـم فيمـن جـاورهم، أو مـن جـاوروه مـن أبنـاء عدنـان. ربمـا لأن منهجـه هـو تتبـع أبنـاء عدنـان، وتفرعـاتهم، ومواطـن حلهـم وترحـالهم ولم يكـن ذكـره لغـيرهم إلا عرضـاً.

---

[1] انظر القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد ص٤١، ويقول القزويني أن واقعة انهيار السد كانت بين مبعث عيسى ومحمد عليهما السلام، وقد ورد في كتاب "اليمن الخضراء" ص٣٠١، أن السد تهدم فيما بين سنة ٥٥٢ وسنة ٥٧٠ بناء على اكتشافات تم العثور عليها، وأنه تهدم خلال حكم الأحباش لليمن .. لكن الشواهد التاريخية لاتؤيد ذلك، لأن هجرة أبناء عمرو مزيقياء وتوطنهم في الأماكن التي هاجروا فيها، كقبائل الأوس والخزرج، وطيّ، وغسان في الشام وغيرهم يدل على توطنهم تلك الأماكن قبل البعثة بعدة قرون، وليس بأقل من قرن كما يقولون.

لكنه تميز بأن أعطانا صورة دقيقة عن مواطن تلك القبائل، فيما قبل الإسلام، بينما غيره يصف البقاع، والقبائل التي تستوطنها في صدر الإسلام، وربما في العصر الذي يكتب فيه ما يكتب ..

والمقام هنا ـ حسب خطة البحث ـ هو تلمس موطن القبائل في المنطقة موضوع الدراسة في العصر الجاهلي حتى ظهور الإسلام، ومعروف أن هجرات القبائل من مكان إلى آخر كانت متتابعة، وتخضع لاعتبارات متعددة، وقد وافانا البكري بقسط وافر من حركة القبائل وأماكن توطنها في المنطقة قبل الإسلام، وهذا هو الذي دفعنا إلى الاطالة معه، ونقل ما قاله في صورة موجزة، وإن كانت في نظر البعض إطالة، فنلتمس العذر، لأن الهدف هو بيان الحقيقة من أن المنطقة كانت موطنا للعدنانين، ومن ثم الرد على من يزعم أن المنطقة كانت موطناً من قديم الأزمان للعرب القحطانيين.

أما الهمداني ـ مثلاً ـ في كتابه صفة جزيرة العرب فقد أفاض وأجاد في وصفه الأماكن والبقاع وأتى على العديد من أسماء القبائل، وسكان المناطق إلا أنه خلط العصر الجاهلي بالعصر الإسلامي في مواطن القبائل[1]، ومعروف تاريخياً انه حدثت بعض التخلخلات في مواطن القبائل إبان الفتوحات الإسلامية، ونزح البعض منهم إلى البلدان المفتوحة،

[1] فمثلاً يقول في ص ٢٦٠: وساكنو الطائف ثقيف، ويسكن شرقي الطائف قوم من ولد عمرو بن العاص .. ولا شك أن سكنى ذرية عمرو بن العاص في هذا الموضع جاء متأخراً أي في صدر الإسلام، وليس قبل الإسلام.

واستوطنوها، وحلّ غيرهم في المواطن التي نزحوا عنها .. بل إن موضوع هجرة القبائل من مكان إلى آخر استمر حتى العصر الحديث، حين قامت الدول ورُسمت الحدود بينها.

وعموماً فإنه من بين الهجرات المشهورة في تاريخ القبائل العربية هي هجرة الأزد مع عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة بن امرئ القيس من زيد كهلان بن سبأ[1] وذلك بسبب انهيار سَدّ مأرب.

يقول الهمداني[2] ولما خرج عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء، هو ومالك بن اليمان من مأرب في جماعة الأزد[3] فخرجوا إلى مخلاف خولان وأرض عنس وحقل صنعاء، ثم إنهم انتقلوا إلى بلاد الأشعريين وعَكّ، على ماء يقال له: غسان، بين واديي زبيد ورمَع، وأقاموا على ذلك حتى وقع الخلاف بينهم وبين عَكّ، فساروا نحو الحجاز فِرقاً، كل فخذ منهم إلى بلد، فمنهم من نزل السروات، ومنهم من تخلف بمكة وما حولها، ومنهم من خرج إلى العراق والشام، وعُمان، واليمامة، والبحرين. فأما من سكن مكة ونواحيها: فخزاعة، وأما من سكن المدينة: فالأوس والخزرج، وأما من سكن السروات: فالحجر بن الهنو، ولهب، وغامد، ومن دوس، وشكر، وبارق السوداء، وعليّ بن عثمان، والنّمر، وحوالة، وثمالة،

---

[1] جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص٣٣١، والبدء والتاريخ لمطهر بن طاهر المقدسي ١٩٥/٣.
[2] صفة جزيرة العرب ص٣٧٠-٣٧٤، بتصرف، وانظر أيضاً: صبح الأعشى للقلقشندي ٣٢٧/١-٣٢٩.
[3] بنو الأزد بن الغوث بن نبت هم: مازن، ونصر، وعمرو، وعبد الله والهنو، وقيدار، والأهيوب.
انظر الجمهرة ص٣٣٠.

والبقوم، وشمران، وعمرو. كما ذكر أيضاً [1] من قبائل السراة: فَهم، وبجيلة [2] والأزد بن سلامان بن مفرج، وألمع، وبارق، وغامد، ورفيدة، وبنو ربيعة بن الحجر، وبنو مالك بن شهر، وآل عبيدة من الأزد، ومن قبائل مَذْحج: حلَتة، ومُراد (يحابر) وعنس، وسعد العشيرة، ولميس، وشمران، والنخع، وزبيد، وبنو منبه. وبنو هلال بن عامر، والرها، وحكم، وجعفي، وصداء، والجحادرة، وأود، وغيرهم كثيرون من البطون والأفخاذ التي تفرعت من القبائل.

وكان ممن ذهب إلى نجران: وادعة، وبنو الحارث بن كعب من مَذْحج، كما انتقلت بعض بطون كندة إلى تهامة، وانتقلت إلى السراة أيضاً بطون من ولد عمرو بن الغوث، كخثعم. وغيره، وسوف نعود إليهم في موضع آخر من هذا البحث.

وإن من يمعن النظر في النص الذي أورده الهمداني لتفرق قبائل الأزد من موطنهم الأصلي باليمن، وهو مأرب، يلحظ أنه اعترف صراحة، وربما

---

[1] صفة جزيرة العرب، ص٢٦٠، والمقتطف من تاريخ اليمن، للجرافي، عبد الله بن عبد الكريم ص٧٣-٧٤.

[2] قيل إن خثعم وبجيلة هما إبنا أنمار بن نزار، فجرّ أنمار بن سبأ نسبهم إليه، قال جرير بن عبد الله البجلي منافرا للفرافصة الكلبي إلى الأقرع بن حابس:

يا أقرع بن حابس يا أقرع　　إنك إن يصرع أخوك تصرع

وقال أيضاً:

ابني نزار أبصرا أخاكما　　إن أبي وجدته أباكما

لن يغلب اليوم أخ ولاً كما ..

انظر: كتاب البدء والتاريخ لمطهر بن طاهر المقدسي ٤/١١٧،١١٨ .

دون أن يدرى بأنهم انتقلوا في هجرتهم إلى مواطن أخرى، وهذه المواطن ليست من أرض اليمن وإنما من أرض الحجاز فهو يصف خروجهم من مأرب، ومرورهم ببعض البلاد والمناطق بأرض اليمن حتى أنتهوا إلى أرض علكّ وأقاموا بها مجاورين لهم بتهامة اليمن إلى أن وقع الخلاف بينهم وبين علكّ فاتجهوا إلى أرض الحجاز. وهى المجاورة لأرض علك ـ على رأيه ـ ثم يتابع وصفه لرحيلهم قائلاً: " فساروا إلى الحجاز فرقَاً، فصار كل فخذ منهم إلى بلد ـ أى من بلدان الحجاز أو غيرها، وليس من أرض اليمن ـ فمنهم من نزل السروات ـ فهذا اعتراف بأن السراة التى استوطنوها هى من بلاد الحجاز، وهو ما يوافق التقسيم الإقليمي لشبه الجزيرة، ويطابق الواقع التاريخي في كل أدواره، وأطواره[1] .

وينبغى الإشارة هنا إلى أن معظم الهجرات كانت إلى جهة الشمال، والشمال الشرقى من جزيرة العرب، وقلّما كانت إلى الجنوب حيث لاسعة، بالإضافة إلى التنازع والتشاحن، وغير ذلك من دواعى الهجرة، وأن الانتقال لمواطن جديدة لم يترتب عليه ضم تلك المواطن للموطن القديم، شأن الهجرات إلى مواطن جديدة فى كافة بقاع الأرض، ومنها هجرة الأوربيين إلى قارة أمريكا وغيرها.

---

[1] انظر صفة جزيرة العرب، بتصرف، ص٣٧٠-٣٧٤، ومختصر أنباء اليمن ونبلائه، المطبوع مع مجموعة كتاب الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ، لابن زبارة ص٢٢،٢٣.

لكن كما يقول حسين بن علي الويسي[1] وما من شك أن القبائل القحطانية والعدنانية أصبحت اليوم أسرة واحدة، اختلطت مساكنها ودماؤها، ففي كل قبيل وقرية خليط من القبيلين، علاوة على علاقة المصاهرة التي بدأت في زمن اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام، قبل أربعة آلاف سنة، وتدرجت إلى يومنا هذا .. ولقد جاء الإسلام فوحّد الأمة، وجمع الكلمة ولم يفرق بين أبيض وأسود، وجمعهم تحت راية التوحيد .. وجعل من موطن الإسلام الأول وطناً لجميع الأجناس .. وألغى عصبية الأحساب والأنساب .. وآخى بين المهاجرين من قريش ومن معهم من سائر القبائل، وبين الأوس والخزرج، وضم إلى بيته سلمان الفارسي لإيمانه بالله ورسوله وأبعد أبالهب، عمه صِنْوُ أبيه، لعناده وبعده عن حظيرة الإسلام.

فليت الذين يثيرون ـ بين الحين والآخر ـ النعرة القبلية الجاهلية يدركون ذلك!. فالشعوب العربية، والأمة الإسلامية بحاجة لتوحيد الجهود المشتتة، لخدمة الإسلام، والأمة الإسلامية حتى تكون حقاً خير أمة أخرجت للناس.

[1] اليمن الكبرى ص٥٧، وما بعدها بتصرف.

الباب الثاني

الوضع العام لشبه الجزيرة العربية في العصر الجاهلي حتى ظهور الإسلام

قد يستنكف البعض من إطلاق كلمة "جاهلية" وصفاً للعرب فيما قبل الإسلام من منطلق أن البعض منهم كان له حضارة، وفي تعميم هذا الوصف على الجميع فيه غمط لهؤلاء.

ويجاب بأن المراد من الجهالة هنا: الضلالة والتمادى في الغيّ، وعدم التحلي بالأخلاق القويمة، بالإضافة إلى عدم معرفة الواجب الوجود، وهو الله سبحانه وتعالى، ومن هذا القبيل قول الله سبحانه، في شأن موسى عليه السلام وقومه: ﴿قالوا ياموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾[2] وما روى عن أبى ذر رضى الله عنه قال: "إنى سابَبْتُ رجلاً، فَعيَّرتُه بأمه

(1) سورة الأعراف، آية ١٣٨ .

(2) سورة الفرقان، آية ٦٣ .

ـ وفي رواية ــ قلت له: يابن السوداء، فقال لي النبي ﷺ: يا أبا ذر، أعيّرته بأمه؟! إنك امرؤ فيك جاهلية ..."[1]

فليس المقصود هنا من اطلاق وصف جاهلية هو نفي العلم فيما من شأنه أن يستساغ تعلمه، لأن المقابل للجهل هنا هو العلم والتّعلُم، ومعرفة الإله الواحد الأحد سبحانه وتعالى، كما أن المقابل للأمية هي القراءة والكتابة، فليس في هذا منقصة. فقد يقبل عليها قوم، ويعزف عنها آخرون شأن كل الأمم والشعوب، في التعليم وعدمه، وقد كان النبي ﷺ ، أمياً، أي لايكتب، ومع ذلك كان أعلم العلماء وعجز الفصحاء عن مجاراته.

ثم إنه ليس بالضرورة أن كل من لا يعلم شيئاً يُعد جاهلاً على الإطلاق، فلا يعمم الحكم، وإنما يوصف به التارك طلب حد الشيء وحقه المعتقد له على غير ماهو به، ولولا ذلك لما استحق اللائمة والمذمة على جهله[2] .

والعرب قبل الإسلام كانت الغالبية منهم تتمادى في الضلالة والغيّ، فاستحقوا أن يطلق عليهم هذا اللفظ، وليس لأحد أن يستنكف هذا لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي وصفهم بذلك، وإلا فهي حمية الجاهلية! ..

---

[1] رواه البخاري. وكذا ما ورد في شأن الكعبة فيما روته عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ: "لولا الناس حديثو عهد بالجاهلية لهدمتها وجعلت لها باباً ـ أي باباً من خلفها أيضاً ـ وجعلتها على أساس ابراهيم .." انظر السيرة الحلبية ١/٢٧٥.

[2] البدء والتاريخ، ج١، ص٢٠.

ونعود لتلمس الوضع في شبه الجزيرة في العصر الجاهلي. حيث نلحظ أنه أقيمت بها ممالك في جنوبها وشمالها، ففي الجنوب بأرض اليمن قامت أول دولة عربية، وهي الدولة المعينية[1] ، التي كانت بالجوف، فيما بين نجران وحضرموت، وعاصمتها "قرنا" ثم انتقلت إلى "معين" وقامت عام ١٤٠٠ق.م، وأواخر عهدهم نافسهم السبئيون السيادة حتى قضوا عليهم عام ٨٥٠ق.م .

وكانت مملكة حضرموت هي الأخرى قد نشأت عام ١٠٢٠ق.م، وعاصمتها "شبوة" ودخلت أيضاً في حروب مع الدولة المعينية، ثم انتهت عام ٦٥ ميلادية.

ثم قامت مملكة سبأ على انقاض مملكة معين عام ٨٥٠ق.م. وانتهت عام ١١٥ق.م بقيام مملكة سبأ وريدان الحميرية، وكانت عاصمتها "صرواح" ثم "مأرب" ويطلق عليها البعض: الحميرية الأولى، عام ١١٥ق.م، واستمرت حتى عام ٣٠٠ ميلادي، ثم أعقبتها الدولة الحميرية الثانية عام ٣٠٠م حتى عام ٥٢٥م حين دخل الأحباش اليمن[2] .

---

(1) ينسب المعينون إلى العمالقة وليسوا إلى القحطانيين، كما يقول الدكتور حسن ابراهيم، انظر اليمن البلاد السعيدة، ص١٥.

(2) د.أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ ص٥٨،٥٩، ط٤، ١٤٠٦/١٩٨٦، وأيضاً: د.السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام ص١٠١-١٢٤.

وتفيد روايات الإخباريين أن بعض حكام هذه الدول كانت لهم سطوة وهيمنة، وأنهم غزو بعض الممالك المعاصرة لهم كالحبشة، وفارس، ومصر، كما أنهم هيمنوا على طرق المواصلات البحرية في المحيط الهندى، والبحر الأحمر، وكان لهم أسطول تجارى حمل بضائع الصين والهند إلى آسيا، وافريقيا، وأوربا، فكانوا بذلك همزة الوصل بين تجارة الشرق والغرب[1] . ولن نتحدث عما بلغته تلك الممالك من حضارة ورقى، فذلك خارج عن منهجنا لهذا البحث.

لكن يبدو أن مظهر السيادة لتلك الممالك لم يخرج عن أرض اليمن، وظل وسط شبه الجزيرة العربية بمنأى عن تلك السيادة، وبعيداً عن تلك الصراعات، التى كانت تقوم فيما بينها، وبين غيرها من الدول المجاورة.

يقول ابن حزم: إن ملوك حمير والتبابعة لم يملكوا غير اليمن[2] .

ويقول ابن واضح[3] : إن ملوك اليمن لم يكونوا يتجاوزون اليمن إلا أن يغيروا على البلاد، ثم يرجعون إلى دار ملكهم.

وقال القلقشندى: أخبار التبابعة غير مضبوطة، وأمورهم غير محققة، وعدّ ابن خلدون أخبار غزوات التبابعة من الأخبار الواهية التى نقلها

---

(1) د.أحمد حسين شرف الدين، المصدر السابق ص١٣٥، ود.السيد عبد العزيز سالم، المصدر السابق ص١٠٨.

(2) الجمهرة، ص٤٨٧.

(3) نقله عنه الشيخ محمد الأكوع الحوالى، انظر اليمن الخضراء، ص٣٤٥، وانظر ايضاً اليعقوبى أحمد بن أبى يعقوب، المعروف بابن واضح، تاريخ اليعقوبى ١/٢٤٥.

المؤرخون دون تمحيص[1] علـى أن الطبـرى قـد ذكـر أن الملك مـن ملـوك اليمـن كـان لايتجـاوز مخلافـه، وإن تجـاوزه فبمسـافة يسيرة[2] وذلـك فيمـا عـدا البعض منهم كتيع بن حسان الذى أغار على فارس وقتل قباذ ملكهـا[3] وكـانت لـه غـزوات أخرى ومن المؤكـد أن القلقشندى لـو أحـس بـأن قـول الطبرى أو غيره فيـه مخالفـة للواقـع لما توانـى فى نقـده وبيـان الصـواب فيـه، وفـق المنهج الذى كـان متبعاً لـدى المؤرخين الأوائل، والـذى كـان يقـوم على ايراد الروايات والأخبـار بأسـانيدها ثـم نقدهـا، وبيـان الصـواب فيهـا.

و تـأكيداً لذلـك نلحـظ أنـه أقيمـت عـدة دول فى وقـت واحـد، أو بـالأحرى تعاصرت دولتـان أو أكـثر، وتقـاسمت أرض اليمـن و لم تتمكـن دولـة منهم مـن إخضـاع أرض اليمـن بكاملهـا لسـيطرتها، وبسـط السـيادة عليهـا، فيمـا عـدا دولـة سـبأ (١١٥ق.م – ٣٠٠م) فى مرحلتهـا الثانيـة، فهـى التـى تمكنت مـن اخضـاع جـزء كبير من أرض اليمـن لسـيادتها[4] .

---

[1] المقدمة، ص٩.

[2] صبح الأعشى ٥/٢٤، وابن خلدون، العبر٢/٥٨، وانظر اليمن الكبرى، للويسى، ص٢٠٥، قال نقلاً عن الطبرى الناقل عن ابن خلدون كان ملوك اليمن يغيرون على النواحى المجاورة أو البعيدة بغرض استعمال أهلها، فإذا قصدهم الطلب لم يكن لهم ثبات، وإذا خرج أحدهم من مخلافه وشعر بخوف عاد إلى مخلافه، من غير ان يزاد له فى مخلافه، أو يؤدى إليه خراج، شأن المتلصصة.

[3] الطبرى ٩٦/٢.

[4] م.ب. بيوتروفسكى، اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة، تعريب محمد الشعيبى، ص٥٥.

والعجيب أن حالة تعدد الدول ووقوع الصراع فيما بينها تكررت مرة أخرى عند ضعف الدولة العباسية، و لم تستطع أى منهم أن توحد اليمن سياسياً، وسوف نأتي على ذكرها في حينه.

كما نلحظ أن قبائل وسط شبه الجزيرة كانت تقوم أحياناً بغارات على تلك الممالك، كقبيلة عامر بن صعصعة من هوازن[1] لكن مايلبث المَلك أن يقوم بعملية غزو لردع المغير وتأديبه، وكثيراً ما كانت تلك القبائل ــ ومن يحالفها ــ تشتبك مع هؤلاء في مواقع وحروب سجلوها شعراً، كيوم "خزازى"[2] الذى قاد فيه كليب بن ربيعة بن الحارث الوائلى ــ رئيس الحيين بكر وتغلب ــ ضد أحد ملوك حمير حوالى عام ٥٠٠م، وفيه قال عمرو بن كلثوم[3] .

ونحن غداة أوقد في خزازى ... هديت كتائباً مُتَحَسِرات

ويقول بعض من شهدها من خولان[4] :

كانت لنا بخزاز وقعةٌ عجب ... لما التقينا وحادى الموت يحديها

---

[1] م.ب. بيوتروفسكى، المصدر السابق، ص٨٢.

[2] خزاز اسم جبل في بلاد ربيعة قوم كليب بن وائل.

[3] الميدانى، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابورى، مجمع الأمثال ٢/٤٣٠، وسرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، لابن نباته المصرى، ص٩٢.

[4] الهمدانى، صفة جزيرة العرب، ص٣٢٢. ويقال فيها: خزازى.

وكان من أقدم تلك الأيام يوم البيداء[1] فكانت تحركات هؤلاء الملوك نحو وسط شبه الجزيرة للغزو والتأديب ولم تكن بغرض فرض السيادة، لأن القبائل تأنف من الخضوع لغير رؤسائها، فصرف هؤلاء النظر عن ذلك واكتفوا بمجرد القيام بحملات للتأديب لا للتوسع أو فرض السيادة بضم مناطق أو أجزاء أخرى لأرضهم وممالكهم ..

ولذا نلحظ أنهم كانوا يعودون دون أن يتركوا أى أثر لمظاهر تلك السيادة، ولعل من هذا القبيل ما فعله تبع (الأكبر) أسعد أبو كرب ـ وقيل بل تبع الأصغر ـ حينما ذهب إلى يثرب (المدينة المنورة) وقتل بعض اليهود ممن تسلطوا على بنى عمومته الأوس والخزرج، وأراد إخراب المدينة، فقيل له: إنها مهاجر نبى يأتى بعدُ، فصرف النظر عن ذلك، ودان به، وقال:

شهدت على أحمد أنه   رسول من الله بارى النسم

فلو مُد فى عمرى الى عمره   لكنت وزيراً له وابن عم

ثم أخذ معه حَبْرين من أحبار اليهود وانصرف إلى اليمن، ومر بالكعبة فكساها بالبُرد[2] ومن هذا القبيل أيضاً ما فعله ذو نواس بمسيحى أهل نجران، عندما خَدّ لهم الأخدود، وخيّرهم بين ترك المسيحية واتّباع

---

[1] الميداني، المصدر السابق، ص٤٣٣، وبلوغ الأرب، ص١٥٠، ويقول إنها أول وقعة بين تهامة واليمن.

[2] المقدسي، مطهر بن طاهر، البدء والتاريخ ٣/١٧٩-١٨٠، والآلوسي، محمود شكري، بلوغ الأرب، ص١٧٠، وانظر اليمن الكبرى للويسي، ص٢٠٥،٢١٢.

اليهودية أو الحرق في الأخدود .. فهناك رواية أوردها الطبرى[1] . مفادها أن رجلاً يهودياً من أهل نجران، يقال له: دوس، ذهب إلى ذى نواس ـــ الذى كان قد تهوّد ـــ مستنجداً إياه على نصارى نجران لأنهم قتلوا ابنين له ظلماً.

يقول الطبرى: فسار إليهم ذو نواس بجنوده من حمير، وقبائل اليمن، وخدَّ لهم الأخدود[2] فهذه الرواية، ربما تكون مقبولة عقلاً ومنطقاً.

فاستنجاد الضعيف بالقوى عادة مألوفة لدى العرب، وأيضاً لدى غيرهم من الشعوب، مثلما استنجد مالك بن عجلان الخزرجى بتبع بن حسان على يهود يثرب قبل[3] ومثل خروج ذو ثعلبان أو ابن الثامر عند الأخدود يستنجد بملك الحبشة، ومثل استنجاد سيف بن ذى يزن بن النعمان بن عفير بكسرى أنو شروان على الحبشة[4] فسبب خروج ذو نواس هو التلبية لمن استنجد به، وعندما عرف أنهم يدينون بالمسيحية أخذته الحمية لليهودية التى كان قد اعتنقها، فأراد التكاية بهم لقتلهم أبناء اليهودى الذى استصرخه، فخيرهم بين ترك ديانتهم واتباع ديانة من استصرخه، وديانته هو أيضاً، وفي هذا تنكيل بهم، ولم يكن أهل نجران كلهم متبعين الديانة المسيحية، فقد كان وادى نجران يضم العديد من

---

[1] الطبرى، ١٢٣/٢.

[2] الطبرى، ١٢٣/٢، وانظر أيضاً الأوائل لأبى هلال العسكرى ٥٧/١.

[3] المقدسى، مطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، ١٧٩/٣.

[4] المقدسى، المصدر السابق، ١٨٨/٣، د.أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص١٥٧.

القرى على جانبيه، بالإضافة إلى القرى الأخرى الواقعة في حَيِّز نجران، وإنما كان أهل قرية أو قريتين في غالب الظن، هم الذين اتبعوا المسيحية، منهما قرية الحصن، أو "نجران" قاعدة المنطقة، والتي سميت باسم أحد أشهر أوديتها. وخد الأخدود بجوارها[1] وأطلق فيما بعد على هذا الموضع: قرية الأخدود، ثم هُجرت وتحولت إلى آثار[2] أما بقية سكان قرى نجران الأخرى، فكانوا يعبدون الأصنام، شأنهم شأن معظم العرب في ذلك الوقت، فقد جاء الإسلام وبالقرب من نجران صنم "يغوث" الذى كان لمذحج وأخذه بنو غطيف من مراد، واستقر عند بني الضباب من بني الحارث[3] وكان ذا الخلصة لخثعم ودوس وقبائل بيشة والسروات، وبجيلة، وبعث النبي ﷺ جرير بن عبد الله البجلي فكسره[4] بل كان المنطيق لعكّ والأشعريين[5] بتهامة، ولو كان الدافع لخروج ذى نواس هو إرغام الناس على اعتناق اليهودية لكان عُبّاد الأصنام أولى بإقدامه إليهم، لاسيما وأن اليهودية والمسيحية منذ بداية القرن الثانى الميلادى، إلفان متآلفان إلى حدٍّ ما. وهدأت الصراعات بين الطائفتين اليهودية والمسيحية قبل حادث

---

(1) ياقوت الحموى، معجم البلدان ٥/٢٦٦-٢٦٩، والطبرى ٢/١٢١-١٢٣، ويقول (ص١٢١): كان الأخدود في قرية من قرى نجران، قريب منها، ونجران هى القرية العظمى التى إليها جُمّاع أهل البلاد.

(2) فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص١٧١، ويقول الهمدانى (ص٣١٨): إن موضع الأخدود كان به قرية تسمى هجر اندثرت.

(3) انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص٤٩٢.

(4) المصدر السابق، ص٢٩٣.

(5) المصدر السابق، ص٤٩٤.

الأخدود. وجُمع التوراة والانجيل في كتاب واحد، تحت مسمى الكتاب المقدس، العهد العتيق والعهد الجديد.

فكيف يقدم ذو نواس على التنكيل بأهل كتاب، ويترك عبّاد الأصنام من رعيته بتهامة اليمن، من مراد وزبيد وغيرهم، وكان موطنهم مقابل صنعاء غرباً، وبالقرب منها ..؟!، وقد وصف الله أهل الأخدود بأنهم كانوا مؤمنين — أي على الديانة المسيحية قبل أن يلحقها التغيير والتبديل — في قوله تعالى: ﴿قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود﴾[1] ولذا نجد أن ياقوت الحموى — بعد أن استعرض الروايات التى قيلت بشأن هذه الحادثة — يستبعد أن يكون الذى فعل هذا بأهل الأخدود، معتنقاً اليهودية، ويرجح أن يكون كافراً[2] كما يرجح البعض أن حادثة الأخدود خلفها دوافع سياسية، وأن التنافس الاقتصادى بين دولة الحبشة، ودولة حمير، ومحاولة مسيحيّ أهل نجران الاتصال بالحبشة، ومساعدتها لهم، كل ذلك أوغر صدر ملك حمير، فغزاهم ونكل بهم، فأنتهزتها الحبشة ودخلت اليمن، وقضت على دولة حمير.![3]

---

[1] سورة البروج، آية ٤-٧.

[2] معجم البلدان، ٥/٢٦٧.

[3] الأكوع، اليمن الخضراء، ص٤١٠.

وعموماً فإن سير الوقائع، وبالأخص حادثة الأخدود ليس فيها ما يدل على ممارسة أعمال السيادة ولافرض الهيمنة والطاعة على طائفة من الناس، وإنما هو غزو بدافع سياسى أو للتنكيل لأى سبب كان. مثلما كان يحدث لبعض القبائل وسط شبه الجزيرة، أو حتى للدولة المجاورة أحياناً، فالغزو ليس له معيار محدد، لانعدام العهود والمواثيق بين الدول في ذاك الوقت .. ولذا نلحظ أنه انسحب بعد الحادثة عائداً إلى موطنه، وعاد الفارون من وجهه إلى موطنهم، وأعادوا بناء كنيستهم، ومارسوا دياناتهم التى جاء الإسلام وهم مقيمون عليها. كما نلحظ أن الأحباش الذين اتخذوا الحادثة مبرراً لغزوهم لليمن لم تكن لهم سلطة عليهم، وإنما توزعت سلطتهم على أرض اليمن، واستمر أهل نجران ـــ النصارى وغيرهم من مختلف القبائل ـــ في هيمنتهم الكاملة على أرضهم وبلدهم حتى جاء الإسلام.

وإذا ماتجاوزنا تلك الوقائع التى أطلق عليها "أيام العرب" فيما كان بين القبائل العربية وهؤلاء الملوك. فإننا نجد أن الغالبية العظمى من سكان الحضر والبادية في وسط شبه الجزيرة العربية، كانت تكن الوُدّ والاعزاز لهؤلاء الملوك، ويفخرون بهم، ويفدون إليهم لإظهار مودتهم، وموالاتهم على أساس أنهم عرب مثلهم[1] في مقابلة ملوك الروم وفارس. وليس أدل على ذلك من خروج وفود العرب، أهل الحضر والبادية، من وسط شبه

[1] الأغانى، ج١٦، ص٧٣.

الجزيرة، لتهنئة الملك سيف بن ذى يزن، عندما تحقق له طرد الأحباش من اليمن، وكان من بينهم عبد المطلب بن هاشم، جد النبي ﷺ ، وخطب أمامه يومها نيابة عن الوفد، وكان مما قاله: إن الله أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً، صعباً منيعاً، وأنبتك منبتاً طابت أرومته .. وأنت ملك العرب وربيعها الذى يخصب به، سلفك خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف .. ونحن أيها الملك أهل حرم الله، وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذى أبهجنا لكشف الكَرْب الذى فدحنا، فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة[1] .

وبعد أن انتهى عبد المطلب من خطبته، سأله سيف بن ذى يزن، أيهم أنت أيها المتكلم؟. فقال أنا عبد المطلب بن هاشم. قال: ابن اختنا؟. قال: نعم، ابن اختكم، قال: ادن منى، وقربه من مجلسه، واحتفى به[2] .

وكان هاشم أكبر أبناء عبد مناف، ويقال له ولاخوته: نوفل، وعبد شمس، والمطلب: المُجَبِّرُون، لأنهم أول من جَبَّر وأصْلَح أمر قريش في التجارة، فأخذوا لها العهود، وعقدوا المواثيق مع الدول المجاورة، التى تَرِدُها قريش للتجارة، فعقد هاشم عهداً مع ملك الروم أن تختلف قريش

---

[1] الآلوسي. محمود شكرى، بلوغ الأرب، ٢٦٧/٢، والأغانى للأصفهانى ٧٣/١٦، والأزرقى ص١٥٠. ولايتوهم أحد أن في كلمة عبد المطلب اعتراف بسيادته على العرب، فهذا أسلوب مجاملة كان يقال أيضاً لكسرى وقيصر

[2] وأم عبد المطلب بن هاشم هى: سلمى بنت عمرو بن زيد من بنى النجار من الخزرج من ثعلبة بن عمرو مزيقياء من زيد كهلان بن سبأ. وكذلك كان جده عبد مناف بن قصي، أمه حُبى بنت حليل بن حبشية من خزاعة. وقيل أم قصى من أزد السراة. انظر ابن الأثير ١٧/٢، ١٨، وانظر ايضاً: الطبرى ١٤٨/٢، وكتاب البدء والتاريخ ٥/٥.

بتجارتها في أرضه، وهي في أمان، ومع ملوك غسان بالشام، وعقد أخوه عبد شمس عهداً مع النجاشي ملك الحبشة، وعقد أخوه نوفل عهداً مع الأكاسرة وملوك الحيرة، وعقد المطلب عهداً مع ملوك حمير باليمن[1] .

فازدهرت بذلك تجارة قريش[2] نتيجة للأمن الذي توافر لها في كافة البلاد التي تختلف إليها، وكانت تجارتها من أشهر الرحلات التجارية على مدى قرن ونصف قبل مجيء الإسلام .. وكانت من النعم التي خص الله بها قريش، وهاجسٌ إلى عِظَم المكانة التي ستحتلها في نفوس العرب، وإرهاص من إرهاصات النبوة. ولذلك ذكّرهم الله بهذه النعمة من باب التبكيت والتقريع لهم على عدم ذكرها، وشكره سبحانه عليها، وحضّهم على عبادته وشكره سبحانه وتعالى، حين بعث إليهم، وإلى العالمين نبياً منهم، كان الأحرى بهم أن يكونوا أول من أتبعه وآمن به، في قوله تعالى: ﴿لإيلاف قريش* إلافِهِم رحلة الشتاء والصيف* فليعبدوا رب هذا البيت* الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾[3] فكانت رحلة الشتاء لليمن والحبشة، ورحلة الصيف إلى الشام، وفلسطين، والعراق، ومصر[4]

---

[1] طبقات ابن سعد، ج١، ص٧٥-٧٨.

[2] الكامل لابن الأثير ١٦/٢، والطبرى ٢٥٢/٢، ونهاية الأرب للنويرى ٣٢/١٦،٣٣، والطبقات لابن سعد ٧٥/١ .

[3] سورة قريش الآية ١-٤ .

[4] فكتب التاريخ تروى أن عمرو بن العاص ذهب في الجاهلية إلى مصر في تجارة، وحضر حفلاً كانوا يرمون فيه كرة، فإذا سقطت على أحد، أو في حجره، عرفوا أنه سيتولى حكم البلاد، أو يتقلد منصباً فيها، فسقطت على عمرو، فعجبوا، وظنوا أنها أخطأت طريقها.

ونلحظ أن هاشم بن عبد مناف وإخوته قد عقدوا العهود مع ملوك الدول التي تجوب قافلتهم التجارية أراضيهم، حتى لا يتعرض أحد من رعايا هؤلاء الملوك لتجارتهم حين المرور في أرضهم، أما قبائل وسط الجزيرة العربية، وما يبسطون أيديهم عليه من أرض فكانت لهم معهم تعاملات أخرى، بعضهم يخفرها بمقابل، أو دون مقابل لصلة القربى، فمثلاً كان سعد بن عبادة يجيزها وهى بالمدينة، أو في حيزها[1] وإذا مرت بتهامة الحجاز والسراة، كانت بعض القبائل التي تمر بأرضها تُحَمّلها بعض السلع لتبيعها لها في الأسواق التي تحل فيها[2] أو تشترى منها بربح قليل، وفي هذا دليل على هيمنة القبائل في تهامة والسراة على الأرض التي يبسطون أيديهم عليها، دون أن يكون لغيرهم أية سلطة عليهم.بل إن هذا هو شأن كافة القبائل وسط شبه الجزيرة العربية. فالقبيلة هي صاحبة السلطة والسيادة على الأرض التي تبسط يدها عليها، ولاتنتزع منها السيادة على تلك الأرض إلا قبيلة أقوى منها، ولاتمر بها قبيلة، أو تنتجع فيها، أو ترد مناهلها إلا بإذن منها، ولذلك نجد أن الأرض كانت تحمل اسم القبيلة التي تفرض سيادتها عليها، فيقال أرض هوازن، وأرض كنانة، وسراة بني علي، وسراة فهم، وسراة بجيلة، وسراة الأزد، وسراة ألمع، وبلاد بني مالك بن شهر، وبلاد وادعة وبني الحارث، وغير ذلك كثير[3]

---

[1] الطبري ٢/٣٦٨.

[2] الطبقات لابن سعد ٧٨/١.

[3] صفة جزيرة العرب، ص٢٦٠-٢٦٢.

وكانت القوافل التجارية لاتعبر تلك الأرض في الغالب إلا بإذن من رؤساء القبائل المهيمنة عليها، وأعمال الخفارة للقوافل لاجازتها عَبْر المسالك، وحمايتها من النهب والسَّرِقة، كان يخضع لاتفاق مسبق للإذن بالعبور، إما مقابل جُعل يُدفع، أو للتعامل بالمثل، أو غير ذلك، وكثيراً ما كان يتم العبور من قبيل النخوة والشهامة.

ومما يعطى الدلالة على أن هذا الوضع هو الذى كان سائداً وسط شبه الجزيرة العربية، هو أن "باذان" عامل كسرى على اليمن[1] كان يبعث إلى كسرى كل عام قافلة تحمل الكثير من طُرَفَ اليمن: كالثياب، والعطور، والذهب، والجواهر، وكانت القافلة تخرج من اليمن مخفورة برجال من بنى الجعد المرّارين من كندة بحضرموت، ومعهم بعض أفراد من رجال كسرى، إلى أن تصل إلى أرض بنى تميم فيتعهدها هوذة بن على الحنفى، رئيس بنى حنيفة في ذلك الوقت، حيث يقوم بارسال من يخفرها حتى تجاوز أرض بنى تميم وسط نجد، فلما كان بعض السنين، وهى في أرض بنى حنظلة، دعا صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعى قومه إلى الوثوب عليها، لكنهم أبوا ذلك، فلما صارت في بلاد بنى يربوع دعاهم إلى ذلك فاستجابوا، وأغاروا عليها وقتلوا معظم حراسها ومرافقيها من العرب والفرس، واستولوا على ماتحمله، وفر من نجا من الموت إلى هوذة

---

[1] بعض المراجع تذكر أن هذه الحادثة وقعت في عهد وهرز، لكن ابن الأثير ذكر أنها في عهد باذان، آخر عامل كسروى على اليمن، والذى أسلم ـ على أرجح الأقوال ـ في العام التاسع من الهجرة، وأنها كانت وقت البعثة النبوية، وقبل الهجرة، ابن الأثير ٦٢١/١.

ابن علي الحنفي باليمامة، فخفف من روعهم، وكساهم وأكرمهم، ثم سار معهم إلى كسرى، فحفظ له كسرى موقفه ذاك، ودعا بعقد من دُرٍّ عقده على رأسه، وكساه قباء ديباج، فمن ثَمَّ سُمِيّ: هوذة ذو التاج[1] أي صاحب التاج، وبعد تلك الحادثة كان كسرى يبعث بتجارة لتباع في اليمن، فكان هوذة بن علي الحنفي يبعث من يقوم على حراستها حتى تجاوز أرض بني تميم في طريقها إلى اليمن[2] .

وشاهد آخر على هذا الوضع الذي كان سائداً وسط شبه الجزيرة العربية، وهو أنه كانت تقام بعكاظ ـ بين نخلة والطائف ـ سوق تجتمع فيها العرب كل عام إذا حضر موسم الحج، فيأمن الناس بعضهم بعضاً، وتقام في مستهل شهر ذي القعدة حتى العشرين منه، لينصرف الناس بعدها لأداء مناسك الحج، وكانت السوق للأدب يتبارى فيها الشعراء والخطباء بأحسن ما لديهم، كما يتبارى التجار بترويج ما يحملونه من سلع متنوعة، فكانت غذاء للعقل والجسم معاً. كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة، يبعث (لطيمة) أي بضاعة للإتّجار بها في سوق عكاظ كل عام، وقبيل حلول الموعد يفد إليه بعض رجالات العرب، وفرسانها، ليعرضوا عليه القيام بحماية القافلة حتى تجوز إلى عكاظ، وفي أحد الأعوام اجتمع

---

[1] الطبري ٢/١٦٩، وابن الأثير ١/٦٢٠، وسرح العيون في شرح رسالة بن زيدون، لابن نباته المصري، ص٥٥.
[2] ابن الأثير ١/٦٢١.

لديه لفيف من العرب، كان منهم عُروة بن عتبة بن جعفر، المعروف بعروة الرّحّال[1] وكان شريفاً في قومه.

كما كان من بين الموجودين البرّاض بن قيس الكناني، ثم الضمري، وكان فاتكا خليعاً، يُضرب به المثل في الفتك[2] .

قال النعمان للحاضرين بمجلسه: من يجيز لي لَطيمتي هذه حتى يبلغها عكاظ؟ فقال البرّاض: أنا أجيزها على كنانة، فقال النعمان: إنما أريد من يجيزها على كنانة وقيس: فقال عروة: أكَلْبٌ خليع يجيزها لك؟! أنا أجيزها على أهل الشيح والقيصوم[3] ، من أهل تهامة وأهل نجد. فقال البرّاض غاضباً: وعلى كنانة تجيزها ياعروة؟! قال عروة: وعلى الناس كلهم .. فدفع النعمان القافلة إلى عروة الرّحّال ليسير بها إلى عكاظ، وخرج في أثره البراض متخفياً حتى قتله، واستولى على التجارة، وقامت بسببه حرب الفِجار، التي شهدها الرسول ﷺ ، وعمره عشرون عاماً[4]

---

(1) عروة الرّحال ابن عتبة بن جعفر بن كلاب من عامر من صعصعة من هوازن، واطلق عليه ذلك لكثرة ترحاله. الجمهرة، ص٢٨٦.

(2) أى الأخذ على غِرّة.

(3) الشيح والقيصوم نبات لاينبت إلا في البادية، وهذا كناية عن حماية القافلة من أهل الحاضرة والبادية وإجازتها كافة البوادى.

(4) ابن الأثير ١/٥٨٩، ٥٩٠؛ وسرح العيون ص٩١، والبدء والتاريخ ١٣٤/٤، واختلف في عمره ﷺ ، وذكرنا ما رأيناه صواباً.

وهي حرب الفجار الثاني، وقيل: إنها أربعة، وأن الذى شهده الرسول ﷺ هو الرابع[1] منها، وأن عمره كان وقتها أقل من عشرين عاماً.

وكثيراً ما يردد البعض القول بأن أبناء الحارث بن عمرو الكندى كانوا ملوكاً على أحياء العرب، وسط شبه الجزيرة، ويغفل قصداً أو عن غير قصد ملابسات ذلك والداعي إليه ...

فحقيقة ذلك كما يرويه ثقاة المؤرخين: أنه لما استحر القتل بين القبائل العدنانية، وفسد أمرها، بسبب كثرة الحروب بينها، تجمع أشراف وكبراء تلك القبائل، واتفقوا أن يولوا عليهم حكماً يكون بمثابة قاضٍ يحكم بينهم ويُرجع إليه فيما ينشب بينهم من خلاف أو منازعة.

وضماناً لنزاهته وانصافه اتفقوا أن يكون غريباً عنهم، حتى لايتعصب لقبيلته، فأتوا الحارث بن عمرو الكندى، وكان ملكاً على الحيرة، وعرضوا عليه أمرهم، وسوء الحال التي وصلوا إليه.

ثم طلبوا منه أن يرسل معهم بنيه، ليكونوا على القبائل كحكام وقضاة، ويكفوا بعضهم عن بعض، فوزع أبناءه على القبائل، فكان ابنه حجر على بني أسد وغطفان، وشرحبيل على بكر بن وائل بأسرها، وبني حنظلة، وابنه معد يكرب على بني تغلب والنمر بن قاسط، وسعد بن زيد مناة، واستمر الوضع على ذلك عدة سنين إلى أن امتنع بنو أسد أن يدفعوا

---

[1] مجمع الأمثال للميداني، ٢/٤٣٠.

الإتاوة، أو النفقات المطلوبة منهم سنوياً لحجر بن الحارث، حاكمهم، أو بالأحرى قاضيهم، فسار إليهم لقتالهم فقتلوه، وهو والد امرؤ القيس الشاعر المشهور، وامتنعت بقية القبائل عندئذ عن دفع تلك الجباية، وطردوا أبناء الحارث[1] وخبر ذلك مشهور تاريخياً، وليس فيه دليل على تملك كندة لوسط الجزيرة، فإن القبائل العربية في وسط شبه الجزيرة، هي التي استدعتهم وهي التي أعفتهم من مهمتهم.

ملوك العرب في الشمال :

تتابعت هجرات القبائل العربية من جنوب ووسط بلاد العرب إلى الشمال، واستوطنوا أرض العراق، والشام، وفلسطين، ومصر، منذ عهود بعيدة، فقد قيل إن فراعنة مصر، الذين كانوا على عهد الخليل ابراهيم عليه السلام، من العماليق الذين هاجروا من بلاد العرب[2] وأنه قد توافقت هجرة قبيلتي جُرهم، التي كانت تستوطن تهامة اليمن[3] وقبيلة قُطوراً، سُكنَى اسماعيل عليه السلام مكة المكرمة، فأقامتا بجواره، وصاهر اسماعيل قبيلة جُرهم، ثم بعد فترة نزحت قطورا إلى الشمال حتى استقرت بطون منها بمشارف الشام، وبادية السماوة[4] . وأقاموا مملكة تدمر ببادية

---

(1) الأغاني ٨/٦٢،٦٣، وبلوغ الأرب للألوسي،ج٢،ص١٥٦.

(2) معجم البلدان، ياقوت الحموي ٥/٤٤٢.

(3) معجم البلدان ٥/٤٤٢.

(4) أخبار مكة للأزرقي ١/٨٢،٨٥، ونهاية الأرب للنويري ١٦/٣٢،٣٣.

السماوة بالقرب من حمص، وكانت معاصرة لنبي الله سليمان عليه السلام، وربما تكون البطون الأخرى منها، هي التي أسست مملكة الأنباط بالبتراء بالقرب من حوران قبل القرن الرابع الميلادي، وكان من أشهر ملوك مملكة تدمر الملكة زنوبيا (الزَّباء) ابنة عمرو بن الظَّرِب بن حسان بن أُذَيْنة بن السميدع[1] وكان يعاصرها في الحيرة[2] حكم التوخيون الذين كان من أشهر ملوكهم جذيمة الأبرش، وابن أخته عمرو بن عدى من آل نصر اللخمي، ثم تلاهم في حكم الحيرة المناذرة أبناء عمرو مزيقياء من الأزد[3] .

أما في الشام فأول من حكم هم الضجاعمة من سليم من قضاعة، إلى أن تمكن الغساسنة من آل جفنة من عمرو مزيقياء من التغلب عليهم، والاستئثار بالحكم، أواخر القرن الخامس الميلادي، وأول ملوكهم الحارث ابن جبلة، وآخرهم جبلة بن الأيهم الذى أسلم في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت ديارهم تمتد من اليرموك إلى الجولان إلى القرب من دمشق[4] .

---

[1] والسميدع هم بطن من قطورة من العماليق.

[2] الحيرة: تبعد عن الكوفة بثلاثة أميال، وتقع بالقرب من ضفة الفرات الغربية.

[3] بلوغ الأرب للألوسي ٢/١٧٥-١٧٧.

[4] دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، د.سيد سالم، ص١٩٧، ١٩٨، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص٤٥٠.

ولعل من أسباب إقامة تلك الممالك في هذه المناطق، هو تتابع هجرات القبائل العربية على مختلف العصور، وسيطرتها عليها عقب إنحسار نفوذ الفينيقيين، والأشوريين، والكلدانيين، والسريانيين وقبل أن يمتد إليها نفوذ الساسنيين والروم البيزنطيين، الذين استمروا حتى ظهور الإسلام.

وكان من أشهر القبائل التي هاجرت واستوطنت تلك البقاع بالإضافة إلى العماليق، بطون من قضاعة كسليح، وبهراء، وبليّ، وبطون من إياد بن معد إلى عين أباغ فيما بين البصرة والكوفة، وقبائل من بكر وتغلب، وتنوخ، ولخم، ومن الأزد، وغيرهم[1] فكانت تلك القبائل سنداً قوياً في محالفتها للحاكم العربي في تلك البقاع، وعندما امتد نفوذ العجم والروم إليها، لم يجدوا مناصاً من إقرار هؤلاء الملوك على ممالكهم، على أن يتعهدوا بحفظ الأمن فيها، ويكفوهم خطر الغزوات التي كانت تقوم بها أحياناً بعض قبائل وسط شبه الجزيرة، على تلك الأطراف من ممالكهم. ويتضح ذلك من محاورة كسرى أبناء المنذر بن المنذر بن النعمان بن ماء السماء، ليختار من بينهم من يخلف أباهم المنذر في حكم الحيرة عقب وفاته عام ٥٧٩م. فقد سألهم على انفراد سؤالاً ليعرف رجاحة عقل كل منهم: أتكفينني العرب؟ وهو يقصد عرب وسط شبه الجزيرة العربية، لا الذين يقيمون حول الحيرة، أو في حوزتها، لأن هؤلاء خاضعون لسيطرته

[1] البلاذري، فتوح البلدان ١٠٢/١–١٠٥، وابن الأثير ٣٤٠/١–٣٤٣، والطبري ٩٠/٢.

وهيمنته، أما مَنْ بداخل بلاد العرب فلا سلطان له عليهم، ولا راد لحملاتهم أو غزواتهم إلا هؤلاء الحكام سواء في الحيرة، أو الشام[1] .

وكان ملوك الفرس والروم قد فرضوا خراجاً على الأصقاع التى تقع تحت نفوذهم يُجبى إليهم في العام مرة أو مرتين، وأحياناً كانوا يجورون في مقدار ذلك الخراج. فلما ملك كسرى أنو شروان حاول أن يكون عادلاً في وضع الخراج[2] بتصنيف نوعية الأرض، وكيفية سقياها، ونوع المحصول المنتج منها، وغير ذلك مما عرف بوضائع كسرى، والتى استمر العمل بها في تلك البلاد حتى دخلها الإسلام في عهد عمر بن الخطاب، فأقرهم على العمل بها فترة من الزمن[3] وكان العرب في وسط شبه الجزيرة فيما قبل الإسلام لايدرون شيئاً عن تلك الجبايات، أو التعاملات الضرائبية، لأنهم لم يكونوا خاضعين لسيطرة أيٍّ من هؤلاء الحكام .. والحياة القبلية وكذا الحضرية بوسط شبه الجزيرة العربية تأنف من دفع الجبايات .. ألا ترى أن بعض القبائل التى ارتدت عقب وفاة الرسول ﷺ ـ وجُلّها لم يكن الإسلام قد تمكن بعدُ من شغاف قلوبها ـ طلبت من خليفة رسول الله ﷺ أبى بكر الصديق رضى الله عنه، أن

---

[1] ابن الأثير ١/٤٨٣-٥١٠.

[2] كان مولد النبي ﷺ عام الفيل وبعد مضى اثنين وأربعين عاماً من حكم أنوشروان، وقال النبى ﷺ ، ولدت في عهد الملك العادل، ويقصد بذلك انوشروان، انظر ابن الأثير ١/٤٥٧، وسرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، لابن نباته، ص٥٧.

[3] الطبرى ٢/١٥١، وابن الأثير ١/٤٥٥، والأخبار الطوال للدنيورى، ص٧١.

يعفيهاً من دفع الزكاة، وبعضهم قال عنها "إتاوة"[1] بينما هم ملتزمون ببقية شرائع الإسلام!

لكنه رضي الله عنه رفض وقال قولته الشهيرة: والله لومنعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه[2] .

ومما يؤكد استقلالية وسط شبه الجزيرة، وعدم خضوعها لأي من الممالك في الشمال أو الجنوب، تلك الواقعة التي حدثت قُبَيل البعثة النبوية بقليل،وهي أن عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، القرشي، كان يطمح أن يسود قريشاً ويترأسها، وقد تحايل للملك، فذهب إلى قيصر الروم، ورَغَّبه في تملك مكة وما حولها، مثلما تملكت فارس اليمن، وطلب منه أن يوليه حاكماً عليها من قِبَلِهِ، كي تُجبى إليه الجبايات، فوافق وكتب له بذلك كتاباً يوليه على مكة وما حولها.

فلما قدم عثمان بالكتاب أطْلَع أهل مكة عليه، وحذّرهم مغبة المخالفة والعصيان، وإلا سيُعَرّضون تجارتهم وأموالهم في بلاد الشام إلى الهلاك، وقد يسير إليهم قيصر بجيوشه، فوافقه بعضهم، وأخذ فريق يتداول الموقف في ناديهم، فلما كان عشية اليوم الثاني قام ابن عمه أبا زمعة الأسود بن عبد المطلب بن أسد، وصاح في الناس وهم يطوفون قائلاً: ياعباد الله، أيكون مَلِكٌ في تهامة؟! ما كان بها مَلِكٌ قط! وإن قريشاً

---

[1] الطبري ٣/٢٥٩، وابن الأثير ٢/٣٥٢، وابن خلدون ٢/٧١.

[2] الطبري ٣/٢٤١-٢٤٤، وابن الأثير ٢/٣٤٤.

لقاحاً لاتُمَلّـك لأحـد. فقـالوا: صـدقـت، لـسن يملكنـا قيصـر ولاغـيره[1] وهـم يقصـدون بتهامـة مكـة ومـا حولهـا، ومـا يتبعهـا مـن تهامـة والطـائف، وجبـال السراة، ويعنـي أوضـح منطقـة الحجـاز.

ولـذا قـال يـاقوت[2] كـانت مكـة لقاحـاً [3] لاتديـن لديـن الملـوك، و لم يـؤد أهلهـا إتـاوة، ولا ملكهـا ملـك قـط مـن سـائر البلـدان، تحـج إلى الكعبـة ملـوك حمـير وكنـدة، وغسـان ولخـم، فيدينـون للحُمْـس[4] مـن قريـش، ويـرون تعظيمهـم، والاقتـداء بآثـارهم أمـراً مفروضـاً، وشـرفاً عندهـم عظيمـاً، وكـان أهـل الحـرم آمنـون، يغـزون ولا يُغـزون، ويَسـبون ولا يُسـبون، و لم تسـب قرشية قـط فتوطأ قهـراً ، ولايجـال عليهـا السَهّام. وقـد حَمّسـت قريـش بعـض القبـائل المجـاورة للحـرم، كخزاعـة، وكنانـة، وثقيـف، وعـامر بـن صعصعـة[5] وأضفـت الكعبـة المهابـة والحرمـة علـى مكـة وبقـاع الحـرم، في الأشـهر الحـرم، فكان الرجل يلقى قاتل أبيـه أو أخيـه فـلا يعـرض لـه بسـوء.

وقـد أدى هـذا الاسـتقرار الأمنـي للحـرم، أو بـالأحرى لمكـة والبقـاع المحرمـة، إلى امتـداد أثـره إلى المنـاطق المجـاورة، ومنهـا منطقتنـا موضـوع

---

[1] شفاء الغرام، ٢/١٠٨،١٠٩.

[2] معجم البلدان، لياقوت الحموي ٥/١٨٣.

[3] يعني تعطي ولاتأخذ، وتحكم ولاتُحكم لايخضعون للملك ولايؤدون إتاوة أو جباية.

[4] التحمس: التشدد في الدين، ورجل أحمس أي شجاع، وكان من عادة الحُمس في الجاهلية ألا يخرجوا أيام الحج إلى عرفة وإنما يقفون بالمزدلفة ليجيزوا بالحجيج.

[5] معجم البلدان ٥/١٨٤.

الدراسة، فلقد اقتضت الظروف وسط شبه الجزيرة العربية، أن ينظم العرب حياتهم فيها على أسس قبلية، فالقبيلة هي الوحدة السياسية والاجتماعية، وتتكون من أفراد ينحدرون من جد واحد يحملون اسمه، وربما تنضم إليهم جماعات أوعشائر بالولاء، ويتحملون جميعاً واجبات الدفاع عن القبيلة، وعن أيٍّ من أفرادها إزاء كل خطر يواجههم، فكانت القبيلة هي المظهر الأولى البسيط للحكم الاستقلالي[1] وأصبحت القبيلة وما تهيمن عليه من أرض بمثابة ولاية مستقلة[2] أفرادها يدينون بالولاء لرئيس القبيلة، ورئيسها لاسلطان عليه، يرعى مصالح أفرادها، ويعقد مع جيرانه رؤساء القبائل عقد أمان أو موالاة بعدم الاعتداء، وهو عقد إن لم يكن موثقاً بالكتابة في غالب الأحيان، لكنه كان باللسان ومصافحة الأيدى أوثق وآكد للوفاء به، كان هذا هو الوضع السائد للحضر والبادية وسط الجزيرة العربية من حيث الاستقلالية وعدم الخضوع لسيطرة الممالك جنوب وشمال بلاد العرب، في معظم الفترات التاريخية لما قبل الإسلام، وتساس الأمور والأوضاع بينها وفق قواعد من الأعراف والتقاليد والعادات التى تلائم ظروفهم، وربما تختلف كثيراً عن تلك التى تسود هذه الممالك.

---

(1) من تقديم الدكتور صالح أحمد العلى، لكتاب الطبقات خليفة بن خياط، تحقيق اكرم ضياء العمرى، ص٧.

(2) د.ابراهيم بيضون، الحجاز والدولة الإسلامية، ص٥٢، د. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٣٦٠.

علاقة المنطقة بالنفوذ السياسي لتلك الممالك :

من الصعب تمييز منطقتنا (جازان، وعسير، ونجران) بدراسة منفصلة عن وسط شبه الجزيرة العربية، خلال الحقبة التاريخية المبكرة التى نحن بصددها، ذلك لأنها كانت تعتبر خلال هذه الحقبة امتداداً طبيعياً لبادية مكة والطائف. على ضوء الشواهد التاريخية.

فتهامة الحجاز، وجبال السراة (عسير) وأوديتها، ونجران، ابتداء من مكة والطائف حتى المعالم الطبيعية التى سبق الإشارة إليها في صدر هذا البحث، تقطنها قبائل لها في ذاك الوقت مطلق الاستقلالية على أرضها، وتبسط يدها عليها وكأنها إمارة قائمة بذاتها، ويعقد رؤساء القبائل تحالفات فيما بينهم، ويدخلون في ولاء مع جيرانهم، أو مع من شاءوا من غيرهم، للمناصرة وعدم الاعتداء[1] وهو في حقيقته شبيه بما يتخذ حالياً في العصر الحديث بين الدول.

وكانت مكة منذ عهد اسماعيل ـــ عليه السلام ـــ قد شرفت باحتضانها الحرم الشريف، واحتلت جانباً مرموقاً في نفوس العرب، ومع أن الوثنية قد انتشرت فيهم، لكنهم كانوا يفدون كل عام ليطوفوا بالبيت العتيق، ونالت قريش بولايتها البيت ورعاية الحجيج، شرفاً رفيعاً[2] .

---

[1] د.ابراهيم بيضون، المصدر السابق، ص٣١.

[2] الأزرقي، أخبار مكة ١/١٠٩.

ولما كانت مكة بواد غير ذى زرع فقد وهب الله أهلها عوضاً عن ذلك، الرزق في التجارة، فبرعوا فيها أيما براعة، واشتهر أمر تجارة قريش في بلاد العرب وغيرها، وجعلت تجوب وسط بلاد العرب وشماله وجنوبه، ووطئت أقدامهم أرض فارس والروم والحبشة، وفلسطين، ومصر[1] ، وذلك منذ عهد قصي بن كلاب، الذى كان قد تزوج حبّى بنت حُليل الخزاعى، واسترد من خزاعة الولاية على البيت[2] وكانت أم قصي بن كلاب، هي فاطمة بنت عمرو بن سعد بن سيل، من أزد السراة، وهي أيضاً أم أخيه زهرة بن كلاب[3] كانت التجارة هي البديل لمواجهة تصحر الأرض، وقلة المزروعات، وقد نجحت قريش في القيام بتلك المهمة نجاحاً ملحوظاً، في الوقت الذى أصيبت فيه طرق المواصلات البحرية، والبرية، قدرتها على نقل البضائع التي تحتاجها دول الغرب من الشرق، أو بالعكس، وذلك بسبب الحروب المتواصلة بين الفرس والروم، ودخول الحبشة جنوب الجزيرة[4] .

وأصبحت مكة وما في حوزتها من مدن وبوادى ملتقى القادم من الشمال والجنوب والوسط، ومما ساعد على نمو التجارة وأزدهارها وجود

---

(1) د.ابراهيم بيضون، المصدر السابق، ص٥٣.

(2) الأزرقي، المصدر السابق ١/١٠٥.

(3) الأزرقي، المصدر السابق ١/١٠٤، والبدء والتاريخ للمقدسي ٤/١٢٤، ٥/٥، وابن الأثير ٢/٣٤.

(4) د.ابراهيم بيضون، المصدر السابق، ص٣١.

أسواق في المنطقة، يفد إليها التجار من كل أحياء بلاد العرب، وبخاصة تلك التي كانت تعقد في الأشهر الحرم، كسوق عكاظ.

كما كان من أشهر تلك الأسواق: سوق مجنّة، وكانت بأسفل مكة لبني كنانة، وسوق حُباشة، وكانت للأزد وكنانة في السراة، وسوق ذى المجاز، وكانت لهذيل بالقرب من عرفه[1] وسوق مجسران، وسوق الجريب بتهامة[2] كما أسهمت المرافئ التي كانت على ساحل البحر الأحمر في ازدهار تلك التجارة يومذاك، بنقلها إلى الحبشة، وبلدان الساحل الافريقي، وكان من أشهر تلك المرافئ، مرفأ الشعيبة[3] قبل أن تتخذ جدة مرفأ رئيسياً للمنطقة في عهد الخليفة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ[4]

وإذا أردنا تحديد الاتجاه العام للخطوط التجارية المتشعبة من مكة شمالاً أو جنوباً، فسنجد أن طريق القوافل في اتجاهها جنوباً، كان يمثل امتداداً شبه طبيعي لنفوذ مكة، حيث يمر بقبائل تربطها بها صلة قرابة، أو تحالفات، وفي نفس الوقت فإن تلك القبائل تُكنّ لقريش درجة لابأس بها من التوقير والتبجيل[5] فكانت التجارة تمر بأرض قبائل المنطقة، فيحافظون

---

[1] د.السيد عبد العزيز سالم المصدر السابق،ص٢٩٣، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقى الدين محمد بن أحمد الفاسي ٢/٢٨٢.

[2] الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٤٨،٣٣٢.

[3] تقع الشعيبة جنوب جدة، وتبعد عنها مسافة مرحلتين أى حوالى ٢٤ كيلو متر تقريباً.

[4] الأزرقي، المصدر السابق ١/١٥٧.

[5] د.ابراهيم بيضون، المصدر السابق، ص٦٥.

عليها، ويبيعونهـا، أو يشترون منها ماتحمله، أو يحمّلونها ما لديهم من سلع، دون كراء، ليبيعوه لهم في الأسواق[1] وغالباً ماكانت القافلة تسلك في طريقها إلى صنعاء مثلاً: تهامة الحجاز، حيث الآبار والعيون، ثم تعرج على السراة، ثم إلى بطن السراة شرقاً، فإلى تبالـه وبيشـه وجرش، ثم إلى صعدة وصنعاء، أو عدن وبقية المدن التجارية الشهيرة[2] وكان للمكيين وكلاء في البلدان الرئيسية التي يمرون بها في المنطقة كتبالة، وجرش، ونجران[3] .

وكانت تتوزع في المنطقة ــ بتهامة الحجاز، والسراة، ونجران، والبوادى ــ قبائل شتى لكن يجمعها ولاء أو تحالف، كبطون من قريش، وقبائل: كنانة، وأسد بن خزيمة، وهذيل، وهوازن، وقبائل الأزد، ببطونها العديدة: بنو بارق، وبنو العتيك، وبنو شهيل، وبنو الحجر، وبنو المنو، وبنو عدنان، وقرن، وماسخه، وشب، وثمالة، وبارق، وغامد، وزهران، ودوس، وألمع[4] وغيرهم كثيرون، وأيضاً أبناء العمومة خثعم وبجيلة، فمن بجيلة: بنو قسر، وبنو أحمس، وبنو قتيان، وبنو واقد، وجشم، وكان منهم الصحابي جرير بن عبد الله بن جابر، البجلي[5] ، الذي قدم على الرسول

---

[1] الطبرى ٢/٣٦٨، وطبقات ابن سعد، ج١، ص٧٨.

[2] د.ابراهيم بيضون، المصدر السابق، ص٦٥،٦٦.

[3] د.السيد عبد العزيز سالم، المصدر السابق، ص٣٠٥.

[4] جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص٤٧٣،٤٧٤.

[5] ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة ٥/٢٣٢.

ﷺ مُسْلِماً، فقال له النبي ماجاء بك؟: قال: جئت لأسلم، فألقى إليه الرسول ﷺ ، كساءه، وقال: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه، وروى عنه أنه قال: ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم[1] وكان جرير جميلاً وضيء الوجه، حتى قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: جرير يوسف هذه الأمة، وقدمه عمر رئيساً على جميع بجيلة في حروب العراق، وكان له أثر عظيم يوم القادسية[2] وسوف نأتي على جهوده في خدمة الإسلام فيما بعد.

أما بطون خثعم: فبنو ناهس، وشهران، وراشد، ومن فروع شهران بنو عُمَيس، رهط أسماء بنت عميس، زوج جعفر بن أبي طالب، والتي رافقته في الهجرة إلى الحبشة، وأختها سلمى بنت عميس زوج حمزة بن عبد المطلب، رضي الله عنهم جميعاً[3] .

كما كان بالمنطقة قبائل حكم آل عبد الجد من سعد العشيرة، ومن بني نهد، وجرم، ويام، وبني الحارث بن كعب، ووادعة، وحاشد وبطون من عنز بن ربيعة[4] وغيرهم كثيرون تجمعهم بعضهم مع بعض روابط قربى ومصاهرة، وولاء، وتحالفات وتهوى أفئدتهم للحرم، ويقرون لذلك بنفوذ مكة، ويجلون قريش لولايتها البيت، ويوادعونها ولا يرمونها بشر

---

(1) رواه البخاري. ورواه ابن حجر في ترجمة جرير في الإصابة ٥/٢٣٢.

(2) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٥/٢٣٢.

(3) جمهرة أنساب العرب، ص٣٩٠،٣٩١.

(4) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص٢٥٣-٢٦٢،٣٥٥.

إلا فيما ندر، وربما يظهر ذلك بصورة واضحة في حادث الفيل، الذى وافق وقوعه العام الذى وُلِدَ فيه الرسول ﷺ [1] ، ونالت به قريش شرفاً على شرف.

فقد وجد أبرهة الأشرم، بعد أن استقر له الأمر في اليمن، أن العرب يحجون في كل موسم إلى الكعبة بمكة، وأنهم يوقرونها، فبنى كنيسة في صنعاء ليُحَوِل حج العرب إليها، وأطلق عليها اسم " القُلَّيس"، ويقال: إنه لم يُرَ مثلُها في زمانها، لكثرة ماأنفقه في بنائها، وكتب إلى النجاشى ملك الحبشة: إنى قد بنيت لك كنيسة لم يُرَ مثلها، ولست بمنته حتى أصرف إليها حاجّ العرب[2] ولما فرغ من بنائها بعث البعض يسيرون في أحياء العرب يدعونهم ليحجوا إلى البيت الذى بناه أبرهة، فانطلق أحدهم حتى نزل بأرض كنانة في تهامة، وبلغ أهل تهامة أمره، وما جاء له، فبعثوا له رجلاًمن هذيل يقال له: عروة بن حياض الملاصّ، فرماه بسهم فقتله[3] فغضب أبرهة عندما بلغه ذلك، ثم ما لبث أن ذهب رجلٌ من النُسأة[4] من فُقَيْم من مالك من كنانة، متسللاً إلى "القُلَّيس" وتغوّط فيه، ولما عرف أبرهة سأل عمن فعل ذلك قالوا له: إنه رجل من العرب، من أهل البيت

---

(1) في كتاب البدء والتاريخ ٤/١٣١: ولد النبى ﷺ، بعد قدوم الفيل بخمسين ليلة، وكان مولده يوم الأثنين لثمان ليالٍ خلون من ربيع الأول، وقيل: لاثنى عشر يوماً، وكان ذلك يوافق عام ٨٨٢ للتوقيت الرومى، وعام ٤٤ من ملك أنوشروان، وعام ٢١٦ من تاريخ العرب الذى أوله حجة الغدر.

(2) ابن الأثير ٤٤٢/١، والطبرى ١٣٠/٢، والأزرقى، ج١، ص١٣٧-١٤٢، وسيرة ابن هشام ٤٥/١.

(3) الطبرى ١٣١/٢.

(4) النَّسأة: هم الذين كانوا يؤخرون الأشهر الحرم عن موعدها، لحاجتهم إلى شن الغارات، وطلب الثارات.

الذى تحجه العرب بمكة، فاشطاط غضَباً، وآلى على نفسه أن يهدم الكعبة. وأمر بالتجهيز والمسير إليها، وتحدثت العرب بمسيره وعزمه وذلك عام ٥٧٠م تقريباً. ورأوا أن جهاده ومنعه من الإقدام على ما عزم عليه هو حق عليهم، فكان أول من خرج إليه رجل من بيوتات اليمن يقال له: ذو نفر، ومعه بعضٌ من أهله ومن تجمع إليه من العرب، وواجه أبرهة عقب خروجه من صنعاء، لكن أبرهة تغلب عليه[1] ثم اتجه أبرهة صوب مكة، متخذاً الأدلاء الذين يسلكون به أسهل الطرق والمسالك، حتى إذا نزل بأرض خثعم، وكانت في ذاك الوقت بأعراض نجد، جنوب بيشة، وظهر تبالة[2] فقاد نُفيل بن حبيب الخثعمي، جموعاً من قبائل المنطقة، التى ثارت حفيظتها على أبرهة، واشتبك معه في قتالٌ غير متكافئ الكفتين، فتغلب أبرهة، وأخذ نفيل أسيراً، وجعله دليلاً له في بلاد العرب[3] ثم انطلق حتى وصل الطائف، ومنها نزل إلى المُغَمّس[4] ومات عنده أبو رُغَال دليله في الطريق مذ خرج من صنعاء. ثم بعث الكتائب تغير على مكة، فساقت ضمن ما ساقت إبلاً لعبد المطلب بن هاشم. تتجاوز مائتى بعير، وكان عبد المطلب ورؤساء قريش، وكنانة، وخزاعة، وهذيل قد هموا بمحاربة أبرهة، لكنهم تراجعوا وقالوا لا طاقة لنا بحربه، ثم ذهب وفد منهم، فيهم

---

[1] ابن الأثير ٤٤٢/١، والأزرقي ص١٤١.

[2] معجم ما استعجم١/٩٠، وصفة جزيرة العرب ص٢٥٨.

[3] الطبرى ١٣٢/٢، وابن الأثير ٤٤٣/١؛ والأزرقى ١٤٣/١، وسيرة ابن هشام ٤٨/١، وقصص الأنبياء المسمى: "عرائس المجالس" للنيسابورى، أحمد بن محمد، الثعلبي ص٣٩٧.

[4] المغمس: بمنى عند رمى الجمرات، والجمرة الكبرى موضع قبر أبي رغال، كما يقال.

عبد المطلب بن هاشم لمفاوضة أبرهة في الرجوع عن بلدهم، وحرمهم، لكنه أبى، فسأله عبد المطلب إبله .. وقال له ـ عندما تعجب أبرهة من سؤاله ـ: أما الإبل فهي لي، وأما البيت فله رب يحميه .. هذا بيت الله، والله يمنعه. ثم عادوا إلى مكة على أن يتركوها له .. وقام عبد المطلب يطوف بالبيت، ثم أمسك بحلقة باب الكعبة وقال:

يارب إن المرء يمنع رحـ ـلـه فامنـع حِلاَلَـكْ

لاَيَغلِبَـنَّ صليبُهـم ومَحَالهـم غَـدْواً مَحَالَـكْ

إن كنتَ تاركِهم وقِبـ ـلَتَنا فَأمْرٌ مـا بدا لـكْ

ولئن فعلتَ فإنـه أمـرٌ يُتِمُّ بـه فعالـك [1]

ثم مالبث أن نزل بأبرهة ما نزل من هلاك، هو وجيشه .. بما أرسله الله عليه من جند مهيأة على صورة طير أبابيل[2] ولعظم شأن هذا الحدث ولمدى حفظ الله لبيته من أي عابث به، أنزل الله في كتابه سورة الفيل للعبرة، والقصة مشهورة في كتب التاريخ.

---

[1] هذه الأبيات وغيرها وردت في كثير من المراجع الأصلية، كالطبري، وابن الأثير، وسيرة ابن هشام، وبلوغ الأرب، والأزرقي وغيرها، وكذلك وقائع تلك الأحداث بما فيه اختلاف في بعض الروايات، وأوردناه بتصرف.

[2] ابن الأثير ١/٤٤٤، والطبري ٢/١٣٣، والأزرقي ص١٤٥، والأوائل لابن هلال العسكري ١/٥٨.

وبتحليل وقائع هذا الحادث نلحظ الآتي :

- أن العرب على اختلاف نحلهم ومعتقداتهم كانوا يُجلُّون البيت الحرام، وأن قتْلهم داعية أبرهة فيهم بالحج إلى "القُلَّيْس"، وتصدى كل من ذى نفر الحِمْيَرى، ونُفَيل الخثعمى، بمن التف حولهما من العرب دليل هذا الإجلال.

- أنه حين سأل عمن تجرأ وفعل مافعل في القُلَّيس، قالوا له: إنه رجل من العرب ممن يعظمون البيت الذى بمكة؛ فقال: لن أنتهى حتى أهدمه[1] فهذا الحوار يعطى مؤشراً بأن هناك طائفة من العرب لم تكن تخضع لرئاسته، ولاتدين له بالولاء والطاعة، وأن أرضهم التى يقيمون عليها خارجة عن نفوذه، وأنه لم يكن يدرى عنها شيئاً، رغم أنه كان قد أقام فترة بتهامة اليمن، واتخذ مدينة "الجَنَد"[2] قاعدة له خلال نزاعه وحروبه مع أرياط قائد جيش اليمن السابق، ولما تغلب على أرياط ذهب إلى صنعاء، واتخذها قاعدة لحكمه، وكونه اتخذ أدلاء من العرب ، فهذا يؤكد أنه لم يكن يعرف عنها شيئاً، وأنها لم تكن تدين له بالطاعة، وكانت خارجة عن دائرة نفوذه وسيطرته، وأنه لم يفرض هيمنته

---

[1] هذا الحوار، وغيره من تفاصيل الحدث ورد في المراجع السابقة، وفي الصفحات المشار اليها أو فيما بعدها فليرجع إليه من أراده.

[2] مدينة "الجند" بتهامة اليمن، شرقى مدينة تعز بمسافة فرسخين تقريباً، وكانت فيما سبق تعد قاعدة إقليم تهامة اليمن، وبعد فترة تحولت الشهرة إلى عدن فأصبحت القاعدة.

إلا على الأجزاء التي كانت خاضعة لنفوذ الحكام السابقين الذين تغلب عليهم، وأنه سار في حملته هذه سير الغزاة لجيرانهم.

ولذا يقول الدكتور صالح العلي: "إن أبرهة إذا كان قد بنى كنيسة نصرانية في اليمن ليأتيها النصارى، فهو لايستطيع إجبار المشركين على زيارة الكنيسة النصرانية، وإذا كان قد فعل ذلك فإن نطاق أمره ينحصر في اليمن، وهي البلاد التي يحكمها، ولايمتد نفوذه إلى غيرها من المناطق، فمكة لاتغتاظ من إنشاء كنيسة نصرانية، لأن مركزها الديني لا علاقة للنصارى به، كما أنه ليس لأبرهة سلطة عليها، فضلاً عن أن هناك عدة بيوت مقدسة لم يرد في التاريخ خبر استياء مكة منها، فلماذا تستاء من القلّيس"[1] ونضيف بأن ما آثار حفيظة ذلك الذي ذهب إلى القليس، وتغوّط فيها، هو ما أذاعه أبرهة من أنه بناها ليحوّل حج العرب إليها، وبعث منادين في أحياء العرب بذلك، بينما هؤلاء العرب لا يخضعون لنفوذه ولا سيطرته .. ولولا ذلك لما أثيرت الحفائظ، فقد كانت بنجران كنيسة قبلُ، وبعدُ، ولم يثبت أن أحداً أساء إليها، أو إلى أهلها بشيء. وكان يطلق عليها أحيانا "كعبة نجران"[2] . وقد وردت بهذا المسمى في شعر الأعشى[3] .

---

[1] انظر محاضرات في تاريخ العرب ١/٢٦٠ للدكتور صالح أحمد العلي.

[2] القزويني، أخبار البلاد والعباد ص١١٢٦.

[3] الأغاني للأصفهاني ١٠/١٣٥.

- أن عبد المطلب بن هاشم حين خرج إلى أبرهة بالمُغَمَّس، خرج معه عمرو بن نفاثة بن عدى من كنانة، وهو يومئذ سيد كنانة، وخويلد بن واثلة الهُذَلى، سيد هذيل ففاوضوا أبرهة في الرجوع عن عزمه، وعرضوا عليه إعطاءه ثلث أموال تهامة، مما يخرج من نتاج أرضها، على أن يرجع عنهم ولايهدم البيت، لكنه أبى[1] وهذا دليل واضح على أن أرض تهامة الحجاز لم تكن خاضعة له، وليست ضمن نفوذه، وإلا فكيف يعرضون عليه نتاج أرض يبسط نفوذه عليها!؟ ففيه عندئذ إثارة له وسخرية به.

- كما نلاحظ أن ابنه يكسوم، الذى خلفه في الحكم، لم يحاول إعادة الكرة، ولو من قبيل العمل على إعادة سمعة أبيه، وتأكيد هيبتهم في نفوس العرب، و لم يرد له أى أثر في المنطقة، كرد فعل لما وقع لأبيه، مع أن حكمه استمر عشرين عاماً، كانت غاية في الظلم والفساد، وكذلك أخوه مسروق الذى تولى الحكم بعده، لكن منطقتنا ظلت بعيدة عن أى نفوذ حبشي أوغيره، كما هو شأنها في السابق. كما لم تتأثر بعقيدتهم المسيحية وإنما ظلوا يمارسون عقيدتهم الشركية التى جاء الإسلام وهم عليها.

---

[1] الطبرى ٢/١٣٤، والأزرقى ١/١٤٥.

وحتى نجران التى كان الحادث الذى وقع فيها سبباً في مجيء الحبشة إلى اليمن، ظلت بعيدة عن هيمنة الأحباش فقد حكمها ذو ثعلبان، الذى استنجد بالحبشة[1] .

ويرجع البعض دوافع أبرهة للقيام بحملته هذه إلى دوافع سياسية بهدف التحرك لمحاربة الفرس، بإيعاذ من الروم، أو بأمر من نجاشي الحبشة[2] ويُرَدُّ بأن طريق أبرهة إلى فارس كان أقرب لو أنه عبر الخليج، بدلاً من قطعه بلاد العرب من جنوبها إلى شمالها الشرقي، وتعريض نفسه وجيشه لمخاطر الصحراء، كما يعلل البعض الدوافع بأنها كانت اقتصادية بغرض ضرب تجارة قريش، والاستيلاء على خط التجارة البرى الموازى للبحر الأحمر[3] وتُردّ هذه المقولة بأنه كان بمقدوره منع تجارة قريش من دخول اليمن، أو التدخل لمنعها من الوصول إلى أرض الحبشة، لكن ذلك لم يحدث، فقد استمرت علاقتهم مع الحبشة وملكها منوطة بالاحترام والتقدير، وازدهرت قبيل الإسلام .. وكان كثير من الصحابة روّادها في الجاهلية. واستمرت علاقة رؤساء القبائل في وسط شبه الجزيرة، ببيوتات إخوانهم من أهل اليمن، وطيدة، وليس أدل على ذلك من ذهاب وفود العرب لتهنئة سيف بن ذى يزن بعودة المُلْك إليه، فقد خرج وفد قريش وعلى رأسه عبد المطلب، ووفد من ثقيف، ووفد من عجز هوازن — وهم

---

[1] المعارف، لابن قتيبة، ص٦٣٧.

[2] د.جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام ١٦٧/٤.

[3] د.صالح أحمد العلي، المصدر السابق ٢٦٠/١-٢٦١، ود.ابراهيم بيضون، المصدر السابق ص٥٩.

بنو نصر، وجشم، وسعد بن بكر ــ ووفد من عدوان، وفَهْم، ووفد من الأزد، ووفد من غطفان، ووفد من تميم، ووفد من أسد، ووفد من قبائل قضاعة[1] وغيرهم. وهذا دليل على حب قبائل وسط الجزيرة العربية لبيوتات اليمن وحكامها، ذلك الحب غير المشوب بالهيمنة والسيطرة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض المؤرخين حين يحللون الوقائع التاريخية بحثاً عن أسبابها يُرجعون المسببات فيها إلى أسبابها الطبيعية، أو المعلول إلى علته العادية، دون النظر إلى خوارق العادات، وهم بذلك يقعون في خطأ لإغفالهم الجانب الأساسي في تسيير حركة الكون، فمدارك الإنسان مهما ارتقت قاصرة عن الفهم والإحاطة بكافة أسراره، فهناك خوارق للعادات المألوفة لدى البشر، وهي أبعد من مدارك الإنسان، ويعجز العقل عن إيجاد تفسير لها، وعندئذ ينبغي عليه أن يَرُدَّها إلى القدرة والحكمة الإلهية التي تُسَيِّر الكون، لأنها من صنعه سبحانه وتعالى، وتفوق ما تعوده الناس وألفوه من تأثير الأسباب في مسبباتها .. نقول ذلك لأن البعض قد ربط ما أصاب أبرهة بالطير الأبابيل، بظهور وباء الحَصْبة والجُدَري، وانتشاره في بعض البلدان: كبيلوز عام ٥٤٤م، والقسطنطينية عام٥٦٩م، وأن الحجارة الصغيرة التي حملتها الطير، كانت عبارة عن نوع من الطين المختلط بذرات رملية، حملتها الطير من منطقة مَحْذُورة ــ أي

---

[1] الأزرقي ١/١٤٩.

مصابة بوباء الجدري ـ إلى مكان جيش أبرهة، ثم تساقطت عليهم تلك الحجارة[1] .

وهذا القول في مضمونه يعني أن رَدّ أبرهة عن البيت، ومن ثَمّ هلاكه، ليس بمعجزة إلهية، وإنما بسبب طبيعي!!، وهو رأي لاقيمة له، لكن خطره في نقله دون تحليله لبيان ضعفه ووهنه، ودعونا نتساءل: لماذا طارت تلك الطيور المتكاثرة، وأقبلت من مسافات بعيدة، حاملة تلك الحصاة الملوثة بوباء الجدري، و لم تسقط من أرجلها إلا على أم رأس أبرهة وجيشه؟! بينما أهل مكة جميعاً قد تركوا بيوتهم، وخرجوا في الشعاب ورؤوس الجبال، ينظرون ماذا يفعل أبرهة بالبيت العتيق، وبلدهم الآمن بأمان الله، منذ دعوة ابراهيم الخليل عليه السلام[2] ، ولماذا لم يضل أحد هذه الطيور طريقه ويذهب إلى بعض أهل مكة ـ وهم على مقربة ـ فيرمي عليه ما يحمله، فيصاب مثلما أصيب أبرهة وجيشه، ثم تنقل الأخبار والروايات ذلك؟! بل لماذا ذهب أثر تلك الجرثومة من الحصاة بمجرد سقوطها، و لم يستمر عالقاً فيها إلى أن أقبلت قريش تتفقد المكان وتنظر مخلفات المهزوم، فتصيب كلَّ من وطئها بقدمه، وينتشر الوباء فيهم؟! .. لماذا .. ولماذا .. لاشك أنه رأي سقيم، ومثله من يبرر نجاة موسى عليه

---

[1] انظر د. السيد عبد العزيز سالم المصدر السابق ص٢٤١، فيما نقله عن الأستاذ يوسف أحمد، في كتابه المحمل والحج للطبوع في القاهرة عام ١٩٣٧م.

[2] وذلك في قوله تعالى: " وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا" سورة ابراهيم آية ٣٥.

السلام، وخروجه إلى الشاطئ المقابل، وهلاك فرعون، بعملية المد والجذر في البحار!. وغير ذلك.

وأيا كان فإن تلك الحادثة قد زادت البيت هيبة وإجلالاً في نفوس العرب، ورفعت من شأن قريش، حتى أطلق عليهم: أهل الله، وأهل حرم الله[1] ولا ريب أن هذا كله كان تمهيداً وإرهاصاً لأن يُبعث النبي ﷺ منهم فيجيئ بالإسلام الذي أعزّ الله به العرب كافة وجعلهم إخوة متحابين.

ومن المناسب هنا الإشارة إلى معلومة تعتبر على جانب من الأهمية، ربما ترفع الإبهام أو الخطأ الذي يقع فيه البعض، وهي أن جسم الكعبة يتكون من أربعة جدران، وأربعة أركان، كل ركن يقع في جهة من الجهات الأربع ــ الشرق والغرب، والشمال والجنوب ــ ولها واجهة وهي التي بها باب الكعبة والملتزم، والمقابل لهذه الجهة يعتبر الخلف لها.

يقول الأزرقي نقلاً عن ابن اسحاق: إن الخليل ابراهيم ــ عليه السلام ــ لما بنى البيت جعل طوله في السماء (أي الارتفاع إلى أعلا) تسعة أذرع، وعرضه (أي البيت) اثنين وثلاثين ذراعاً، من الركن الأسود (الأسعد) إلى الركن الشامي، من وجهه[2] (أي من وجه البيت) ومن هذا يتضح أن للكعبة وجهاً، وهو الذي به بابها والملتزم وأمامه مقام ابراهيم،

---

[1] ابن الأثير ١/٤٥١،٤٥٢، والأزرقي ١/١٥٢، والأوائل ١/٦١.

[2] أخبار مكة ١/٦٤، وشفاء الغرام للفاسي ١/١١١، وأيضاً: حسين عبد الله باسلامه، تاريخ الكعبة ص٤١.

وما يقابله هو الخلف، ولها يمين: وهو الجدار فيما بين الحجر الأسعد حتى الركن اليماني، ولها شمال: وهو الجدار المقابل الملاصق لحِجْر اسماعيل، وهذا بالتقريب، لأن المقابل لليمن هو الركن اليماني، والمقابل للشام هو الركن الشامي.

وقد تعارف العرب قديماً، وربما منذ عهد الخليل ابراهيم ـ عليه السلام ـ على إطلاق اسم اليمن على كل مايقع جهة يمين الكعبة، والشام على كل مايقع جهة شمالها .. وذلك بدلاً من أن يقولوا يميناً وشمالاً، فكانوا يقولون: يَمَناً وشَاماً.

يقول الأزرقي: لما انتهى ابراهيم ـ عليه السلام ـ من بناء الكعبة أمره الله أن يؤذّنَ في الناس بالحج، فقال: يارب ما يبلغ صوتي؟ قال الله سبحانه: أذّن وعليَّ البلاغ، فعلا المقام (أي مقام ابراهيم) وأدخل أصبعيه في أذنيه، وأقبل بوجهه يمنا (أي جهة اليمن) وشاماً (أي جهة الشام) مؤذناً في الناس بالحج ..[1] فكانوا يقولون لكل من اتجه جنوباً: ذهب إلى اليمن، حتى لوكان منتهى وجهته، وغاية ذهابه، هي أرض تهامة الحجاز، والسراة، ونجران .. وكذلك الحال بالنسبة لمن اتجه شمالاً، وبهذا أيضاً يعلل بعض المؤرخين إطلاق اسم اليمن عليها، لكونها تقع يمين الكعبة[2] وشاع

---

[1] أخبار مكة ٦٧/١.

[2] انظر مراصد الاطلاع للبغدادي ١٤٨٣/٣، ولم يصب ياقوت الحموي في قوله إن الكعبة ليس لها يمين ولا يسار، انظر ٤٤٧/٥.

هذا التعارف بين المؤرخين في كتاباتهم من أن اليمن اسم جهة، حتى أنهم كانوا يطلقونه على أجزاء الأرض التي تقطنها القبيلة الواحدة، إذا ما تفرعت إلى فروع، وانحاز كل فرع بجهة من الأرض، فيقولون مثلاً: آل فلان تيامنوا، وآل فلان تشاءموا .. أي جهة اليمن، وجهة الشام، بدلاً من كلمتي: جنوب، وشمال. يقول الهمداني، عند وصفه بلد وادعة النجدية: ... ووادي عَرَد، ووادي نجران، فإلى جبل شوك .. والذي تشاءم في هذه البلاد، وخالط: شاكر الجناحر ..[1] ويقول القزويني، عند حديثه عن تفرق الأزد عند انهيار سد مأرب: كانوا عشرة أبطن، ستة منهم تيامنوا .. وأربعة تشاءموا [2] بدلاً من أن يقول شمالاً وجنوباً ومعروف أن الذين تيامنوا لم يقيموا جميعهم بأرض اليمن، وإنما ذهب فريق إلى عمان، وأيضاً الذين تشاءموا لم يذهبوا إلى الشام جميعهم، وإنما منهم الأزد الذين أقاموا بالعراق، والأوس والخزرج الذين اختاروا يثرب، وطيء الذين أقاموا بجبلي أجا وسلمى وغيرهم، ومما يؤيده ما قاله يهود يثرب لمحمد بن مسلمة قبيل البعثة، من أنه يبعث نبي من قبل اليمن[3] . فمن قِبَل اليمن، أي من جهة اليمن بالنسبة ليثرب، وأنه يأتي بالحنيفية، فمكة المكرمة التي بعث النبي ﷺ منها هي في جهة اليمن بالنسبة لأهل يثرب، ومن المؤكد أنه ليس

---

[1] صفة جزيرة العرب ص٢٥٠، وانظر أيضاً اليمن الخضراء ص١٧٥، فقد جاء فيه: .. يقال عرولان الشام للاحتراز عن عرولان التي تسكن الجنوب.

[2] آثار البلاد وأخبار العباد ص٤١، وأيضاً انظر مراصد الاطلاع للبغدادي ٣/١٤٨٣.

[3] انظر المغازي للواقدي، ١/٣٦٧.

مقصودهم حين قالوا ذلك لمحمد بن مسلمة، هو أن النبي المنتظر سيبعث من أرض اليمن نفسها.

من هذا يتضح المراد من قولهم: ذهب إلى اليمن، أنه ليس بالضرورة أن تكون قدماه وطئت أرض اليمن. وإنما اتجه صوبها فقط .. فإن رغبنا تحري ذلك تتبعنا خطى الذاهب، فإن وجدناه دخل إحدى بلدانها، أو التقى بإحدى القبائل المتوطنة بها عرفنا أنه دخل أرضها ..

ومن الأسلوب الذي شاع استعماله بين العرب أنهم كانوا يطلقون عبارة "أهل اليمن"، أو اليمانية على القبائل التي تعود في نسبها إلى قحطان، بصرف النظر عن تواجدهم على أرض اليمن نفسها، أو غيرها من البقاع في شبه الجزيرة العربية، ومن يتتبع حركة الفتوحات الإسلامية يلحظ أن المؤرخين عند تدوينهم لها، يستعملون هذه العبارة لوجود قبائل من أهل اليمن في الشام، والعراق، وخراسان، ومصر وغيرها .. وقد جاء في عهد رسول الله ﷺ إلى صاحب أيلة ـ على حدود الشام ـ عندما قدم إلى الرسول ﷺ بتبوك، ليعلن إسلامه، فكتب له كتاب صلح جاء فيه: .. هذا أمان من الله ومحمد النبي رسول الله إلى يوحنا بن رؤبة، وأهل أيلة، أساقفتهم، وسائرهم .. ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن[1] ، أي القبائل المقيمة بتلك البلاد، والتي تعود في نسبها إلى قحطان .. وقحطان كانت مواطنهم الأصلية هي بلاد اليمن.

---

[1] المواهب اللدنية ٢/١٥٢.

كما نلحظ أن البعض من أبناء عدنان كان يخاطب الأنصار ــ الأوس و الخزرج ــ: أنتم يابنى قَيْلة[1] ، وليس ذلك من قبيل الاستهجان بهم، وإنما من قبيل التكريم ، وهذا لايعنى بالتأكيد إضافة البقاع التى انتقلوا إليها في هجراتهم المتتالية إلى أرضهم الأصلية، وهى اليمن .. بقدر مافيه إشارة إلى الموطن الأصلى لهم ..

وعموماً فعلينا تتبع ما دوّنه قدامى المؤرخين المنصفين الذين نشطوا في تدوين تاريخ الإسلام منذ انبثاق فجره، بمنهج الإسناد عن الرواة، عند ذكرهم الأخبار، وبالأسلوب الذى شاع بين العرب، أو تعرفوا عليه، ثم تتبع جزئيات الحوادث، وحركة مسيرتها، ممعنين النظر لتحليلها، وإدراجها في كليات، حتى لانقع في وهم نبنى عليه نتائج عاطفة، أو نرسل القول بغير دليل.

وعلى كل فإن الملامح والشواهد في عصر ماقبل الإسلام تؤكد ارتباط قبائل المنطقة بمكة، وهو بالتأكيد ليس ارتباط سيطرة وهيمنة، وإنما ارتباط ولاء روحى ووجدانى للبيت العتيق، بالإضافة إلى المصالح المتبادلة في التجارة وغيرها. ولقد تأكد هذا الارتباط في ظل الإسلام.

---

[1] قيلة ـ بفتح القاف وسكون الياء ـ هى أم الأوس والخزرج ابنى حارثة بن ثعلبة.

الباب الثالث

حالة شبه الجزيرة العربية عند ظهور الإسلام

١ –موقف القبائل العربية من الإسلام :

كان مجتمع وسط الجزيرة العربية ـ سواء أهل المدر أو الوبر ـ يسوده غالباً التشاحن والتنافر، والقتل والنهب، وينزع إلى عدم الخضوع إلى أية سلطة مدنيه تكون قيداً على تصرفاته، فيما عدا سلطة ذوى المكانة والرئاسة فيهم من بنى أبيهم، بالاضافه إلى تفشى الوثنية فيه، وتساوت دواعى العصبية في الحق، وفي غيره، وتجمعت فيه محاسن الفضائل وأضدادها، ولعل أبلغ وصف لحالة العرب فى ذاك الوقت هو ما وصفهم به جعفر بن ابى طالب، حين طلب منه النجاشى ملك الحبشة، أن يحدثه عن الدين الذى فارقوا من أجله دين آبائهم واتبعوه، فقال جعفر ـ وقد أجمع على يَصْدُقَه فيما ساءه وسره ـ: أيها الملك، كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه، وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا لتوحيد الله، وألا نشرك به شيئا، نخلع ما كنا نعبد من الأصنام، وأمرنا بصدق الحديث، وآداء الأمانه، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وآكل مال اليتيم، وأمرنا بالصلاة، والصيام .. وعدد عليه

أمور الإسلام .. ثم قال: فعدا علينا قومنا فعذبونا، وفتونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان. فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك[1]

ومع أنه كانت هناك إرهاصات توحي بقرب ظهور نبي، يعيد الناس إلى الحنيفية السمحة، دين الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ، وكان أهل الكتاب في ترقب لبعثه، ويظنون كل الظن أنه منهم، فلما جاء من العرب حقدوا عليه وعليهم، وناصبوه العداء، إلا قليلاً منهم، وكذلك كان شأن حكماء العرب الذين ضاقت صدورهم بالوثنية، ونفذت بصيرتهم إلى ما هو أسمى وأجل، كانوا يتطلعون إلى هاد يهدي الناس إلى عبادة الإله الحق، وذلك مثل ورقة بن نوفل ابن عم خديجة أم المؤمنين، وزيد بن عمرو بن نوفيل، ابن عم عمر بن الخطاب، وأمية بن أبي الصلت، والبعض حرم على نفسه الخمر كعبد المطلب بن هاشم، وابنه أبي طالب[2] والوليد بن المغيرة، وقيس بن عاصم التميمي، وغيرهم، من ذوي النظرة الثاقبة.

وكان من المنتظر أن تكون قبيلة قريش أول القبائل إيمانا واتباعاً لما جاء به محمد ﷺ ولو بدافع العصبية التي استشرت في نفوسهم، فجنحت بهم عن الحق أحيانا. لكنه دين بما يشتمل عليه من عقيدة، وعبادة،

---

[1] الكامل لابن الأثير ٢/٨٠، والطبري ٢/٣٢٩، والسيرة الحلبية ٢/٣١.

[2] السيرة الحلبية ١/١٨٤، والأوائل لأبي هلال العسكري ١/٨٣، والجمهرة ص١٥٠.

وتشريع يصلح للبشرية جمعاء لا مجال فيه للعصبية، والعاطفة، والقرابة، والرحم، إلا بحق .. ولهذا خاطب الله نبيه بقوله ﴿إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء﴾[1] ﴿فإنما عليك البلاغ﴾[2] وتحددت فيه المسئولية الفردية ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾[3] كما تحددت أيضا المسئولية الجماعية ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾[4]

وفى قول الرسول ﷺ : كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته[5]

عادته قبيلة قريش بما لم تعاده قبيلة أخرى، ولا ريب أن هذا كان لحكمة أرادها الله سبحانه، وربما يكون منها القضاء على العصبية الجاهلية، التى تكون لغير الحق، فيما لو ناصرته قريش، مؤمنها ومشركها، من البداية، فهل كان يصمد المشركون من قريش أمام العرب؟ فغالب الظن أنهم كانوا لايصمدون مهما تقاربت أواصر القربى، ولكان موقفهم مثل المنافقين. أما المؤمنون منهم فقد أثبت التاريخ أنهم كانوا صادقين فى إيمانهم، وفدوه بأرواحهم وأولادهم وأموالهم، وتغير هنا عنصر الولاء إلى ما هو أسمى وأجل.

---

[1] سورة القصص، آية : ٥٦ .

[2] سورة آل عمران، آية : ٢٠ .

[3] سورة المدثر، آية : ٣٨ .

[4] سورة آل عمران، آية : ١٠٣ .

[5] رواه مسلم .

لما بُعث النبي ﷺ ، ظل ثلاث سنين يدعو سراً، ثم أمره الله بتبليغ الرسالة، والدعوة، بلا قتال[1] فلما اشتد إيذاؤهم بضعفاء المسلمين جاءه جماعة من الصحابة، منهم: عبد الرحمن بن عوف، والمقداد بن الأسود، وعثمان بن مظعون، وسعد بن أبي وقاص. فقالوا: يارسول الله كنا في عزٍ ومنعةٍ ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة، فأذن لنا يارسول الله في قتالهم؟! فقال لهم: إنى لم أومر بقتالهم ، كُفوا أيديكم عنهم، واصبروا فسيجعل الله لكم مخرجاً[2] ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى قال لهم: تفرقوا في الأرض فإن الله سيجمعكم، قالوا : إلى أين؟ قال: لو خرجتم إلى الحبشة، فإن فيها ملكا لا يظلم أحد عنده، حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه[3] فهاجروا إلى الحبشة مرتين.

وازداد سفهاء قريش في إيذاء الرسول ﷺ، ومن بقي بمكة من ضعفاء المسلمين، ودفعت الحمية بعض بني هاشم ممن لم يسلموا للدفاع عن محمد ﷺ، حتى أن حمزة بن عبد المطلب كان سبب إسلامه أن أخذته الحمية عندما علم أن أبا جهل قد آذى محمداً في بعض المرات أذى شديداً، فانطلق إليه مسرعاً، ورآه جالساً بالمنتدى مع بعض رؤساء قريش،

---

(1) نزل قول الله تعالى: "فاصدع بما تؤمر" لإظهار الدعوة، ثم نزل قوله سبحانه: "فأعرض عنهم" أى لا تقاتلهم إن آذوك أو قاتلوك، ومن معك .

(2) السيرة الحلبية ٢/٣٤٥.

(3) الكامل لابن الأثير، ٢/٧٦، والسيرة الحلبية، ٢/٣، والطبرى، ٢/٣٢٨.

فضرب رأسه بالقوس الذى كان يحمله معه، فشجه شجة منكرة، وقال أتشتمه، وأنا على دينه، أقول ما يقول، فاردد على إن استطعت؟! .

وقامت بنو مخزوم تناصر أبا جهل على حمزة، لكن أبا جهل ـ وقد خشى من فرقة حزبه ـ قال: دعوا أبا عمارة فإنى قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً. ثم اندفع حمزة إلى الرسول فأعلن إسلامه[1] وظل بجوار الرسول يحميه. وقاطعت قريش بنى هاشم، لايبيعونهم، ولا يبتاعون منهم، ولا ينكحونهم ولاينكحون منهم، وكانت العير تنزل مكة بالتجارة، فيخرج أحد بنى هاشم إليها، فلا يبيعونه منها شيئاً، وإن باعوا فخفية وزيادة كبيرة فى ثمن السلعة[2] ثم توفى عمه أبو طالب وقبله زوجته خديجة، قبل الهجرة بثلاث سنين[3] وذهب الى ثقيف بالطائف يلتمس منهم النُّصرَة لتبليغ الدعوة، فلم يستجيبوا له[4] وكان يعرض نفسه فى المواسم على القبائل، التى تأتى مكة للحج، ولحضور عكاظ. علّه يجد من يحميه ليبلغ رسالة ربه، فأتى أحد بطون كندة التى قدمت إلى مكة فى موسم الحج، فدعاهم إلى الله، وإلى نصرته فأبوا، وأتى إلى بطن من بنى كلب، يقال لهم بنو عبد الله، فلم يقبلوا ما عرضه عليهم، وإلى بطن من بنى حنيفة فأعرضوا، وإلى بنى عامر فقال له رجل منهم: " أرأيت إن نحن تابعناك،

---

(1) الكامل لابن الاثير، ٢/٨٣.
(2) السيره الحلبيه ٢/٢٥، ٢٦ ، وابن الأثير ٢/٨٧ - ٩٠ .
(3) ابن الأثير ٢/٩٠.
(4) ابن الأثير ٢/٩١ .

فأظهرك الله على من خالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء، قال: أفتهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا ظهرت كان الأمر لغيرنا؟! لاحاجة لنا بأمرك[1] وأتى بني عبس، وبني سُلَيم وبني مُحارب من فزارة، وبني مرة، وعذرة، وقضاعة، وغيرهم، فكان بعضهم يقول له: آلبك، وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك، وقال له بطن من بني شيبان بن ثعلبة من بكر بن وائل، وكانوا يقيمون في أرض السواد بالعراق، خاضعين للحيرة، نحن لانجير على كسرى، ولكن نأخذك لتظل في بلاد العرب بالقرب من سواد العراق، وتنصرك مما يلي مياه وأرض العرب، دون مياه كسرى، فنحن لانجير عليه.[2]

ويبدو أنه كان للعرب قاعدة متبعة في عملية الجوار، فليس كل القبائل يجير بعضها على بعض، وإذا دخلت قبيلة أو عشيرة في أرض قبيلة أخرى وحالفتها، فإن الحليفة لاتجير على محالفتها، لأنها تعتبر دخيلة فلا تكف يد الأصيلة، ولذا نلحظ أن بني شيبان شرطوا في حمايتهم له ﷺ، أنهم لايجيرون على كسرى في الأرض الى يهيمن عليها، وتخضع لنفوذه، وهي سواد العراق، أما ما عداها من بلاد العرب فهم يجيرونه ويحمونه من أيٍّ من القبائل العربية. وفي هذا أيضا تأكيد لما سبق أن قلناه إن أرض العرب، وبالأخص وسط شبه الجزيرة لم تخضع لسلطة أيٍّ من تلك الممالك أو غيرها.

---

[1] ابن الأثير، ٢/٩٣.

[2] السيرة الحلبية ٢/١٥٤ ، ١٧٥.

ومما يؤكد قاعدة الجوار هذه أن الرسول ﷺ عندما كان في الطائف وأراد العودة إلى مكة بعث إلى سهيل بن عمرو بن عبد شمس، وهو قرشي ذو مكانة وثراء بمكة، أن يجيره حين دخوله مكة، فأجابه: إن بني عامر ـ عشيرة سهيل ـ لاتجير على بني كعب. وكانت بنو كعب لها بطون عديدة ، منهم بنوعدي رهط عمر بن الخطاب، فبعث الرسول ﷺ إلى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، فأجاره.[1]

ولما أراد الله إظهار دينه، وإنجاز وعده، خرج النبي ﷺ في موسم الحج كعادته، يعرض دعوته ونفسه على وفود القبائل، فلقي رهطا من الخزرج، فعرض عليهم الدعوة، فقال بعضهم لبعض: هذا والله النبي الذي تتحدث عنه اليهود. فأمنوا وصدقوا، وعادوا إلى يثرب يبشرون به، حتى فشا الإسلام فيها، فلما كان الموسم التالي قدم وفد أكبر، وجلسوا إليه وآمنوا، وعاهدوه على نصرته ومؤازرته، واستأذنه ضعفاء المسلمين في الهجرة إلى يثرب، فمكث أياماً لايأذن لهم، ثم قال لهم: لقد أُريتُ دار هجرتكم، أُريتُ أرضاً سبخة ذات نخل بين لابتين ـ أي حرتان ـ ولو كانت السراة ـ جبال السراة ـ أرض نخل وسبخة لقلت هي، هي .. ثم قال لهم في اليوم التالي: أُخبرت بدار هجرتكم، إنها يثرب، من أراد أن

[1] السيرة الحلبية ٢/٦٢ ، والجمهرة ، ص ١١٥.

يخـرج فليخـرج إرسـالاً .. ــ اى متتـابعين[1] ــ ثـم تـابعهم الرسـول ﷺ مهاجرا إليها، بعد حوالى ثلاثة أشهر من بيعة العقبة الثانيه مع الانصار .[2]

ومـن هنا بدأت مرحلة جديدة فى تاريخ الدعوة فقد آزرتهـا القـوة ممثلة فى فريضـة الجهـاد، لأعـلاء كلمـة الله. وإنصـاف المقهوريـن، الذيـن اضطهـدوا، وعُذِّبُوا وسُلبت منهم أموالهم، وأخرجوا من ديـارهم بغير ذنـب اقترفوه إلا أن قـالوا ربنـا الله. ولـو استطردنا فى الحديث عـن الذيـن عُذِّبـوا حتى ارتـدوا، والذيـن مـاتوا خـلال التعذيـب، والذيـن فُـرِّق بينهم وبـين زوجـاتهم إبـان الهجرة، والذين أعيدوا بعد الهجرة مكَبَّلين بـالأغلال، لطـال بنا الحديث .. لكننا نود أن نؤكد على أن الإسـلام لم ينتشر بالسـيف كمـا يشيع خصومه عنه تلك المقولة الباطلة، فلقد أقام الرسول ﷺ يدعـو أهـل مكة، ومن يفد إليها من قبائل العرب ثلاث عشـرة سـنة[3] وآزر السـيفُ الدعوة عشر سنين، بل كانت الدعوة سابقة له فى كل المواطن الى استُل فيها من غمده، وكتب التاريخ شاهدة بما تحمله مـن وصايـا الرسـول ﷺ لأمـراء الجيـوش والسـرايا .

---

[1] ابن الأثير ، ٢/٩٥ ، والسيرة الحلبية ، ٢/ ١٨٠ .

[2] السيرة الحلبية ، ٢/١٨٨، وفى شفاء الغرام ٢/٣٢٩ ، نقلا عن صحيح البخارى من حديث أبى موسى الاشعرى " عن النبى قال : رأيت فى المنام أنى مهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهمى أنها اليمامة ، أو هجر ، فإذا هى المدينة يثرب .." .

[3] إبن الأثير ، ٢/١٠٨ ، والسيرة الحلبية ، ٢/١٥٣.

وعلى كلٍ فإن الدعوة الإسلامية فى مرحلة ما قبل الهجرة أخذت تنمو نموها الطبيعى رغم المعاناة التى لقيها الرسول ﷺ، وما نزل بأصحابه من سفهاء قريش، ليكون ذلك قدوة للمصلحين فى كل عصر.

أما الهجرة نفسها فكانت بداية الانتصارات التى حققها الله للمسلمين، حيث باءت مؤامرة المشركين، وتدبيرهم قتل الرسول ﷺ ليلة الهجرة بالفشل، وأصبحت يثرب أول عاصمة للدولة الإسلامية، ونزل القرآن الكريم يُبكّت أهل مكة إخراجهم الرسول، وعدم مؤازرته: ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله﴾[1] وقال الرسول ﷺ، " لما خرج من مكة أما والله إنى لأخرج منك، وإنى أعلم أنك أحب البلاد إلى الله، وأكرمها على الله، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت"[2] ولما قويت شوكة المسلمين، وأصبحوا قادرين على الانتصار ممن ظلمهم، أذن الله لهم بامتشاق الحسام، دفاعاً عن النفس، وإعلاء كلمة الله، وتأمين الدعوة: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلِموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ [3] ومن ثَم كانت المواجهات مع قريش ومن والاها، أو تحزب معها، وحمى وطيس القتال في كثير من المواطن، وأصبح لاهم لقريش، ولاشاغل لها إلا القضاء على الدعوة. حتى قال الرسول ﷺ ، حين أراد أداء العمرة فى السنة السادسة من الهجرة، ومنعته قريش من دخول مكة: ياويح قريش قد

---

[1] سورة التوبة ، آية ٤٠ .

[2] روى الحديث بعدة أسانيد في كتب السنة ، انظر أخبار مكة للأزرقى ، ١٥٣/٢ .

[3] سورة الحج ، آية ٣٩ .

أكلتهم الحرب! ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله دخلوا في الإسلام وافرين .[1]

وعلى ضوء سير الأحداث فيما بعد الهجرة نلحظ أن موطن بعض القبائل على خريطة الواقع كانت بالصورة التالية تقريباً، وبخاصة مكة وما حولها التي تعتبر منطقة دراستنا امتداداً لها:

قبيلة قريش[2] بكافة بطونها تقيم بمكة، فيما عدا فرع من بني مخزوم كان يقيم في تهامة جنوب الطائف، وفرع آخر يقيم ناحية بيشة وتبالة[3] وكان يقيم بمكة وأحوازها بطون من خزاعة وكنانة، كما كانت تحل بطون كنانة، وكذا بطون خزاعة تتوزع على الساحل ابتداء من جنوب ينبع ورضوى، ثم امتداداً إلى الجنوب بتهامة الحجاز حتى أم جحدم[4] وقد أسلمت بطون من كنانة وخزاعة قبل فتح مكة، ومعظم الذين لم يسلموا منهما قبل الفتح كانوا يميلون للرسول ﷺ، ويتعاطفون مع المسلمين، ولذا عندما اجتمعت قريش في دار الندوة[5] ليتشاوروا في

---

[1] ابن الأثير ، ٢/٢٠٠ .

[2] كل من كان من ولد فهر (وهو قريش) بن مالك بن النضر بن كنانة من مضر ، فهو قرشي ، وأما ما تفرع من أولاد أخوة فهر ، أو أبناء عمومته وأجداده فليسوا من قريش، وإنما من كنانة . انظر الجمهرة ص ١٢ ، ١٨٠ وقيل غير ذلك .

[3] صفة جزيرة العرب للهمداني ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٨ .

[4] انظر الهمداني ، ص ٥٨، ٦٥، ١٣٠، و السيرة الحلبية ، ٢/٥٥٣ .

[5] دار الندوة كان قد بناها قصي بن كلاب، الجد الأعلى للرسول ﷺ ، لتجتمع فيها قريش للمشورة في كل أمر ذي شأن .

أمر محمد ﷺ، ليلة الهجرة، قالوا: لايدخلَنَّ أحد معكم في المشورة من أهل تهامة لأن هواهم مع محمد[1] وعند عقد صلح الحديبية في العام السادس من الهجرة، دخلت خزاعة مع رسول الله ﷺ في الحلف، ودخلت بنو بكر بن عبد مناة من كنانة مع قريش ـ فقريش فرع من كنانة ـ وهذان البطنان من خزاعة وكنانة كانا يقيمان في مكة وأحوازها، وكانت بينهما عداوة قديمة، ثم ما لبثت بنو بكر أن عدت على خزاعة، وقامت قريش بمساعدة بني بكر سراً، فكان ذلك نقضاً منهما للعهد، وسبباً في فتح مكة عام ٨ هـ، حيث خرج سالم بن عمرو الخزاعي إلى المدينة مستنجداً بالرسول ﷺ، ووقف أمامه وهو جالس بالمسجد، قائلاً:

يارب إني ناشد محمداً	حلف أبينا وأبيه الأتلدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا	ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيتونا بالوتير هُجَّدا	وقتلونا رُكعاً وسُجداً[2]

فقال النبي ﷺ: نُصِرْتَ ياعمرو بن سالم، واطلع عمرو بن سالم الرسول ﷺ على تفاصيل ما حدث، كما أطلعه أيضاً على عقد الحلف

---

[1] السيرة الحلبية ، ١٨٩/٢ ، ٧٠٠ .

[2] رويت هذه الأبيات في بعض المصادر فيها زيادات ، و نقص ، أنظر السيرة الحلبية ٢/٥ ، و ابن الأثير ٢٤٠/٢، و البداية و النهاية لابن كثير ٣١٠/٤ .

السابق الذى كانت خزاعة قد عقدته مع جده عبد المطلب بن هاشم. فطلب منه الرسول ﷺ أن يعود إلى مكة، ويخفى أنه أتى إلى المدينة، وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها[1]

وكان من كنانة من تزعم الأحابيش[2] وهى مجموعة قبائل متفرقة، تحالفت مع قريش، كما كان من بطون كنانة التى أسلمت مبكراً بنو ضمرة بن بكر بن عبد مناة، منهم بطن غفار رهط أبى ذر الغفارى، الذى قدم مكة قبل الهجرة فأسلم، ثم رجع إلى قومه وأخذ يدعو للإسلام فأسلم على يديه بعض قومه ، وعندما بلغهم هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة أنطلقوا إليه، واسلمت عشيرتهم، وكانت مواطنهم بين رضوى وينبع، مجاورين لقبيلة جهينة فى مواطنها ينبع ورابغ.

ومن القبائل التى تقطن مواطن تعتبر منطقتنا ــ المعنية بهذه الدراسة ــ امتداداً طبيعيا لها، قبيلة هوازن، وهى بطون عديدة، منها ثقيف والأحلاف أهل الطائف، ومنهم سعد بن بكر، الذين استرضع فيهم النبى ﷺ، وكانوا بادية الطائف، ومنهم بنو نصر بن معاوية عشيرة مالك بن عوف النصرى، قائد هوازن يوم حنين، وبنو جشم رهط دُريد بن الصمة،

---

[1] السيرة الحلبية ، ٢/١٠ ، وتاريخ ابن خلدون ، ٢/٤١ ، وابن الأثير ، ٢ /٢٣٩ ، والبداية والنهاية ٤/٣٧٨.

[2] بعض المؤرخين المحدثين . فهم خطأ أنها جالية حبشية كانت تقيم بمكة ، استدلالا على ذلك من اسمها، بينما الاسم اطلق عليها لكونها تعاقدت يومها بجوار جبل بمكة يقال له: حباشة، وقيل: من التحبيش أي التجميع، وهي بطون من كنانة، و هذيل، وهوازن ونحوها . أنظر الأزرقي ١/١١٥ ، والجمهرة ، ص ١٨٨ ، والسيرة الحلبية ، ٢/٤٨٩ ، ٦٩٥ .

الشاعر الفارس المشهور، ومنهم عثمان بن أبي العاص، الذي ولاه الرسول ﷺ إمارة الطائف، وكانت له جهود ومشاركات في فتوح فارس، وإليه ينسب شط عثمان بالبصرة، وكانت أمه صفية بنت أمية بن عبد شمس، ومنهم بنو عامر بن صعصعة أحد أفخاذها بنو هلال بن عامر، الذين منهم أم المؤمنين زينب بنت خزيمة، التي يقال لها أم المساكين، و أختها لأمها أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية، التي تزوجها الرسول ﷺ، بعد وفاة أختها زينب، كما كانت منهم لبابة الكبرى، أم خالد بن الوليد، وأختها لأبيها لبابة الصغرى أم الفضل بن العباس بن عبد المطلب وإخوته ، فهما ابنتا الحارث بن حزن بن بجير، وهما أيضاً أختان من الأب لأم المؤمنين ميمونة بنت الحارث، وكانت عمتهم صفية بنت حزن هي أم أبي سفيان ابن حرب[1] و غير هؤلاء من بطون هوازن العديدة، وقد توطنوا الطائف وأحوازها، وبعض بواديها، وبادية مكة، وأمتدت مواطنهم حتى تربه شرقاً، وجنوباً بالقرب من جرش، وجاوروا بطون الأزد، وخثعم ، وغامد وبارق، وزهران[2] وقد أوردت كتب السير والمغازي أن عمر بن الخطاب قاد سرية في السنة السابعة الهجرية إلى عجز هوازم في تربة[3] غير أن تلك المنطقه لم تكن وقفاً على بطون هوازن، إنما تخللتها بطون من قريش، وعنز والأزد وغيرهم[4] وكانت منازل هذيل فيما حول مكة، جهة يلملم وبطن

---

(1) أنظر فيما سبق: الجمهرةص٢٧٢-٢٧٤، و السيرة الحلبية ٣/٤٠٩، و الطبري ٣/١٦٧،١٦٨ .

(2) البلادي ، ص ٢٥٨ - ٢٦٢ ، و السيرة الحلبية ١/١٤٦ ، و معجم ما أستعجم ١/٨٧ .

(3) الطبري، ٣/٢١،١٥٤، وابن الأثير، ٢/٢٢٦، والمغازي للواقدي، ص٧٢٢، والسيرة الحلبية ٣/١٩١

(4) البلادي ، ص١٤٨ ، ٢٥٣ ، ٣٥٥ .

عرنة، وعرفة، ونخلة، وأوطاس، وجبلي غزوان، ويسوم، أعلى جبل شاهق متصل بالطائف وتسكنه القردة في أعاليه[1]، وقديماً نظر أعرابي فرأى القردة في علو بعيد منه، تقذف نفسها هنا و هنالك، فقال متعجباً: الله أعلم من حطها جبل يسوم ![2] وتعجبه جاء من كيفية إرتقائها هذا الجبل الشامخ، تُرى إلى أي مدى يبلغ عجب هذا الاعرابي، لو عرف أن هذا الجبل أصبح ممهداً بقوة عزيمة الرجال في عصرنا الحاضر، حتى إرتقته السيارات؟! ونستطرد بعد ذلك إلى موقف قبائل المنطقة المعنية بالدراسة من الإسلام.

٢–موقف قبائل المنطقة من الإسلام :

سبق أن تناولنا في صدر هذا البحث[3] بالسرد معظم قبائل منطقتنا (حبازان وعسير ونجران) على وجه التقريب، وإنما قلنا على وجهه التقريب لعدة اعتبارات، منها أن منطقتنا في الوقت المتقدم تاريخياً ــ والذي نحن بصدد ذكر وقائعه وأحداثه ــ لم تكن فيه محددة إدارياً كما هو شأنها في الوقت الحاضر، فيظون القبائل المذكورة قد تتوزع فيها ثم تمتد إلى ما جاورها من أراضٍ، وهذا يعني أن التداخلات في مواطن القبائل في ذاك

---

[1] يبدو أنه جبل الهدى حالياً الذي مازالت به القردة، وتم التغلب على علوه الشاهق.

[2] الجمهرة ص ١٩٦ – ١٩٨، و الهمداني، ص ٣٢٣ و أسماء جبال تهامة لعرام، ص٤٣٠ وآثار البلاد للقزويني، ص٨٩.

[3] أنظر ص ٣٤–٤٦ من هذا البحث .

الوقت أمر وارد، ومنها أنه حدثت تخلخلات في مواطن بعض القبائل ببلاد العرب بصفة عامة إبان الفتوحات الإسلامية، ونزحت بطون عديدة إلى البلدان المفتوحة ثم استقروا فيها. وحين نزوحهم شغرت مواطنهم في بلاد العرب، فشغلتها بطون أخرى من بني أبيهم، أو من غيرهم، لذا فإن الفترة التي نحن بصدد ذكر وقائعها، أعقبها نزوح وهجرات، واستيطان، ومن المجازفة أن يقال إن كل القبائل ظلت في موطنها منذ ذلك التاريخ حتى الآن، وعلى نفس مساحة الأرض التي كانت تشغلها في ذاك الوقت، بالإضافة إلى أن مساحات شاسعة من الصحارى والوديان لم يكن يسكنها أحد، وهي أرض موات من أحياها تملكها.

لكن الحقيقة المؤكدة أن الأرض نفسها ثابتة لاتنزح ولاتبرح، ومستقرة في موضعها تدور مع الكرة الأرضية، حيث دارت، وهي راسخة في مكانها بجبالها، وسهولها، ووديانها، ومياهها وغير ذلك من معالم الطبيعة، والتغيير إن حدث إنما يأتي من قاطنيها، وإلا فأين هم العرب البائدة، أول من قطنها؟

كما سبق أن أشرنا إلى أن قبائل المنطقه المعنية بالدراسة، وإن كانوا مستقلين إداريا في تصريف شئونهم على مواطن إقامتهم، وغير خاضعين لأية هيمنة، شأنهم في ذلك شأن كافة قبائل وسط شبه الجزيرة العربية، إلا أنهم كانوا يرتبطون وجدانياً بمكة المكرمة، لكونها شُرِّفَت بوجود البيت العتيق فيها، والذى يعظمه العرب على كافة نحلهم، ويأتونه في الموسم كل عام للحج، فقد كان الحج من بقايا ملة ابراهيم ـــ عليه

السلام ـ[1] وقد حافظ العرب على أدائه بشعائر ومناسك معينة حتى جاء الإسلام، واحتلت الكعبة مكانة رفيعة من نفوسهم، وليس أدل على ذلك من تصدى أحد زعماء القبائل ـ كما سبق أن قلنا ـ وهو نفيل بن حبيب الخثعمى، لأبرهة الأشرم، حين مروره فى طريقه إلى مكة فقاد جموعاً من بطون شهران، وناهس، والأزد، وغيرهم، وقاتل أبرهة بالقرب من تبالة[2] كما كانت قبائل المنطقة تُكن لقريش الود ، لأنهم أهل الله، وخَدَمة بيته، ويستنكفون أن يصدر منهم ما يُشين، ولهذا عقدت قريش حلف الفضول، لنصرة المظلوم، ومنع المظالم فى الحرم، وذلك عندما أتى رجل من زبيد، وظلمه العاص بن وائل السهمى، فى سلعة باعها منه، فقاموا مع الزبيدى حتى نال حقه، وقدم آخر من قبيلة بارق، وثالث من خثعم، فظُلما فى الحرم، فقام أهل حلف الفضول معهما حتى استردا حقهما[3] وتمثل حسن العلاقات فيما بين قبائل المنطقة وقريش فى تسهيلات مرور قوافل التجارة القرشية بأرض قبائل المنطقة، وتداول السلع فيما بينهم، وقيام بعض أهل المنطقة كمندوبين لها فى التجارة، كمدن بيشة، وجرش، ونجران[4].

---

(1) السيرة الحلبية ، ٤٧٩/٢ .

(2) سبق أن تعرضنا لذلك، انظر صفحة ٨٠ وما بعدها من هذا البحث، وانظر أيضاً الأزرقي ١٤٢/١، والطبري، ١٣١/٢، وابن الأثير ٤١/٢ .

(3) انظر أنساب الأشراف للبلاذري ، ص١٢ ،١٣ ، و السيرة الحلبية ٣١٥/١ .

(4) دكتور.السيد عبد العزيز سالم المصدر السابق ص٣٠٥ .

كما كان الإقدام على المصاهرات والزواج له أثره البالغ في توطيد العلاقات، فعصبية النسب بالمصاهرة لاتقل شأناً في معظم الأحوال عن عصبية الدم، فنلحظ أن قبائل المنطقة قد وقع بينها وبين قريش مصاهرات من قديم. فقد ذكر المؤرخون أن إحدى الفواطم والعواتك اللاتي ولدن الرسول ﷺ كانت من الأزد، فأمُّ قصي بن كلاب الجد الأعلى للرسول ﷺ هي فاطمة بنت سعد بن سيل من آزد شنوءة[1] وأيضاً: فإن عاتكة أم النضر بن كنانة، هي عاتكة بنت مر من الأزد، وكانت أمها أيضا اسمها عاتكة بنت الأزد بن الغوث[2] وتزوج سعد العشيرة من أسماء بنت أبي بكر بن مناة بن كنانة من مضر، وكان له منها، ومن غيرها، عشرة أبناء أكبرهم الحكم الذى به كان يكنى، وكان قد ذهب بهم إلى الحج فسألوه من هؤلاء؟ قال: هم عشيرتي، فسمي سعد العشيرة[3] وكان موطنه مع أخيه مراد (يحابر) بتهامة اليمن، فلما تكاثروا نزح منهم من نزح إلى أرض تهامة الحجاز، بجوار أخوالهم من كنانة، وكان منهم فيما بعد آل الحكم ابن سعد العشيرة، اللذين حكموا منطقة جازان في بعض الفترات التاريخية اللاحقة، وتزوج أحد أبنائهم وهو: عبد الله بن سعد بن جابر بن عمير الحكمي، من آمنة بنت عفان أخت الخليفة عثمان بن عفان[4] وتزوج أبو أزيهر الدوسي، من قبيلة دوس رهط أبي هريرة، من أخت هشام بن المغيرة

---

[1] ابن الأثير، ٣٤/٢، و البدء و التاريخ، ٥/٥، و الأزرقي، ١٠٤/١.

[2] ابن الأثير، ٣٥/٢.

[3] الجمهرة، ص ٤٠٧، و البدء و التاريخ للمقدسي، ١٢٠/٤.

[4] الجمهرة، ص٤٠٩.

المخزومي، القرشي، كما تزوج عثمان بن عفان أم عمر بنت جندب بن عمرو الدوسي[1] وتزوج عبد الله بن الحارث بن سخبرة بن نصر من زهران من أم رومان بنت عامر بن عمير من كنانة، فولدت له: الطفيل بن عبد الله، ثم خلفه عليها، أبو بكر الصديق، فولدت له ام المؤمنين عائشة بنت أبي بكر، وأخاها عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق، فالطفيل أخوهما من الأم وكان أسن منهما[٢]. وكانت خثعم بني عمومة بجيلة، لها بطون عديدة منها شهران الذين منهم بنو عُميس عشيرة أسماء بنت عُميس زوجة جعفر بن أبي طالب وأم أبنائه، وأختها سلمى بنت عُميس زوج حمزة بن عبد المطلب، وأم ابنته الوحيدة أمامة[٣] وغير ذلك من زيجات ومصاهرات أضفت جواً من الودُ وأسهمت في توطيد العلاقات بين قبائل المنطقة وأهل مكة، وأشاعت الأمان إلى حد ما، فأصبحوا يتنقلون من مكان إلى آخر دون خفارة لتجارتهم، ويرتادون الأسواق التي كانت تقام في غير الأشهر الحرم[4] دون خوف، فمثلاً كانت توجد سوق حُباشة بتهامة لقبائل الأزد وبارق ودوس وغيرها من القبائل، وتقام فيما بين وادي حليّ ومحايل، على مسافة ست ليال من مكة، وتقام في غير الأشهر الحرم وهي آخر سوق خُرِّبت من أسواق الجاهلية، وكان ذلك في عهد الدولة العباسية فقد كان ولاة مكة بعد الإسلام يرسلون إليها والياً معه الحراس للحفاظ على الأمن

---

(1) الجمهرة ص٣٨٢ ، ٣٨٣ .

(٢) الجمهرة ، ص١٣٧ ، ٣٨٣ .

(٣) الجمهرة ، ص٣٩١ ، و الطبقات لابن خياط ، ص٨ .

(٤) الأزرقي ، ١/١٩١.

فيها، وفي الطريق المؤدية إليها ، فلما كانت ولاية داوود بن عيسى بن موسى لمكة عام ١٩٧هـ، بعث والياً إليها ومعه بعض الجند، فقتلت الأزد والِي السوق من قبل داوود أمير مكة، فأشار عليه فقهاء مكة في ذاك الوقت بتخريبها وإغلاقها .[1]

وكان النبي ﷺ يعمل بالتجارة قبل البعثة، وكان شريكاً في التجارة لقيس بن السائب، وقيل: لأبيه السائب بن يزيد بن أبي السائب الصيفي، ولذا لما قدم عليه السائب يوم فتح مكة، قال له النبي ﷺ: مرحباً بأخي وشريكي، كان لايداري ولايماري (أي لايماطل أو يخاصم شريكه، في بيعه وشرائه) وقيل إن حكيم بن حزام اشترى وقتها من الرسول ﷺ، بَزًّا من بزّ تهامة، كان قد اشتراه الرسول من سوق حُباشة وقدم به إلى مكة، فلما رأته خديجة عند ابن عمها حكيم بن حزام ـ ولم يكن الرسول قد تزوجها بعدُ ـ أرسلت خادمها ميسرة إلى الرسول فذهب معه إلى سوق حباشة واشترى لها بزّا، وحمله إليها ميسرة[2] وعرفت فيه الأمانه يومها، فعرض عليه الذهاب بتجارتها إلى الشام، والتي صحبه فيها أيضاً ميسرة، ثم تزوجها الرسول ﷺ بعد عودته من تجارة الشام بفترة قليلة.[3]

---

(1) الأزرقي ، ١/١٩٢ .

(2) السيرة الحلبية ، ١/٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ومعجم البلدان ، ٢/٢١٠ .

(3) السيرة الحلبية ، ١/٢٢٨ .

ونلحظ أن بعض الأفراد قدموا مكة عندما علموا بمبعث الرسول ﷺ وأسلموا وعادوا إلى مواطنهم، بعد أن طلب منهم الرسول العودة خوفاً عليهم من أذى قريش، وذلك قبل الهجرة، على أن يوافوه بالمكان الذي يهاجر إليه عند سماعهم به[1] من هؤلاء: سواد بن قارب الدوسي، كان يتكهن في الجاهلية ، فأتاه رئِيُّه من الجن وأخبره بمبعث الرسول ﷺ، فقدم مكة قبل الهجرة، وأسلم، ثم أخبره النبي بما سمعه من رئيه، فسُرَّ به النبي ﷺ وقال له: أفلحت ياسواد[2] وقدم ضماد الأزدي وقيل خالد بن ضماد الأزدي[3]، من أزد شنوءة ـ وكان يُرقى من مَس الجن ـ عندما بلغه قول سفهاء قريش: إن محمداً مسه الجن، فقدم مكة قبل الهجرة وجلس إلى الرسول ﷺ، وقال: يامحمد إني أرقي من الريح (أي الجن) وإن الله يشفي على يديَّ من شاء، فهل لك؟. فقال له الرسول ﷺ : "إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لاشريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. أنزل عليه قرآنا هدى للمتقين." فقال ضماد: أعد عليَّ كلماتك هذه، فأعادها الرسول ثلاث مرات، فقال ضماد: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هذه، هات يدك أبايعك على الإسلام، فبايعه الرسول وقال له: وعلى قومك يا ضماد، قال: وعلى

---

[1] وكان من الذين قدموا مكه قبل الهجرة و أسلموا ، وطلب منهم الرسول العودة إلى موطنه ، أبو ذر الغفاري ، أنظر السيرة الحلبية ١/٤٥١ .

[2] السيرة الحلبية ، ١/٣٢٢ .

[3] مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي و الخلافة الراشدة ، للدكتور / محمد حميد الله ، ص ١٩٥ .

قومي يارسول الله[1] ثم انفلت قائما فتعرض له أبوجهل، فمنعه بعض رؤساء قريش قائلين له: أتريد هلاكنا، إن قومه تمر بأرضهم تجارتنا.

وقدم مكة الطفيل بن عمرو الدوسي، وكان شريفاً في قومه دوس، فمشى إليه رجال من قريش يحذرونه من الجلوس إلى محمد، أو سماع ما يقول، وأكثروا عليه في النصح لأنهم خشوا إن اتبعه مثل هذا بما له من رئاسة في عشيرته، يتبعه الكافة منهم، يقول الطفيل: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً، ثم غدوت إلى الكعبة، فوجدت الرسول قائماً يصلي، فسمعت منه كلاماً حسناً، فقلت في نفسي: ما يخفى عليّ الحسن من القبيح فما يمنعني من سماع ما يقوله، فإن كان حسناً قبلته، وإن كان قبيحا تركته، فمكثت حتى انصرف إلى بيته، وتبعته، وسمعت منه القرآن، بعد أن أخبرته خبر قومه معي، فما سمعت قط خيراً من ذلك. فاسلمت، ثم قلت: يارسول الله إني امرؤ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم أدعوهم إلى الإسلام، فادع الله أن يكون لي عوناً، فقال: اللهم اجعل له آية، فخرجتُ حتى إذا كنت في ثنية في ليلة كانت مظلمة خرج نور من بين عينيَّ مثل المصباح، فقلت: اللهم في غير وجهي، فإني أخشى أن يظنوا أنها مُثلَة، فتحول النور من رأسي إلى سوطي، فجعل الناس يتراؤون ذلك النور كأنه قنديل معلق في سوطي، وعُرِف الطفيل

---

[1] السيرة الحلبية ، ٣٩/٢ .

بذى النور[1]، ولما عاد الطفيل إلى أرض قومه دوس، جعل يدعو قومه إلى الإسلام، ولما بلغهم هجرة الرسول إلى المدينة قدم وفد دوس من ثمانين رجلا مسلماً يقودهم الطفيل، ومنهم أبوهريرة[2] وتوافق وصولهم المدينة مع وصول وفد الأشعريين، وفيهم أبوموسى الأشعرى، قادمين عن طريق الحبشة مع جعفر بن أبى طالب، ومن معه من مهاجرى الحبشة، فوافوا المدينة والرسول يحاصر خيبر سنة ٧ هـ، فبيتوا ليلتهم بالمدينة، ثم انطلقوا جميعاً منها بعد صلاة الفجر إلى خيبر، فسر الرسول ﷺ بقدومهم واشركهم فى غنائم خيبر، وقال: والله ما أدرى بأيهما أفرح؟ بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر؟[3]

ولما أراد الرسول ﷺ، المسير إلى الطائف بعد حنين وفتح مكة، بعث الطفيل بن عمرو الدوسى إلى هدم صنم ذى الكفين ببلاد دوس[4] وأن يأتى بمن أسلم من قومه، ويوافيه بالطائف، فانطلق مسرعاً، فهدم الصنم، ثم قدم ومعه أربعمائة من رجالات قومه، وبعض مسلمى القبائل المجاورة، ووافى رسول الله ﷺ بعد مقدمه بموقعه بالطائف بأربعة أيام،

---

[1] البداية والنهاية لابن كثير ٧٨/٥ و المواهب اللدنية ، ١٩٢/٢ – ١٩٥ ، وقيل إن الذي أضاء له عصاته هو : عباد بن بشر الأشهلي ، وفي حديث رواه البخاري ، وقيل هو : أسيد بن حضير الأنصاري
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ، ٢٩٩/١ ، و يجوز أن يكون قد وقع ذلك لهم جميعاً .

[2] السيرة الحلبية ، ٦٩/٢ ، ٧٥٨ ، و الجمهرة ص ٣٨٢ ، ٩٢٧ ، و المغازي للواقدي ص ٦٨٣

[3] السيرة الحلبية ٧٥٥/٢ – ٧٥٨ ، والبداية والنهاية لابن كثير ، ٧٩/٥ .

[4] أورد الأستاذ رشدي صالح ملحس ، محقق كتاب أخبار مكة للأزرقي ، تعليقات مفيدة عن صنمي ، ذي الخلصة ، و ذي كفين ، بما لا مزيد عليه هنا ، أنظر : ٣٧٤/١ – ٣٧٩ ، و المغازي ص ٨٧٠ .

فلما رآهم الرسول ﷺ، سُرَّ، وقال: يامعشر الأزد من يحمل رايتكم، فقال الطفيل ومن معه: من كان يحملها في الجاهلية وهو النعمان بن الزّرافة اللهبي، فقال النبي ﷺ: أصبتم، وحملها النعمان يوم الطائف.[1]

وقدم الطفيل ومعه دبابة ومنجنيق، ونصبت يوم الطائف، وقيل إن الذي قدم بها يزيد بن زمعة، ويقال خالد بن سعيد بن العاص، قدم بها من جرش، ويقال إن الذي صنعها ونصبها يوم الطائف هو سلمان الفارسي كما وفد على الرسول ﷺ سعد بن مالك الأزدي ، وعقد له الرسول راية على قومه، استمرت معه حتى شهد بها فتح مصر مع عمرو ابن العاص[2]، وقدم المدينة في السنة العاشرة جرير بن عبد الله البجلي، وكان الرسول ﷺ، قال لأصحابه: يطلع عليكم من هذا الفجّ (أي هذه الناحية مشيراً بيده) من خير ذي يمن (أي من خير قبائل جهة اليمن)[3]، على وجهه مسَحةُ مُلك ، فطلع جرير، على راحلته، ومعه مائة وخمسون من قومه، فنزلوا، فأسلموا وبايعوا، يقول جرير: فبسط الرسول ﷺ يده، فبايعني، وقال: على أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتنصح المسلم، وتطيع الوالي وإن كان عبداً حبشياً. قلت: نعم، فبايعني، ثم جعل الرسول ﷺ يسائله عما

---

[1] الجمهرة ص ٣٨٢ ، و المغازي ص ٩٢٣ ، و لقد ورد فيه : النعمان بن الزرافة اللهبي ، و قيل : النعمان بن الزراع عريف الأزد .

[2] المغازي للواقدي ، ص ٩٢٧ .

[3] كتاب " نظام الحكومة النبوية ، المسمى التراتيب الإدارية " للشيخ عبد الحي الكتاني ، ١/٣٢٠ .

وراءه، فقال: يارسول الله قد أظهر الله الإسلام، وأظهر الأذان في مساجدهم وساحاتهم، وهدمت القبائل أصنامهم، التي كانت تعبد، قال: فما فعل ذا الخلصة ــ وهو صنم لبجيلة والأزد وخثعم ــ قال: هو على حاله قد بقي، والله مُريحٌ منه إن شاء الله، فبعثه رسول الله ﷺ إلى هدم ذي الخلصة، فانطلق فما أطال الغيبة حتى رجع، فقال له الرسول ﷺ: هدمته؟. قال: نعم، والذي بعثك بالحق، وأخذت ما عليه وأحرقته بالنار، فتركته كما يسوء من يهوى هواه، وما صدّنا عنه أحد[1] وكان قدم الى المدينة في أعقاب جرير، قيس بن أبي غرزة الأحمسي، بطن من بجيلة، ومعه مائتان وخمسون رجلاً من أحْمس، فقال الرسول ﷺ: من أنتم؟ قالوا نحن أحْمسُ الله. فقال: وأنتم اليوم للّه، وأمر الرسول بلال أن يعطي ركب بجيلة، وأن يبدأ بالأحمسيين، فلما أمر الرسول جرير بالذهاب لهدم ذي الخلصة، قال جرير يارسول الله: إني لا أثبت على الخيل، قال جرير: فمدّ الرسول يده ومسح على صدري، وقال: اللهم اجعله هادياً مهديّاً، يقول جرير: فما وَهَنتُ بعدها أبداً. ثم قاد زهاء مائتين من خيل أحمس وانطلق فهدم الخلصة وعاد. فبارك الرسول في رجال وخيل أحمس[2] ودعا لهم.

وكان جرير قد قاتل بعض رجال من خثعم بعد هدم ذا الخلصة، فقدم منهم وفد فيهم عَثعَث بن زحر، وأنس بن مُدرك، إلى المدينة، واعلنوا

---

[1] طبقات ابن سعد ١/٣٤٧، والأزرقي ١/٣٨٠، والطبري ٣/١٥٨، والبداية والنهاية لابن كثير ٥/٨٨ – ٩٠.
[2] طبقات ابن سعد ، ١/٣٤٧ ، ٣٤٨ ، و البداية والنهاية لابن كثير ، ٤/٤٢٢ .

إسلامهم وطاعتهم، وقالوا: آمنا بالله ورسوله، وما جاء من عند الله، فاكتب لنا كتاباً نتبع ما فيه، فكتب لهم الرسول ﷺ كتاباً، شهد فيه جرير ابن عبد الله، ومن حضر من الصحابة.(1)

وقدم وفد الأزد، فيهم صُرَد بن عبد الله الأزدي، أزد شنوءة، في بضعة عشر رجلاً، فأسلموا وأمَّره الرسول ﷺ على قومه، فقد كان أفضلهم، ثم أمره الرسول أن يجاهد بقومه من يليه ممن لم يسلموا من القبائل، فخرج حتى نزل جرش، وكانت مدينة حصينة، دخلها بعض بطون متفرقة من القبائل وأغلقوها عليهم، وتحصنوا بها، فحاصرهم شهراً، فاستعصت عليه، ثم تنحى عنها إلى جبل يقال له: شَكَر، فظنوا أنه انهزم، فخرجوا في طلبه، فصف جيشه، وعطف عليهم، وأعمل فيهم السيف، وقتل منهم عدداً، وأخذ خيلهم، وكان أهل جرش قد بعثوا رجلين قبل وصول صُرد إليهم، ليذهبا إلى المدينة، فينظران ويكلمان الرسول ﷺ في شأن إسلام أهل جرش، ويبدوا أنهما تباطآ في إعلان إسلام قومهما، وأخذ العهد لهم من الرسول، مع أنهما أسلما عقب وصولهما المدينة، فكانا ذات يوم بمجلس الرسول ﷺ عصراً، فسأل الرسول ﷺ، من بمجلسه بأيِّ بلاد الله شَكر هذا؟ فقام الجرشيان، وقالا: يارسول الله،

---

(1) طبقات ابن سعد ، ٣٤٨/١ ، قيل كان هناك جماعة من الصحابة قد فاقوا الناس طولاً وحسن هيئة منهم: العباس ابن عبد المطلب ، وولده الفضل بن العباس ، وقثم بن العباس وجرير بن عبد الله البجلي ، وقيس بن سعد بن عبادة ، و الأشعث بن قيس الكندي ، وعدي بن حاتم الطائي ، وزيد الخيل بن مهلهل الطائي .
انظر : الكامل للمبرد ، ٣٠٩/١ ، و البداية والنهاية لابن كثير ، ٩١/٥ .

ببلادنا جبل يقال لـه: كَشر، فقال: إنه ليس بكشر، ولكنه شَكر، قالا: فما له يارسول الله؟ قال: إن بُدنَ الله لَتنحرَ عنده الآن، فلم يفهم الرجلان معنى قول الرسول، فسألا أبا بكر وعثمان بن عفان وكانا على مقربة منهما بالمجلس، فقالا لهما : إنه ينعى لكما قومكما، قوما إلى الرسول فاسألاه أن يدعو الله فيرفع عن قومكما، فقاما إليه وسألاه، فقال: اللهم ارفع عن قومهما، واهدهم. ثم خرج الرجلان مسرعين إلى قومهما، فوجدا أن صُرَد بن عبد الله أصاب قومهما في اليوم والساعة التي أخبرهما فيها رسول الله، فانهيا لقومهما ما أعلمهما به الرسول، فأسلموا جميعاً، وخرج منهم وفد إلى المدينة ، فلما وقفوا على الرسول ﷺ، قال لهم: مرحبا بكم[1] أحسن الناس وجوها، وأصدقه لقاءه، وأطيبه كلاماً، وأعظمه أمانة، أنتم مني وأنا منكم، وجعل شعارهم: مبرور ــ وهو الشعار الذي اختاره صُرَد بن عبد الله ــ فطلبوا من الرسول أن يحمي لهم حمى حول قريتهم جرش، على أعلام معلومة، للفرس، والراحلة، والمثيرة التي تثير الأرض، وتكون حمى لهم ومرعى، ومن رعاها غيرهم فهو سحت، وكتب لهم بذلك كتاباً[2] ويعتبر أهل جرش بهذا الطلب الجماعي، أول

[1] كلمة "مرحباً" يقال إن العرب لم تكن تستعملها ، إلا نادراً ، ثم استعملوها بعد أن تكرر وقوعها من الرسول ﷺ ، السيرة الحلبية ٢٥١/٣ .

[2] الطبري ١٣٠/٣ ، ١٣١ ، وطبقات ابن سعد ، ٣٣٧/١ ، ٣٣٨ ، و سيرة ابن هشام ٢٣٤/٤ و الإصابة ، ١٨٧/٢ ، تجريد أسماء الصحابة للذهبي ٢٦٤/١ ، و مجموعة الوثائق السياسية ، ص٢٤٢ .

بلد تم تحديده بحدود معلومة فى بداية تكوين الدولة الإسلامية بعد مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف، على ما نعتقد.

وذكر ابن كثير[1] أن وفداً من الأزد، سبعة نفر، فيهم سويد بن الحارث الأزدى قدموا على رسول الله ﷺ، فلما دخلوا وسلموا على الرسول أعجب بما رأى من سمتهم وزيهم، فقال: ما أنتم؟ قالوا: مؤمنون، فتبسم النبى وقال: إن لكل قوم حقيقة، فما حقيقة إيمانكم، وقولكم؟ قالوا: خمس عشرة خصلة، خمس منها أمرتنا رُسُلُك أن نؤمن بها، وخمس أمرتنا يارسول الله أن نعمل بها، وخمس تخلقنا بها فى الجاهلية، فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئاً .. وبعد أن عددوها على مسامع الرسول ﷺ، قال لهم حكماء، علماء، .. وأثنى عليهم ثم أوصاهم بوصايا خمس وأكرم وفادتهم.

وقدم وفد غامد على رسول الله ﷺ فى شهر رمضان عام ١٠هـ، وكانوا عشرة رجال، نزلوا ببقيع الغرق، فلبسوا من صالح ثيابهم، ثم انطلقوا إلى الرسول ﷺ فسلموا عليه، ثم أقروا بالإسلام، وكتب لهم كتاباً فيه شرائع الإسلام، وأتوا أبيّ بن كعب فعلمهم قرآناً، وأجازهم الرسول مثلما يجيز الوفود، وعادوا إلى بلادهم.[2]

---

[1] انظر البداية و النهاية ، ٥/١٠٦ .

[2] طبقات ابن سعد ، ١/٣٤٥ .

كما قدم وفد بارق على الرسول ﷺ بالمدينة، فأسلموا، وبايعوا، وكتب لهم الرسول ﷺ كتاباً، جاء فيه: هذا كتاب من محمد رسول الله لبارق، لا تُجزُّ ثمارهُم، ولاتُرعى بلادُهُم في مربع، ولامَصيف إلا بمسألة من بارق، ومن مرّ بهم من المسلمين في عَرك أو جَدب فله ضيافة ثلاثة أيام، وإذا أينعت ثمارهم فلابن السبيل اللقاط، يوسع بطنه من غير أن يقتثم (أي يجتثه ويقتلعه ليحمله معه)[1].

ووفد على رسول الله ﷺ، بالمدينة خالد بن ضماد الأزدي، وكتب له كتاباً جاء فيه: أن له ما اسلم عليه من أرضه على أن يؤمن بالله، لايشرك به شيئاً، ويشهد أن محمداً عبده ورسوله، وعلى أن يقيم الصلاة، ويؤتى الزكاة، ويصوم شهر رمضان، ويحج البيت، ولايأوي محدثاً، ولايرتاب، وعلى أن ينصح لله ولرسوله، وعلى أن يحب أحباء الله، ويبغض أعداء الله، وعلى محمد النبي أن يمنعه مما يمنع منه نفسه وماله واهله، وأن لخالد الأزدي ذمة الله، وذمة محمد النبي إن وفّى بهذا[2] وكان ضماد أبو خالد قد وفد قبلُ على النبي. كما وفد على الرسول ﷺ جنادة الأزدي، وقومه، فكتب لهم الرسول ﷺ بمكة كتاباً جاء فيه: إن

---

[1] طبقات ابن سعد ، ٢٨٦/١ ، ٣٥٢ .

[2] طبقات ابن سعد ، ٢٦٧/١ ، ويبدو ان خالد وفد على رسول الله ﷺ مرتين : إحداهما قبل الهجرة ، والثانيه بعدها .

لجنادة وقومه ومن اتبعه، عهد الله، ما اقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأطاعوا الله ورسوله، وذمة محمد بن عبد الله[1] .

وعام الفتح بعث الرسول ﷺ إلى أبي ظبيان الأزدي من غامد كتاباً يدعوه ويدعو قومه إلى الإسلام، فأجابه في نفر من قومه بمكة عام ٨ هـ بعد فتحها، وكان مع أبي ظبيان من قومه: مخنف، وعبد الله، وزهير بنو سُليم، وعبد شمس بن زهير، وجندب بن كعب، وكتب النبي ﷺ لأبي ظبيان كتاباً، وكانت له صحبة، وأدرك عهد عمر بن الخطاب وكان صاحب راية قومه يوم القادسية[2] .

وكان الرسول ﷺ قد كتب كتابا لمن جاء من خثعم مع جرير بن عبد الله البجلي، عندما ذهب لهدم صنم ذي الخلصة، جاء فيه: هذا كتاب من محمد رسول الله لخثعم من حاضر بيشة، وباديتها، أن كل دم أصبتموه في الجاهلية فهو عنكم موضوع، ومن أسلم منكم طوعاً أو كرهاً، في يده حَرثٌ من خبارٍ أو عزاز، (أي ما سهل ولاَنَ من الأرض أو ما صلب منها) تستقيه السماء، أو برويه اللَّثيُّ فزكى (أي نما) عمارة في غير أزمةٍ، ولا حطَمةٍ، فله نشره وأكله، وعليهم في كل سيح العشر، وفي كل غَربٍ نصف العُشرِ[3] كما كتب الرسول ﷺ كتاباً لبطن من باهلة كان في

---

(1) طبقات ابن سعد ، ١/٢٧٠ .

(2) طبقات ابن سعد ، ١/٢٨٠ .

(3) طبقات ابن سعد ، ١/٢٨٦ ، و مجموعة الوثائق السياسة ، ص٢٤٣ .

بيشة[1] ووفد على الرسول ﷺ، بالمدينة عقب الهجرة، الحارث بن عُمير من بني لهب من الأزد، وكان بنو لهب وبنو أسد بن خزيمه أعيف العرب[2] في زجر الطير، وتقصي الأثر، والأشباه وقوة الفراسة، وظل الحارث ملازماً للرسول ﷺ قيل هو الذى حمل كتاب النبى الى ملك بُصرى بالشام، فلما نزل أرض مؤتة تعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، ولما عرف أنه يحمل كتاباً من رسول الله ﷺ، وأنه أحد الرسل الذين بعث بهم رسول الله ﷺ إلى الملوك، قتله، ولم يقُتل من حَمَلةِ كتب النبى سواه، ولما بلغ ذلك النبى اشتد عليه الأمر، وندب الناس للخروج إلى مؤتة عام ٨هـ[3] وكان ذلك قبل فتح مكة.

وكان من بارق، من الأزد: عروة بن أبي الجعد البارقي، الذى صحب الرسول ﷺ وروى حديث: " الخيل معقود في نواصيها الخير"[4] كما كان من غامد: مخنف بن سليم بن الحارث، والحجن بن المرقّع بن سعد بن الحارث، وأبو زينب زهير بن عوف، أحد من شهدوا على الوليد

---

(1) مجموعة الوثائق السياسية ، ص٢٤٤ .

(2) الجمهره ، ص٣٧٦.

(3) المغازي ، ص٧٥٥ .

(4) طبقات ابن خليفه خياط ، ص١١٣

ابن عقبة بأنه شرب وسكر[1] ومن غامد صخر الغامدى لـه صحبـة روى حديث الرسول ﷺ: "بورك لأمتى فى بُكُورِها"[2] وغيرهم .

كما وفد على الرسول ﷺ، بالمدينة عبد الجد بن ربيعة بن حجر الحكمى، من بنى الحكم بن سعد العشيرة[3] وكان لعبد الجد صحبة ورواية[4] ومن بنى الحكم أبوموسى الحكمى محدث[5] ومنهم عبد الله بن سعد بن جابر الحكمى، كانت تحته آمنه بنت عفان أخت الخليفة عثمان ابن عفان، وولدت له محمد بن عبد الله[6]. كما كان من رجالاتهم عبيد ابن خُليل الحكمى[7] وأبو عقبة الجراح بن عبد المطلب الحكمى، الذى كان والياً على خراسان، و البصرة، من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز، عام ٩٩هـ، ثم والياً على أرمينية من قبل هشام بن عبد الملك عام

---

(1) طبقات ابن خليفه خياط ، ص١١٣ ، و الجمهرة ، ص٣٧٨ .

(2) طبقات ابن خليفه خياط ، ص١١٣.

(3) سمي بسعد العشيرة ، قيل : لأنه حضر الموسم في الحج قبل الإسلام و حوله بنوه العشرة ، فسئل من هؤلاء ؟ فقال : هم عشيرتي ، وقيل : لأنه كان يركب حوله من بنيه من صلبه ثلاثمائة فارس ، انظر الجمهرة ، ص٤٠٥ ، وتتمة المختصر في أخبار البشر ، لابن الوردي ، جـ١ ص١٤٣ .

(4) كتاب الأنساب للسمعاني ، ١٨٣/٤ .

(5) الطبقات لخليفه خياط ، ص٧٣ .

(6) الجمهرة ، ص٤٠٩.

(7) الأنساب للسمعاني ، ١٨٣/٤ .

١١٢هـ[1] وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي، الذي أرسله عبد الملك بن مروان فى ألفين من أهل الشام مدداً إلى الحجاج بن يوسف الثقفى لقتال شبيب الحرورى عندما هاجم الكوفة عام ٧٧ هـ ثم لقتال ابن الأشعث عام ٨٢هـ [2].

وعلى كل فقد كان موطنهم يبدأ من جنوب أم جحدم بتهامة الحجاز، ويمتد جنوباً حتى حدود ولاية فروة بن مسيك المرادى بتهامة اليمن، ويجاورهم جنوباً بطون من قبيلة عَكٍّ، ورواقد من ثقيف، وبنو عقيل ابن كعب بن عامر، ويحاذيهم شرقاً بطون من حاشد وبكيل والأزد وغيرهم من القبائل التى لاتخضع لأية سلطة عليهم قبل الإسلام، وسوف تتضح الصورة أكثر عند التعرض للترتيبات الإدارية للدولة الإسلامية فى عهد الرسول ﷺ بالباب الرابع من هذا البحث .

وخلاصة هذا السرد للوقائع أنه منذ البعثة والوفود من أبناء المنطقة تترى، وتحث الخطى، سواء كانوا أفراداً أو جماعات، نحو الرسول ﷺ، تعلن إسلامها، وطاعتها، وانقيادها، ومن الوفود من ظل بجوار الرسول ﷺ، ومنهم من عاد لموطنه يدعو إلى الإسلام، حتى إذا كان فتح مكة عام ٨هـ، ومن ثم إسلام أهلها وأهل الطائف، إلا ودخلت جميع البوادى

---

[1] وكان والياً للحسن بن هانى ، الشاعر المعروف بأبي نواس ، و قيل : بل هو منهم و ليس من موالي الجراح الحكمي ، انظر : نسب عدنان و قحطان للمبرد ، ص٢٩ ، و الجمهرة ، ص ٤٠٨ ، والأنساب للسمعاني ١٨١/٤ ، وانظر الطبري ، ٥٥٧/٦ ، ٥٥٩ ، و ٢٠/٧-٢٥.

[2] الطبري ، ٢٥٩/٦ ، ٢٧٧ ، والبداية والنهاية، ٢٠/٩-٤٦ .

والأحواز المحيطة بهما ممن لم يكن أسلم منهم من قبل، دخلوا في حظيرة الإسلام جميعاً، وضمهم ترتيب إداري واحد، نتحدث عنه في موضعه كما سبق أن قلنا. وننتقل الآن إلى منطقة نجران، نتعرف وقائع الأحداث فيها منذ ظهور الإسلام .

نجـــران :

اكتسبت نجران شهرة تاريخية بحادث الأخدود الـذى ورد ذكـره فـى القـرآن الكريـم[1] وسبق أن تحدثنـا عنـه[2]، وحملـت المنطقـة اسـم أحـد أشـهر أوديتهـا الستة وهـو وادى نجـران[3] الـذى يخترقهـا مـن الشـرق إلى الغـرب، وتقـع عليه أشهر بلدانها، والتـى كـانت عاصمتهـا فـى ذلـك الوقـت (نجـران) وبجوارها بلـدة (رعـاش أوالحصن) موطـن نصارى نجران فقـد جـاء ذكرهـا فـى عهـد الخليفـة عمر بن الخطـاب إلى نصـارى نجـران، حيـث قـال: إلى أهـالى رعـاش كلهـم..، [4] وكـانت محاطـة بسـور منيـع، ولـذا كـان يطلـق عليهـا الحصـن، وكـان بداخلهـا مبنى الكنيسـة، ونلحـظ أنه يوم فتح مكـة هـرب إلى نجـران كـلا مـن هبـيرة بـن أبـى وهـب المخزومـى وعبـدا لله بـن الزبعـرى[5]، و لم

[1] سورة البروج.

[2] انظر ص٥٢-٥٦، من هذا البحث.

[3] فى بلاد عسير لفؤاد حمزة، ص ١٦٧، وقيل كـان هنـاك نهر يقال لـه : البحيروان بيـت عليه تلك الكنيسـة المشهورة، أو كما يقال عنها : كعبة نجران، وأنها بيت من قبة تتكون من ثلاثمائة جلد أدم، وأنه لم يكن يأتيهـا خائف إلا أمن، ولا جائع إلا شبع، وكان عبدالمسيح بن دارس بن معيقر، العاقب، يجنى مـن هـذا النهر عشرة آلاف دينار كل عام، ولهذا فقد كان غنيا، و لم ينجب إلا إبنة تزوجها يزيد بن عبد المدان، فـورث هـذا الثراء. الأغانى، ١٠/١٣٥ ومابعدها.

[4] كتاب الأموال لابن زنجويه، ١/٢٧٩، ومعجم ما استعجم للبكرى، ٢/٦٦٠.

[5] كان هبيرة بن وهب متزوجا من أم هانئ بنت أبى طالب، وأنجبت منه جعدة وهانئ، وكـان هـو وابـن الزبعرى يهجوان بشعرهما الرسول ﷺ ، والمسلمين فأباح دمهما يوم الفتح، فلما علما بذلك فرا إلى نجران يحتميان بهـا، فبعثت أم هانئ إلى هبيرة كى يعود بعد أن استأمنت له من النبى ﷺ ، فلـم يعـد، ثـم مـا لبـث أن مـات ـــ

يأمنا من الخوف ـ كما يقول الواقدى ـ حتى دخلا حصن نجران، فقيل لهما ما وراءكما؟ قالا: أما قريش فقد قتلت، ودخل محمد مكة، ونحن والله نرى أن محمداً سائر إلى حصنكم هذا، فجعلت بنو الحارث بن كعب يصلحون ما رثّ من حصنهم وجمعوا ماشيتهم فى الحصن[1] وكان يقيم بمنطقة نجران فى ذلك الوقت بطون من قبائل مختلفة منها:

– بطون من بنى الحارث بن كعب بن عمرو من مذحج وأشهرهم بنو عبد المدان بن عمرو بن الديان، وكانت لبنى الحارث سطوة وجاه، أصحاب زرع وتجارة، وكانت لهم مع غيرهم وقائع مشهورة لهم الغلبة فى معظمها ولذا فإن الرسول ﷺ سأل وفدهم حين قدم بإسلامهم: بم كنتم تغلبون من قبل من قاتلكم فى الجاهلية؟. قالوا، استحياء: لم تكن نغلب أحداً، قال: بلى، قد كنتم تغلبون من قاتلكم قالوا: كنا يا رسول الله نجتمع ولا نتفرق، ولا نبدأ أحداً بظلم قال: صدقتم، وأمّر عليهم قيس بن الحصين ذى الغصة[2] وكان يقصدهم الشعراء فيمدحونهم لينالوا جوائزهم، وقد مدحهم الأعشى قائلا:

--- مشركاً ولما ابن الزبعرى فكتب له حسان بن ثابت شعرا يحثه فيه على القدوم، والدخول فى الإسلام فعاد، وأسلم، واعتذر للرسول عليه السلام، وندم على ما كان منه، الجمهرة، ص ١٦٥ وابن الأثير ٢/ ٢٥٠.

[1] المغازى للواقدى، ص ٨٤٧، والطبرى ٣/٦٣، وابن الأثير، ٢/ ٢٥٠، والجمهرة، ص ١٤١، ١٦٥.

[2] سمى ذو الغصة، لغصة كانت تعتريه فى حلقه حين يتكلم، وكان فارسا من ذوى المرباع، أى الذين كانوا يأخذون ربع الغنيمة التى يغنمها قومه فى حروبهم مع غيرهم، حضرها أم لم يحضرها. أنظر سيرة ابن هشام ٤/٢٤١.

فكعبــة نجران حتـمٌ عليـــ ـــك حتى تناخي بأبوابهـــا

نزور يزيـد وعبـد المسيـح وقيســاً همـو خـير أربابهـــا

ونظرا لمنعتهم هـذه فلـم يخضعـوا لهيمنـة أحـد، والكعبـة التـى عناهـا الأعشى هى البيعة أو الكنيسة التى بنوها فـى نجـران[1]، وقيـل لدريـد بـن الصمة وكـان فـارس هوازن، ولـه معهـم وقـائع مشـهورة: أينجـو بنـو الحـارث ابن كعـب مـن هجـائك؟ وقـد قتلـوا أخـاك خـالدا ؟[2] فقـال: إن القـوم جمـرة مذحـج، وهـم أكفـاء جشـم ــ أى قبيلـة دريـد ــ ولا يحمـل بـى هجـاؤهم، ولكنـه لم يلبـث أن عـابهم بشـعر، فرد عليه عبدا لله بـن المـدان بشـعر ممـاثل ليس فيـه كثير هجـو[3]، منهـم الربيـع بـن زيـاد بـن عبـد المدان والى خراسـان عام ٥١ هجريـة فـى عهـد معاوية[4].

- بطـن مـن بنـى يـام بـن أصبـى بـن رافـع مـن حاشـد مـن همـدان وتفرعـت منهـم بطـون عديـدة، وكـانوا يتصفـون بـالقوة والمنعـة، وكـان منهـم رجـال صـالحون: كزيـد بـن الحـارث اليـامى، وابـن عمـه طلحـة بـن مطـرف النعلـى اليـامى، وكـان أحدهمـا مـن شـيعة علـى بـن أبـى طـالب، والثـانى

---

(1) تاريخ ابن خلدون، ٢/٥٧، والأغانى، ١٠/١٣٥.

(2) قيل إن الذى قتله من أخوة دريد هو عبدالله بن الصمة، وليس خالدا.

(3) الأغانى، ٩/١٥، ١٦.

(4) الصبرى، ٥/٢٨٥.

عثمانيا من أتباع معاوية، وكانا يلتقيان فلم تحدث من أحدهما للآخر كلمة خشنة إلى أن ماتا[1]

- قبيلة نهد بن زيد بن ليث، من قضاعة، وكان منهم حنظلة بن نهد، الذى كان يعد من أشراف العرب فى الجاهلية، وكانت له منزلة بعكاظ فى مواسم العرب، وكان يجاورهم فى منازلهم بنجران بنو عمومتهم من جرم، ثم وقع بينهم خلاف وتباعد، فلحقت نهد وحالفت بنى الحارث، ونزحت جرم إلى زبيد ببلادهم وحالفتهم، ثم ما لبث أن وقعت حرب بين بنى الحارث بن كعب وبين زبيد،؟ وكانت الواقعة فيها على زبيد، فعادت جرم مرة ثانية إلى بنى عمومتهم نهد، وأقاموا معهم بنجران حتى ظهر الإسلام[2] وكانت مواطنهم بنجران تتصل فى جنوبها الغربى بأرض بنى عقيل بن عامر، وأرض خثعم[3] بالقرب من تبالة، ومما لوحظ أنه فى عمرة الحديبية عام ٦هـ والرسول ﷺ مقيم على أبواب مكة، وقد منعته قريش من دخولها لأداء العمرة، والرسل تروح وتعود بينه وبين قريش، لقى بعض الصحابة جماعة من رعاة الشاة والنعم، يسوقون قطيعا ضخما، فاستوقفوهم وسألوهم من أين؟ قالوا: من بنى نهد نستتبع مواقع الغيث نرعى الشاة والإبل، فاشترى منهم الصحابة بعض ما كان معهم من لبن وغيره، وأخبروا الرسول ﷺ بأمرهم، فأذن لأصحابه أن يأكلوا مما

---

(1) الجمهرة، ص ٢٩٤.

(2) معجم ما استعجم للبكرى ٣٢/١، ٤٣، وتتمة المختصر فى أخبار البشر (تاريخ ابن الوردى) ١٤٠/١.

(3) الأغانى ، ١٤١/١١.

اشتروه منهم[1]، ونزحت منهم بطون عديدة إبان الفتوحات الإسلامية، واستوطنوا الشام والعراق، وخراسان، وإفريقيا، والأندلس، منهم قسورة ابن معلل النهدى ولى سجستان لبنى أمية، ومنهم المحدث عثمان النهدى، الذى أدرك الجاهلية وأسلم فى حياة النبى ﷺ ولم يره وأدى الزكاة لعماله ثلاث سنين ثم قدم المدينة فى عهد عمر بن الخطاب وشهد اليرموك، والقادسية، وغيرها، وتوفى وعمره مئة وثلاثون عاما[2] .

أما بنو جرم فأقبل وفد منهم على رسول الله ﷺ بالمدينة عام ٩هـ يتقدمه سلمة بن قيس الجرمى، والأصقع بن شريح الجرمى، وهوذة بن عمرو بن يزيد الجرمى، فأعلنوا إسلامهم، وإسلام من وراءهم من قومهم، وكتب لهم الرسول ﷺ كتابا على ما أسلموا عليه من أرضهم[3]

ونلحظ أن الراوى عن وفد قبيلة جرهم يعطينا صورة واقعية عن بعض ما كان يدور فى المنطقة إبان البعثة النبوية وعن مدى ارتباطها وتأثرها بما يحدث وسط بلاد العرب، وبالأخص مكة المكرمة. يقول عمرو ابن سلمة بن قيس الجرمى: كنا بحضرة ماء يمر الناس عليه، وكنا نسألهم: ما هذا الأمر الذى حدث فى مكة؟ فيقولون: رجل زعم أنه نبى الله، وأن الله أرسله، وأن الله أوصى إليه كذا .. وكذا. فجعلتُ لا أسمعُ شيئا مما

---

(1) المغازى، ص ٥٧٥، والسيرة الحلبية، ٢/٧١٦.

(2) البداية والنهاية لابن كثير، ٩/٢١٢، والجمهرة، ص ٤٤٦-٤٤٧.

(3) الطبقات لابن سعد، ١/٣٣٥، ٣٣٦.

يتلونه من القرآن إلا حفظته، كأنما يُغَرَّى في صدري بغراء حتى جمعت وحفظت قرآنا كثيراً، وكانت العرب إذ ذاك تُعاب وتُلوَّم لتركها دين آبائها إلى الإسلام، قبل فتح مكة، فيقولون: انتظروا فإن ظهر وانتصر على قومه فهو صادق، وهو نبي، فلما جاءتنا وقعة الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، فانطلق أبي بإسلام حيِّنا وعشيرتنا مع رؤساء القبيلة، وأقام مع رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقيم، ثم أقبل، فلما دنا منا تلقيناه، فلما رأيناه، قال: جئتكم والله من عند رسول الله حقا، إنه يأمركم بكذا .. وكذا، وينهاكم عن كذا .. وكذا، وأن تُصَلُّوا كذا .. وكذا .. وليؤمكم أكثركم قرآنا. فنظروا فلم يجدوا أحداً أكثر قرآنا مني، للذي كنت أحفظه من الركبان العابرين بحينا فقدموني بين أيديهم فصليت بهم وأنا أصغرهم[1]

وكانت أرض نهد وأرض جرم مجاورة لأرض بني عقيل بن كعب ابن ربيعة بن عامر، وذهب وفد عقيل بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ، وبعد إعلان إسلامهم، قدموا للرسول ﷺ ما ثبت أن هناك واد في حوزتهم، وهو وادي العقيق، وكان به نخل ومياه، وقيل معدن، فكتبه الرسول ﷺ لهم في كتابهم[2]، وكان هناك عقيق آخر، ماء لبني جعدة وجرم، تخاصموا فيه إلى النبي ﷺ، مع بني عقيل فقضى به لبني جرم[3] وهو ماء

---

(1) الطبقات لابن سعد، ١/٣٣٧.

(2) مجموعة الوثائق السياسية، ص ٢٦٣، وطبقات ابن سعد، ١/٣٠١،٣٠٢.

(3) معجم البلدان لياقوت الحموي، ج٤، ص١٣٩، والجمهرة ص٤٥١.

فى أرض بنى عامر، كما جاء فى الاصابة[1] فقال أسماء بن رباب بن معاوية الجرمى، يخاطب عشيرته من جرم :

وإنى أخو جرم كما قد علمتم ... إذا جمعت عند النبى المجامع

فإن أنتم لم تقنعوا بقضائه ... فإنى بما قال النبى لقانع

كما كان بنجران بطن من شاكر، وسواها[2] والذين تنصروا كانوا من أفراد هذه القبائل ومن غيرهم، كما كانت بها طائفة حرفية تعمل فى صناعة الجلود، والنسيج وغيره مما اشتهرت به نجران. ويبدو أن معظم قبائل منطقة نجران كانت تضمهم تحالفات فيما بينهم.

وكانت تربطهم بقريش علاقات تجارية، بالإضافة إلى ترددهم على مكة فى مواسم الحج ممن لم يَتَنَصَّر منهم، وكانوا هم الأغلبية من أبناء المنطقة، أما الذين تنصروا فقد بلغهم خبر بعثة رسول الله ﷺ من المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة، فالظاهر أنهم كانوا يترددون عليها لأنه تجمعهم ديانة واحدة، فقدم وفد منهم إلى مكة قبل الهجرة، وسألوا عن رسول الله ﷺ، فوجدوه جالساً حول الكعبة، فجلسوا إليه، وأخذوا يسألونه، ثم قرأ عليهم القرآن، فسالت أعينهم من الدمع، ويقال إنه نزل فى شأنهم قوله

---

(1) الاصابة، ج1، ص39، 40، ترجمة اسماء بن رباب، وفى معجم البلدان، أن قائل هذين البيتين هو معاوية بن عبد العزى بن ذراع الجرمى، بينما فى الاصابة أن قائلهما هو اسماء بن رباب، بالباء بعد الراء.

(2) الهمدانى، ص 279.

تعالى: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾[1] فقد عرفوا أنه الموصوف فى كتابهم، لكنهم قاموا، وقالوا: ننظر ونرى، فلما قاموا من حول الرسول ﷺ إعترضهم نفر من قريش، فقالوا لهم خيبكم الله من ركب، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون الأخبار لهم، لتأتوهم/بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى كدتم تفارقون دينكم، وتصدقوه فيما قال ؟! لا نعلم ركبا أقل وأحمق عقلا منكم. فقالوا لهم: لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه[2].

لكن للمرء أن يتساءل إذا كان أصحمة ملك الحبشة قد تعاطف مع المسلمين الذين هاجروا إلى بلاده، وحماهم من قريش عندما بعثت تطلب ردهم إليها فامتنع، وازداد عطفه عليهم، وفى بعض الروايات يقال إنه أسلم[3]، أفلم يكن من الأولى بنصارى نجران أن يتبعوا الرسول ويدخلوا فى حظيرة الإسلام؟ خاصة وأن النبى الذى ينتظرونه جاء من بين العرب وأن غالبيتهم عرب مثله، أحرى بهم أن يدعموه، ويسارعوا فى تأييد ما جاء به، لكن يبدو أن الرهبانية قد فعلت فعلها فيهم، ورانت على أبصارهم غشاوة العصبية لعقيدتهم[4] أو خشوا على مناصبهم مثل غيرهم

---

(1) سورة المائدة، آية ٨٣.

(2) السيرة الحلبية، ٣٨/٢.

(3) ابن الأثير، ٢١٣/٢.

(4) تاج العروس، للزبيدى، يقول أنه كان بالبيعة (الكنيسة) أساقفة متيمون، أى ترهبنوا، ٦٥٥/٣.

ممن لم يسلموا لهذا السبب.. لكن الحقيقة أنه أسلم منهم أناس، وحتى الذين لم يسلموا ظلوا موادعين ومسالمين، ولم ينحرفوا غالبا — في تيار النزاع بين المسلمين وخصومه كما فعل اليهود من بني قينقاع، وبني النضير، وقريظة، وخيبر. ولذا نلحظ أن جيوش المسلمين التي وجهت إلى المنطقة لم ترغمهم على الدخول في الإسلام، مثلما أرغمت القبائل جيرانهم التي تدين بالوثنية على الدخول في الإسلام، وإنما خيرتهم بين الإسلام، أو دفع الجزية إن استمروا على نصرانيتهم، وهو مبدأ إسلامي في غاية العدل والإنصاف بالنسبة لمعاملة أهل الكتاب بصفة عامة، ثم وَفَد منهم وفد على النبي ﷺ بالمدينة في السنة العاشرة من الهجرة. وقيل كان لهم فيما بعد إتصال بالأسود العنسي[1]

واختلف في عدد الوفد[2] ولما قدموا المدينة، دخلوا المسجد وجلسوا إلى الرسول ﷺ فعرض عليهم الإسلام، وتلى عليهم القرآن، فامتنعوا وقالوا:

قد كنا مسلمين قبلك، فقال لهم: كذبتم، يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادة الصليب، وأكلكم لحم الخنزير، وزعمكم أن لله ولداً.

---

[1] فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي، ص ٤٦٣، طبعة قطر.

[2] فمن قال إنهم كانوا أربعة عشر، الطبقات لابن سعد، ١/٣٥٧، ومن قال إنهم كانوا ستين، السيرة الحلبية، ٢٣٥/٣، ٢٣٦.

وجلسوا يحاورن الرسول، حتى هَمَّ بمباهلتهم، فتراجعوا وطلبوا الموادعة والصلح، فصالحهم، وكتب لهم بذلك كتابا للصلح جاء فيه : عليهم دفع جزية ألفى حلة منها ألف تدفع فى رجب، وألف فى صفر[1]، وكل حلة أوقية (أى قيمتها أوقية من فضة)، وعليهم مثواة (أى ضيافة) رسلى عشرين يوما فدون ذلك، وعليهم عارية" ثلاثون درعاً، وثلاثون فرساً، وثلاثون بعيراً، إذا كان باليمن كيد (للمسلمين) وما هلك مما أعاروا رسلى من دروع، أو خيل أوركاب فهو ضمان على رسلى حتى يؤدوه إليهم ولنجران (أى النصارى منهم) وحاشيتهم جوار الله، وذمة محمد النبى ﷺ على أنفسهم، وملتهم، وأرضهم، وأموالهم، وغائبهم وشاهدهم، وبيعهم وصلواتهم، لا يُغَيَّر أسقف عن أسقفيته، ولا راهبا عن رهبانيته، ولا واقفا عن وقفانيته، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ليس ربا (أى لا يتعاملوا بالربا) ولا دم جاهلية، ومن سأل منهم حقا فبينهم النَّصف، غير ظالمين، ولا مظلومين لنجران، ومن أكل ربا من ذى قبل، فذمتى منه بريئة.

وشهد على هذه الصحيفة كل من أبى سفيان بن حرب وغيلان بن عمرو، ومالك بن عوف النصرى، والأقرع بن حابس، والمستورد بن

---

[1] عن كل حالم : أى بالغ، حلة واحدة فى العام كما هو الشأن فى معاملة أهل الذمة بالمناطق الأخرى كاليمن، وعمان، والبحرين.

عمرو، والمغيرة بن شعبة، وعامر مولى أبى بكر الصديق[1]، وكان وفدهم يتقدمه من رؤساء نصارى نجران كل من العاقب، وهو عبدالمسيح بن دارس بن عربى بن معيفر، من كندة، وكان يعتبر أميرهم وصاحب مشورتهم وكذلك السيد أبو الحارث بن علقمة، قيل إنه من بكر وائل[2] وهو أسقفهم وحبرهم، وأخوه كرز بن علقمة، وبشير بن معاوية بن علقمة النجرانى وغيرهم، وكانوا قد طلبوا من الرسول ﷺ قبل عودتهم أن يبعث معهم رجلا أمينا يحكم بينهم فى بعض الأمور، ويقبض الجزية، ومن ثم يعود. فقال لهم: سأبعث معكم أمينا، أىّ أمين؟ ونادى أبا عبيدة بن الجراح وقال لهم: هذا أمين هذه الأمة، ثم لحقهم أبو عبيدة بعد رحيلهم[3]، فكان هو أول من قبض الجزية من نصارى نجران.

وفى طريق عودتهم كان الأسقف أبو الحارث يركب دابة فعثرت به فذكر أخوه بشير — الذى كان يسير على مقربة منه — النبى ﷺ بسوء وهو يزبر الدابة، فزجره أخوه الأسقف قائلا: لقد ذكرت نبيا مرسلا بسوء، فقال بشير فى عجب: لا جرم، والله لا أحل عن دابتى حتى ألحق به، وأتّبعه، ثم ضرب وجه دابته نحو المدينة فأسلم، وظل ملازما للرسول

---

(1) الطبقات لابن سعد ١/٢٨٨، ٣٥٧، والطبرى ٣/١٣٩، وابن الأثير، ٢/٢٩٣، والسيرة الحلبية ٢/٢٣٥-٢٣٦، وكتاب "الأموال" لحميد بن زنجويه، ٢/٤٤٩، والأموال لابن سلام، ص ٣٩، والبداية والنهاية لابن كثير، ٥/٦٠-٦٥.

(2) تاريخ بن خلدون، ٢/٥٧، وفيه : أبو حارثة، بدلا من أبى الحارث.

(3) الإصابة لابن حجر، ٢/٢٥٢، ترجمة أبى عبيدة، وقيل : ذهب مع وفد غير نصارى نجران، وانظر : التبيين فى أنساب القرشيين لموفق الدين بن قدامة، ص ٤٤١، وسيرة ابن هشام ٢/٢١٩، والتراتيب الإدارية ٢/٣٩٢.

ﷺ بالمدينة، يجاهد حتى استشهد فى أحد المعارك[1] وما أن استقر الوفد بنجران قليلاً، حتى عاد العاقب عبدالمسيح، والأسقف أبو حارث إلى المدينة، فأسلما وحسن إسلامهما [2] وعادا إلى موطنهما نجران ليكونا ضمن الدعاة إلى الإسلام.

ثم أقام نصارى نجران على ما كتب لهم به النبى ﷺ حتى قبضه الله، ولما ولى أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ جدد لهم عهدهم، وفى بداية عهد عمر رضى الله عنه، أصابوا ربا، وكان فى عهدهم شرط ألا يأكلوا الربا، فأجلاهم عمر عن نجران[3]، وقيل كانوا قد تكاثروا وتحاسدوا فيما بينهم، فأتوا عمر بن الخطاب وطلبوا منه أن يجليهم عن نجران إلى موقع آخر، وكان عمر قد خافهم على المسلمين بالمنطقة، فاغتنمها فرصة وأجلاهم، أو وافق على إجلائهم، ولكنهم ما لبثوا أن ندموا وأرادوا أن يتراجعوا، وأتوا عمر يطلبون منه أن يستقيلهم من طلبهم الجلاء فأبى عمر[4]، وقيل أخرجهم لحديث روى عن رسول الله ﷺ فى مرضه الذى توفى فيه أنه قال : لئن عشت لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب، حتى لا أدع فيها إلا مسلماً، وفى رواية : لأخرجن

---

[1] طبقات ابن سعد، ٣٥٨/١، الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر، ٣١٥/١.
[2] طبقات ابن سعد، ٣٥٨/١، وابن الأثير، ١٩٣/٢، ١٩٤. وابن خلدون، ٥٧/٢.
[3] السيرة الحلبية، ٧٧١/٢، طبقات ابن سعد، ٣٥٨/١، وابن الأثير، ١٩٤/٢.
[4] ابن الأثير، ٣٥٨/١، وكتاب "الأموال" لحميد بن زنجويه، ٢٧٦/١.

اليهود، والنصارى من الحجاز، وفى رواية أخرى : لا يجتمع فيه دينان[1]، ويقول البعض إن مقصد الرسول ﷺ إخراجهم من الحجاز بدليل الرواية التى تنص على ذلك، وليس من جميع بلاد العرب، ولذا فإن عمر أجلاهم عن الحجاز فقط، فأجلى بقية اليهود الذين كانوا بخيبر، وفدك، و النصارى من نجران لأن نجران تعد آخر مناطق الحجاز و لم يجلهم عن تيماء، وهى من جزيرة العرب لكنها ليست من الحجاز، و لم يجل آخرين فى مناطق أخرى من بلاد العرب[2] وقد جرت مناقشات فى القرن الثانى عشر الهجرى بين فقهاء الزيدية حول مسألة إقامة اليهود فى اليمن، وكان من رأى بعضهم أن قول الرسول ﷺ لا يسرى على اليمن[3] ولعل هذا يؤكد ما سبق أن قلناه عن نجران من كونها مرتبطة بالحجاز وجزء منه.

وقد كتب لهم عمر كتابا عند جلائهم يوصى بهم من نزلوا لديه من أمراء الشام والعراق، وفى المكان الذى يودون النزول فيه، وأن يوسعوا عليهم الأرض التى يريدونها وكان قد عوضهم أثمان أرضهم وبيوتهم وكل ما تركوه، ومالم يستطيعوا حمله معهم[4]، وهذا يعنى أن بلدهم وأرضهم التى عوضهم عنها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أصبحت ملكا

---

(1) أنظر : أبو داود، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وكتاب الأموال لابن سلام، ص ١٤١-١٤٢.

(2) أنظر : السيرة الحلبية، ٧٧١/٢، والأحكام السلطانية للماوردى، ص١٦٧، ١٦٨، وابن الأثير ٢٩٣/٢.

(3) كتاب اليمن قبل الإسلام، م.ب بيتروفسكى، ترجمة الشعيبى، ص ٢٤١.

(4) كتاب الأموال للقاسم بن سلام، ص ١٤٣، والسيرة الحلبية، ٧٧١/٢، والطبقات لابن سعد ٣٥٨/١.

للدولة يستثمرها لصالح الدولة، كما استثمرت أراضي بني قينقاع والنضير، وقريظة، ثم خيبر في عهد الرسول ﷺ .

وعلى كل فإن هذا هو موقف نصارى نجران، أما موقف القبائل أو بالأحرى موقف أهل الحضر والبادية وهم الغالبية الغالبة في نجران فقد كان للإسلام معهم موقف آخر، أي لا صلح ولا دفع جزية كالنصارى أو اليهود، وإنما كانوا مثل بقية العرب، في بلاد العرب خاصة، لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، ودعونا ننظر تتابع الأحداث وترابطها في خلال فترة تكوين الدولة في عهد الرسول ﷺ.

كان بنو الحارث بن كعب لهم صولة ومنعة في الجاهلية، ودخلوا في تحالفات مع القبائل الأخرى بنجران، كبني نهد وجرم[1]، وغيرهم، فازدادوا بذلك قوة ومنعة، وربما يكون إحساسهم بقوتهم دفعهم إلى التباطؤ في الدخول إلى الإسلام، وليس مثل القبائل المجاورة لهم في الشمال الغربي، خثعم، والأزد، وبجيلة ، وغيرها، فقد كانت ديار بني نهد ويسام، وجرم، وهي قبائل معظمها نجرانية تجاور ديار خثعم، وغيرها في الجنوب من بيشة وتبالة[2]، وهذه أسلمت، وتباطأ بنو الحارث بن كعب ومن

---

(1) الطبقات لابن سعد، ٢٦٨/١، وابن الأثير ٦٣٣/١، والبداية والنهاية لابن كثير ١١٠/٥-١١٢، وأيضاً معجم ما استعجم للبكري ٤٣/١، ونزحت بطون عديدة من نهد خلال الفتوحات.

(2) صفة جزيرة العرب للهمداني ص ٢٥٣،٢٥٢ جاء فيه "ثم وطن بنجران، يطرد ويتتابع منها ناحية الحجاز إلى حدود زبيد ونهد من ناحية جارة، وملاح، وعتنات، فإلى ما يصالي خليف دكم من أعالي حبونة.

حالفهم بنجران، مما دعا الرسول ﷺ إلى أن يبعث لهم خالد بن الوليد يقود أربعمائة من المسلمين إليهم في شهر ربيع الأول عام ١٠هـ[١]

وأمر الرسول ﷺ خالدا، إذا نزل بساحتهم أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، قبل أن يقاتلهم، فإن استجابوا للإسلام قبله منهم، وإن لم يستجيبوا قاتلهم، فخرج خالد حتى قدم عليهم بلادهم فبث الركبان يضربون في كل وجه، يدعون الى الإسلام ويقولون: أيها الناس أسلموا تسلموا. فأسلم الناس ودخلوا فيما دعوا إليه، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وبذلك دخل أهل نجران جميعا في الإسلام، حاضرتهم، وباديتهم، ـ فيما عدا أهل الذمة، النصارى ـ وكتب خالد بذلك للرسول ﷺ يعلمه بإسلامهم وطاعتهم، فكتب له الرسول ﷺ أن يقبل إلى المدينة، وليقبل معه وفدهم[٢] وكان خالد خلال إقامته بنجران يعلم أهلها الدين ويفقههم هو ومن معه من الصحابة بأمور الإسلام، وكان يبث الركبان والدعاة إلى القبائل اليمنية المجاورة، وبالأخص قبيلة مذحج، التي كانت تقيم فيما بين صعدة وصنعاء في الجنوب الشرقي من تلك المنطقة، ومذحج بطون وأفخاذ عديدة، منهم من كان أسلم ومنهم من هو متباطئ، فبعث إليهم خالد الدعاة فلم يستجيبوا، ويبدو أنه أفاد

---

[١] طبقات ابن سعد، ٣٣٩/١، وقيل ذهب إليهم في جمادى الأولى، سيرة ابن هشام، ٢٣٩/٤، ويقول محقق سيرة ابن هشام في تعليقه على نجران : إنها بلد بين اليمن وهجر، أي أنها ليست من اليمن.

[٢] سيرة ابن هشام، ٢٣٩/٤، والطبقات، ٣٣٩/١، وتاريخ ابن خلدون، ٥٣/٢، والطبري، ١٢٦/٣ وبهجة المحافل وبغية الأماثل، لابن يحيى العامري، ٧٥/٢،٧٦، والبداية والنهاية ١١١/٥.

الرسول ﷺ بموقف هؤلاء المتباطئين، لكي يأذن له بقتالهم .. لأن مهمته التي حددها له الرسول ﷺ، هي قبائل نجران، ولأن خالد استمر بنجران حوالى ستة أشهر، فإن الرسول ﷺ، أراد أن يوكل مهمة قبائل مذحج وغيرها من القبائل التي لم تسلم بعدُ بأرض اليمن إلى قائد آخر غير الذى طالت غيبته، فأوكل تلك المهمة إلى علي بن أبي طالب بدلا من خالد، وطلب من خالد أن يقدم بوفد من أهل نجران الذين أسلموا، وكانت تعليمات الرسول، إلى علي بن أبي طالب أن يذهب أولا إلى نجران ليقابل خالد ويقبض منه خمس ما معه من الغنائم، وماقبضه من زكاة ممن أسلموا، أو جزية من النصارى، وأن يخير جنود خالد في البقاء معه أو العودة مع خالد، ومن أراد منهم الإستمرار في الجهاد فلينضم إلى من معه من جند، وكان مع عليٍّ حين خرج من المدينة ثلاثمائة جندي[1] كما كان ضمن التوجيهات النبوية لعلي ألا يقاتلهم إذا نزل بساحتهم حتى يقاتلوه، فإن قاتلوه فلا يقاتلهم حتى يقتلوا منه قتيلاً، وأن يبدأ بدعوتهم إلى الإسلام وأن يحرص على إسلامهم دون قتال، وقال له: لأن يهدى الله على يديك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت[2] فانطلق إليهم علي بن أبي طالب وكما يقول أهل السير والمغازي، كانت خيله أول خيل دخلت تلك البلاد ـ أي أرض اليمن ـ وبدايتها أرض مذحج[3] بين

---

[1] بهجة المحافل وبغية الأماثل، لابن يحيى العامري، ٢/٧٨، وسيرة ابن هشام، ٤/٢٠١-٢٠٥.

[2] المغازي للواقدي، ص ١٧٠٩، والطبقات لابن سعد، ١/١٦٩.

[3] أنظر السيرة الحلبية ٣/٢٢٤، والمغازي للواقدي، ص ١٠٧٩، وطبقات ابن سعد ٢/١٦٩.

صعدة وصنعاء المجاورة لنجران ويقول البراء بن عازب، وكان ممن عَقَّب مع علي، أي انتقل من جيش خالد إلى جيش علي، أي أنه كان قبلُ في نجران يقول: فلما انتهينا إلى أوائل اليمن بأرض مذحج[1]، وهذا قول صريح في أن أرض مذحج هي أول اليمن وليس قبلها شيء .. وكان هذا الجيش هو الجيش الوحيد الذي دخل أرض اليمن حتى توفي رسول الله ﷺ، وقد حدثت معه بعض مناوشات يسيرة من بعض مذحج، ثم أسلموا، فتقدم إلى أرض همدان فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا، وكانت بطون من همدان ومذحج وغيرهم أسلموا قبل ذلك. فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ [2] ثم وافى رسول الله بمكة في حجة الوداع ليؤدي معه الفريضة، وخلف على الجيش أحد القواد وهو عائد، أما خالد بن الوليد فقد عاد إلى المدينة ومعه وفد بني الحارث بن كعب، منتصف شوال عام ١٠هـ، وكان الوفد يتقدمه كل من: قيس بن الحصين ذي الغُصَّة، وكان من ذوي الشأن والمكانة، حتى أن الخليفة عمر بن الخطاب وقف يوماً يخطب الناس في خلافته، وتحدث عن موضوع تحديد الصداق ـ أي تحديد مهور النساء ـ فقال في خطبته: لا تزدد امرأة في صدقتها عن كذا .. وكذا .. ولو

---

[1] الطبري، ١٣١/٣، وتاريخ ابن خلدون، ٥٥/٢، وفيه فلما بلغ علي بن أبي طالب أوائل اليمن (هكذا)، وانظر أيضا المغازي للواقدي ص ١٠٧٩، والطبقات لابن سعد، ١٦٩/١.

[2] ابن الأثير، ٣٠٠/٢، والطبري، ١٤٨/٣، والسيرة الحلبية، ٢٢٤/٣

كانت بنت ذي الغصة[1]، كما كان ضمن الوفد يزيد بن عبد المدان، وكان بنو عبد المدان هم أولو الأمر في بني الحارث بن كعب بنجران في ذلك الوقت، ومن الوفد أيضا أخوه يزيد بن عبد المدان، ويزيد بن المحجل، وعبد الله بن قراد الزيادي، وشداد بن عبد الله الضبابي وعمرو بن عبد الله الضبابي، وعند قدومهم المدينة أنزلهم خالد بن الوليد لديه حتى استراحوا وأصلحوا من هندامهم، ثم صحبهم إلى رسول الله ﷺ فسلموا وأعلنوا إسلامهم ومبايعتهم، وتقول بعض الروايات إن الرسول قال لهم بعد أن سلموا، أنتم الذين إذا زُجِرُوا استُقدموا، قالها لهم على سبيل التقريع لتباطئهم في الانضمام إلى الإسلام حتى وطأتهم الخيل[2]، ثم أخذ الرسول ﷺ يتحدث معهم عن حروبهم في الجاهلية، وكيف كانوا يتغلبون على من حاربهم، وهو دليل على قوة بأسهم في الجاهلية، وكانوا قبيل الإسلام وقعت بينهم وبين كندة حرب أسروا خلالها الأشعث بن قيس الكندي، فافتدى بثلاثة آلاف بعير، وكانت تعد أكبر فدية دفعت لعربي حتى ذلك الوقت[3]، وبعد أن أكرمهم الرسول ﷺ وأهداهم كما يهدي الوفود، أمّر عليهم قيس بن الحصين وعادوا إلى نجران أواخر شوال عام ١٠هـ، ثم بعث الرسول ﷺ خلفهم عمرو بن حزم الأنصاري ليفقههم في الدين

---

(١) أنظر : بهجة المحافل وبغية الأماثل، لأبي بكر العامري، ٧٥/٢، والظاهر أن خطبة عمر هذه هي التي اعترضت فيها المرأة القرشية على قوله في تحديد المهور، مستدلة بكتاب الله، مما جعل عمر يقول: أصابت امرأة وأخطأ عمر، أو قال : كل الناس أفقه منك ياعمر، أنظر كتاب "مناقب أمير المؤمنين عمر لابن الجوزي" ص١٤٩.

(٢) سيرة ابن هشام ٢٣٩/٤-٢٤١، وتاريخ ابن خلدون، ٥٣/٢، وبهجة المحافل ص٧٦.

(٣) جمهرة أنساب العرب، ص ٤٢٦.

ويأخذ منهم صدقاتهم وزكاتهم، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهداً وأمره فيه بأمره، ويقول عنه بن خلدون: إنه كتاب وقع فى السير مرويا واعتمده الفقهاء فى الإستدلالات، وفيه أسس كثير من الأحكام الفقهية[1]، وكان قيس بن الحصين يعتبر أميرا على بنى الحارث بن كعب فقط، ويبدو أنه كان لكل قبيلة أمير، والجميع يخضعون لرئاسة عمرو بن حزم لأن هذا هو الملاحظ فى المناطق الأخرى.

المهم أن عمرو بن حزم استمر واليا على منطقة نجران بكاملها فى عهد الرسول ﷺ مع أنه كان يقدم إليها بعض الصحابة، إما لحمل باقى الصدقة إلى المدينة، أو لتعليم الناس أمور دينهم، ثم يعودون عند انتهاء مهمتهم إلى المدينة مثل أبى سفيان بن حرب الذى أرسله النبى ﷺ ليفقه الناس فى أمور دينهم ويؤمهم فى الصلاة، وراشد بن عبد ربه السلّمى للنظر فى قضايا الناس، وقال شعرا وهو بنجران جاء فيه[2]:

صحا القلب من سلمى وأقصر شأنه ... وردت عليه ما نفته تماضر

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالإياب المسافر

---

[1] تاريخ بن خلدون، ٢/٥٣، ٥٤، وبهجة المحافل، ٢/٧٦، والتراتيب الإدارية للكتانى، ١/١٦٨، وسيرة ابن هشام ٤/١٩٠، ٢٤١، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى، للدكتور محمد حميد الله، ص ٢٧٣.

[2] العقد الفريد لابن عبدربه، ٢/٥١، ونسب ابن كثير فى البداية والنهاية ١٠/١٠٩ البيت الثانى إلى معقر بن أوس البارقى، وقيل : إن أبا سفيان بن حرب أرسل أميرا على نجران فى عهد أبى بكر الصديق.

ويبدو أن القبائل فى المنطقة كانت بحاجة إلى من يساعد عمرو بن حزم الأنصارى فى بداية عمله، وبعد أن استقرت الأمور، عاد أبو سفيان وابن السلمى إلى المدينة، وبقى ابن حزم وهو الوالى المقيم بالمنطقة، واستمر كذلك حتى فتنة العنسى، ثم ذهب إلى المدينة عند وفاة الرسول ثم ذهب إلى العراق حين اقتضت الظروف، والتوسع فى الفتوحات تواجده فى تلك الميادين فاستدعاه أبو بكر الصديق للذهاب مددا لخالد بن الوليد، وكان قد خلفه والياً على نجران، جرير بن عبد الله البجلى، ولما استدعى أيضا إلى العراق خلفه على ولاية نجران يعلى بن أمية[1] الذى أشرف على إجلاء نصارى نجران، بأمر من عمر[2]، وقيل: ذهب عمرو بن حزم إلى العراق أواخر عهد أبو بكر، وبقى مع المثنى بن حارثة عندما تركهم خالد واتجه إلى الشام[3] .

وممن ينسب إلى نجران التى هى من أعمال مكة، كما يقول الزبيدى: بشر بن رافع النجرانى، أبو الأسباط، ومحمد بن عمرو بن حزم الأنصارى، قتيل يوم الحرة، لأنه ولد بها فى حياة الرسول ﷺ وقت أن كان أبوه واليا عليها، وعبيدة بن العباس بن الربيع النجرانى[4] .

---

(1) يعلى بن أمية : هو يعلى بن أمية بن أبى عبيدة بن همام بن الحارث، الحنظلى، التميمى، نسب أحيانا إلى أمه: منية بنت جابر، عمة عتبة بن غزوان بن جابر المازنى، الذى اختط البصرة، وقيل : أخت عتبة، وقد نسب إليها يعلى، فقيل بن منية، وهو صحابى جليل، له دور بارز فى حروب الردة بالمنطقة، الجمهرة ص ٢١٣، ٢٢٩، وابن الأثير، ٢/٤٠.

(2) كتاب "الأموال" لحميد بن زنجويه، ١/٢٧٩.

(3) الأخبار الطوال للدينورى، ص ١١٢.

(4) تاج العروس للزبيدى، ٣/٥٥٦.

ويتضح من هذا العرض أن نصارى نجران أسلم بعضهم وأقام البعض الآخر على نصرانيته، وأعطى لهم الرسول ﷺ عهدا لأمانهم في ظل الإسلام بشروط نص عليها في العهد مقابل دفع جزية، أما القبائل العربية في نجران، وهم الغالبية فأسلم بعضها مبكرا، وأسلم الباقي منهم على يد خالد بن الوليد، ثم أقام بينهم فترة يفقههم في أمر الدين، وفي الوقت نفسه بث الدعاة والركبان إلى القبائل المجاورة من بطون مذحج بأرض اليمن. ولما كانت مهمته هي نجران فقط، فقد أرسل الرسول ﷺ عليا بن أبي طالب إلى أرض اليمن، فبدأ ببطون مذحج، وكانت خيله أول خيل وطئت أرض اليمن كما يقول المؤرخون.

٣- موقف الملوك والحكام من الإسلام :

عند ظهور الإسلام كانت هناك قوتان عظميان تحيطان ببلاد العرب أو بالأحرى بوسط شبه الجزيرة العربية من الشمال، هما دولة الروم البيزنطية، ودولة الفرس الساسانية، وقد استحكم التنافس والصراع بينهما وتوزعت هيمنتهما على كثير من الأمم والشعوب، حيث نجد أن الحبشة كانت تربطها بدولة الروم التوافق في العقيدة، وما يتبع ذلك من الأمور الإقتصادية والسياسية، كما كانت تخضع للروم وتأتمر بأوامرها كل الممالك والإمارات التي كانت تحكم الشام وفلسطين ومصر وغيرها حيث كانت شعوبهم تدين بالنصرانية.

أما دولة الفرس الساسانية فقد امتدت رقعتها إلى كثير من شعوب شرق آسيا كما امتد نفوذها إلى جنوب شبه الجزيرة العربية منذ أن استعان بهم سيف بن ذي يزن الحميري عام ٥٧٥م لطرد الحبشة من اليمن[١]، واستمر نفوذهم فيها حتى ظهور الإسلام.

ولأن رسالة النبي محمد ﷺ رسالة عامة للناس كافة وليست مقصورة على العرب وحدهم أو الجزيرة العربية دون سواها فقد كان من كمالات الرسالة أن يبلغها لرؤوس الأشهاد، عربهم وعجمهم، حتى لا

---

[١] اليمن الخضراء، ص ٤٠٨.

يكون للناس على الله حجة بعد البلاغ، ومقتضيات التبليغ.. ولأن رؤوس القوم وسروات الرجال، هم الرعاة والحكام وأولو البأس والرأى فيهم، فقد بعث الرسول ﷺ كتبا إلى هؤلاء حمَّلهم فيها تبعة عدم إسلامهم وعدم إسلام رعاياهم، لأنهم تبعا لهم قبولا أو رفضا، وكما يقال : الناس على دين ملوكهم، أى تابعون لهم فيما يدينون به، وفى كل ما يفعلونه.

لما رجع الرسول ﷺ إلى المدينة من الحديبية عام ٦هـ بعد عقد هدنة مع قريش لعشر سنوات، وتهيأت الأسباب لمخاطبة هؤلاء الملوك والحكام وإبلاغهم ما أمره الله بإبلاغه. اختار ستة من أصحابه كل منهم يتكلم لغة القوم الذين بعث إليهم، وخرجوا من المدينة فى وقت واحد أوائل العام السابع الهجرى، وقيل يومها للرسول ﷺ إن الملوك لا تقرأ كتابا إلا إذا كان مختوما فاتخذ خاتما منذ ذلك اليوم[1] يوقع به على كافة مكاتباته.

خرج عمرو بن أمية الضمرى حاملا كتاب الرسول ﷺ إلى النجاشى ملك الحبشة، وكان المسلمون المهاجرون مازالوا هناك، جعفر بن أبى طالب ومن كان معه من المهاجرين، فيقال: إن النجاشى عندما قرأ الكتاب أسلم وبعث بإسلامه مع جعفر وعمرو بن أمية الضمرى، وبقية المهاجرين الذين عادوا من الحبشة، ووافوا الرسول ﷺ بخيبر، هم ووفد الأشعريين والدوسيين فقسم لهم أسهما من مغانم

---

(1) طبقات ابن سعد ٢٥٨/١، والسيرة الحلبية ٢٨١/٣، والطبرى ٦٥٢/٢، والمقدمة لابن خلدون ص ٢٢٠.

خبير[1]، وقيل لم يسلم النجاشي[2]، وعلى كل فإن موقفه يعتبر موقف المسالم الموادع، ولذا نلحظ أنه لم توجه له الجيوش مثلما وجهت إلى الروم والفرس.

وخرج دحية بن خليفة الكلبي يحمل كتابا إلى قيصر الروم، وكان على مقربة من مدينة حمص بالشام، لأنه كان قد نذر إن نصره الله على الفرس، الذين كانوا يحتلون جزءا من بلاده، أن يمشي حافي القدمين من القسطنطينية عاصمة ملكه إلى بيت المقدس بفلسطين، فكان وقتها ينفذ نذره، وشاع خبر مسيره ذاك، فأمر الرسول ﷺ دحية أن يدفع الكتاب إلى حاكم بُصرى، وهو بدوره يرفعه إلى قيصر، فدفعه إليه وهو بحمص فقرأه قيصر واستدعى دحية وجعل يسأله عن أشياء من أمور الإسلام، ومن خصائص الرسول ﷺ. ثم بعث من يبحثون في بلاده عن أحد من العرب فجاؤوه بأبي سفيان بن حرب، وكان في تجارة بالشام، ولم يكن أبو سفيان قد أسلم بعد فجعل قيصر يسأل وأبو سفيان يجيب، ويصدقه فيما يقول، مخافة أن يتهم بالكذب أمام قيصر .. ثم سأل بطارقة الروم وغيرهم حتى تيقن من نبوة الرسول محمد ﷺ ولكنه خاف إن أظهر إسلامه ألا

---

(1) طبقات ابن سعد، ١/٢٥٨، ٢٥٩، والسيرة الحلبية ، ٣/٢٩٣-٢٩٥.

(2) السيرة الحلبية، ٣/٢٩٤، نقلا عن ابن حزم، وانظر أيضا المواهب اللدنية ٢/١٤١، وفيه أن النجاشي الذي هاجر في عهده المسلمون إلى الحبشة (وهو أصحمة) هو الذي أسلم وبعث - بإسلامه إلى الرسول ﷺ وهو الذي زوجه أم المؤمنين حبيبة بنت أبي سفيان، وصلى عليه الرسول ﷺ عند وفاته، أما الذي بعث إليه عمرو الضمري فلم يسلم.

يتبعه رؤساء الروم، وأن يخلعوه فآثر ملكه على الإسلام[1]، فضاع منه ملكه الذى استأثر به، ثم ما فتئ أن انضوى ملكه تحت راية الإسلام.

وانطلق حاطب بن أبى بلتعة اللخمى حاملا كتابا إلى المقوقس عظيم القبط بمصر، وكان يقيم فى ذاك الوقت بالأسكندرية، ويوجد حاكم عسكرى رومانى يقيم بالقاهرة، بالحصن الذى اقتحمه عمرو بن العاص عند فتحه مصر، فكان بها حاكم للأمور الدينية وآخر عسكرى، ومتولى الأمور الدينية أولى بالخطابة فى مثل تلك الأمور، وقد تسلم المقوقس الخطاب وقرأه، وأكرم حاطب، ثم بعث معه بهدية إلى رسول الله ﷺ وجاريتين إحداهما مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ولما عاد حاطب وأخبر الرسول ﷺ بما فعل معه المقوقس، قال الرسول ﷺ ضن الخبيث بملكه، ولا بقاء لملكه[2]، وقد كان.

وحمل عبدالله بن حذافة السهمى خطابا إلى كسرى يدعوه فيه إلى الإسلام فلما قرئ عليه أخذه فمزقه، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: اللهم مزق ملكه !. ثم إن كسرى كتب إلى باذان عامله على اليمن أن ابعث من عندك رجلين إلى هذا الرجل الذى بالحجاز فليأتيانى بخبره، فبعث باذان كاتبه (قهرمانه) بابويه، ورجلا من الفرس يقال له: خرخسرة،

---

[1] ابن الأثير، ٢/٢١١، والسيرة الحلبية، ٣/٢٨٣-٢٩١، والطبرى، ٢/٦٤٥، والبداية والنهاية لابن كثير ٤/٢٩٢-٢٩٨، وابن خلدون، ٢/٣٦.

[2] طبقات ابن سعد، ١/٢٦٠ وابن الأثير، ٢/٢١١، والسيرة الحلبية، ٢/٢٩٥-٣٠٠، والبداية والنهاية لابن كثير، ٤/٢٠٣، وفيه أن اسمه : جريج بن ميناء وكان من أهل مصر الأقباط. وانظر أيضا المواهب اللدنية ٢/١٤٣.

وكتب معهما كتابا، وأوصى كاتبه بأن يراقب أحول الرسول ﷺ وأقواله ويتحرى مدى صدقه ويخبره بذلك عند عودته، فلما قدم المدينة قابل الرسول ﷺ ثم طلب منهما الذهاب والعودة إليه غداً، فلما كان في الغد دعاهما وأخبرهما بأن الخبر أتاه من السماء، بأن الله سلط عليه ابنه فقتله في يوم كذا.. وساعة كذا.. من شهر كذا.. وقال لهما ارجعا إلى من أرسلكما وأخبراه بذلك، وإني أدعوكما وأدعوه إلى الإسلام فلما عادا إلى اليمن وأخبرا باذان بذلك، إذا بالبريد يأتي من فارس إلى اليمن يحمل كتابا من شيرويه بن كسرى إلى باذان يفيده فيه بأنه قتل أباه لسوء سلوكه، ويطلب منه أن يأخذ البيعة بالولاء والطاعة له ممن لديه من أبناء فارس. فعرف باذان عندئذ صدق الرسول ﷺ ، فبعث بإسلامه إلى الرسول ﷺ هو ومعاونوه من أبناء الفرس[1]، وقيل أن حادثة مقتل شيرويه لأبيه أبرويز، كانت في العام التاسع الهجري في نفس الوقت الذي حدده من قبل رسول الله ﷺ وعندها أسلم باذان[2]، وعلى هذا يكون إسلام باذان تم في العام التاسع وليس في السابع الهجري، وعندما بعث باذان بإسلامه إلى الرسول ﷺ أقره الرسول ﷺ على الولاية باليمن جميعها كما كان.

وخرج شجاع بن وهب الأسدي يحمل كتابا إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، فأتاه بغوطة دمشق، وهو مشغول بالإعداد لاستقبال قيصر

---

[1] تاريخ الطبري، ٢/٦٥٤، وابن الأثير، ٢/٢١٣، والسيرة الحلبية، ٣/٢٩١، والبداية والنهاية، ٤/٢٩٩-٣٠٢ وطبقات ابن سعد، ١/٢٥٩، وتاريخ ابن خلدون، ٢/٣٦.

[2] الأخبار الطوال للدينوري، ص ١٠٧.

الروم في مسيره من القسطنطينية إلى بيت المقدس، فقد كان أحد ملوك العرب الخاضعين لنفوذ الروم، فلما قرأ الكتاب، أخذته حمية الجاهلية، وتوعد بإرسال جيش إلى المدينة، وأمر بإعداد العدة، ثم كتب إلى قيصر يخبره خبر الكتاب وحامله ومن أرسله، وتصادف أن كان دحية الكلبي لدى قيصر حاملا كتاب رسول الله ﷺ إليه، فكتب قيصر إلى الحارث ألا يسير إلى المدينة، وأن يدع هذا الأمر، فلما جاءه خطاب قيصر تغيرت معاملته إلى الأفضل بالنسبة لشجاع بن وهب، وأكرمه، ولما عاد شجاع ابن وهب وأخبر الرسول ﷺ بما حدث قال: باد ملكه[1]!. ثم ما لبث أن توفي الحارث قبل أن يرى زوال ملكه من يدي أبنائه من بعده.

وذهب سليط بن عمرو العامري - وهو أحد الستة الذين خرجوا من المدينة في وقت واحد - إلى هوذة بن علي الحنفي باليمامة حاملا كتابا من رسول الله ﷺ يدعوه فيه إلى الإسلام، فلما نزل عليه حيَّاه وحباه، ولما قرأ الكتاب تردد ثم كتب كتابا إلى رسول الله طلب فيه أن يجعل له شيئا. فقال الرسول ﷺ عندما بلغه ذلك: باد، وباد ما في يديه، فتوفي عام الفتح ٨هـ دون أن يسلم[2] .

وبعث الرسول ﷺ عقب فتح مكة كتبا إلى غير هؤلاء من الملوك والأمراء وذوي الشأن في جزيرة العرب وإلى رؤساء القبائل والبطون والعشائر يدعوهم إلى الإسلام، ممن لم يكونوا قد أسلموا بعد. فكان من

---

[1] طبقات ابن سعد، ٢٦١/١، والسيرة الحلبية، ٣٠٤/٣، ٣٠٥، والطبري، ٦٥٢/٢.

[2] طبقات ابن سعد، ٢٦٣/١، والسيرة الحلبية، ٣٠٣/٣، والطبري، ٦٤٥/٢.

هؤلاء: جيفر وعبيد ابنا الجلندى الأزديين، بعمان، وكان جيفر وهو الحاكم فذهب لهما عمرو بن العاص فى ذى القعدة عام ٨هـ .. فأسلما وأسلمت رعيتهما، كما ذهب العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى، العبدى بالبحرين[1] فأسلم، وتبعه فى إسلامه العديد من أهل المنطقة، وكانت بها طائفة من أهل الكتاب، أخذت منهم الجزية[2] وذهب مع العلاء، أبوهريرة ليعلم الناس، فأقام فترة ثم عاد.

وبعث جرير بن عبد الله البجلى إلى ذى الكلاع بن ناكور الحميرى، وإلى ذى عمرو فأسلما، وأسلمت ضريبة بنت أبرهة، امرأة ذى الكلاع، وتوفى رسول الله ﷺ وجرير بن عبد الله البجلى عندهم باليمن، فأخبره ذو عمرو بوفاة الرسول ﷺ فخرج جرير عائدا إلى المدينة[3] .

كما كتب الرسول ﷺ إلى عدة من أهل اليمن، أمراء المناطق والمخاليف، ورؤساء القبائل والعشائر فاستجابوا، وأعلنوا إسلامهم، ووفدت وفودهم إلى المدينة تعلن إسلامها وطاعتها، وكتب لهم كتباً يقر بعضهم فيها على ما فى أيديهم، ويولى بعضهم الإمارة على أحد المناطق أو المخاليف، أو الإمارة على قبائلهم وعشائرهم، ورتب الولايات فيها،

---

(1) أى منطقة الإحساء حاليا، وما يدخل فى حيزها. فقد كانت تسمى قديما : البحرين.

(2) طبقات ابن سعد، ٢٦٣/١، والطبرى، ٦٤٦/٢ و٢٩/٣ ، ٩٩٠.

(3) طبقات ابن سعد، ٢٦٥/١.

وحدد لكل ولاية أميراً، إلى غير ذلك من الترتيبات الإدارية، وهو موجود بكتب التاريخ[1] .

ونستخلص من ذلك أن بعض الملوك والحكام وذوى الشأن أسلم، وبعضهم تردد، ومنهم من أخذه الغرور فأودى به غروره إلى الهلاك، وكانت الدولتان العظميان قد أنهكتهما الحروب واستشرى فيهما الفساد، فكان ذلك تمهيدا لأفول نجميهما، وبزوغ شمس الإسلام على ربوعهما، وما كان يحوزانه من ممالك وشعوب، وصدق قول الرسول ﷺ : بادوا .. وباد ملكهم..

---

[1] ومنها الطبقات لابن سعد، ١/٢٦٤-٢٨٧، والطبرى ٣/١٢٠-١٢٣، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة، ص ٧٠-٢٧٠ ، والبداية والنهاية لابن كثير، ٥/٣٢-١٢٣

الباب الرابع

الترتيبات الإدارية للدولة الإسلامية في عهد الرسولﷺ

١ – أسس الترتيبات الإدارية لمناطق شبه الجزيرة العربية :

اقتضت ظروف الجزيرة العربية وأحوالها، أن ينظم العرب حياتهم إبان الجاهلية على أسس قبلية، واستوى في ذلك إلى حد بعيد أهل الحضر والبادية، فالقبيلة هي الوحدة السياسية والإجتماعية، وهي تتكون من أفراد ينحدرون من جد واحد، يحملون اسمه اعتزازا به، ويتحملون مسئوليات وواجبات مشتركة تجاه الدفاع عن القبيلة وعن أي من أفرادها، ومن ثم التصدي لأيّ خطر يداهمهم، ويتقاسمون الغرم والغنم معا، ومن هذا المعنى فإن القبيلة تعتبر هي المظهر الأولي البسيط للدولة.[1] تحوطها مجموعة من الأعراف والتقاليد، تنظم حياتها بموجبها.

وكان ترتيب القبيلة ترتيبا تنازليا يتكون من: الشعب ثم القبيلة ثم العمارة، ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة، ثم العشيرة[2]، أي أن أكبر تجمع

[1] من تقديم كتاب الطبقات لخليفة بن خياط، للدكتور/ صالح أحمد العلي، ص ٧.

[2] الأحكام السلطانية للماوردي ص ٢٠٤، كنز الأسباب ومجمع الآداب، محمد بن إبراهيم الخليل ص ٢٢.

يتمثل في الشعب الذى تتفرع منه عدة قبائل، وأقل تلك التجمعات هي العشيرة وتقابل العائلة في عصرنا الحاضر تقريباً.

جاء الإسلام فأبقى على تشكيلات القبيلة ونمط حياتها، التي كانت تحياها طالما كان ذلك يتفق مع مبادئه وتعاليمه، ولهذا نجد أن الله ـ عز وجل ـ حين بعث نبيه محمداً ﷺ أمره أن يبدأ بعشيرته وأهله ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾[1]

فالأقربون أولى بالمودة والرشد والهداية ثم من يليهم. وهكذا تتسع الدائرة لتشمل كافة القبائل ثم العرب ومن دخل في حوزتهم، ثم لتشمل أبناء آدم جميعاً إلى يوم الدين وهو عمومية الرسالة.

ومنذ هذا الإبلاغ للأهل والعشيرة، صدر عن رسول الله ﷺ كم هائل من الأقوال والأفعال مصاحبة لنزول القرآن الكريم، توضح كافة الأمور التشريعية من توحيد وعبادات ومعاملات ومكارم أخلاق، وغير ذلك مما يحفظ الإسلام ويصون المسلمين، ويجعلهم أعزة إن اتبعوها.

كان من بين الأسس التي تعهدها الرسول ﷺ في منهجه لوضع الترتيبات الإدارية لإنشاء الدولة الإسلامية ما يلي:

---

[1] سورة الشعراء،آية ٢١٤.

* تغيير مفهوم الولاية في العرف القبلي وغيره، إلى ولاية أسمى وأجل، في ظل الإسلام، وهي الولاية لله ـ عز وجل ـ ﴿ الله ولي الذين آمنوا ﴾[1] ولأن الرسول محمداً ﷺ هو مبعوثه لأهل الأرض فالولاية منوطة بطاعته في كل ما يتعلق برسالته، ومن ثم الإلتزام بكل ما يأمر به وينهى عنه ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾[2] والحث على التفاني في الولاء، والطاعة والإنقياد حتى يكون الله ورسوله أحب إلى المسلم من نفسه وماله وولده.. وانتهى بذلك الولاء المطلق لرئيس القبيلة، ولأية رئاسة أخرى لا تكون في طاعة الله ورسوله[3] .

فقد جاء في كتاب رسول الله ﷺ وعهده إلى عمرو بن حزم حين بعثه والياً على نجران: أن ينهى الناس ـ إن كان بينهم هيج ـ أن يدعوا أو يتداعوا إلى القبائل والعشائر[4] وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له، فمن لم يدع إلى الله ودعى إلى العشائر والقبائل، فليُعْطَفُوا بالسيف[5] حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده[6] .

---

(1) سورة البقرة، آية ٢٥٧.

(2) سورة النساء ، آية ٥٩.

(3) الدولة في عهد الرسول ﷺ ، للدكتور/صالح أحمد العلي، مجلد ١، ص ١٠١.

(4) أي إذا نادى المنادي للجهاد، أو استصرخوا لأي سبب كان فلا يقولون : يا آل فلان .. ويا آل فلان كما كانوا في الجاهلية.

(5) أي فليضربوا بالسيف.

(6) البداية والنهاية لابن كثير، ٨٨/٥، وتاريخ ابن خلدون ٥٤/٢.

* أن الإمارة أو الولاية كانت إما عامة أو خاصة، فالعامة ما يفوض فيها الوالى بالنظر فى سائر أعمال الرعية الذين يخضعون لولايته فى كافة الأمور الدينية والدنيوية غالباً.

وذلك كوالى الإقليم أو أى مصر من الأمصار، مثلما كان الوضع عندما توسعت الفتوحات فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب وبقية الخلفاء الراشدين، وعهد بنى أمية والعباسيين، لكنه فى العهد النبوى لم ينل أحد من الولاة الإستقلالية التامة لحتمية الرجوع إلى الرسول ﷺ فى الأمور التشريعية التى كانت تعترض الولاة فى أعمالهم اليومية، وكانت تدور بينه ﷺ وبينهم مكاتبات تحمل إليهم توجيهات فيما يجب أن يتبعوه[1] وكانت كافة الولايات على اتصال دائم ومستمر بالمدينة المنورة. لذا فإن الولاية فى عهده ﷺ كانت ولاية خاصة، إما لإدارة شؤون البلدة، أو القبيلة، أو الإقليم، أو لقيادة الجند عند الإستنفار، أو لتعليم أمور الدين والشرع، أو للقضاء بين الناس، أو لجمع الصدقات وجباية الجزية والخراج، أو غيره[2]

* أن رئيس القبيلة كان إذا سبق وتقدم معلنا إسلامه وإسلام من وراءه من قومه، ظل فى موقعه من رئاسة القبيلة وإدارة شئونها، وله ولقبيلته ما أسلموا عليه من أرضهم وما يحوزونه من المنافع الخاصة بهم والأرفاق المشاعة بينهم، وربما عقد له الرسول ﷺ لواء يقود قبيلته تحت

---

(1) انظر طبقات ابن سعد، ١/٢٦٥-٢٩٠، ومجموعة الوثائق السياسية، للدكتور محمد حميد الله ص ١٧٩.

(2) طبقات ابن سعد، ١/٢٦٦ وما بعدها، والأحكام السلطانية للماوردى ص ٣٠-٣٢، ١٤٧.

هذا اللواء عند الاستنفار إلى ساحة الجهاد وربما أيضا عهد إليه بجمع صدقات قومه، وأقطعه، أو أقطع القبيلة أو أحد أفرادها بعض الإقطاعات، وكتب لهم عهدا بذلك. مثلما فعل مع خالد بن ضماد الأزدى، وحنادة الأزدى ، وأبى ظبيان الغامدى، وقبيلة بارق[1] وخثعم وأهل جرش وبطون بنى كعب وغيرهم من شتى القبائل.

* أن مكاتبات الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء ورؤساء القبائل والعشائر كانت تحمل إليهم الدعوة للدخول فى الإسلام، وفى الوقت نفسه تحمل لهم بواعث الترغيب فى الإقدام والإسراع فى أن من استجاب منهم سيظل فى موقعه واليا أو أميرا أو رئيسا للقبيلة فمثلا: نجد أن المنذر ابن ساوى حاكم البحرين[2] أسلم مبكراً فظل بها والياً إدارياً، وكان بجواره العلاء بن الحضرمى للأمور الدينية والإمامة فى الصلاة والإشراف على جمع الزكاة وتوزيعها[3]، فلما توفى المنذر تولى مكانه العلاء بن الحضرمى بأمر من الرسول ﷺ وكذلك الشأن بجيفر الجلندى حاكم عمان، وباذان فى اليمن جميعها، وأمراء المناطق والمخاليف، كل استمر فى موقعه حين بادر بالدخول فى الإسلام، ليديره إدارياً، بينما إذا تردد وتأخر وسبقه آخر تتوافر فيه عناصر القيادة نال تلك الرئاسة لشرف سبقه، فمثلا: حين سبق فروة بن مسيك المرادى نظراءه وأنداده، ولاه رسول الله

---

(1) مجموعة الوثائق السياسية، ص ١٩٦-١٩٨.

(2) كانت منطقة الأحساء يطلق عليها فى ذلك الوقت البحرين، أما البحرين الحالية فكانت تسمى جزيرة أوال.

(3) طبقات ابن سعد، ١/٢٧٦.

ﷺ على قبيلة مراد وزبيد وبعض مذحج[1]، مما أوغر صدور بعض من يرون أنهم أهل لها وأولى بها منه، كقيس بن المكشوح المرادى، وربما كان ذلك أحد الدوافع لردته ومناصرته للأسود العنسى[2] .

* أن كافة المدن والحواضر والبوادى مما اتخذته القبائل مواطن لها كان محدد المعالم لا تعتريه الجهالة، ولا يتداخل بعضه فى بعض لأهمية معرفة ما يجبى عنه من عشر أو خراج أو جزية، إن كان يتوطنها أحد من أهل الكتاب وظل على دينه، وأنه كانت توجد حمى تحوط بالبلدان ومواطن القبائل أو على مقربة منها، تعد حرما لها، ويحذر على أى فرد حيازته، أو تملكه لأن منفعته للجميع كالمرافق العامة.

فمعروف أن مكة المكرمة لها حرم وضعت على حدوده أنصاب وعلامات قيل: منذ الخليل إبراهيم عليه السلام، وأنها كانت تجدد بين الحين والآخر، وقد جددها الرسول ﷺ عام الفتح، ثم كان يتم تجديدها كل فترة بعد ذلك[3] وجعل الرسول ﷺ للمدينة حرما، وهو ما بين جبلى عير إلى ثور بالقرب من أحد، أو إلى

---

[1] طبقات ابن سعد، ٣٢٧/١.

[2] السيرة الحلبية، ٢٠٩/٣، والطبرى، ١٣٤/٣، وقيس بن المكشوح (اسم المكشوح : هبيرة) فهو : قيس بن هبيرة ابن عبد يغوث بن سلمة، من زاهر من مراد، إرتد ثم أسلم، وحسن إسلامه الجمهرة، ص ٤٠٧، وكذلك كان الشأن بعمرو بن معد يكرب الزبيدى. وقد أعلنا ذلك صراحة عند الردة.

[3] شفاء الغرام للفاسى ٥٤/١-٦٦.

أحد، وقيل حرمها على مسافة بريد من كل ناحية من النواحى الأربـع، وأن النبى أرسل كعب بن مالك الأنصارى لوضع أعلام على أربع جبال محيطة بالمدينة[1] .

كما حمل الرسول ﷺ، البقيع ــ وهو غير بقيع الغرقد الذى اتخذ مقبرة ــ حمى للمدينة، وكان بقدر ميل فى ستة أميال ترعى فيه خيل المسلمين، واتخذ البيضاء بالقرب من الربذة حمى لإبل الصدقة ولإبله[2]، ثم أضاف أبو بكر الصديق فى عهده الربذة حمى لإبل الصدقة، وأضاف عمر فى عهده حمى بالشرف مثل حمى أبى بكر لإبل الصدقة[3] ونلحظ أن أهل مدينة جرش طلبوا من الرسول ﷺ ــ عند وفودهم إليه بإسلامهم ــ أن يحمى لهم حمى حول قريتهم جرش على أعلام معلومة، فلبى الرسول ﷺ طلبهم وكتب لهم بذلك كتابا[4] .

أما المرافق وكان يقال لها: الأرفاق، فهى مقاعد للناس بالأسواق وأفنية الشوارع، ومنازل الأسفار على الطرق، وفى الفلوات، ودروب إحتياز السابلة فى المفاوز والقفار، وما تحتويه من آبار وأشجار وغير ذلك مما يعتبر منفعة عامة للجميع ولا يملكها أفراد، فكان على الحاكم حفظها، والقيام برعايتها[5] .

---

[1] شفاء الغرام، ٢/٣٣٧، ٣٣٨، ومجموعة الوثائق السياسية، ص ٤٧.

[2] المغازى للواقدى، ص ٥٣٨، وحمى البقيع الذى اتخذه الرسول ﷺ ، بصدر وادى العقيق على بعد عشرين فرسخا من المدينة. التراتيب الإدارية ١/٤٤١.

[3] الأحكام السلطانية للماوردى ص ١٨٥.

[4] سيرة ابن هشام، ٤/٢٣٤، والطبرى، ٣/١٣٠، وطبقات ابن سعد، ١/٣٣٧.

[5] الأحكام السلطانية للماوردى ص ١٨٧.

* أن الإسلام شمل أرض شبه الجزيرة العربية تقريباً، وذلك قبل وفاة الرسول ﷺ، وعلم به القاصي والداني ممن يعيش على ترابها، والمسلمون يعرفون معرفة تامة أرض كل ناحية ومواطن كل قبيلة من حيث حدودها وكونها أرض عشر، أو خراج أو جزية أو غير ذلك مما تترتب عليه الأمور التشريعية.

وكانت هناك أراض للمزارعة فمثلا عند قيام يعلى بن أمية بإجلاء نصارى نجران بأمر من عمر بن الخطاب وتسلمه لأراضيهم وتعويضهم قيمتها، أصبحت هذه الأراضي ملكا للدولة، فكتب يعلى إلى عمر يسأله عما يصنع فيها، وفي غيرها مما هي بهذا الوضع، فكتب له عمر: انظر كل أرض خلا أهلها عنها، فما كان من أرض بيضاء (أي ليست ملكا لأحد) تُسقى سيحا (أي بآلة أو بغير جهد) أو تسقيها السماء (أي دون آلة) فما كان فيها من نخل أو شجر فادفعه إليهم (أي لأهل المنطقة) يقومون عليه ويسقونه، فما أخرج الله من شئ فلعمر وللمسلمين منه الثلثان ولهم الثلث، وما كان منها يسقى بغَرَب (آلة بهذا الإسم) فلهم الثلثان ولعمر وللمسلمين الثلث، وادفع إليهم ما كان من أرض بيضاء يزرعونها[1]، فمثل هذه الأراضي احتوتها السجلات، ودونت في دواوين لكي يعرفون مساحتها ومن يقوم على زراعتها، وأين تقع؟ وغير ذلك من معلومات تكون لدى الدولة، ويعرفها من يوكل له الأمر بعد يعلى بن أمية أو حتى

---

[1] مجموعة الوثائق السياسية ص ١٦٢.

بعد عمر بن الخطاب، وهو ما تنبه له عمر وسجله بتلك الدواوين. وأنه كانت هناك أرض مشاع تغدو إليها البادية فى تتبعها لمواقع الغيث والكلأ والمرعى فإذا استوفوا غرضهم عادوا لمضاربهم ومواطنهم الأولى، التى قلما تركوها إلا لظروف قاهرة، ولكون ذلك نادرا، فإن هجرات القبائل كان حدثا معروفا يروونه فى أحاديثهم وسجلته كتب التاريخ، لأنه غالبا كان بسبب المنازعات والحرب بين القبائل فى الجاهلية، فلما جاء الإسلام قضى على المنازعات والمشاحة بين القبائل، ودعا إلى التآلف والمودة، وحدث استقرار فى البادية فضلا عن الحاضرة، و لم تحدث هجرات إلا فى سبيل الله، إبان التوسع فى الفتوحات الإسلامية. وعلى ضوء هذا الإستقرار الذى منحه الإسلام للحاضرة والبادية تحددت معالم الأرض لكل لتنفيذ مقتضيات الشريعة وعدم التدخل فى اختصاص الولاة أو الأمراء بكل ناحية.

* مما دعم هذا الإستقرار وساعد على تحديد معالم الأرض تلك الإقطاعات التى كانت يقطعها الرسول ﷺ للوافدين عليه بإسلامهم أو إقرارهم على ما أسلموا عليه من أرض ومياه مما يوحى باستمرار تملكهم لتلك الأرض فيما قبل الإسلام وبعده، أو تملكهم لها ابتداء لكونها كانت مشاعا، وبذلك ترفع المشاعة عنها فلا يحدث لهم من غيرهم مشاحة أو منازعة عليها، وبالتالى تتحدد معالمها، وكان كثير من تلك الوفود يطلبون من الرسول ﷺ أن يكتب لهم بذلك كتابا أو عهدا مكتوبا يحملونه فى عودتهم لموطنهم، وظلت تلك الكتب والعهود يحتفظ بها الناس سنين

عديدة، ويتوارثها الأبناء عن آبائهم إعتزازا بها وبكونها صادرة من الرسول ﷺ إلى الأباء والأجداد[1] وتلك الإقطاعات أو العهود للأفراد أو للوفود مشروطة ضمنا بأل تكون حقا أو ملكا لغير من يطلبها، أو حتى من المنافع العامة التى يشترك الناس فى الإنتفاع بها، فمثلا: أقطع الرسول ﷺ بلال ابن الحارث المعادن القَبَلِيَّة[2] بأرض مزينة بينما امتنع عن إقطاع ما كان فيه منفعة للجميع، وذلك حينما جاء الأُبَيْض بن حَمَّال وافداً على رسول الله ﷺ وطلب منه أن يقطعه ملح مأرب، فهم أن يقطعه إياه إلا أن الأقرع بن حابس التميمى كان حاضرا بالمجلس فسارع قائلا: يارسول الله إنى وردت هذا الملح فى الجاهلية، وهو بأرض ليس فيها غيره، ومن ورده أخذه (أى أخذ حاجته منه) عندئذ توقف الرسول ﷺ عن إمضائه هذا الإقطاع للأبيض بن حمال لأنه يعد منفعة عامة[3] .

كما امتنع الرسول ﷺ من إعطاء أرض قبيلة لقبيلة أخرى، وذلك عندما وفد عليه حريث بن حسان الشيبانى بإسلامه هو وقومه، وقد رافقته فى سفره امرأة عجوز، هى قيلة بنت مخرمة من بنى العنبر، ذهبت إلى الرسول ﷺ تشكو إليه أخا زوجها الذى أخذ منها أطفالها بعد وفاة زوجها، فلما وصلا إلى المدينة، وضمهما مجلس الرسول ﷺ جعلت المرأة

---

[1] أنظر أمثلة لتلك الكتب والعهود فى كتاب "مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة" ص١٩١-٢٣٥، والطبقات لابن سعد، ١/٢٦٦-٢٩٠.

[2] الأحكام السلطانية للماوردى، ص ١٩٨.

[3] الأحكام السلطانية للماوردى، ص ١٩٧.

تثنى على رفيقها فى الطريق وعلى شهامته وكرم أخلاقه أمام الرسول ﷺ ثم عرضت شكواها، وهدأ بذلك روعها، ولكنها سمعت رفيقها فى الطريق، حريث الشيبانى يطلب من الرسول ﷺ أن يكتب له ولقومه جزءاً من الدهناء[1] قائلا: اكتب بيننا وبين بنى تميم بالدهناء لا يجاوزها إلينا منهم إلا مسافر أو مجاور، وهَمَّ الرسول ﷺ أن يأمر بكتابة ذلك له ولقومه، ففزعت المرأة قائلة: يارسول الله إنه لم يسألك السوية من الأرض إذ سألك!. إنما هذه الدهناء هى مقيد جملى ومرعى غنمى أنا وقومى وهى وطنى ودارى، ونساء بنى تميم، وأبناؤها وراء ذلك!. عندئذ أمر الرسول ﷺ بالإمساك عن الكتابة وقال: صدقت المسكينة، المسلم أخو المسلم، يسعهما الماء والشجر[2] .

وكان الأشعث بن قيس وغيرهم من كندة، قد نازعوا وائل بن حجر فى وادٍ بحضرموت[3] فادعوا ملكيتهم له منذ الجاهلية فسأل الرسول ﷺ بعض أقيال حمير وحضرموت عن حقيقة ذلك، فشهدوا به لوائل بن حجر فكتبه الرسول ﷺ فى كتابه لوائل حتى لا ينازعه فيه أحد[4] .

---

[1] صحراء الدهناء معروفة، تقع فى الشمال الشرقى لنجد، تمتد من جنوب البصرة حتى الربع الخالى شرقا.

[2] طبقات ابن سعد، ٣١٩/١، ومجموعة الوثائق السياسية، ص ٢١٢، والبداية والنهاية لابن كثير، ٩٦/٥، وفيه : الحارث بدل الحريث.

[3] هو وادى شبوة المعروف والموجود حاليا بهذا الإسم.

[4] طبقات ابن سعد، ٢٨٧/١، ومجموعة الوثائق السياسية، ص ٢٠٣، ٣٤٥.

وسأل صخر بن أبى العيلة الأحمسى، من خثعم، رسول الله ﷺ بئرا كان لبطن من بنى سُلَيم، تركوه قبل إسلامهم وهربوا خوفا من أن يطأهم جيش المسلمين فأعطاه له، ثم مالبث بنو سليم أن قدموا على الرسول ﷺ فأعلنوا إسلامهم، ثم طالبوا صخرا بإعادة البئر لهم فرفض، فشكوه إلى رسول الله ﷺ فبعث إليه، فلما قدم، قال له الرسول: يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم، فادفع إليهم ماءهم، قال: نعم يا رسول الله. ودفع لهم البئر[1] لأن البئر كان يقع فى مواطنهم الأصلية التى كانوا قد تركوها وهربوا ثم عادوا إليها بعد إسلامهم، فمن حقهم الأرض بما عليها.

* كان يوجد فى العرب من له علم ودراية بأعمال المساحة والقياسات وتحديد الأراضى والخبرة بنوع تربتها، وغير ذلك من الأمور فلما جاء الإسلام وضع هؤلاء خبرتهم فى خدمته، فيما كان يعهد لهم القيام به من تلك الأعمال، ومن الصحابة الذين عرفوا بذلك: عتبة بن غزوان، الذى اختار موقع مدينة البصرة وخططها إلى إقطاعات[2]، وزيد ابن ثابت وكعب بن مالك، وجبار بن صخر أخو بنى سلمة، اللذان عهد إليهما النبى ﷺ وضع علامات لتحديد معالم حرم يثرب على الجبال المحيطة بها[3]، وتميم بن أسد الخزاعى الذى عهد إليه الرسول ﷺ بتحديد أنصاب

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير، ٤/٣٩٤.

(2) الجمهرة، ص٢٦١. والبداية والنهاية، ٧/٥٣.

(3) مجموعة الوثائق السياسية، ص ٤٧.

الحرم حول مكة المكرمة يوم فتحها عام ٨هـ[١] وحذيفة بن اليمان الأزدى، وعثمان بن حنيف، اللذان بعثهما الخليفة عمر بن الخطاب فى عهده لمسح أرض سواد العراق، فتولى حذيفة مسح تلك الأراضى فيما وراء دجلة وخطط ما بها من إقطاعات وتولى عثمان مسح ما دون ذلك، وتخطيط ما به من إقطاعات[٢] وأبو الهيثم بن التيهان، وسهل بن أبى خيثمة وحباب بن صخر السلمى، وفروة بن عمرو البياضى، الذين بعثهم عمر إلى فدك وخيبر ليقوموّا أرضها ويعوّضوا أهل الكتاب الذين أجلاهم عنها[٣] ويعلى بن أمية التميمى الذى أشرف على إجلاء نصارى نجران وتعويضهم عن أراضيهم وعقاراتهم التى تركوها[٤] وغير هؤلاء كثيرون عملوا على تحديد المواقع والأماكن والبقاع وترسيم الحدود بالمناطق التى كانت بحاجة إلى تحديد.

* كان من اهتمامات الرسول ﷺ، ايجاد نوع من الترتيب الادارى، منذ وفد إليه أهل يثرب فى موسم الحج بمكة المكرمة، قبل الهجرة، فى بيعة العقبة الأولى وعقب بيعة العقبة الثانية طلب منهم أن يخرجوا من بينهم اثنى عشر نقيبا يكونون كفلاء وعرائف على قومهم، ومسئولون عن

---

(١) عيون الأثر لابن سيد الناس، ٢/١٨٠.

(٢) الأحكام السلطانية للماوردى، ص ١٧٤.

(٣) الكامل لابن الأثير، ٢/٢٢٤، والمغازى، ص ٧١٨.

(٤) مجموعة الوثائق السياسية، ص ١٥٩، ١٦٢.

عشائرهم[1] وكانوا بمثابة حلقة وصل بينه وبينهم، وكانت العرافات في زمن النبي ﷺ أمر معروف، فكان على كل عشيرة عريف، وكل قبيلة عدة عرفاء يرأسهم رئيس العرفاء، وهو رئيس القبيلة غالباً، واستمر الأمر كذلك إلى أن فرض العطاء في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وأنشأ لهذا الغرض الدواوين: ديوان العطاء، وديوان الجند، وديوان الخراج، وغير ذلك[2].

فاهتمام النبي ﷺ بتحديد العرفاء في القبائل، وتحديد موطن كل قبيلة هو لإيجاد نوع من الترتيب الإداري المبكر، وكان إهتمامه بذلك أكبر كلما انتشر الإسلام في البلدان وبين القبائل، فيعين الرؤساء على القبائل والأمراء على البلدان والمناطق، واستتبع ذلك تحديد إمارة كل أمير أو رئيس حتى لا تتداخل الإختصاصات وتحددت بذلك مسؤوليات كل منهم عن إقامة أمور الشرع وتوطين الإستقرار بمنطقته.

* كما راعى الإئتلاف والتحالفات السابقة بين القبائل طالما كان ذلك لا يتعارض مع تعاليم الإسلام الذي يحث على الترابط والتآخي والمودة والتعاون، فامتد ذلك الإرتباط إلى الأرض التي تقيم عليها القبائل بكل ما تشتمل عليه من منافع وتحيز إقليمي، بمعنى أنه لم تنتزع من أية قبيلة أرضها أو تجلو عنها لتستقر في مكان آخر إلا برغبتها، طالما دخلت

---

(1) الطبري، ٢/٣٦١، ابن الأثير، ٢/٩٩، البداية والنهاية لابن كثير جـ ٣ ، فقه السيرة، محمد الغزالي، ص ١٥٩.

(2) مجموعة الوثائق السياسية، ص ٢٣٠.

الإسلام مالكة لتلك الأرض، واستمرت في طاعته والولاء له. وعمل بالعرف السائد وأقوال أهل المدن ورؤساء القبائل والعشائر في تحديد بلدانهم ومواطنهم، وأرفاقها والمشاع، من البوادي والصحاري، فإذا حدث تنازع على أرض ما، تم التقصي عن حقيقة الوضع حتى يتم الوصول إليها مثلما حدث بين الأشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي الذي ذكرناه سابقا.

* أن الأعرابي كان يعتز بانتسابه إلى آبائه وأجداده، أكثر من انتسابه إلى الأراضي والبلدان التي يقيمون عليها بمعنى أنه كان يقال: فلان الأزدي، والأسدي، والتميمي، ولم يقل عنه المكي، أو المدني أو الصنعاني، إلا في عصور متأخرة ذلك لأنه كان مرتبطا بإسم القبيلة أكثر من ارتباطه بالأرض التي يقيم عليها، بل إن الأرض كانت هي أيضاً تنسب إلى القبيلة فيقال: أرض قبيلة هوازن وثقيف وأسد وتميم، وغيرها، وهذا يعطي مدلولاً على كثرة الترحال والتنقل من أرض إلى أخرى إلا أن هذا لم يكن يقلل من إهتمامهم بالأرض التي يقيمون عليها ومن أنهم كانوا يدافعون عنها حتى الممات لأنهم بذلك يدافعون عن وجودهم وكيانهم المعيشي على تلك الأرض، وعار عليهم أن يطأها أحد رغماً عنهم، أو أن تنتزع منهم قهرا، لذلك سعوا إلى إيجاد نوع من الألفة والترابط والولاء مع جيرانهم، حتى يكونوا يدا واحدة على كل من يغير عليهم. وامتد هذا الولاء أو التحالف في الأراضي المتجاورة حتى تشكلت تجمعات إقليمية صغيرة متجانسة ومترابطة سكانيا وجغرافيا .. وكان هذا هو الملاحظ في منطقتنا

موضوع الدراسة من حيث تجانسها وتوافقها، ثم من حيث ارتباطها عاطفيا بمكة المكرمة .. وجاء الإسلام والمنطقة على هذا الوضع من قديم.. فكان حرى بالإسلام ألا يشتت هذا التجمع، وإنما يؤكده ويدعمه، وهذا ما تم بالفعل كما نراه فيما بعد.

وعلى كل فهذه بصفة إجمالية أهم الأسس التى تعهدها الرسول ﷺ، للترتيبات الإدارية عند نشأة الولايات والإمارات التى تكونت منها الدولة الإسلامية منذ بزوغ فجرها حتى تعالت شمسها وضحاها.

٢- نصيب منطقتنا من تلك الترتيبات الإدارية :

أشرنا فيما سبق الى أهم الأسس التى تعهدها الرسول ﷺ لنشأة الولايات والإمارات التى تكونت منها الدولة الإسلامية، والتى من بينها ارتباط الأرض بحيزها الاقليمى، والعرف السائد بين العرب فى مدى هيمنتهم على مواطنهم، وأهمية تحديد تلك المواطن، والأرض ومرافقها، والمحوز منها والمشاع، لما يترتب عليه من أمور شرعية، وكذا مراعاة التحالف، والتوافق، والتجانس بين أهل المدر والوبر، كما أوردنا بعض القرائن والأدلة التاريخية على ارتباط منطقتنا موضوع الدراسة بكل من مكة والطائف، وإن كانت مكة لها النصيب الأوفر لتشرفها بوجود البيت العتيق بها، فهم يفدون اليه للحج فى المواسم، لذا فان الارتباط كان ارتباطاً روحياً وعاطفياً، فى صورة من التوقير والاجلال، ولم يكن ارتباطاً إدارياً حيث لم تكن هناك دولة قائمة تهيمن على وسط شبه الجزيرة العربية، فيما قبل الإسلام .

ولما فتحت مكة، ودانت قريش للإسلام، عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا بعداوته، فدخلوا فى دين الله أفواجا، وتتابعت وفودهم على المدينة تعلن إسلامها وطاعتها، وأسلم من حول

مكة من العرب، كنانة، وهوازن وخزاعة، وثقيب، والازد وغيرها من قبائل المنطقة[1]

وكانت وفود القبائل تقبل بإسلامهم واسلام من وراءهم من قومهم وعشيرتهم، فيقرهم الرسول ﷺ، على ما أسلموا عليه من أراض ومياه وغيره، ثم يختار من بينهم من يتولى تصريف أمور القبيلة من النواحى الإدارية، واستتباب الأمن، وإقامة أمور الشرع، وكثيرا ما كان يعقد له راية ليقود أبناء قبيلته إذا ما كان هناك هيج واستنفار عام للجهاد، فإذا ما توافرت شروط الولاية الدينية فى ذلك الرئيس، كأن يكون أحفظهم للقرآن الكريم، وأفقههم فى الدين، عهد اليه أيضاً بإمامتهم فى الصلاة، وإذا لم يكن بعث معهم من يؤمهم، ويفقههم، ويقضى بينهم وفق تعاليم الشرع، وهؤلاء كانوا يعتبرون وكلاء أو مساعدين لأمراء المناطق بكل حاضرة أو بادية [2]. وقد لاحظنا ذلك فيما سبق عند وفود قبائل المنطقة الى المدينة بإسلامها.

فعقب فتح مكة عام ٨هـ استعمل الرسول ﷺ، والياً عليها عتاب ابن أسد[3] وترك معه معاذ بن جبل، وأبا موسى الأشعرى، يعلمان الناس

---

[1] السيرة الحلبية ،٣٠/٢٣٨ ، وابن خلدون ، ٥١/٢ ، والبداية والنهاية ، ٤٦/٥

[2] ابن تيمية ، السياسة الشرعية ، ص ١١

[3] هو عتاب بن أسد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس ، كان عمره واحدا وعشرين عاما ، قد غلبه الورع والزهد ، أسلم يوم فتح مكة ، ورأى الرسول ﷺ ، فيه ملامح القيادة ، بجانب ورعه وزهده فولاه مكة ، وقال له وهو يودعه عائدا الى المدينة : استعملتك على أهل الله فظل واليا عليها الى أن توفى يوم وفاة أبى بكر ---

القرآن، والتفقه بأمور الدين، وحدد لعتاب راتبا مقداره درهما كل يوم، فقام عتاب خطيباً فى الناس، بعد انصراف الرسول ﷺ، الى المدينة، وقال: أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم، فقد رزقنى رسول الله ﷺ، درهما كل يوم، فليست لى حاجة الى أحد [1]

وحج عتاب بالمسلمين فى تلك السنة، قيل بعهد من الرسول له بذلك، وقيل بصفته واليا على مكة ومخاليفها، وكانت مخاليفها هى المناطق المحيطة بها، أرض هذيل، وكنانة، وخزاعة، وغيرها من قبائل المنطقة، وتشمل أرض تهامة من جنوب ينبع تقريبا، ثم بامتداد ساحل البحر جنوبا حتى بداية ولاية فروة بن مسيك المرادى حين ولايته، وكان والياً فى البداية على الأشعريين، وزبيد، وبعض مذحج، فى تهامة اليمن[2] وكان الفاصل بين الولايتين ـ قبل الترتيب الجديد للولايات ـ هو أرض عك المجاورة للأشعريين وغالبا هى أرض لعسان ببطن تهامة[3] جنوب الشرجة

ــ الصديق ـ رضى الله عنهما ـ وقيل توفى بعد ذلك، البداية والنهاية لابن كثير ، ٤١٣/٤ ، وسيرة ابن هشام، ٢٣١/٤ والسيرة الحلبية ، ٥٩/٣ ، ٢٣١ ، والأزرقى ، ١٥٣/١ ، والمغازى ص ٩٥٩ ، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ٦٢/٢ ـ ٦٧.

(١) البداية والنهاية لابن كثير ، ٤١٣/٤ ، سيرة ابن هشام ، ٢٣١/٤ ، المغازى للواقدى ص ٩٥٩ ، والطبرى ، ٩٤/٣ ، والازرقى ، ١٨٥/١ .

(٢) كان الرسول ﷺ قد ولاه اياها عند وفادته اليه عام ٩هـ ، انظر : البداية والنهاية ، ٨٠/٥ ، والطبقات لابن سعد ، ٣٢٧/١ ، ثم حدث تعديل لتلك الولاية فى الترتيبات الادارية للولايات والامارات ، التى نظمها الرسول ﷺ عقب حجة الوداع وسنأتى على ذكرها بعد .

(٣) الهمدانى ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(و بلدة الموسم الحالية) فقد كانت الشرجة ساحل بلد الحكم [1] إذ ذاك، ويبدو أنه حدث تنافس بين فروة بن مسيك وبين نظرائه من أبناء القبائل والتي ولي عليها، مثل: قيس بن عبد يغوث (المكشوح) المرادي، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي نتيجة لرواسب قديمة، مما دعاهما فيما بعد الى الانضمام الى الأسود العنسي، وقال عمرو بن معد يكرب في ذلك :

وجدنا مُلْكَ فروة شرَّ مُلْكٍ ... حماراً سافَ مِنْخَرُه بثَفْرِ [2]

وكنت إذا رأيتُ أبا عمير ... ترى الحِوَلاء من خُبْثٍ وغدر [3]

وكان من نتيجة هذا التنافس وغيره من العوامل[4] أن أعاد الرسول ﷺ تحديد تلك الولاية، وغيرها من الولايات في المنطقة، فقلّص ولاية فروة وجعله على زبيد ومراد، وقيل على مراد فقط، وجعله تابعاً لإمارة الجند، وجعل الطاهر بن أبي هالة واليا على الأشعريين وعك، وتابعا لإمارة مكة، لأن القبيلتين يعودان في نسبهما الى عدنان، لأن النبي ﷺ، قال للأشعريين حين قدم عليه وفدهم: " أنتم مهاجرة اليمن من ولد إسماعيل " [5] وقال حين أعاد ترتيب الولايات: " اجعلوا عمالة عكّ في

---

(1) الهمداني ، ص ٦٨ ، ٢٥٨ .

(2) ساف : أي شم . والثفر : للحمر والسباع وذوات المخالب : الفرج .

(3) وأبو عمير : لقب فروة . والحولاء : للناقة ، كالمشيمة للمرأة ، وهي التي يكون بداخلها الطفل المولود ، ويكون بها ماء يخرج على رأس المولود وجسمه . انظر البداية والنهاية ، ٨١/٥ .

(4) كوفاة باذان والي اليمن بكافة مخاليفه . ودخول الإسلام جميع البلدان باليمن .

(5) البكري ، معجم ما استعجم ، ٥٤/١ .

بنى أبيها، معد بن عدنان "[1] وولى عليها الطاهر بن أبى هالة، وكانت عك من القبائل التى انتسبت فى بعض الفترات الى القحطانية، غير أن هناك من الشعر ما يفيد نسبتهم الى عدنان، ومنه قول العباس بن مرواس السلمى وهو يفاخر عمرو بن معد يكرب الزبيدى بقبائل معد بن عدنان، ويعتزى إليهم:

وعك بن عدنان الذين تلقبوا　　　بغسان حتى طردوا كل مطرد

وقول أخر من أبناء عك :

وعك بن عدنان أبونا، ومن يكن　　　أباه أبونا يغلب الناس سوددا [2]

وبعض نسابى قحطان ينسبون عك هذا الى عك بن عدثان بن عبد الله من الأزد[3] ومعظم بطون عك نزحت الى شمال أفريقيا والأندلس إبان الفتوحات الإسلامية منهم القائد الإسلامي الشهير، أمير الأندلس عبد الرحمن الغافقى[4] وكان الطاهر بن أبى هالة مساعد لعتاب، وقيل كان مستقلا وسواء أكان الطاهر بن أبى هالة يخضع لإمارة مكة المكرمة، أو يستمد تعليماته من المدينة المنورة مباشرة، فان انفصال هذا الجزء عن ولاية فروة بن مسيك يعطى دلالة على أهمية الترتيب الجديد، الذى استقرت

---

(1) الطبرى، ٣١٨/٣، والأغانى . جـ ١١، ص ١٥٤، ١٥٥ .

(2) البكرى، معجم مااستعجم، ٥٤/١ وابن خلدون، ٣٠٠/٢، والجمهرة، ص ٢١٠، ٣٧٥

(3) ابن خلدون، ٢٩٩/٢ .

(4) الجمهرة، ص ٣٢٨

عليه الأوضاع بالمنطقة، من حيث التآلف والتوافق بين القبائل فيما يخدم الإسلام، ودلالة أيضا على أن هذا الجزء امتداد لتهامة الحجاز، ولـذا قال الطبرى: "توفى رسول الله ﷺ، وعلى مكة وأرضها عتاب بن أسيد، والطاهر بن أبى هالة: عتاب على بنى كنانة، والطاهر على عك" [١]، فالمقصود بأرض مكة تهامة الحجاز، والطبرى اعتبر أن أرض عك والأشعريين ضمن تهامة الحجاز، وأنهما آخر الحدود الجنوبية لإمارة مكة المكرمة، واعتبرها ابن خرداذبة أيضا: من مخاليف مكة التهامية وكذلك ابن الأثير.[٢]

وكانت مواطن الأشعريين وعك تبدأ من جنوب الشرجة (الموسم) حتى بلاد قبيلتى مراد وزبيد التى تضم سهام، والمهجم (سردد)، والخصيب (زبيد الحالية) والقُحمة[٣]، والمعقر، والكدراء، ومور، وغيره من بلدان وبوادى، وكانت مور هى الملاصقة جنوباً لموطن بنى الحكم بن سعد العشيرة[٤] أى أنها بداية ولاية الطاهر بن أبى هالة، ومنتهى ولاية عتاب بن أسيد فيما إذا لم يكن خاضعاً له.

أما بالنسبة لعسير (عسير السراة) فقد كانت خاضعة للطائف من حيث التبعية الأدارية فقد كانت ولاية الطائف تمتد من الطائف شمالاً ثم

---

[١] الطبرى ، ٣/٢١٨ .

[٢] المسالك والممالك ، لابن خرداذبة ، ص ١٣٣ ، الكامل لابن الأثير حوادث عام ١٩٧ هـ .

[٣] هى غور القحمة ـ بفتح القاف ـ التى بساحل تهامة عسير، وشمال الموسم بحوالى ٣١٠ كيلاً .

[٤] الهمدانى : ص ٧٣ ، ٧٥ ، ٢٥٨ .

تنحدر جنوباً في السراة بمختلف مخاليفها وأعراضها في الجنوب والشرق حتى حدود ولاية خالد بن سعيد بن العاص، على ما بين رمع وزبيد، والى حدود ولاية عمرو بن حزم الأنصاري بنجران، ومن المرجح أن يكون الحد الفاصل بين ولاية الطائف بكل مخاليفها وسراتها و بين ولاية سعيد ابن العاص هو وادي طلحة الملك الذي سبق أن نوهنا عنه في بداية البحث[1] والذي يبعد عن صعدة بحوالي ٧٥ كيلو متر في الشمال الغربي.

وكانت ولاية الطائف موزعة بين عثمان بن أبي العاص، ومالك بن عوف النصري، من بني نصر أحلاف ثقيف، عثمان على أهل المدر (أي الحضر) ومالك على أهل الوبر (أي البادية) وتشمل معظم قبائل السراة ومخاليفه، ثم شاركهم بعد فترة عكرمة بن أبي جهل فكان على أعجاز هوازن، أي المنطقة التي بها حاليا تربة وما حولها شمالا وجنوبا[2] وقيل كان عكرمة قد عهد إليه بجمع الصدقات، و لم يكن واليا[3] وأيا كان فمن سير الوقائع يتبين أن عثمان هو الرئيس، وهما مساعدان له، فقد كانت التعليمات من المدينة تصدر اليه بما يتعلق بالطائف والسراة ومخاليفها، ثم يقوم هو بابلاغها لهما، ولرؤساء القبائل والعشائر، الذين يرأسون قبائلهم وعشائرهم، فإبان حركة الردة كتب أبوبكر الصديق الى عتاب بن أسيد: أن اضرب على أهل مكة وعملها (أي افرض على مكة وما يتبعها من

---

[1] انظر ص١١ ـ ١٦ من هذا البحث .

[2] الطبرى ، ٣١٨/٣ ، وقيل : استعمل سعد بن أبى وقاص على حمى الطائف ، المغازى للواقدى ص٩٧٣ .

[3] التراتيب الأدارية ، ٣٩٧/١ .

بلدان وبوادى، تجهيز) خمسمائة مقو (أى رحل قوى بآلاتة واستعداداته) وأبعث عليهم رحلاً تامته، فسمى على كل قوم وقبيلة عددا تجهزه وَتعده، وكان من بينهم رؤساء تلك القبائل، وحاملو الألوية بها، وأمّر عليهم أخاه خالد بن أسيد، وانتظر تعليمات أبى بكر الصديق[1] وكذلك كان الشأن بالنسبة لعثمان بن أبى العاص، فقد أمره أن يضرب بعثاً على أهل الطائف، وعلى كل مخلاف بقدره، أى بكل ما يستطع تجهيزه من المقاتلين، وأمّر عليهم أخاه عبدالرحمن بن أبى العاص، وانتظر تعليمات أبى بكر الصديق[2] ولأن هؤلاء وغيرهم من الولاة كانوا يعتبرون نوابا عن الرسول ﷺ فى ولايتهم، ثم نوابا للخلفاء الراشدين من بعده، فلم تكن لهم صلاحيات عامة، بحيث يهيمنون هيمنة كاملة فى ولاياتهم، وإنما كانوا يخضعون للمحاسبة، والرقابة الشديدة، وكثيرا ما كانت التعليمات تتخطاهم الى أحد مساعديهم، أو مرؤوسيهم من رؤساء القبائل، أو الشخصيات الهامة من أبناء المنطقة، اذا ما كان فى ذلك مصلحة، أو عمل يحتاج الى سرعة فى التنفيذ أو مهمة تحتاج الى حكمة، كما نرى ذلك كثيرا إبان مواجهة أبى بكر الصديق لحركة الردة .

وأيضا مثلما بعث الرسول ﷺ جرير بن عبدالله البجلى ــ وهو من أبناء المنطقة ــ أوائل عام ١١هـ، الى ذى الكلاع بن حبيب بن مالك بن حسان تبع، والى أخيه عمرو باليمن، يدعوهما الى الإسلام، فأسلما،

---

[1] انظر الطبرى ، ٣٢٢/٣ ، وابن خلدون ، ٦٨/٢ .

[2] الطبرى ، نفس الجزء والصفحة ، وابن خلدون نفس الجزء والصفحة .

وأسلمت امرأة ذى الكلاع، وكثيراً من قومهم ومن يلوذ بهم، وظل جرير لديهم يعلمهم القرآن، وأمور الدين حتى وفاة الرسول ﷺ، فأخبره ذو عمرو بوفاة الرسول، فخرج جرير مسرعا الى المدينة، وسار ومعه عمرو حتى خرج من بلاد اليمن [1] فكلف أبو بكر الصديق خليفة رسول الله جرير بالعودة الى السراة، وجمع ما يستطيع جمعه من أبناء القبائل بالمنطقة والتحرك نحو نجران لمساعدة قبائلها فى القضاء على حركة الردة، ثم الانتظار بها حتى تأتيه تعليمات أخرى. مما سنذكره فيما بعد.

المهم أن الترتيبات النهائية للولايات أواخر عهد الرسول ﷺ كانت على الوجه الأتى:

١- عتاب بن أسيد على مكة وما حولها ويساعدة الطاهر بن أبى هالة على تهامة والحجاز، الممتدة جنوباً حتى نهاية أرض عك والأشعريين.

٢- عثمان بن أبى العاص، من قَسَيّ، من ثقيف على الطائف، ويساعدة مالك بن عوف النّصْرى على سراتها، ومخاليفها، وعكرمة بن أبى جهل على عجز هوازن وما يمتد من تربة جنوباً حتى ولاية نجران.

---

[1] طبقات بن سعد، ١/٢٦٥، ٢٦٦، والطبرى ٣/١٨٧، وبهجة المحافل، ليحى بن أبى بكر العامرى ٢/٧٤.

٣- عمرو بن حزم الأنصارى على نجران وأوديته[١] من نصارى قبائل عربية أسلمت عليها، منذ قدم اليها خالد بن الوليد منتصف العام العاشر الهجرى، وكانت الحدود الجنوبية لنجران ملاصقة لأرض بعض مذحج فى صعدة، ثم همدان، وهم الذين قدم اليهم على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ، وقال أحد مرافقيه من الصحابة الى ذلك المكان: انها أول بلاد اليمن، وهى أول أرض يمنية تطؤها جيوش المسلمين كما سبق أن ذكرنا ذلك[٢] وبعث الرسول ﷺ، أبا سفيان بن حرب الى عمرو بن حزم ليجمع صدقات نجران، ويسهم مع ابن حزم فى تفقيههم بأمور الدين[٣] وكان تحت هؤلاء أمراء عديدون على أقوامهم وقبائلهم، أوعلى بعض البلدان كصرد بن عبد الله الأزدى ولاه الرسول ﷺ على بلدة جرش، وتوفى الرسول، وهو عليها[٤] وقيس بن الحصين ذى الغصة الذى ولاه الرسول على بطون بنى الحارث بن كعب بنجران وغيرهما كثيرون من رؤساء القبائل بالمنطقة.

---

[١] انظر الطبرى ، ٣١٨/٣ ، وانظر فيما سبق ابن الأثير ، ٣٧٤/٢ ، ٣٧٥ .

[٢] انظر فيما سبق ص ١٤١ ، ١٤٢ من هذا البحث .

[٣] انظر : نسب قريش ، للمصعب الزبيرى، ص١٢٢ .

[٤] الإصابة فى تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلانى ١٨٧/٢، فى ترجمة صرد بن عبد الله، وطبقات ابن سعد ٣٤٠/١ .

وكانت الولايات بأرض اليمن أواخر عهد الرسول ﷺ، على الوجه الآتي [1]:

١- على صنعاء، وبعض مخاليفها، شهر بن باذان، تولاها بعد وفاة أبيه باذان، ثم فيروز الديلمي، بعد مقتل الأسود العنسي الذي قتل شهر بن باذان.

٢- على همدان ومخاليفها: عامر بن شهر الهمداني.

٣- على مأرب، ومخاليفها: أبو موسى الأشعري، وكان أبو موسى الأشعري قد سبق له أن ذهب الى اليمن لجمع الصدقات، ثم عاد الى المدينة مع على بن أبي طالب، وشهد حجة الوداع مع الرسول ﷺ[2] ثم عاد اليها أميرا ضمن الأمراء الذين عينهم الرسول ﷺ، وحدد لكل منهم منطقة لها حيز وحدود معلومة، وذلك بعد حجة الوداع.

٤- على ما بين نجران، ورمع[3] وزبيد: خالد بن سعيد بن العاص، وكان خالد قد ذهب أول الأمر عاملاً على الصدقات

---

(1) الطبرى ، ٢٢٧/٣ ، ٢٢٨ ، ٣١٨ ، وسيرة ابن هشام ، ٣٧٧/٢ ، والبداية والنهاية لابن كثير ، ٣٤٦/٦ ، وابن خلدون ، ٥٩/٢ .

(2) البداية والنهاية لابن كثير ، ١٨٨/٥ .

(3) رمع: قرية: أو موطن أبي موسى الأشعري، ببلاد الأشعريين، بالقرب من غسان الماء الذي تركته جماعة من الأزد، في هجراتهم ابان سد مأرب، ثم نزحوا الى الشمال، وتوزعوا، منهم من استوطن السراة وما حولها —

مع فروة بن مسيك المرادي، في ولايته: مراد، وزبيد والأشعريين، وعند التعديل الجديد للولايات أنشئت ولاية في المنطقة المذكورة، وتولاها خالد بن سعيد بن العاص.

٥- على مدينة الجند، ومخاليفها: يعلى بن أمية بن عَبْدة التميمي، وكان قد استقطعت من فروة بن مسيك بلاد زبيد وضمت الى الجند، ولم يبق لفروة الا مراد قبيلته، فوليها، وكان تابعاً لولاية الجند أيضاً.

٦- وقسمت بلاد حضرموت الى ثلاث ولايات بين كل من: زياد ابن لبيد البياضي الخزرجي، وعكاشة بن أصغر الغوثي، الأزدي، والمهاجر بن أبي أمية المخزومي أخو أم سلمة أم المؤمنين، لكنه تخلف في المدينة لمرضه، وظل بها الى أن توفي رسول الله ﷺ، وكان قد بعث الى زياد البياضي لينوب عنه في إدارة ولايته، فأدارها خلال هذه الفترة حتى وقت الردة. وقيل: عين معاوية ابن كندة على أرض كندة، وأفرد كل ولاية بحيزها وحدودها[1] وكان ملوك حمير قد أسلموا، وبعثوا باسلامهم الى النبي ﷺ: الحارث، ومسروح ونعيم بن عبد كلال، والنعمان

--- والمدينة ، وطى ، ومنهم من أقام دولة الغساسنة بالشام، معجم البلدان ، ٦٨/٣ ، وصفة جزيرة العرب للهمداني ، ص ٢٧٠ .

(١) الطبري ، ٢٢٨/٣ .

وذو زرعة قيل ذى رعين، ومعافر، وهمدان، وكان رسولهم مالك بن مرارة الرهاوى، وقد حمل كتابا من ذى زرعة الى الرسول ﷺ، وصادف وصوله المدينة عودة الرسول من غزوة تبوك فى شهر رمضان ٩هـ، وأسلم مالك بن مرارة ومكث هو بالمدينة يحفظ القرآن، ويتفقه فى الدين ولما عزم على العودة فى بداية عام ١٠هـ بعث الرسول خلفه وفدا فى ربيع الأول رئيسهم معاذ بن جبل، يتكون من: معاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد، ومالك بن عبادة، ومالك بن مرة، وعقبة بن نمر وآخرين، وانضم إليهم مالك بن مرارة لأنه اجتهد فى حفظ القرآن الكريم والتفقه فى الدين لينتشروا فى بلدان اليمن، ومخاليفها، وجميع أرضها وقراها، يعلمون الناس القرآن، وأمور دينهم ويقضون بين الناس فيما يعنّ لهم، وكان الرسول ﷺ، قد علّم معاذ كيف يقضى بين الناس، ثم كان يبعث اليه بعد ذلك الكتب تحمل أموراً تشريعية[1] وكتب مع مالك الرهاوى كتاباً الى ملوك حمير، جاء فيه: أما بعد، فانه قد وقع بنا رسولكم منقلبنا من أرض الروم، فقلينا بالمدينة، فبلّغ ما أرسلتم به .. وأنبأنا بإسلامكم، وقتلكم المشركين، وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى فإنه من المؤمنين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، ومن كان على يهوديته، أو نصرانيته فإنه لايرد عنهما وعليه الجزية ..

---

[1] مجموعة الوثائق السياسية، ص١٧٩، ١٨٠، وسيرة ابن هشام، ٢٣٥/٤، والأموال لابن سلام، ص ٣٨.

وإذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيراً: معاذ بن جبل، وعبد الله ابن زيد، ومالك بن عبادة، وعقبة بن نمير، ومالك بن مرة، وأصحابهم .. وأميرهم معاذ بن جبل .. فاستوصوا بهم خيراً[1]. ولذا فإن معاذ بن جبل هو وأصحابه كانوا يتنقلون في تلك الولايات بأرض اليمن ليعلموا الناس ويفقهوهم، ويحكموا بينهم بالإضافة إلى جمع الزكاة، ولم يأت أحد منهم بمنطقتنا موضوع الدراسة لأن مهمتهم كانت قاصرة على أرض اليمن، والقبائل التي تتوطنها، وحدث أن رجلاً من قبيلة عكّ ترك موطن قبيلته

[1] مجموعة الوثائق السياسية ، ص ١٨١ ، وطبقات بن سعد ، ٢٤٦/١ ، ٣٥٦ ، وكتاب الأموال للقاسم بن سلام، ص ٣٩ ، والبداية والنهاية ، ٨٦/٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، وفيه : أن معاذ بن جبل الخزرجي الأنصاري ، أحد خمسة حفظوا القرآن عن ظهر قلب على عهد رسول الله وتفقه في أمور الدين ، حتى صار من أعلم الناس بالحلال والحرام ، وكان شاباً وسيماً ، سخياً كريماً لايسأله أحد الا أعطاه حتى أصبح عليه دين تستغرق جميع ماله ، وألح عليه غرماؤه ، فكلم الرسول ﷺ ، ليطلب من غرمائه امهاله ، فرفضوا ، فلم يبرح أن باع ما يملكه وقسمه بين غرمائه ، واستعمله الرسول ﷺ ، مع عتاب بن أسيد بمكة ليعلم أهلها القرآن وأمور الدين ، وظل بها الى قبيل غزوة تبوك ، فانطلق الى المدينة وشارك في تبوك عام ٩هـ مع رسول الله ﷺ ، ثم لما عادوا منها وجدوا رسل ملوك حمير بالمدينة ، ومعهم مالك الرهاوي ، فكان يجالسه كثيراً ، ثم بعثه الرسول الى اليمن أميراً على مجموعة ليعلم أهلها القرآن الكريم ، وأمور الدين ، ويقضي بينهم ، ثم ليجبره في ماله لقاء ما يأخذه من سعاية في جمع الصدقات . فلما عاد من اليمن في عهد أبي بكر الصديق ، وكان معه مال كثير خاص به ، فأشار عليه عمر بن الخطاب بدفعه الى أبي بكر ليضعه ضمن مال المسلمين في بيت المال ، فرفض أبو بكر وقال، هو لك لا آخذ منه شيئاً. ثم ذهب مع جيوش المسلمين إلى الشام، وكان حامل لواء الميمنة لجيش المسلمين يوم اليرموك، وقيل توفي في طاعون عمواس عام ١٨هـ، بعد أن عهد إليه أبو عبيدة بن الجراح قبل موته فمات هو أيضاً ، البداية والنهاية ، ٩/٧ ، ١٠٥ ، والسيرة الحلبية ، ٢٦٢/٣ ، والتبيين في أنساب القرشيين ، لموفق الدين بن قدامة ، ص٤٤١ .

في تهامة، وتوطن بلدة خيوان[1] وهي من بلاد همدان، فتعرض له مالك بن مرارة الرهاوي، فتركه العكيّ وقدم على رسول الله ﷺ، بالمدينة، فقال: يارسول الله، ان مالك بن مرارة الرهاوي قدم علينا — في خيوان — يدعو الى الإسلام، فأسلمنا، ولِيَ أرض فيها رقيق ومال، فاكتب لي بها كتاباً، فكتب له كتاباً جاء فيه إن كان صادقاً في أرضه، وماله، ورقيقه، فله الأمان، وذمة الله، وذمة محمد رسول الله.[2]

وهذا يؤكد أن أرض علكّ الأصلية، وأرض الأشعريين التي تحت ولاية الطاهر بن أبي هالة، لم يدخلها معاذ بن جبل ورفاقه، لأنها خارجة عن نطاق مهمتهم، فمهمتهم محصورة في أرض اليمن فقط، أما هذه فتابعة لإمارة مكة، وامتداد لأرضها.

ولكي نزيد تلك الارتباطات الادارية وضوحاً، لابد من التعرض لما أحدثته حركة الردة التي واكبت تنبؤ الأسود العنسي[3] وازداد لهيبها بوفاة الرسول ﷺ وذلك للوقوف على أسلوب مواجهتها، ومعرفة الترتيبات الإدارية التي أتبعت حينذاك.

---

[1] خيوان : شمال صنعاء بمسافة ١٢٢ كيلو .

[2] مجموعة الوثائق السياسية ، ص ١٩٣ .

[3] الأسود العنسي ، هو : عبهلة بن كعب بن غوث بن صعب بن مالك بن عنس من مذحج ، كان كاهناً، مشعبذاً ، يستعمل السحر ، وقيل كان له اتصال بالجن .
الجمهرة ، ص٤٠٥ ، والطبري ١٨٥/٣ ، وابن الأثير ، ٣٣٦/٢ .

٣- حركة الـــــردة :

بعد أن رجع الرسول ﷺ الى المدينة من حجة الوداع، أواخر ذى الحجة ١٠هـ، رتب بعض الولايات التى كانت بحاجة الى ترتيب، وتحديد، وبعث عليها الأمراء، وفى أوائل المحرم ١١هـ بعث المصدقين لجمع الزكاة، وصرفه فى مصارفه، ثم بدأ تجهيز حملة يقودها أسامة بن زيد الى مشارف الشام. وحث الناس على الاستعداد للذهاب فى جيش أسامة، ثم بدأ يشتكى من وجعه (الذى توفاه الله به) أواخر المحرم، وقيل: عقب انتهائه، وقيل لليلتين بقيتا من شهر صفر.[1]

وخلال ذلك خرج الأسود العنسى على الناس متنبئاً، فى النصف الثانى من ذى الحجة ١٠هـ، عقب انسحاب جيش على بن أبى طالب من المنطقة، وعودته الى المدينة، وقت حجة الوداع، ثم عدم وصول بعض الأمراء الذين تم تعيينهم للولايات المحيطة به. ولتشجيع بعض شواذ القبائل له، الأمر الذى هيأ له نجاحاً، وانتشر أمره، نظراً لقرب الناس بالجاهلية، ولذا اعتذروا بهذا السبب عند عودتهم الى الإسلام، خرج العنسى من كهف خبان[2] واستولى هو واتباعه علىّ نجران، وأخرجوا منها عمرو بن

---

[1] الطبرى ، ٣/١٨٥ .

[2] كهف خبان : قرية بوادى خبان قرب نجران (معجم المدن والقبائل اليمنية ص ١٤٠) وقيل : بلحج ، ولذا سمى اتباعه : خحجية الملك ، وهى كانت داره، ونشأته ، وأرض عنس قبيلته كانت بالقرب من مخلاف خولان

حزم، فانحاز ابن حزم الى قبائل نجران التى ثبتت على إسلامها فى انتظار تعليمات، أو مدد يأتى إليه من المدينة، ويبدو أن ابن حزم ذهب الى المدينة لهذا الغرض، فوجد الرسول ﷺ، مريضا، فبقى بها الى أن توفى رسول الله ﷺ، وبعد ذلك وثب العنسى على ولاية خالد بن سعيد بن العاص، الواقعة فيما بحسران، ورمسع، وزبيد، فاستولى عليها، وانطلق الى صنعاء، فاستولى عليها أيضا، وقتل واليها شهر بن باذان، وتزوج امرأته، وأبقى على فيروز الديلمى، وداذويه الديلمى ليساعداه فى الادارة، وكان فيروز ابن عم امرأة شهر التى تزوجها العنسى، وقامت بدور كبير فى تدبير وتنفيذ خطة الخلاص من العنسى فيما بعد.

كما وثب قيس بن المكشوح المرادى على فروة بن مسيك المرادى، واستولى على مراد وأرضها وانحاز فروة الى من بقى على إسلامه من بطون مراد ومذحج وغيرهم الى مكان يقال له الأحسية[1] ثم استولى العنسى واتباعه على الجند، وعدن، ثم بعض المدن الساحل بتهامة الحجاز كالشرجة[2] و لم يستول على شيء من أعمال الطائف التى كانت حدودها الجنوبية ملاصقة للحدود الشمالية لولاية خالد بن سعيد، ولهذا يقول المؤرخون: غلب الأسود على مابين صيهد ـ الربع الخالى ـ الى عمل الطائف .. أى حدود عمل الطائف[3] وظل الطاهر بن أبى هالة مقيماً فى

(1) انظر فى كل ماسبق الطبرى، ٣/١٨٥، ٢٣٠، وابن خلدون، ٢/٦٠، والبداية والنهاية، ٦/٣٤٧.
(2) الشرجة بساحل الموسم.
(3) انظر الطبرى، ٣/٢٣٠، وابن خلدون، ٢/٦٠.

ولايته ـ عك والأشعريين ـ وانحاز اليه بعض الأمراء كيعلى بن أمية، بعد أن استولى العنسي على الجند (إمارة يعلى)، ولذا يقولون: إن عك معترضون عليه، أى لم يتبعوه واعترضوا طريقه. وكذا همدان وتجيب وكثير من القبائل اليمنية لم يستجيبوا له.[1]

وكان أول من كتب الى الرسول ﷺ، عن خبر العنسي، فروة بن مسيك المرادى[2] فوصله الخبر وهو يحث الناس على الخروج في جيش أسامة، فكتب الى نفر من الأقيال والأبناء ليجمعوا رجالاً ممن ثبتوا على إسلامهم لمحاربة العنسي، كما كتب الى الأمراء في ولاياتهم يحثهم على التصدى للأسود بمن ثبتوا لديهم على إسلامهم ـ وخرج جرير بن عبد الله البجلي من المدينة حاملاً كتب النبي ﷺ، الى كل من: ذى الكلاع، وذى ظليم، فاذا فرغ فلينطلق الى نجران، وكان كتاب النبي ﷺ الى أهل نجران كتابا عاما جاء فيه: إلى أهل نجران، إلى عربهم، وإلى ساكنى الأرض من غير العرب .. ثم حثهم فيه على التماسك، والتصدى للعنسي .. فانحازوا في مكان واحد، وتهيأوا لمواجهة العنسي[3] كما أرسل الرسول ﷺ، وبر ابن يُحنس الأزدى ـ وقيل: الديلمي ـ إلى داذويه، وجشيش، وهم من الأبناء، وإلى بعض الأقيال، ورؤساء القبائل، والأمراء في ولاياتهم، فلهب أول ما ذهب الى معاذ بن جبل في السكون بحضرموت، وتحرك معه معاذ

---

[1] تاريخ الخميس في أحوال انفس نفيس، للديار بكرى، ٢٠٢/١، وابن الأثير ٢٣٦/٢، ٢٣٧.

[2] الطبرى ٣، /١٨٧،

[3] الطبرى، ٢٣٢/٣، وابن الأثير، ٢٣٨/٢.

الى من يحمل اليهم كتباً، وعملا معاً على تجميع الناس، ودخل ابن يحنس صنعاء خفية والتقى بفيروز وأصحابه وأطلعهم على كتب رسول الله، وحثهم على التخلص من العنسى، إما بالمواجهة، أو غيلة[1] وكان من حسن حظهم أن قيس بن المكشوح اختلف مع العنسى، وبدأ يعمل ضده[2] وأخيراً تمكن فيروز، وداذويه، وقيس، من قتل الأسود العنسى غيلة بمساعدة من زوجته[3] وجاء الخبر من السماء الى النبى ﷺ، ليلة مقتل العنسى، فأخبر أصحابه قائلاً: إن الله قد قتل الأسود الكذاب، قتل البارحة[4] واصطلحوا على أن يتولى الأمر فى صنعاء، بصفة مؤقتة معاذ بن جبل، لحين يعين الرسول ﷺ، والياً عليها، وكتبوا بخبر العنسى، وأمر الولاية الى رسول الله، فوصل رسولهم المدينة آخر النهار الذى توفى فى صباحه رسول الله ﷺ[*] وقيل: وصل ثانى يوم الوفاة، وآلت الإمارة الى فيروز، لأن معاذ قدم الى المدينة عند سماعه خبر وفاة الرسول ﷺ، ثم أقره أبو بكر عليها عقب توليته الخلافة.

كان بعض أتباع العنسى قد فروا من صنعاء عقب مقتله، واتخذوا المنطقة التىبين نجران ورمع وزبيد مقرا لهم، أى ولاية خالد بن سعيد

---

[1] الطبرى، ٢٣١/٣، وابن خلدون، ٦٠/٢، والبداية والنهاية، ٣٤٧/٦، ٣٤٨، وابن الأثير ٣٣٨/٢.

[2] الطبرى، نفس الجزء والصفحة، والبداية والنهاية، ٣٤٨/٦.

[3] الطبرى، ٢٣٥/٣، والبداية والنهاية، ٣٥٠/٦.

[4] الطبرى، ٢٣٦/٣، ٢٣٩، وابن الأثير، ٣٤٠/٢، ٣٤١.

[*] الطبرى، ٢٣٦/٣، والبداية والنهاية، ٣٥٠/٥.

السابقة. أما نجران فقد هب أهلها بطرد اتباع العنسي بمجرد سماعهم خبر مقتله.

وشاع خبر وفاة الرسول ﷺ، فتصدعت له القلوب، واضطربت الأرض، واستيقظت الفتنة، وصار العرب مابين مرتد، ومانع للصدقة (الزكاة) وواقف ينظر يقدم رجلاً ويؤخر الأخرى، والمسلمون حيارى بين فراق نبيهم وقائدهم يعتصرهم الألم، وبين ذئاب تتربص فريستها.

وكأن الله قد ادخر أبا بكر الصديق ـ المتسم بالطيبة والوداعة طوال حياة الرسول ـ لهذا الموقف العصيب من دهشة الوفاة، ثم السقيفة، ثم ردة العرب، وأصبح هو في جانب، وغالبية أولى الرأى والمشورة من الصحابة في جانب، حيال ردة العرب يقول له عمر: تألف الناس، وأرفق بهم، فيجيبه أبوبكر بتعجب: أجبار في الجاهلية، خوار في الإسلام يا عمر؟! قد انقطع الوحي، وتم الدين، أينقص وأنا حي؟ لا والله[1] والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه[2] ثم مالبث الصحابة أن رأوا صواب ما ذهب اليه أبو بكر، فحمدوا الله على قيادته لهم بعد وفاة رسول الله، وأيدوه وناصروه.

---

[1] تاريخ الخميس، للديار بكرى، ٢٠١/١، الطبرى، ٢٤٢/٣، ٢٤٣، والبداية والنهاية، ٣٥١/٦.

[2] الطبرى، ٢٤٤/٣، أراد بالعقال الحبل الذى يعقل به البعير الذى كان يؤخذ للصدقة، فقد كانت تؤخذ بعقلها، أى أن العقال على صاحبها، وقيل للتصور أقل شيء كانوا يدفعونه ولو ما يقابل ثمن عقال البعير، ثم رفضوا دفعه لقاتلتهم حتى يدفعوه.

وكان بعض الولاة قد تركوا أماكنهم فى إمارتهم، وقدموا الى المدينة عقب سماعهم بوفاة الرسول ﷺ، وبقى الكثير فى مواقعهم تحسبا لأى خطر يداهم المسلمين فى هذا الموقف العصيب، بل إن بعضهم قام بدور مشابه لما قام به أبو بكر الصديق، خليفة رسول الله ـ من التصدى للمرتدين، وترسيخ دعائم الإيمان فى قلب الذين ثبتوا ..

فمثلاً سهيل بن عمرو بن عبد شمس، أحد زعماء قريش وخطيبها وشاعرها المفوه، الذى فاوض الرسول ﷺ نيابة عنها يوم الحديبية ٦هـ، وركب الصعب فى مفاوضاته يومها، حتى تغيظ منه بعض المسلمين وفاض صبرهم. أسلم سهيل يوم الفتح، وحسن إسلامه، وظل هو وكثير من زعماء قريش بمكة بعد إسلامهم، ولم يهاجروا الى المدينة لأن الرسول قال: لاهجرة بعد الفتح، فكانوا عونا لأمير مكة عتاب بن أسيد فى استقرار الأوضاع والأمن فى بلد الله الأمن، وفيما حوله، أو يتبعه من عمالات، وكان سهيل قد أسر ضمن من أسروا من المشركين يوم بدر، ولما عرض على الرسول ﷺ، تقدم عمر بن الخطاب وقال للرسول: دعنى يارسول الله أنزع ثنيته[1] حتى يلدغ لسانه، فلا يقوم عليك خطيباً، أو يهجوك بشعر بعد اليوم، فقال الرسول: دعه ياعمر، فلعله يقوم مقاماً تحمده فيه، ولاتذمّه[2] فلما كان يوم وفاة الرسول ﷺ، واضطربت

---

[1] أى ماتقدم من أسنانه ، حتى يلدغ ، وفى رواية ، أى لايستطيع نطق الحروف نطقا سليما .

[2] البداية والنهاية ، ٥/٣١٤ ، الخميس فى أحوال أنفس نفيس ، للديار بكرى ، ١/٢٠١ .

الأرض، ودارت همهمه في مكة تتحدث عن ردة بعض القبائل، وخشي عتاب بن أسيد أن يكون لها صدى ببلد الله الآمن، فقام سهيل خطيباً في المسجد الحرام: فحمد الله، وأثنى عليه، وذكر أن وفاة الرسول ﷺ، أمر قضى به الله، شأنه شأن سابقيه من الرسل، وأن الله نعاه إلينا وهو بين أظهرنا، وأنه لم يفارقنا الا بعد أن كملت الرسالة، وأدى الأمانة، وأن الإسلام أصبح في قوة، فمن رابنا أمره ضربنا عنقه دون هوادة[1] عند ذلك خاف الناس، وكفت الألسنة. أليس هذا هو الموقف الذي قصده الرسول ﷺ، في إجابته على عمر يومها؟ سبحان مقلب القلوب!

وفي الطائف وقف أميرها عثمان بن أبي العاص، خطيباً في ثقيف فقال: ناشدتكم الله ألا تكونوا أول الناس ارتداداً، وآخرهم إسلاماً[2] وكذلك قام عوف بن مالك النصري في الاحلاف وبعض البوادي وتوعّد من يرتد عن الإسلام، ولذا قالوا: ثبت على الاسلام عقب وفاة الرسول ﷺ، مابين المسجدين، وهذيل، وأهل السراة، وبجيلة، وخثعم، ومن قارب تهامة من هوازن، وقال أبو هريرة: لم يرجع واحد من دوس، ولا من السراة كلها[3] وكذلك لم يرجع كثير من القبائل. فمثلاً يقول أبو مرزوق التجيبي ـــ من قبيلة تجيب باليمن ـ لم يرجع واحد منا من تجيب، ولا من همدان، ولا من الأبناء بصنعاء، ولقد جاء خبر وفاة رسول الله ﷺ، الى

---

[1] البداية والنهاية ٣١٤/٥ .

[2] تاريخ الخميس ، للديار بكري ، ٢٠٢/١ .

[3] تاريخ الخميس ، للديار بكري جـ ١ ، نفس الصفحة .

الأبناء، فشقت نساؤهم الجيوب، وضربن الخدود، وهن في فحول، وفيهم المرزبانة، فشقت دِرْعَها[1].

وعلى كل فقد ظل أميرا مكة والطائف، ومن يساعدهما من رؤساء البلدان والقبائل والعشائر، متيقظين لأية بادرة تظهر في ولايتهما، وتوابعهما، حتى تواترت الأخبار الى مكة بتجمع ضئيل من شذاذ بعض القبائل ـ مدلج، وخزاعة، وكنانة ـ يقودهم جندب بن سلمى، أحد بني شنوق المدلجي، تجمعوا بمكان يقال له: الأبارق، بتهامة، فيما بين مكة والمدينة. فبعث عتاب بن أسيد كتيبة قادها أخوه خالد بن أسيد، فشتت جمعهم، وأعادهم الى صوابهم، حتى ندموا على ما فعلوا، وقال في ذلك قائدهم، جندب بن سلمى، نادماً على ما كان منه:

ندمت وأيقنت الغداة بأنني ... أتيتُ التي يبقى على المرء عارها

شهدت بأن الله لاشيء غيره ... بني مدلج فالله ربي وجارُها[2]

وكتب عتاب بن أسيد الى أبي بكر خليفة رسول الله، مبشراً.

وفي إمارة الطائف حدث أيضاً أن تجمعت شرذمة من شواذ بعض القبائل ـ خثعم، وبجيلة، والأزد ـ تحت قيادة حميضة بن النعمان الأزدي،

---

[1] تاريخ الخميس ، للديار بكرى ، والدرع بمثابة العباءة للنساء في عصرنا الحاضر .
[2] الطبرى ، ٣١٩/٢ ، وابن خلدون ، ٦٨/٢ .

فبعث اليهم عثمان بن أبى العاص كتيبة قادها عثمان بن ربيعة الثقفى، ففض جموعهم، وأعاد الرشد الى عقولهم. وفى ذلك قال عثمان بن ربيعة:

فضضنا جمعهم والنقعُ كابٍ وقد تُعْدِ على الغدر الفتوقُ

وأبرق بارق لما التقينا فعادت خُلّباً تلك البروق

وفى عمالة الطاهر بن أبى هالة ــ بأرض عك والأشعريين بتهامة، وكانت امتدادا لعمالة مكة ــ تجمعت طائفة من شواذ القبائل، عندما سمعوا خبر وفاة الرسول ﷺ، وكانوا على غير رئيس منهم، فكتب الطاهر بن أبى هالة الى أبى بكر، ثم سار اليهم ومعه مسروق العكى، وكانوا قد تجمعوا بالأعلاب بالقرب من الساحل. فهزمهم وشتت جموعهم. وقتل منهم كثيرين ليرهب غيرهم، وجاءه كتاب أبى بكر، رداً على كتابه، وقد فرغ منهم، وأقام هو ومسروق العكى فى هذا المكان ليأمنا الطريق. وينتظر تعليمات جديدة من أبى بكر.

وفيما عدا هذه الأحداث الثلاثة فلم تكن فى ولايتى. مكة والطائف ما يعكر صفو الأمن فيهما. وأصبحتا عوناً للإسلام، وللدولة الإسلامية، بقبائلهم وأبنائهم الذين تحت الألوية التى عقدها لهم الرسول ﷺ، قبل وفاته.

كانت فلول العنسى الذين هربوا من صنعاء ليلة مقتله، قد اتخذوا المنطقة فيما بين رمع، وأبين، وزبيد ــ وهى الولاية التى كان فيها خالد بن سعيد بن العاص ــ مركزاً لهم، ونشاطاً لتحركاتهم وإفسادهم، ويهددون

بذلك إمارة نجران، وجنوب ولاية الطائف، وجنوب عمالة مكة القائم فيها الطاهر بن أبي هالة، وذلك بالاضافة الى صنعاء، والمناطق الشرقية لمركز تلك الفلول، وبخاصة بعد أن انضم اليهم مرة ثانية قيس بن المكشوح، وزحف بهم على صنعاء فاستولى عليها، وهرب فيروز الديلمي أميرها الى أخواله من خولان. فأمسك ابن المكشوح أبناء فيروز وأبناء غيره ممن أصلهم فارسي، ويطلق عليهم الأبناء، وأراد نفيهم عن البلاد، وسيرهم مع حراس ليحملوهم في البحر الأحمر الى بلادهم فارس فاستصرخ فيروز بقبيلة بني عقيل بن ربيعة بن عامر، وبقبيلة عك لينقذوا أبناءه وظعائنه من حراس ابن المكشوح قبل أن يدفعوا بهم الى البحر، فأنقذوهم وأعادوهم الى فيروز، ووقفوا بجانبه بعد ذلك ضد ابن المكشوح[1] وتلقى الطاهر بن أبي هالة تعليمات أبي بكر بالتحرك هو ومسروق العكي لمساعدة فيروز. فاستطاعوا جميعاً استرداد صنعاء من ابن المكشوح، وعاد فيروز إلى إمارتها.

ونظراً لتفاقم الخطر في هذه المنطقة ـــ أي مابين رمع وزبيد، الملاصقة لجنوب كل من ولاية مكة، والطائف، ونجران ـــ لتمركز فالة العنسي بها، وضرورة القضاء على ذلك الخطر قبل أن يمتد أثره الى مناطق أخرى، وبخاصة الى عمالة مكة المكرمة، منطقة الحرم وأرضه، فقد أصدر أبو بكر خليفة رسول الله، عدة توجيهات وتعليمات تحمل طابع السرعة

---

(1) الطبري، ٣٢٦/٣، وابن خلدون، ٦٨/٢ .

وغالب الظن أنها لم تتخذ فى أية منطقة أخرى إبان فتنة الردة، مما يؤكد على حرصه البالغ لأهمية استقرار الأمن فيها، وفى كل ما يحيط بها من مناطق، وأنه أوكل مهمة استقرار الأوضاع فيها، وعلى حدودها الى أبنائها على وجه الخصوص، فقد خرجت توجيهاته كالآتى:

— كتب الى عتاب بن أسيد، وَالى مكة وأرضها، أن يضرب (أى يفرض) على أهل مكة وعملها تجهيز خمسمائة رجل مقو، أى كل منهم بكامل استعداداته القتالية، وأن يولى عليهم قائداً يأمنه، ويثق فى قيادته، وينتظر تعليمات أخرى[1] وكأن هذه مرحلة استنفار عام، أو طوارىء واستعداد للدخول لمعركة.

— كتب الى عثمان بن أبى العاص أن يضرب (أى يفرض) بعثا على أهل الطائف، ومخاليفها، كل مخلاف بقدره، أى على كل قبائل السراة، وأعراض الطائف، كل قبيلة أن تجهز من الرجال بقدر حجمها، وقوتها، وأن يكون كل منهم بكامل استعداداته القتالية، ويولى عليهم من يأمنه ويثق فيه، ولما أقبلت الى عثمان جموع تلك القبائل وَلّىَ عليها أخاه عبدالرحمن بن أبى العاص، وانتظر باقى التعليمات من أبى بكر.[2]

---

[1] الطبرى ، ٣/٣٢٢ ، وابن خلدون ، ٢/٦٨ .

[2] الطبرى ، نفس الجزء والصفحة ، وابن خلدون نفس الجزء والصفحة ، وفيهما أنه طلب اعداد عشرين رجلا من كل قبيلة ، أو بطن منها .

كان عمرو بن حزم قد انحاز الى بعض قبائل نجران عندما استولى العنسى على نجران أوائل المحرم عام ١١هـ. وكتب الى رسول الله ﷺ، فكتب الرسول كتابا عاما الى أهل نجران، وإلى عربهم وإلى ساكنى الأرض من غير العرب[١] وربما يكون هذا الكتاب من أواخر الكتب التى صدرت عن الرسول ﷺ ولهذا انحازت قبائل نجران في مكان واحد، وأخذت تستعد لمواجهة العنسى فاذا به يترك نجران ويتجه الى صنعاء فاحتلها، وبقيت له بقية بنجران أخرجها أهل نجران عندما علموا بمقتله، أما ابن حزم فإنه عندما علم بمرض الرسول ذهب الى المدينة، وظل بها بعد الوفاة، وأصبحت نجران دون وال. لذا فان أبا بكر تدارك هذا الموقف وأمر جرير ابن عبد الله البجلى، بأن يخرج الى السراة، ويقود ما يقدر على جمعه من رجال قبيلته بجيلة والقبائل الأخرى، ويقاتل بهم من يسمع أنهم ارتدوا، من شراذم الناس، ثم يتجه بعد ذلك الى نجران فيقيم فيها، حتى يأتيه أمره.[٢]

– كتب أبو بكر الى عبد الله بن ثور بن أصغر الغوثى، الأزدى، أن يجمع جموعاً من قبائل وسط تهامة وعسير، ويقيم مكانه حتى يأتيه أمره[٣].

---

[١] الطبرى، ٣/٢٣٢.

[٢] الطبرى، ٣/٣٢٢، وابن خلدون، ٢/٦٨.

[٣] الطبرى، ٣/٣٢٨، وعبدالله هنا هو أخو عكاشة بن ثور، أحد الولاة الثلاثة الذين ولاهم رسول الله بأرض حضرموت.

- كتب الى الطاهر بن أبى هالة، بأن يسير ومعه مسروق العكسى، نحو ولاية أرض صنعاء لمساعد فيروز والأبناء ضد قيس بن المكشوح، بغرض العمل على استعادة صنعاء منه، وذلك بعد أن تأكد أبو بكر من أن عمالة الطاهر أصبحت مستقرة.

- ثم عقد أبو بكر لواء للمهاجر بن أبى أمية المخزومى ـ أخو أم سلمة أم المؤمنين ـ وكان الرسول ﷺ، قد ولاه كندة بحضرموت لكنه مرض وبقى بالمدينة. وكتب المهاجر الى زياد بن لبيد البياضى، الخزرجى بإدارة إمارته نيابة عنه لحين حضوره، ثم توفى رسول الله والمهاجر لم يبرح المدينة بعد، فعقد له أبو بكر لواء يقاتل به الفارين المتمردين من أتباع العنسى، الذين يهددون جنوب كل من ولاية مكة والطائف، ونجران. وقد اتخذوا المنطقة فيما بين نجران ورمع وزبيد مركزا لهم، فاذا فرغ منهم فليذهب الى ولايته بحضرموت، وكان المهاجر يعتبر أخر الألوية التى عقدها أبو بكر، وخرجت من المدينة الى كل الجهات أو بالأحرى من ذى القصة، كانت تعليمات أبى بكر الى المهاجر أن يتخذ مكة طريقه لتنضم اليه الحشود والقوات التى سبق أن طلب من الولاة تجهيزها، وحمل المهاجر كتباً لهم من أبى بكر بانضمامهم اليه، وتحت قيادته، فمر المهاجر بمكة فانضم إليه خالد بن أسيد بقواته التى سبق تجهيزها، ومر بالطائف فانضم اليه عبدالرحمن بن أبى العاص، بقواته، ثم سار حتى انضم إليه عبد الله بن ثور حين حازاه بالسراة، وأخيراً انضم اليه جرير بن عبد الله البجلي، بمن

معه من قوات، حيث أصبحت نجران هادئة [1] وانضم اليه أيضا فروة بن مسيك، وكان عمرو بن معد يكرب، قد وثب عليه، وخلعه عن ولاية قبيلته مراد، فأقبل فروة الى نجران فأقام فيها مع جرير بن عبدالله البجلي حتى قد قدم المهاجر بن أبي أمية فانضم اليه، وسار جميعهم تحت قيادة المهاجر الى منطقة تمركز الفالة المتمردين أتباع الأسود، وعند دخوله المنطقة التي بها المتمردون، استسلم كل من عمرو بن معد يكرب، وقيس ابن المكشوح، فبعثهما المهاجر لأبي بكر، فأنبهما ثم عفا عنهما وحسن إسلامهما، وأبليا بلاءاً حسناً خلال الفتوحات الإسلامية، ثم مالبث عكرمة أن تقدم بجيشه الى المنطقة، وأسهم مع المهاجر في القضاء على شراذم الفَالّين بالمنطقة، ثم تقدم المهاجر الى صنعاء التي كانت قد استقرت الأمور فيها بجهود كل من فيروز والطاهر بن أبي هالة، وتولى الأمر فيها فيروز، ومنها كتب المهاجر الى أبي بكر بكل الذي صنع، وانتظر تعليمات أبي بكر قبل أن يتحرك الى ولايته في حضرموت، فجاءه كتاب أبي بكر بأن يسير مع عكرمة لنجدة زياد البياضي، ثم يذهب لولايته، وقبل أن يتحرك من صنعاء عليه أن يأذن لمن معه، ومن انضم اليه من أهل ولاية كل من مكة، والطائف، ونجران، ومخاليفهم أن يعودوا لمواطنهم إلا أن

---

[1] الطبري، ٣٢٩/٣، ابن خلدون، ٦٨/٢، ويقول ابن خلدون (إن تعليمات أبي بكر الى المهاجر ابن أبي أمية بأن يسير الى اليمن ليصلح من أمره. ثم ينفذ الى عمله، وأمره يقتال من هم بين نجران وأقصى اليمن)، وهذا واضح بأن المنطقة التي كان يقوم بها الفارون أتباع العنسي، وهي مابين نجران، وزبيد، وزبيد، هي أقصى بلاد اليمن. أي آخرها شمالاً، وهي المجاورة لحدود ولاية مكة والطائف من الجنوب.

يؤثر أحد منهم الجهاد، فيسير معه. ثم أمده أبو بكر بعبيدة بن سعد[1] وهذه أيضا من التعليمات التي لم تصدر لأى قائد بشأن مواطنى أية منطقة خلاف مكة والطائف ومخالفيهما، ولذا نلحظ أن جرير عاد واستقر في نجران يدير شئونها، وبعد ذلك ذهب الى المدينة ليستأذن أبا بكر في الذهاب الى ميادين الفتوحات.

أما عكرمة فظل بمنطقة مابين رمع وزبيد، بعد أن عاد لها الاستقرار في انتظار تعليمات أبي بكر، فاذا به يصله كتاب أبي بكر يطلب منه سرعة السير الى زياد بن لبيد البياضي لنجدته، فانطلق عكرمة بمن معه من جند الى صنعاء، ومنها سار هو والمهاجر بمن معهما من جند الى حضرموت لنجدة زياد [2] ومما يلاحظ أن من أورد نص كتاب أبي بكر لعكرمة لنجدة زياد، قال إن عكرمة كان بمكة، أوتبالة [3] لكن الصواب أنه كان بالمنطقة التي تمركز فيها الفارون أتباع العنسي وهي مابين رمع وزبيد .. وبقي فيها بعد أن تم القضاء على المتمردين في انتظار تعليمات أبي بكر، وأن الذى غادرها هو المهاجر، ذهب الى صنعاء وغالب الظن أنه حدث خلط بين استدعاء عكرمة لعقد لواء له وبين تكليفه بنجدة زياد، ذلك أن عكرمة كان قد عين أواخر عهد الرسول ﷺ، والياً، ومصدقاً على عجز هوازن أى منطقة تربة وما حولها، ولما تنبأ العنسي واستولى

---

[1] الطبرى ، ٣/٢٣١ .

[2] مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى ، ص ٣٠٢ .

[3] انظر مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى ، ص ١٣٠ ، ٣٠٢ .

على نجران ذهب عكرمة الى تبالة لمراقبة العنسي، وجمع مايقدر على جمعه من أبناء قبائل المنطقة، لمنع العنسي من القفز الى ولايتي مكة والطائف فيما لو فكر في ذلك. وبعد وفاة الرسول ﷺ وتولية أبي بكر، استدعاه أبو بكر من تبالة الى ذى القصة[1] التي اتخذها أبو بكر مقراً له لعقد الألوية وتحريك الجيوش الى المناطق لمواجهة الردة، وكان أول لواء عقده هو لواء عكرمة وأمره بالسير الى مسيلمة باليمامة واتبعه بشرحبيل بن حسنة[2] لكن عكرمة تعجل الأشتباك بمسيلمة قبل وصول شرحبيل فَمُنِيَ بهزيمة، فكتب الى أبي بكر، فجاءه خطاب أبي بكر حاملاً تأنيباً ولوماً، ويأمره بالسير إلى عمان ومهرة لمساعدة حذيفة بن اليمان، وعرفجة بن هرثمة، ثم ليكن وجهته بعد ذلك منطقة قالة العنسي، ليقابل هناك المهاجر بن أبي أمية[3] وقد نفذ عكرمة تعليمات أبي بكر، ووفقه الله كل التوفيق، بعد الهزيمة الأولى وانتظر تعليمات جديدة من أبي بكر وهو بهذه المنطقة ـــ مابين رمع، وزبيد ـــ فجاءته تعليمات أبي بكر بالسير الى نجدة زياد بن لبيد البياضي، في حضرموت، وليس إلى دبا وعمان كما جاء في نص الكتاب، أو فيما فهم خطأ من أنه ورده وهو بمكة أو تبالة.

---

[1] ذو القصة، قيل: على بعد بريد من المدينة تلقاء نجد، وفاء الوفاء ٣٦٢/٢ وقيل: بينها وبين المدينة ثلاثون ميلاً، أى ٤٨ كيلو متر تقريباء المناسك وأماكن طرق الحج لأبي على الحرى ص٣٣٠، وانظر الطبرى، ٢٥٤/٣ .

[2] الطبرى، ٢٤٩/٣ .

[3] الطبرى، ٢٨١/٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٧ .

وعموماً فإن المنطقة تكون بذلك قد هدأت، وزال الخطر الذى كان يهدد جنوب كل من ولاية مكة، والطائف، ونجران، واتجهت جهود أبناء تلك الولايات الثلاث وغيرهم، الى الفتوحات الإسلامية.

والمهم أن الولايات الثلاث ظلت معروفة بما يتبعها من بوادى، ومخاليف، وأحواز، على نفس هذه الحدود والمعالم [1] بالرغم من هجرة بعض القبائل أو تنقلها من مكان لأخر، أو حتى مع زحفها على ماجاورها من مناطق لم تكن بحوزتها من قبل، وذلك إبان الفتوحات الإسلامية، ونزوح العديد من بطون القبائل الى البلدان المفتوحة فبالرغم من تحركات بعض القبائل من مواطنها الا أن حدود الولايات ظلت معروفة على هذا الوضع، وسجلت فى الدواوين التى أنشأها الخليفة عمر بن الخطاب وبخاصة فى ديوانى الخراج، والأعطيات، وتأكد تثبيتها، ومن ثم إيضاحها أكثر فى عهد الخليفة المأمون عندما جمع العلماء، وعهد إليهم بوضع جغرافية للأمصار والولايات، ونشط العلماء فى تصنيف كتب البلدان والمعاجم، لتحديد الأماكن والبلدان وقياسات المسافات بينها.

---

[1] وحدد كثير من المؤرخين اليمن بثلاث ولايات : صنعاء ومخاليفها ، وحضرموت ومخاليفها، والجند ومخاليفها (وهى تهامة اليمن) ثم بعد فترة احتلت عدن مكان مدينة الجند ، كقاعدة لهذه المنطقة أو الولاية ، وكانت جميعها تحت ولاية والٍ واحد أو أكثر وفق الظروف . انظر ابن خرداذبة ، ص ١٣٤ .

ولانود بهذا أن نستبق الأحداث التاريخية، فسوف يمر بنا ما يؤكد هذا القول ويدعمه، غير أن مقتضى الحال هنا يستوجب علينا أن نشير الى نقطة مهمة فيما نحن بصدده من سرد أحداث تلك الفترة.

كان نصارى نجران عندما علموا بوفاة الرسول ﷺ، وتولية أبى بكر الصديق خليفة له، بعثوا وفدا الى خليفة رسول الله، ليجدد لهم عهد الرسول الذى أعطاه إياهم. فكتب لهم أبو بكر كتاباً جاء فيه: هذا كتاب من عبد الله أبى بكر، خليفة رسول الله ﷺ، لأهل نجران[1] أجارهم من جنده ونفسه، وأجاز لهم ذمة محمد ﷺ، الا ما رجع عنه محمد ﷺ، بأمر الله عز وجل، فى أرضهم وأرض العرب ألا يسكن بها دينان[2] أجارهم على أنفسهم بعد ذلك، وملتهم، وسائر أموالهم، وحاشيتهم، وعاديتهم، وغائبهم، وشاهدهم، وأسقفهم، ورهبانهم، وبيعهم[3] وعلى ما ملكت أيديهم من قليل أو كثير، عليهم ما عليهم[4] فاذا أدوه فلايحشرون، ولا يعشرون[5] ولا يغير أسقف عن أسقفيته، ولا راهب عن رهبانيته، ووفى لهم بكل ما كتب لهم رسول الله ﷺ،[6] وعلى مافى هذا الكتاب من ذمة

---

[1] أى للنصارة من أهل نجران ،ذلك أن أهل نجران لم يكن كلهم نصارى ، وإنما كانت فيها قبائل عربية عديدة أسلمت ، وهذا أيضا يفهم من نص هذا الكتاب الذى كتبه لهم أبوبكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ .

[2] سبق لنا التعرض لما ورد بشأن هذا الموضوع ، انظر ص١٣٥ ــ ١٤٠ من هذا البحث .

[3] البيع : جمع بيعة ، وهى الكنيسه ، وصوامع الرهبان .

[4] أى عليهم ماسبق أن فرضه عليهم الرسول ﷺ ، دون زيادة أو نقصان

[5] أى فلا يفرض عليهم بعث للمشاركة به فى المغازى ، ولا ترسل عليهم الجيوش لغزوهم .

[6] الطبرى ، ٣٢١/٣ ، ٣٢٢ ، ومجموعة الوثائق السياسية ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

محمد رسول الله ﷺ، وجوار المسلمين، وعليهم النصح والإصلاح فيما عليهم من الحق.

وذيل الطبرى هذا النص بخبر ـ دون أن يتحرى مدى مصداقيته ـ يقول: إنه كان لدى نصارى نجران ـ فى ذاك الوقت ـ أربعون ألف مقاتل، من بنى الأفْعَى، الأمة التى كانوا عليهم قبل بنى الحارث بن كعب[1] ولا ريب أن هذا العدد مبالغ فيه كثيراً، فنصارى نجران كانوا قلة بالقياس الى بقية سكان نجران من القبائل العديدة التى أسلمت[2] ثم إن نجران بكامل سكانها تعد منطقة محدودة بالقياس الى غيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية، والمسلمون كانوا يشغلون مساحة أكبر منها بكثير، وقت فتح مكة، ومع ذلك فان جيش المسلمين يومها كان عشرة الآف رجل، وعددهم يوم حنين، الذى تباهوا فيه بكثرتهم، وقالوا: لن نغلب اليوم عن قلة، لم يزد عددهم عن خمسة عشر ألف رجل، فى إحدى الروايات المتفائلة، وجيش المسلمين يوم اليرموك، الذى حشدوا فيه كل طاقتهم، لم يتجاوز ثلاثين ألفا، ويوم القادسية بعد استنفار عمر كافة القبائل فى شبه الجزيرة العربية، لم يصل عددهم أربعين ألف رجل! فكيف يكون لدى بنى الأفعى أربعون ألف مقاتل؟! وبالطبع خلفهم آلاف مؤلفة من المسنين،

---

(1) الطبرى ، نفس الجزء والصفحة ، ومجموعة الوثائق السياسية نفس الصفحة ، والبلاذرى ، ٧٦/١ .

(2) انظر وفود القبائل على الرسول ﷺ من بنى الحارث بن كعب وغيرهم من قبائل نجران ، مجموعة الوثائق السياسية ص ١٣٤ ـ ١٣٩ .

والنساء والأطفال غير القادرين على حمل السلاح[1] ثم يوحى إليهم أبو بكر الصديق ـ فى هذا الوقت بالذات، وقت ردة العرب ـ بأنهم فى طريقهم الى الجلاء عن أرض العرب، إن عاجلاً أو آجلاً، حيث جاء فى نص كتاب أبى بكر لهم: (.. وأجاز لهم ذمة محمد ﷺ إلاما رجع عنه محمد ﷺ، بأمر الله عز وجل، فى أرضهم وأرض العرب، ألايسكن بها دينان) ويسمعون هذا لأول مرة[2] ويتلقونه كتابة من أبى بكر دون أن تفتح لهم شفاه، ولو لمجرد الاستفهام؟! ثم الى من يعدون هؤلاء الأربعين ألف مقاتل، اذا لم يستغلوهم فى هذا الوقت العصيب الذى يمر به المسلمون، أو حتى وقت جلائهم!! ثم من هم بنو الأفعى؟ لقد انتهت رياستهم لنصارى نجران منذ زمن بعيد ودرجوا[3] ولو افترضنا أن أحدا منهم كان باقياً خلال تلك الأحداث التى نتناولها فهم أفراد مغمورون لاذكر لهم، ولاصيت.

إن أمثال هذه الأرقام خيالية وردت كثيراً فى أخبار الأمم فى عصر ما قبل الإسلام و لم يتناولها أحد فى غالب الأحيان بالتمحيص. أما إذا

---

[1] ومعروف أنه عند الاستنفار لدى أية دولة حديثة ، أن نسبة من يتم إعدادهم للميدان لايتجاوز ربع السكان بأى حال .

[2] لقد ثبت أن هذا من آخر ما نطق به النبى ﷺ

[3] بنو الأفعى هم أبناء رهم بن مرة أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد كهلان ، وكان منهم الأفعى الذى كانت العرب تتحاكم إليه بنجران ، ويقول صاحب الجمهرة : إنهم درجوا أى هلكوا وليس لهم عقب على قيد الحياة فى عصره .

أنظر الجمهرة ص ٤١٧ ، ٤١٨ .

وردت ضمن التاريخ الإسلامي فينبغي أن توضع تحت مبضع التشريح، ذلك لأن البعض ـ وبخاصة المستشرقين ـ يستغلونها لبث سمومهم الناقعات للنيل من الإسلام، ومن خلفاء الرسول ﷺ وليس أدل على ذلك مما قاله المستشرق الألماني (يوليوس فلهوزن)[1] فقد أتهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ، بالإخلال بالعهد اخلالاً منكراً، وأكره نصارى نجران على الجلاء عن جزيرة العرب، وأنه تسبب في نقصهم وضعفهم في البلاد التي انتقلوا اليها، حتى أن عمر بن عبد العزيز في خلافته أمر بإحصائهم، وهم بنجرانية الكوفة بالعراق، فوجدهم أربعة آلاف فقط بدلاً من أربعين ألفاً. فتبين أنهم على العشر من عددهم وعدتهم السابقة، فخفف عنهم الجزية الى العشر، وقال هذا المستشرق: (.. فألزمهم مائتي حلة بدلاً من ألفين، أو بعبارة أخرى ثمانية آلاف درهم بدلاً من ثمانين ألفاً، وربما أراد عمر بن عبد العزيز بذلك من وجه ما، أن يصلح ظلم عمر بن الخطاب لهم)!!

وهكذا انتهى قوله! وليته يدرك أن الإسلام أقوى بكثير من كل السهام المصوبة إليه في كل عصر وزمان، وهو باق ما دام أهله متمسكين به، والرسول ﷺ، أعدل من تعامل مع مخالفيه من أهل الكتاب، والخلفاء الراشدون أنزه من تعاملوا مع أهل الذمة، ووفوا لهم بعهودهم التي قطعها

[1] انظر كتابه (تاريخ الدولة العربية، من ظهور الإسلام الى الدولة الأموية) ص٢٩١، نقله الى العربية الدكتور/ محمد عبد الهادى أبو ريدة ، وراجع ترجمته الدكتور/ حسين مؤنس ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٦٨ م.

لهم رسول الله، لكن الطاعنين دأبهم المغالطة دائما فى ما يوردونه أو يتلقفونه من نصوص،فقد غاب عن هذا الطاعن ـ إما قصداً أو دون قصد ـ أن وفد نصارى نجران قدم المدينة عام ١٠هـ، وجلسوا الى الرسول ﷺ، يجادلونه ويحاورونه حتى هم بمباهلتهم، لكنهم تراجعوا مخافة أن ينزل عليهم عذاب الله نتيجة كذبهم، وقبلوا طائعين دفع الجزية[1] بعد أن عرفوا كيفية دفعها، ومقدارها عن كل حالم ـ أى الذى بلغ الحُلُم من الرجال ـ وأن من أسلم منهم، أو مات تسقط عنه الجزية، ومن يولد ويبلغ الحلم تفرض عليه، وأنهم الذين أفادوا بعددهم الاجمالى وقتها، كى يُضَمَّن ذلك كتابة فى العهد الذى كتبه لهم الرسول ﷺ، وتسلموه قبل مغادرتهم المدينة، وهذا العدد الإجمالى يزيد أو ينقص وفق الدخول فى الإسلام، أو الوفاة، أو المواليد الجدد اذا بلغوا الحلم .. بمعنى أنه لم يكن المطلوب منهم دفع مبلغ مقطوع إجمالى، ومن نص هذا العهد نعرف عددهم الإجمالى يومها، وهو (٢٠٠٠) ألفا رجل فقط، وليسوا أربعين ألفا، ذلك أنه ورد فى العهد أن عليهم فى العام (٢٠٠٠) ألفا حلة (لأن على كل حالم حلة)، ألف منها تدفع فى شهر صفر، والألف الأخرى فى شهر رجب، أو تدفع قيمة الحلة اذا تعسر عليهم دفع الحلل (الملابس، أو الأردية) لأى سبب كان، وقيمة الحلة الواحدة أوقية من فضة، أو أربعون درهما، (أى أن قيمة الأوقية كان يساوى أربعين درهما) أو أن يدفع جزء من الفدية بما

---

(١) انظر طبقات ابن سعد، ٢٨٨/٣، ٣٥٧، والطبرى، ١٣٩/٣، وابن الأثير، ٢٩٣/٢، والسيرة الحلبية، ٢٣٥/٣، ٢٣٦، والبلاذرى، ٧٦/١، والبداية والنهاية، ٦٠/٥ ـ ٦٤ .

يوازي قيمته سلاحاً، أو خيلاً، أو عروض تجارة .. فأى تيسير أكثر من هذا؟!

ويبدو أن بعض الصحابة أنهى الى أسماعهم ألايخادعوا الرسول ﷺ، أو يغشوه في أى أمر كان أثناء المفاوضات، وكتابة العهد، وأن يصدقوا فيما يقولونه، وفي ذكر عددهم الذى يضمّن في العهد، فخشوا ذلك، وطلبوا من الرسول ﷺ، أن يرسل معهم رجلاً أميناً، يطلع على ماليهم، وعلى عددهم، ويقبض الجزية المحددة، فقال لهم: سأبعث معكم أميناً أيُّ أمين، ونادى أبا عبيدة عامر بن الجراح، وقال: هذا أمين هذه الأمة.

من هذا نعرف أن عددهم كان (٢٠٠٠) ألفا رجل، يزيدون وينقصون، فاذا كان قد تم إحصاؤهم في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، ووجدوا أنهم أربعة الأف، يكونون بذلك قد تضاعف عددهم، في ظل الحماية والرعاية الإسلامية لهم. أما كونهم اشتكوا لبعض الخلفاء ضخامة ما يدفعونه من جزية وأنه خفف عنهم، فربما يعود ذلك الى حالة كساد في صناعتهم النسيجية، أو ارتفاع التكاليف أو لأية نازلة ألمت بهم، والتخفيف في حد ذاته يدل على سماحة الإسلام في التعامل مع أهل الذمة، ومما يلاحظ هنا أن العهد قد حدد الجزية المقررة بحلل، وهي الأقمشة، مما يدل على أنهم كانوا متقدمين في صناعة النسيج بمختلف أنواعه، وأن الأردية والأثواب النجرانية كانت لها شهرة واسعة، وأن الرسول ﷺ، كانت لديه بردة قطيفة نجرانية، وقيل: إن شقران، خادم رسول الله، دفنها في قبر الرسول يوم وفاته ﷺ، وقال: والله لا يلبسها

أحد بعدك.[1] ثم إنهم كانوا يمارسون بعض الصناعات والحرف الأخرى كالحدادة والنجارة، وصناعة الجلود، بالإضافة الى التجارة والزراعة.

ثم إن يعلى بن أمية، الذى أشرف على عملية إجلائهم، كان قد بعث الى عمر يفيده بما فعله معهم، قبل رحيلهم، كما يفيده بأنه لم يُكره أحداً منهم على الدخول فى الإسلام، أو يرغمه على بيع ممتلكاته بثمن بخس، وغير ذلك من أمور، فكتب عمر كتاباً عاماً الى أهل رعاش كلهم[2] .. أما بعد: فانكم زعمتم أنكم مسلمون ثم ارتددتم بعد، وأنه من يثبت منكم على إسلامة[3] ويصلح، لايضره ارتداده السابق ونصاحبه صحبة حسنة، فاذّكروا[4] ولا تهلكوا، وليبشر من أسلم منكم، فمن أبى إلا نصرانيته (أى البقاء عليها) فإن ذمتى بريئة ممن وجدناه، عشراً تبقى من شهر الصوم[5] من النصارى بنجران.

أما بعد: فان يعلى كتب إلىّ يعتذر أن يكون أكره أحداً منكم على الإسلام أو عذبه عليه ..

---

(1) تلخيص فى أحوال أنفس نفيس ، للديار بكرى ، ١/١٧١ ، ١٧٢ ، والبداية والنهاية ، ٥/٢٩٥

(2) يبدو أن رعاش احدى البلدان ، أو المنطقة التى كان يقيم فيها النصارى بنجران ، لأن الخطاب موجهة لهم ، وليس الى كل العرب بنجران .

(3) أو يعود الى الاسلام بعد ارتداده ، فمفهوم الكلام يفيد ذلك .

(4) أى اعتبروا . وفى بعض المراجع " فاذكروا " لكن الصواب ماذكرناه .

(5) اى أن من بقى على نصرانيته ، فقد اعطيناه مهلة الى عشرين من شهر رمضان ، ثم يغادر نجران وهذه المهلة كى يستطيعوا أن يتصرفوا فى أموالهم حلالها ، بالبيع وغيره ، فلم تحدث مصادرة لأموالهم مثلا .

أما بعد: فقد أمرت يعلى أن يأخذ منكم نصف ما عملتم من الأرض[1]، وانى لاأريد نزعها منكم، ما أصلحتم[2]، وقد اشترى منهم يعلى أرضهم وعقارهم، وكل ما لايستطيعون حمله معهم، وذلك لصالح بيت المال، كما نجد أنهم عند مسيرهم الى شمال شبه الجزيرة، لاختيار المكان البديل الذى يقيمون فيه، كتب لهم عمر كتاباً يوصى بهم الأمراء المسلمين، الذين يحلون فى دائرة ولايتهم، وأن يساعدوهم فى تسلم المكان الذى يختارونه والأرض التى يقيمون عليها، أويزرعونها دون مقابل (وبالنص: فما اعتملوا من شىء فهولهم، لوجه الله، وعقبى – أى عوض – لهم من أرضهم)[3] ترى أية سماحة أكثر من هذا. بل أى عدل وإنصاف؟! وقارن هذا بما حدث للمسلمين إبان جلائهم عن الأندلس .. تجد أنه لاوجه للمقارنة. فعدالة عمر أسمى من أن يوجه لها أى طعن، وهى ليست بحاجة الى من يدافع عنها، وما الطاعن فيها إلا كناطح صخر.

---

[1] أى نصف المنتج من زراعتها ، وعصورها ، وذلك بالنسبة للذين أسلموا منهم واستمروا بنجران فتسلم لهم الارض بالمزارعة .

[2] أى طالما تمسكتم بالاسلام، انظر فى كل ماسبق: كتاب الأموال لابن زنجويه، ١/٢٧٩، وكتاب الأموال للقاسم ابن سلام، ص ١٤٤، ١٤٥، والسيرة الحلبية، ٢/٢٧١، والطبرى ، ٣/٤٤٦ ، وابن خلدون ، ٢/٨٨ .

[3] كتاب الأموال لابن زنجويه ، ١/٤٥١ .

٤ ـ جهود بعض أبناء المنطقة في بداية الفتوحات الاسلامية :

حين نودّ أن نلقى مزيداً من الأضواء على جهود بعض أبناء المنطقة المعنية بالدراسة، في بداية الاستنفار العام للفتوحات الإسلامية، فليس بمقدورنا أن نفصلهم عن أبناء ولايتي مكة والطائف، ذلك لأن المنطقة امتداد لحيز هاتين الولايتين، وتدخل ضمن أرضها، وأبناؤها جزء من أبناء الولايتين خلال السرد التاريخي الذى نعايش أحداثه، فلا مندوحة لنا من شمولية الذكر لأبناء الولايات الثلاث: مكة، والطائف، ونجران ..

ولئن ركزنا في البداية الأولى للاستنفار العام للفتوحات الإسلامية على عهد الخلفاء الراشدين، ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ ، فذلك لأنه يصعب تتبع آثار أبناء المنطقة. وجهودهم خلال المرحلة التاريخية اللاحقة لذلك، لعدة عوامل منها أنهم توغلوا في البلاد المفتوحة، واستوطنوا بعضها، وكانت لهم سطوة ونفوذ بها، كحكام وولاة، وقادة جيوش، وذوى رأى ومشورة، وغير ذلك من رئاسات، كالمهلب بن أبى صفرة وأبنائه، وخالد القسرى، وأبناء الحكم، والأزديين، وغيرهم.

ثم ما تخصيصنا القاء الضوء على أبناء الولايات الثلاث دون غيرهم من مختلف الولايات والمناطق وهم لا يقلون شأنا بأى حال عن هؤلاء، بل ربما تفوقوا في بعض المجالات والرياسات، فما ذاك الا لأننا مقيدون في هذه الدراسة بإبراز الجوانب التاريخية لها، فهو تخصيص منهجى من

مقتضيات البحث والدراسة، حتى لايتوهم متوهم أن تخصيصهم بالذكر لأفضلية فيهم، دون سواهم، وهو مالم يقل به السذج فضلا عن العقلاء.

بعد أن استقرت الأوضاع في شبه الجزيرة العربية عقب الردة، بسط الخليفة أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ذراعيه نحو العراق والشام، وأجمع عزمه على تجييش الجيوش لمنازلة الفرس والروم، الذين كانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر، بعد وفاة الرسول ﷺ، فاستنفر القبائل، واستدعى قواد الجيوش ليعقد لهم الألوية لقيادة الجند[1] ومن ثم تسييرها في بداية التوهج الإشعاعي للفتوحات الإسلامية.

كان من بين هؤلاء جرير بن عبد الله البجلي، والي نجران من قبل أبي بكر[2] فأقبل الى المدينة يقود بعضا من أبناء قبائل المنطقة، فسيره أبو بكر مدداً لخالد بن سعيد بن العاص، الذي كان واليا على مابين رمع وزبيد، وكان أبو بكر قد سيره الى البلقاء وتيماء بمشارف الشام، فتمحل واشتبك معهم فهزم، فتراجع وتوقف في موضعه، وأتته بعد ذلك امدادات لكنه لم يتحرك. فاستأذن منه جرير للرجوع الى أبي أبي بكر كي يأذن له في جمع بطون بجلية، فيكونون معه[3].

---

[1] البداية والنهاية ، ٣/٧ .

[2] الطبري ، ٤٢٧/٣ ، ٤٦٢ ، وقيل : ان أبا سفيان بن حرب خلف جرير على ولاية نجران .

[3] البداية والنهاية ، ٣٩١/٦ .

وكانت بجيلة قد وقع بينها وبين قبيلة كلب بن وبرة حروب شديدة قبل الإسلام، في موضع يقال له: الفِجار (غير الفجار التي شهدها الرسول ﷺ قبل البعثة) فانهزمت فيها بجيلة، فافترقت على إثرها في أحياء العرب[1] وظلت هكذا حتى جاء الإسلام، ولم يكن بالسراة منها إلا بطون قليلة، فلما فاتح جرير أبا بكر في أن يأذن له بجمعها من أحياء العرب، لم يوافقه في ذلك، ورأى أن الوقت غير مناسب، ثم سيره مدداً لخالد بن الوليد في جبهة العراق، فقدم عليه وهو بالحيرة، بعد أن فتح بعض البلاد[2] واستمر يعمل تحت قيادة خالد في هذه الجبهة حتى استدعى أبو بكر خالد للتوجه الى الشام، فبقي جرير مع المثنى بن حارثة، ومعهما عمرو بن حزم الأنصاري، الوالي السابق لنجران، وكان لكل منهم منطقة يواجه الفرس من خلالها، فلما توفي أبو بكر وتولى الخلافة عمر بن الخطاب، كانت الفرس قد جمعت حشودا ضخمة فكتب المثنى لأبي بكر يطلب مددا، فوصل خطابه وأبو بكر في مرضه الأخير، فأوصى بتزويد المثنى بالمدد.

وأقبل جرير واستأذن من عمر في جمع بطون بجيلة فأذن له، فجمعهم وكانوا ألفي رجل وقيل أكثر، فقدم بهم على عمر، فخيرهم عمر في أي الميادين، قائلا: أي الوجوه أحب اليكم؟. قالوا الشام، فان فيها أسلافنا، قال عمر: بل العراق، فان في الشام كفاية من الجند، سيروا الى العراق، ولكم ربع الغنيمة بعد

---

[1] الجمهرة، ص ٣٩٠ .

[2] البداية والنهاية، ٣٩١/٦، وابن خلدون، ٨١/٢ .

الخمس، فقبلوا فكان لهم ربع سواد أرض العراق لمدة عامين[1] وقيل لمدة ثلاثة أعوام، و لم تختص قبيلة أخرى بمثل ما تميزت به بجيلة لهذا النفل الذى نَفَّلَه إياهم عمر.

واستمر جرير يقود بجيلة وغيرها من قبائل المنطقة فى جبهة العراق، فكان على ميمنة سعد بن أبى وقاص يوم القادسية، وقيل على القلب والعجاج على الميمنة، وعدى بن حاتم وقيس بن المكشوح المرادى على الميسرة ـ بعد أن عاد الى الإسلام وأبلى بلاء حسناً ـ ومعهم ذو الكلاع الحميرى، وواصل جرير جهوده يقود بجيلة وغيرها من أبناء المنطقة خلال عهد عمر، وفى عهد عثمان كان عامله على أرض الجبل بقرقيسيا، ولما استشهد عثمان ـ رضى الله عنه ـ، حضر اليه بأرض الجبل زحر بن قيس الجعفى يدعوه لمبايعة على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ خليفة على المسلمين. فبايع، وأخذ البيعة لعلى ممن قبله من المسلمين ثم سار حتى قدم الكوفة للوقوف مع على. وكان رسوله إلى معاوية للتفاوض والدخول فى طاعة على، ثم عاش الأحداث التالية لذلك معتكفاً بعيداً عن الفتنة حتى توفى عام ٥١هـ، وقيل عام ٧٦هـ،[2] والأول أقرب الى الصواب.

---

[1] الطبرى، ٣/٤٦٠ ـ ٤٦٢، والاموال لابن زنجويه، ٣/١٩٧، والأموال للقاسم بن سلام، ص ٨٧، ٨٨.

[2] البداية والنهاية، ٧/٣٣، ٤٨، والأخبار الطوال للدينورى، ص١١٤، ١٥٦، والطبقات لخليفة بن خياط، ص١١٦، والاصابة فى تمييز الصحابة، ٥/٢٣٢.

بادر عمر عقب توليته الخلافة بندب الناس لموازرة المثنى بن حارثة، فكان أول من لبى نداءه أبو عبيد بن مسعود الثقفي[1] ثم تابعه الناس فولاه عمر عليهم، وجعله قائدا للجبهة بالعراق وأوصاه بوصية تشمل كيفية إدارته الحرب، تدلل على مدى حكمة عمر، وحنكته، لكن ابن مسعود مالبث أن استشهد في معركة الجسر في شعبان، وقيل: في رمضان عام ١٣هـ، فبعث المثنى الى عمر يطلعه على الموقف في الميدان، وأن الفرس حشدوا حشودا طائلة، ويطلب مدداً، فكتب له عمر: المورد وارد إليكم سريعاً ــ إن شاء الله ــ وطلب منه أن يجعل الصحراء خلف ظهره، حتى لايتمكن الفرس من الالتفاف حوله، وألا يمكن الفرس منه حتى يأتيه المدد، وقال عمر: والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب، وكتب الى عماله وولاته أن يوافوه بكل من كانت له نجدة، أو لديه فرس أوسلاح، أو ذا رأى، وشرف قائلاً .. العجل .. العجل، وبعث رسلا إلى أحياء العرب، تستجيش القبائل وألا يدعوا ذا بأس، أو قوة، أو خطيب، أوشاعر ألا أتوا به، وعزم أن يتولى بنفسه قيادة هذا الحشد ويذهب الى الجبهة ليقود القتال بنفسه، لكن خاصة الصحابة حالوا بينه وبين ذلك، وأشاروا عليه بأن يبعث من الصحابة ذا خبرة بالحرب والقتال، فوافق.[2]

وقع اختيار عمر على سعد بن أبي وقاص، وكان سعد قد ولاه الرسول ﷺ، على صدقات بعض هوازن، بالبادية شرق السراة وعند وفاة

---

(1) هو والد المختار بن عبيد ، صاحب الدعوة للعلويين ، الطبرى ، ٣/٤٤٥ ، والمقدمة لابن خلدون ص ٢٣١ .

(2) الطبرى ، ٣/٤٧٨ ، ٤٨٢ ، والأخبار الطوال للدينورى ، ص١١٤ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، وابن خلدون ٢/٩١ .

الرسول قدم الى المدينة، وظل بجوار أبى بكر مع بقية الصحابة الذين لم يذهبوا فى جيش أسامة، وكان سعد من حراس الأنقاب[1] خلال هذه الفترة، ثم لما استقرت الأمور عاد لموقعه فى الإمارة وأعمال الصدقة بمنطقتنا، وأقره عمر فى بداية خلافته، ثم استدعاه ليتولى القيادة فى جبهة العراق لمواجهة حشود الفرس[2] وكان قبل استدعائه قد بعث ألف رجل الى عمر، من هوازن وقبائل السراة ومخاليف الطائف، وحين تم استكمال الحشود خارج المدينة، ذهب عمر يودعه، ويودع الحشود الغفيرة، فقال له: ياسعد لايغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ﷺ [3] وصاحب رسول الله فان الله — عز وجل — لا يمحو السيء بالسيء، ولكنه يمحو السيء بالحسن، وأن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته، فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء، والله ربهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة، فالزم ما كان عليه رسول الله[4]

وكان من نتيجة هذا الاستنفار العام الذى أعلنه عمر، أن هبت القبائل من كافة مناطق بلاد العرب، ومنهم أبناء قبائل منطقتنا، فكان منهم: -

---

[1] كان أبوبكر قد جعل حراسا على الطرق والمداخل المؤدية إلى المدينة ، خشية أن يقوم بعض المرتدين بالإغارة عليها فترة تغيب جيش أسامة بتخوم الشام .

[2] البداية والنهاية، ٣٥٤/٦، و٣٣/٧، والطبرى، ٤٧٨/٣، وابن خلدون ، ٨٨/٢ ، ٩١ ، والقاری ، ص٩٧٣ .

[3] قال له الرسول ﷺ ذلك كتكريم له ، والا فانه ليس خالا لها : أى شقيق للأم ، وانما أبوه هو وآمنة بنت وهب أولاد أعمام . انظر الجمهرة ، ص ١٢٩ .

[4] الطبرى ، ٤٨٢/٣ ، ٤٨٣ ، والبداية والنهاية ، ٣٩/٧ ، ٤٠ .

– أبو ضرير، حذيفة بن عبد الله بن عوف، من زهران، من الأزد، يحمل راية قومه وتحتها ألف وخمسمائة رجل من أهل العطاء.[1]

– زهير بن سليم الأزدى، يحمل راية قومه، ومعه أخوه مخنف بن سليم، وقد أبليا يوم القادسية بلاءا حسنا، حتى أن زهير ـــ قبيل نشوب المعركة ـــ تصارع مع النخارجان، أحد قواد الفرس الكبار، وكان عظيم الجثة، صاح طالباً من يصارعه من المسلمين، في مواجهة الجيشين، فخرج له زهير وحاوله حتى صرعه ثم قتله واستولى على برذونه، ودرعه، وقبائه، وأتى بهم الى سعد بن أبى وقاص، فأعطاه إياهم قائلاً: أنت أحق بهم، وأمره أن يتزيا بالقباء ويبرز للفرس، ليفتّ في عضدهم، ويبث فيهم الرهبة، فكان زهير يعد بذلك أول من تزيا بزى الفرس من المسلمين[2]

أما أخوه مخنف بن سليم فقد واصل جهاده في ميادين الفتوحات بفارس، ثم كان مع على بن أبى طالب يوم الجمل، وصفين وكان يحمل راية قومه، ومن أنضم إليه من بطون الأزد الأخرى وبجيلة وخثعم، وكان على الرجالة (أى المشاة) ابن أخيه جندب بن زهير الأزدى.[3]

---

[1] الجمهرة ، ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

[2] الأخبار الطوال للدينورى ، ص١٤٦ ، وكان أول يوم القادسية يوافق ثانى المحرم ١٤هـ ، واستمر القتال أربعة أيام انتصر بعدها المسلمون ، البداية والنهاية ، ٤٨/٧ ، ٤٩ .

[3] الأخبار الطوال للدينورى ، ص١٤٦ ، وطبقات ابن سعد ، ٢٨٠/١ .

– أبو ظبيان الأعرج ، عبد شمس بن الحارث، من بني عبد الله بن كعب الحارثي، وقيل: أبو ظبيان من غامد كان قد عقد له رسول الله ﷺ، راية على قومه وحملها وزحف بهم، وببعض قبائل نجران الأخرى الى القادسية وأبلى يومها بلاء حسنا، وكان ابنه طارق من ذوى الهمة والبأس.[1]

– عرفجة بن هرثمة البارقي الأزدى، كان أبو بكر قد عقد له لواء في حروب الردة، وسيره الى عمان، ومهرة، ولما عاد ولاه على بعض قبائل بالسراة: الأزد، وبجيلة، وبقايا جديلة، ثم بعثه عمر مع العلاء بن الحضرمي بالبحرين، ثم استدعاه، عند الاستنفار العام فأقبل يقود جموعا من تلك القبائل، فسيره عمر الى العراق مع سعد بن أبي وقاص، وشارك بعد ذلك في فتوحات فارس.[2]

– عروة بن أبي الجعد البارقي الأزدى، كان قائد كتيبة من قومه في جيش خالد بن الوليد بالعراق، واستمربها وشهد القادسية ومابعدها، وهو صحابي روى حديث (الخيل معقود في نواصيها الخير) وولاه عمر قضاء الكوفة قبل شريح، ثم سيره عثمان بن عفان بعد ذلك الى الشام.[3]

---

(1) الجمهرة ، ص ٣٧٨ .

(2) البداية والنهاية ، ٣٥٥/٦ ، ٣٧٢ ، ٥٤/٧ ، والطبرى ، ٤٦٣/٣ ، والاصابة ، ٤١٢/٦ .

(3) الطبقات لخليفة بن خياط ، ص ١١٢ ، والبداية والنهاية ، ٣٩٥/٦ ، والأصابة ٤١٤/٦ .

– حميضة بن النعمان بن حميضة البارقى الأزدى، قدم على رأس جمع من بارق، وألمع، وغامد وبعض قبائل السراة وتهامة،[1] وسار بهم الى القادسية، واستمر بتلك الجبهة.

– عثمان بن أبى العاص، والى الطائف ومخاليفها فى عهد الرسول ﷺ، وفى عهد أبى بكر، كان قد استدعاه أبوبكر لقيادة بعض الإمدادات، ثم نقله عمر واليا على اليمامة والبحرين، ولما تقدمت الفتوح فى بلاد فارس استدعاه ليقود مدداً الى الميدان، وظل بتلك الجبهة قائداً لأحد الجيوش، وتحقق على يديه انتصارات عديدة، وتوغل فى بلاد فارس، وفتح سابور عام ٣٠هـ، فى عهد عثمان بن عفان، ــ رضى الله عنه ــ ثم والياً على بعض الولايات ببلاد فارس.[2]

– وقدم بطن من كنانة ممن يقيمون بتهامة الحجاز، فأمر عليهم عمر بن الخطاب: غالب بن عبد الله الليثى وسيره الى العراق[3] وكان غالب قائدا لسرية احتياطية لحماية مؤخرة المسلمين يوم القادسية.

كما ذهب الى العراق بأمر عمر حذيفة بن اليمان الأزدى وقيل: إنه من بنى عبس، حالف اليمانية، صاحب سر رسول الله ﷺ وكان هو وأبوه صحابيان، استشهد أبوه يوم أحد، وشارك حذيفة فى جميع الغزوات

---

(1) الطبرى ، ٤٨٤/٣ ، وابن خلدون ، ٩٢/٢ .
(2) الطبرى ، ٣٢٣/٣ ، والأخبار الطوال ، ص ١٢٩ .
(3) الطبرى ،٤٦٣/٣ ، والبداية والنهاية ، ٤١/٧ .

فـي عهـد الرسـول، وكـان يجيـد الأعمـال الحسـابية والمسـاحة والمكـاييل والأوزان، وعهد اليه عمر بمسح أرض سواد العراق، فيما هو غريبي دجلة لتحديد الخراج على بعضها، ثم شارك في فتوحات فارس مع النعمان بن مقرن الذي تولى القيادة بهذه الجبهة بعد عمار بن ياسر، توفي عام ٣٦هـ.[1]

أما في جبهة الشام فقد انطلق أيضاً الكثيرون، كان منهم:

عكرمة بن أبي جهل، كان قد استوطن مكة بعد الفتح، لأن الرسول ﷺ قال لأهل مكة، ولغيرهم: لا هجرة بعد الفتح[2] وذلك بهدف أن تظل البلاد معمورة، فلا يتركوها ويهاجروا الى المدينة، وعكرمة من الذين أباح الرسول دمهم يوم الفتح، فهرب وأسلمت زوجته، ثم أستأمنت له الرسول ﷺ، فأمنه، فذهبت وأتت به، وقبل دخوله على الرسول، قال لأصحابه: سيقدم عليكم عكرمة، فلا تسبوا أباه أمامه فان سب الميت يؤذي الحي، ولايصل الى الميت، فلما دخل عكرمة، وقف أمام الرسول مطاطيء الرأس، فقال له النبي: مرحباً بمن جاء مؤمناً مهاجراً، فقال عكرمة: يا محمد هذه أخبرتني أنك أمنتني ـ مشيرا الى زوجته ـ قال: إنك آمن، قال: أشهد أن لا اله الا الله، وأن محمدا رسول الله، فقال له

---

[1] الخميس في أحوال أنفس نفيس ١٨٢/١ ، والأحكام السلطانية للماوردي ، ص ١٧٤ ، والاصابة ، ٢٢٣/٢ ، وانظر : المعارف لابن قتيبة ، ص ٢٦٣ .

[2] الأزرقي ، ١٦٥/٢ .

النبي: يا عكرمة ما تسألني اليوم شيئا أقدر عليه الا أعطيتك إياه، قال: استغفر لي كل عداوة عاديتكها، قال النبي: اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها، ثم وعد بأن يبلي في خدمة الإسلام أضعاف ما كان قد بذله في عداوته[1] وقد وفى بما وعد، فكانت جهوده واضحة في حروب الردة، حتى رضي عنه أبو بكر وأثنى عليه بعد أن أغضبه عندما تسرع واشتبك مع مسيلمة، وانهزم. فكتب له أبو بكر .. يا ابن أم عكرمة، أمض لما وجهتك اليه، ولاترينى وجهك إلابعد بلاء[2] فأبلى بعدها بلاءاً حسناً.

كانت عمالته التي ولاه إياها الرسول ﷺ، عجز هوازن، وبعض القبائل المجاورة لها في الجنوب: أي منطقة تربة وما يحيط بها، وامتداداً في الجنوب حتى حدود نجران، ثم استدعاه أبوبكر الصديق في بداية خلافته وعقد له أول لواء في حروب الردة، ولما فرغ منها، هبط الى ولايته في طريق عودته من اليمن الى المدينة، فجند بعضاً من أهلها، زيادة على ما كان معه من جنود، وأقبل على أبي بكر في المدينة، فسيره بمن معه الى جبهة الشام، فأبلى بلاءاً حسناً في المواطن التي شهدها.

ويوم اليرموك كانت الروم قد جمعت حشودا غفيرة، فقد كان عدد الروم يزيد عن ٢٠٠ ألف، بينما عدد المسلمين ٢٧ ألفا فقط، ويومها قال عكرمة: لقد شهدت مواطن كثيرة، أَنِفِرُّ اليوم من الروم؟ وا لله لن

---

[1] السيرة الحلبية، ٣٩/٣، والطبري، ٥٩/٣، والبداية والنهاية، ٣٤٤/٤، والمغازي، ص ٨٢٥، ٨٥١.
[2] الطبري، ٢٨١/٣، ٢٩٣.

يكون ذلك أبداً. ثم صاح في الناس: من يبايعني على الموت، فبايعه سبعون رجلاً، وقيل: أربعمائة. فظلوا يقاتلون حتى استشهدوا جميعا، وربما كان صمودهم ذاك، وصمود بقية المسلمين مما فَتَّ في عضد الروم، حتى تفككت جموعهم، وركب المسلمون أكتافهم، وألحقوا بهم هزيمة لم تقم لهم بعدها قائمة، واستشهد عكرمة يومها، كما استشهد معه ابنه عمرو، وعماه سلمة، والحارث ابنا هشام بن المغيرة وقيل: استشهد عمه سلمة بأجنادين[1] وكانت هذه المجموعة هي التي دارت على جرحاهم كأس ماء وهم عطشى، وكل واحد منهم يؤثر صاحبه بها حتى دارت عليهم جميعاً وعادت إلى الأول فوجد أنه توفي، والثاني كذلك حتى آخرهم دون أن يذوقوا جميعاً شربة الماء .. ووقف التاريخ ليسجل لهم هذا الموقف الايثاري المؤثر - سقاهم الله ماء عذباً سلسبيلا.

— سهل بن عمرو، خطيب قريش وشاعرها، وسيد من ساداتها في الجاهلية والإسلام، قاد جموعا من أهل مكة وأحوازها وانطلق بهم الى أبي بكر فسيره الى الشام قائد أحد الكراديس التي نظمها خالد بن الوليد لمواجهة الروم في اليرموك، قتل يومها هو وأخوه سهل بن عمرو، وابن أخيه عمرو بن سهل بن عمرو.[2]

---

[1] البداية والنهاية ١٢/٧ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ، وابن خلدون ، ٨٣/٢ ـ ٨٥ .
[2] البداية والنهاية ، ٦٩/٧ .

– مالك بن عوف النصرى، الوالى على بادية الطائف، قاد جموعا من ثقيف ومن الأحلاف وبادية الطائف، ووجهه أبو بكر الى الشام، فشارك في فتوحاتها، ثم كان ضمن جنود عمرو بن العاص فى فتح مصر، وهو الذى عهد اليه عمرو بحصار الاسكندرية، وكان فيها المقوقس عظيم القبط بمصر، وحوله جنود الروم، وكان قد قبل بدفع الجزية لكن القائد العسكرى الرومانى بالقاهرة رفض، وتحصن بحصن بابليون، فما قتحمه عليه عمرو بن العاص، ومن معه، واستولوا عليه عنوة[1] وكان هذا القائد العسكرى هو نفسه أرطبون الذى هزمه عمرو فى أجنادين[2] فقد كان حاكماً عسكرياً على مصر أيضاً، وبلغ المقوقس فتح حصن بابليون بالقاهرة، فصالح مالك بن عوف على الاسكندرية.

– سعد بن مالك الأزدى، الذى عقد له الرسول ﷺ، لواء على قومه، بطن من الأزد، قادهم وبعض القبائل الأخرى تحت هذا اللواء، وسار بهم الى الشام، وكان ضمن جنود عمرو بن العاص لفتح مصر، ثم استوطنها بعد ذلك.[3]

– مسروق بن جبلة العكى، من قبيلة علكّ، الذى قاد جموع علكّ ووقف مع الطاهر بن أبى هالة، إبان تنبؤ العنسى، والردة، قاد جموعا

---

(1) ابن خلدون ، ٢/١١٤ .

(2) البداية والنهاية ، ٧/٦٣ ، والطبرى ، ٤/١٠٧ .

(3) التراتيب الادارية للكتانى ، ١/٣٢٠ ، وابن خلدون ، ٢/١١٤ .

وسار بهم الى الشام، وكان تحت قيادة معاوية بن أبى سفيان، وبقى فى الشام مع معاوية، وكان من شهود وثيقة التحكيم بين على ومعاوية التى كتبت فى ١٧ صفر عام ٣٧هـ.[١]

– عبد الجد بن ربيعه الحكمى، صحابى، وفد على الرسول ﷺ، وقاد عشيرته من آل الحكمى وشارك بهم فى فتوح الشام، كما كان ضمن جيش عمرو بن العاص لفتح مصر، ثم استوطنها بعد الفتح[٢] وقيل بل الذى استوطنها غيره من بنى الحكمى.

وكان بطن من بنى الحكم انتقل وأقام فى الشام، منهم حبيب بن عبدالرحمن الحكمى الذى بعثه عبد الملك بن مروان، على رأس جيش من أهل الشام مددا للحجاج بن يوسف فى حربه مع شبيب الحرورى عام ٧٧هـ[٣]

– عمرو بن الطفيل الدوسى، أبوه الطفيل أسلم قبل الهجرة، عندما سمع بمبعث الرسول ﷺ، ودعا له الرسول، فكان صاحب النور فى سوطه، واستشهد أبوه يوم اليمامة، وقطعت يد ابنه عمرو يومها، ثم شفيت بعد البتر، وكان يوما عند عمر بن الخطاب بمجلسه اذ أتى بالطعام فتنحى عنه عمرو وتقدم الناس، فقال له عمر بن الخطاب: مالك؟ لعلك تنحيت

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية ، ٣٩٩ .

(٢) الاصابة ، ٦/٢٥٥ .

(٣) البداية والنهاية ، ٩/٢٠ .

لمكان يدك؟ قال: أجل، قال عمر: والله لا أذوقه حتى تسوطه بيدك، فو الله ما في القوم أحد بعضه في الجنة غيرك. عندئذ تقدم عمرو الى الطعام[1] ثم انطلق بعد ذلك يقود جماعة من دوس، ومن الأزد، وشهد اليرموك فاستشهد بها.[2]

- مالك بن عبد الله بن سنان، من شهران، من عفرس، من خثعم، الذي قاد كتيبة من قومه، وشارك في حروب الشام، وقاد الصوائف الى أرض الروم أيام معاوية[3] يقال استمر يقود تلك الحملات أربعين عاما، وقيل كان يتناوب معه في ذلك سفيان بن عوف بن المُغَفَّل، الغامدي[4] وكم غير هؤلاء ممن لبوا نداء الاستنفار، بيد أن المقام ليس مقام احصاء وحصر، وانما هو لإبراز بعض المواقف لما كانت عليه المنطقة في ذاك الوقت، ومدى ترابطها، وكيف جمع الإسلام بين قبائلها وألف بين قلوبهم، ومدى الطاعة لولاة الأمر، وأن الوزاع الديني خلق فيهم روحا وثابة دفعتهم الى ميادين الفتوحات، هم وأبناء القبائل الأخرى في كافة أحياء العرب، وأن تلك القبائل مافتئت تمد ميادين الفتوحات بين الحين والأخر بمدد يتلوه مدد كأمواج البحر المتابعة على مدى عشرات

---

(1) الطبقات لابن سعد ، ٢٤٠/٤ .

(2) ابن خلدون ، ٨٥/٢ ، والبداية والنهاية ، ٣٨٠/٦ و٧/ ١٥ .

(3) الصوائف هي الغزوات التي كانوا يغزون بها الروم من البحر الأبيض المتوسط ، يغيرون فيها على أرضهم وحرائرهم ، وكانوا لايقومون بها إلا فترة الصيف ، ولذا أطلق عليها : صوائف

(4) الجمهرة ، ص ٣٧٨ ، ٣٩١ .

السنين، وواكبت ذلك هجرات بعض بطون القبائل عن مواطنها الأصلية في بلاد العرب، بغرض الاستيطان في البلاد المفتوحة.

وليس أدل على تلك الهجرات بأعداد هائلة خلال هذه الفترة من أن الكوفة وهي إحدى البلدان التي أنشأها المسلمون، ليستوطنوها بدلا من المدائن التي لم تسرق لهم، وبدأ تخطيطها منتصف عام ١٦هـ، ثم بدأ الاستيطان فيها في غُرّة المحرم عام ١٧هـ ولم يكد يمضي على استيطانها خمس سنين حتى بلغ عدد سكانها مائة ألف، وذلك عام ٢٢هـ، كما جاء ذلك في قول الخليفة عمر بن الخطاب، وهو يشكو همومه منها للمغيرة ابن شعبة أن بها مائة ألف لايرضون عن أمير، ولايرضى عنهم أمير![1] وهناك غير الكوفة من البلدان والأمصار التي تم الاستيطان فيها بمئات الألوف من الرجال ونزحت عوائلهم لتقيم معهم، فشغرت مواطنهم الأصلية، فنزحت اليها عشائر وبطون من بني عمومتهم، أو من غيرهم، واستمر هذا التزوح خلال عصر الفتوح، وان كان بنسبة أقل عن ذى قبل نظراً لدخول أبناء البلدان المفتوحة في حوزة الإسلام، وإسهاماتهم في ميادين الجهاد، مما خفف عبء الإمدادات نسبياً عن داخل العرب.

على أن ما ينبغي الإشارة اليه هنا هو أن عمر بن الخطاب طلب من سعد بن أبي وقاص ـ قبيل القادسية ـ أن يتخذ العرفاء في الميدان عند التجهيز للمعركة، وكان نظام العرفاء معمولاً به منذ عهد الرسول ﷺ،

---

[1] البداية والنهاية، ٨٣/٧، ٨٤، ١٣٨.

لضبط القبائل في مواطن إقامتها، وبلدانها، فطلب عمر من سعد أن يعمل به في ميدان الحرب أيضاً، من قبيل الضبط لمواقف الرجال، وعزمهم في الميدان، بأن يجعل على كل عشرة رجال من كل قبيلة عريفاً، وعلى كل قبيلة أمير يحمل رايتها[١] ويكون مسئولاً عنها، يساعده العرفاء في القبيلة، وأن يجعل أمراء على أجناب الجيش، والمقدمة، والطلائع والساقات، وعلى الفرسان وغير ذلك[٢] وكان خالد بن الوليد قد رتب جيش اليرموك في صفوف (كراديس) في شيء مشابه لهذا مما لم يكن للعرب عهد به من قبل.

وبعد فترة أصبحت العِرَافة على سبع بدلاً من عشر، وفي عهد معاوية جعلهم في الميادين على أربع لدقة الضبط[٣] غير أن الدواوين التي أنشأها عمر، ومنها ديوان الجند، كان أتم سجل لأحوال الجنود، والعرفاء، والقيادات، وضبط لوجودهم في الميادين، وفي المواقع منها. وكذلك الدواوين للعطاء، والحقوق، والخراج، والجبايات، وغيرها، كما أمر على الولاة بأن يضعوا دواوين خاصة لديهم لمناطقهم وولاياتهم[٤] خلاف التي

---

(١) البداية والنهاية، ٤٠/٧.

(٢) البداية والنهاية نفس الجزء والصفحة، والطبرى، ٤٨/٤، ٤٩.

(٣) الطبرى، ٤٨/٤.

(٤) ابن خلدون، ٢٠٢/١، ٢٠٣.

لدى الامارة بمقرها في المدينة المنورة، والتي احترق معظمها يوم الجماجم عام ٨٢هـ.[١]

وهذا بدوره يؤكد على مدى الاهتمام بوضع أسس الترتيبات الادارية عند نشأة الدولة الاسلامية، وضبط المناطق، والولايات، وتحديد معالم كل ولاية بصورة واضحة ودقيقة.

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية ، ص ٩ .

٥ - استمرارية العمل بالترتيبات الإدارية للولايات بعد الرسول ﷺ :

لاشك أنه كانت للترتيبات الإدارية التي وضعها الرسول ﷺ، للولايات والمناطق الأثر الفعال في تنظيم أعمال وتصرفات القبائل التي كانت تأنف من الخضوع لسلطة مدنية، ومن ثم ضبط الولايات والمناطق التي تكونت منها الدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ، وعهد الخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم أجمعين -، ومن جاءوا بعدهم.

فقد جاء الإسلام بما طهر النفس فاتجهت في عبادتها الى بارئها، وصار معيار التفاضل تقوى الله، والولاء لله ولرسوله والطاعة لأولى الأمر، وأصبح العدل سقفا يستظل به الجميع، وأقر الملكية الفردية والجماعية للقبيلة في موطن إقامتها، وبين المنافع العامة، والمشاع، وعين العرفاء على العشائر، والأمراء على القبائل، كما عين أمراء الألوية والرايات عند الاستنفار، والسعاة لجمع الزكاة والصدقات والجزية والخراج، وعين الأئمة، والدعاة، والقضاة، والأمراء على المناطق والولايات، واتخذ بيت المال، ودور الضيافة، والكتبة[1] وحملة الكتب

---

[1] اتخذ الرسول ﷺ دارين بالمدينة لاستضافة الوفود ، وكان عنده أكثر من أربعين كاتباً ، انظر الخميس في أحوال انفس نفيس ١٨٢/١ .

والرسائل، واستعمل عمالاً دائمين لحمل البريد من الولايات وإليها، وغير ذلك من عناصر أساسية لمقومات الدولة المدنية، والسياسة الشرعية لها.

ولقد راعى الرسول ﷺ، الوضع الذى كان سائدا من قبل من حيث ارتباط المناطق بعضها ببعض، عند تحديد الولايات، وتعيين ولاة عليها، وذلك لدعم التوافق والتآلف بين القبائل، والترابط الجغرافى بين البلدان، ومن هذا كان الامتداد الجغرافى لمكة المكرمة، هو فى أرضها الممتدة على الساحل شمالاً وجنوباً بمقدار معين امتدت اليه ولاية مكة[1] ولم تمتد شرقاً نحو أرض اليمامة، بل كانت اليمامة قائمة بذاتها وترتبط مع البحرين (الأحساء) فى معظم الفترات التاريخية. كذلك الشأن بالنسبة للطائف، كان الامتداد الجغرافى لها فى السراة وأعراض نجدها، وامتدت جنوباً إلى الحدود الشمالية لليمن فيما بين رِمَعْ وآبَيَن وزبيد[2] وجاورت نجران فى الغرب، والشمال الغربى وكانت ولاية الطائف وأحوازها أكثر ملاصقة لنجران، ولهذا فكثيراً ما كانت نجران تنضاف الى عمالة الطائف، لكنها اذا أضيفت فإن حدودها مع الطائف وغيرها تظل معروفة، ومعالمها محدودة، شأنها شأن غيرها من الولايات عندما كانت تنضاف لغيرها، وذلك لعدة اعتبارات منها أن عمال جمع الصدقات، كانوا يجمعونها من

---

[1] سبق أن قلنا إنها امتدت الى نهاية أرض عك والاشعريين جنوباً ، والتى ولى عليها الطاهر بن أبى هالة ، انظر ص ١٧١-١٧٤ من هذا البحث .

[2] أي الولاية التي كانت بالمنطقة فيما بين نجران ورمع وأبين و زبيد ، وهي الولاية التي كان عليها خالد بن سعيد ابن العاص ، قبيل وفاة الرسول ﷺ

أغنياء القبيلة، أو البلدة ويردون جزءاً منها على فقرائها، وينقلون ماتبقى الى بيت المال، وفى بعض الاحيان كانوا يعطون فقراء قبيلة مجاورة فى نفس الولاية، أما أن يأخذوها من بعض بطون الأزد مثلا بولاية الطائف ليعطوه فى بعض قبائل نجران أو العكس فلم يحدث، وإنما كان هذا من اختصاص المهيمن على بيت المال، أى الخليفة. كذلك موضوع القسامة والعقل، فيما لو وُجِدَ قتيل فى مواطن القبيلة، أو زمام البلدة، و لم يعرف قاتله، تحملوا عقله (ديته) وهذا يستلزم معرفه الحدود فى كل المواطن، وتبعية القبيلة لأى من الأمراء، وموطنها فى أى موقع بالإمارة؟ لهذا استمرت تلك الحدود معروفة ومشهورة، ومع أن المؤرخين لم يهتموا بها كثيراً، إلا أن البعض منهم وبخاصه أصحاب معاجم البلدان قد سجلوا معظمها، وبالرغم من أن تدوينهم لها كان ينقصة بعض الدقة، وجاء بعد عدة قرون من قيام الدولة الإسلامية، فإن هذا التدوين، وذكرهم لتلك المعالم الحدودية دليل على شهرتها، واستمراريتها لفترة طويلة تجاوزت ثلاثة قرون عند ازدهار عصر التدوين للعلوم الإنسانية.

وعموماً فسواء انضافت ولاية الى أخرى إدارياً، أو عين لها أمير رأساً، فان كافة الولاة كانوا يستمدون سلطتهم من الخليفة، ومندوبون عنه فى إدارتها، له تعيينهم وعزلهم متى شاء، والولايات جزء من جسم الدولة الأم، وليس لها أية استقلالية عنها.

ومن يتتبع حركة تدوين التاريخ يلحظ أن غالب المؤرخين ـــ قديماً وحديثاً ـــ يجذب انتباههم الأحداث الجليلة، ومشاهير الناس، وسراة القوم،

ومايلور فى البلدان الكبيرة ذات الشهرة والنفوذ، فيدونون. ما يتعلق بكل ذلك في مصنفاتهم، وليس لغيره متسع فى مصنفاتهم الا فيما ندر.

ولقد شَغِفَ قدامى مؤرخي الإسلام ـ وحُقَّ لهم أن يُشْغَفُوا ـ بتاريخ الإسلام منذ البعثة، وأعمال الخلفاء الراشدين، والفتوحات الإسلامية، وما صاحبها من وقائع وأحداث، فقد تركوا لنا فى الحقيقة كمًّا هائلاً من التراث وصلنا قليله، أما كثيره فأبادته صروف الدهر. فاذا ما بحثنا فيما بين أيدينا عن اسم والٍ لإحدى الولايات ـ وبخاصة المغمورة ـ و لم نجده، فليس معنى هذا أن تلك الولاية أهملت أو أزيلت!. فلقد كان الخلفاء الراشدون، ـ ومن بعدهم الأمويون والعباسيون ـ حريصين على تعيين الولاة على الولايات، لضبط النواحي الإدارية فى البلدان، فاذا تعسر إيجاد الوالي المناسب لأى سبب كان، أضافوا الولاية الشاغرة الى أعمال أقرب ولاية لها، وتظل كل ولاية لها حدودها وحيزها المعروف فى السجلات والدواوين على الوجه الذى أوضحناه عند وضع الترتيبات الادارية للولايات ببداية الدولة الإسلامية.

والدليل على اهتمام الخلفاء، ومَنْ بَعْدَهم، بتَوْلية الأمراء على البلدان الصغيرة فضلاً عن الولايات، أن الحجاج بن يوسف الثقفي، الذى اكتسب شهرة لصرامته، ولكثرة ما أراق من دماء، كان أول منصب ولاه إياه الخليفة عبدالملك بن مروان هو إمارة بلدة (تبالة) فلما قدم اليها، وقرب منها، سأل دليله: أين تبالة، وعلى أى سمت هى؟ قال: ما سيترها عنك إلا هذه الأكمة (وأشار بيده الى تل مرتفع عن الأرض، دون الجبل)

فقال الحجاج: لا أراني أميراً على موضع تستره عني أكمة، أهون بها من ولاية، وكرٌ راجعاً دون أن يدخلها[1] تُرى لو أنها كانت قد عرضت على أحد غير الحجاج ورفضها، أيذكر هذا الخبر أحد من المؤرخين؟! لكن هذا الخبر الذى أوردوه للدلالة على مدى طموحات الحجاج منذ صغره، يعطي في الوقت نفسه دليلاً على مدى اهتمام الدولة الاسلامية بتعيين الولاة على البلدان الصغيرة، فما بالك بالولاية أو الإمارة الكبيرة؟!، ودليل آخر: وهو أن الرسول ﷺ، كان قد ولى الصحابي صرد بن عبد الله الأزدى أميراً على بلدة جرش، نظراً لجهوده في إسلام أهلها، وأورد المؤرخين أنه ظل أميراً عليها حتى وفاة الرسول ﷺ[2] ثم تولاها بعده عبد الله بن ثور، أحد بني الغوث، الأزدى بأمر من أبي بكر الصديق في خلافته، وتوفي أبو بكر وهو والٍ عليها[3] و لم يذكر أحد من المؤرخين من تولاها بعد ذلك، تماما كما لم يذكروا من تولى الإمارة في تبالة بعد أن رفضها الحجاج بن يوسف الثقفي، كما أن الرسول ﷺ ولى على مدينة الخط بالأحساء، أبان بن سعيد بن العاص بن أمية، أحد الكتبة للرسول ﷺ، وكانت تلك المدينة مشهورة بصناعة الرماح، فيقال: رماح خطية نسبة اليها، و لم يذكر المؤرخون من وليها في عهد الخلفاء الراشدين مثلا،[4] إلا أنه من المؤكد أنه كان لكل من تلك البلدان والٍ في كل

---

[1] معجم البلدان ، ٩/٢ ، وسرح العيون شرح رسالة ابن زيدون ، لابن نباتة المصرى ص ١٧٣

[2] طبقات ابن سعد ، ٥٢٧/٥ .

[3] الطبرى ، ٤٢٧/٣

[4] الجمهرة ، ص ٨١

الفترات العمرانية لها، ومن باب أولى فإن الخلفاء كانوا حريصين على تعين ولاة على الإمارات، والأمصار والبلدان الكبيرة بالرغم من إهمال التاريخ ذكر أسمائهم، أو تتبع أخبارهم، لأنه لايهتم غالباً إلا بتدوين الأخبار المؤثرة في مجرياته.

ومن الملاحظ أنه حدثت تنقلات واستدعاءات للولاة في كثير من الولايات عند بداية الاستنفار في عهد الخلفاء الراشدين، وترتب على ذلك ضم الولايات الشاغرة الى أقرب والٍ على ولاية متجانسة معها، لإدارتها وتصريف شئونها، فمثلاً: كانت اليمن عند وفاة الرسول ﷺ، بين سبعة ولاة[1] فاستدعى أربعة منهم الى ميدان الفتوحات فظل فيها ثلاثة ولاة[2] ثم صارت فيما بعد تحت والٍ واحد غالباً، وعندما استدعى جرير بن عبد الله البجلي والى نجران بعد ابن حزم، وقبل أو بعد أبي سفيان بن حرب في بعض الأقوال ، أضيفت نجران الى ولاية الطائف، وعندما انتقل عثمان ابن أبي العاص والى الطائف، والياً على البحرين (الاحساء) واليمامة، بدلا من العلاء بن الحضرمي أو إلى الميدان على خلاف في ذلك، وأصبحت ولاية الطائف شاغرة، انتقل إليها يعلى بن أمية والى الجند، وعين مكانه على الجند عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي[3] كما كان لمكة المكرمة اهتماماً بالغاً من قبل الخلفاء لكونها تضم المسجد الحرام، والبيت العتيق،

---

(1) انظر ص ١٧٩ ، ١٨١ من هذا البحث .

(2) البدء والتاريخ ، ٧١/٤

(3) انظر فيما سبق الطبرى ، ٣٢٣/٣ ، ٦٢٣ ، والبداية والنهاية ، ٧ /٥٤ ، ٦٨ ، ٨٢ ، والجمهرة ص ٤٦ .

مهوى أفئدة المسلمين، ولذا فإن المؤرخين قد تتبعوا أخبارها وأسماء ولاتها في غالب الأحيان، وكانت كثيراً ما تنضم، أو تنضاف اليها ولاية الطائف بكل توابعها ومخاليفها، والتى منها نجران.

وأيا ما كان الحال فسوف نمر من خلال السرد التاريخي اللاحق لفترتنا هذه، ببعض اللمحات التاريخية، تؤكد دوام الهوية لمنطقتنا، وتدعم ما تم التوصل اليه من معالم حدودية منذ ما قبل الاسلام، واستمرارها كذلك فى ظل الاسلام، بل وزادها الإسلام تأكيداً حين أدخلها لأول مرة فى طور الترتيب الإدارى الذى قامت عليه الدولة الإسلامية فى عهد الرسول ﷺ.

وأصبحت منطقتنا جزءاً من كيان دولة لها حكام، يولون أمراء ينوبون عنهم فى إداره تلك الولايات وغيرها من الأمصار المختلفة، وليس لأحد من هؤلاء أية استقلالية فى ولايته، وما حدث من ذلك فى أوقات الاضطرابات والفتن، فإنه كان يعتبر غير مشروع، لأنه مخالف للقاعدة الأساسية، التى وضعت للترتيبات الإدارية للدولة الإسلامية، ومن ثم فهو من قبل الشاذ، والشاذ لا يقاس عليه كما يقال ..

وقد استمر العمل بالترتيبات الإدارية التى وضعت فى عهد الرسول ﷺ، عدة قرون، حتى عرفت واشتهرت حدود الولايات، ومن ثم دونت

فـى السـجلات، وصنفـت كتـب أشـارت إليهـا، وحـددت معالمهـا، ومسـافاتها، وقياسـاتها علـى طبيعـة الأرض .. وغـالب الظـن أن شـهرتها توارثتها الأجيال جيلاً بعـد جيـل، حتى قيـام الدولـة فـى العصر الحديث.

الباب الخامس

التبعيةالإدارية للمنطقة منذ عهد الخلفاء الراشدين حتى بداية الدولة العثمانية

الخلفاء الـراشـــدون :

عرفنا فيما سبق بعض الترتيبات الإدارية التي قامت عليها دعائم الدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ، والتي كان من بينها مراعاة الامتداد الطبيعي للأرض، والخواص الإقليمية، والتوافقات بين القبائل، وذلك عند تشكيل الولايات التي تكونت منها الدولة ومن ثم تعيين الولاة وعمال الصدقات على تلك الولايات، وعلى القبائل في مواطنها، وإرسال الدعاة والقضاة والمعلمين. كما تم وضع أسس الملكية الخاصة والعامة والمشاع، وتحديد المعالم لكافة الولايات والمناطق والأقاليم منعاً للتشاحن والتنازع، ودعما للاستقرار وحرصا على تحديد المسئولية لكل والٍ على ولايته، وكل راع على رعيته مهما صغر حجمها، وغير ذلك من تشريعات ..

أرسيت دعائم التشريع التي شملت أمور الدين وشئون الأمة في حياة الرسول ﷺ، ثم أوكل الأمر إلى خلفائه من أكابر الصحابة، الذين

مـافتئ يتعهدهـم، ويهيئهـم للقيـام بتلـك المهمــة مـن بعـده، فكـان أبـو بكـر الصديـق ـ رضـي الله عنـه ـ أجدرهـم بخلافتـه فـي حراســة الديـن، وسياسـة أمـور الرعيـة فقـد عـبر بالمسـلمين بحـور الفـتن والأهـوال التـي أعقبـت وفـاة الرسـول ﷺ الى شـاطيء الأمـان، ثـم مـد ذراعيـه شـاهراً سـيفه الى الفتوحـات الإسـلامية ليواجـه فـي وقـت واحـد أعظـم دولتـين تتقاسمـان مصـائر الشـعوب فيما بينهما في ذلـك الوقـت، ولـو لم يكـن لأبـي بكـر مـن المنـاقب سـوى ذلـك لكفاه، فما بـالك وسـجله حـافل بـالعديد مـن المنـاقب.

*** عهد أبي بكر الصديق (مدة حكمه ١٠ أيام/ ٤ شهور/ ٢ سنة)**

كـان مـن نتيجـة استنفار القبـائل، وتجييـش الجيـوش للفتوحـات فـي عهـد أبـي بكـر الصديـق، أن حـدث استدعاء بعـض الـولاة مــن ولايـاتهم، ليقـودوا تلـك الجيـوش، أو يقـودوا مـدداً لمـن سبقوهم الى الميـدان، وترتـب علـى هـذا شـغور بعـض الولايـات، فـأضيفت الى أقـرب والٍ علـى ولايـة متجانسـة معهــا، بغـرض إدارتهـا وتصريــف شـئونها، فمثـلاً أضيفــت ولايـة نجـران الى ولايـة الطـائف عندمـا استدعى واليهـا أبوسفيان بـن حـرب الى الميدان ليتـولى مهمـة وعظ الجنــد، وبـث الحمـاس فيهـم، وحثهـم علـى القتـال قبيـل معركـة اليرموك، منتصـف عـام ١٣هـ[1] وكـان واليهـا قبلـه جريـر بـن عبـد الله البجلـي، ذهـب

---

[1] البداية والنهاية ٩/٧ ، وفتوح البلدان ٨٠/١ ، وابن خلدون ٨٥/٢ .

أيضاً إلى ميدان الشام أولاً، ثم ميدان العراق[1]، وسنذكر فيما بعد ما يؤكد هذا الضم، أو الاضافة والتبعية.

ومن الولايات التى أضيفت مثل نجران، الولاية التى كان عليها خالد بن سعيد بن العاص، وهى المنطقة فيما بين رمع وأبين بأرض اليمن، فقد ضم جزء منها الى صنعاء، وجزء لولاية الجند[2] وصارت حضرموت ولايتين بعد أن كانت ثلاث أواخر عهد الرسول ﷺ،[3] كما أصبحت اليمامة والبحرين. (الأحساء) فى معظم الأحيان ولاية واحدة، وغير ذلك كثير.

كما لوحظ أن الولاة الذين كان يتم استدعاؤهم الى الميدان، كانوا يختارون من ينوب عنهم فى إدارة الولاية وتصريف شئونها، ثم يبلغون الخليفة عن اختاروه، وللخليفة أن يقره، أو يعين آخر بدلاً منه، وذلك مثلما استدعى الخليفة أبو بكر الصديق كلاً من عمرو بن العاص، والوليد ابن عقبة، وكان كلاً منهما على بطن من قضاعة، فكتب لهما

ـــــــــــــــــ

[1] انظر ص ٢١٠ـ ٢١٥ من هذا البحث.

[2] كان أبوبكر الصديق قد خير المهاجر بن ابى أمية، بعد انتهاء حروب الردة فى أن يذهب لتسليم الولاية التى كان ولاه عليها رسول الله ﷺ بأرض حضرموت، أو ولاية صنعاء، فأختار ولاية صنعاء، ونقل فيروز الديلمى الذى كان قد تولاها مؤقتا عقب الانتهاء من فتنه العنسى الى ولاية الجند، ونقل يعلى بن أميه من ولاية الجند الى ولاية مأرب ومخلاف خولان، لشغورها باستدعاء ابى موسى الأشعرى الى الميدان، وظل يعلى ابن أميه فى تلك الولاية ـ مأرب وخولان ـ إلى أن نقله عمر رضى الله عنه والياً على الطائف. انظر الطبرى ٣/٣٢٧، ٣٤١.

[3] انظر ص ١٧٩، ١٨١ من هذا البحث.

يستدعيهما للذهاب الى الميدان، فاستخلفا مـن نـاب عنهمـا فـي عملهمـا، وأقبلا الى أبى بكر[1] ومثلما استخلف يزيـد بـن أبـي سـفيان والى دمشـق أخـاه معاوية قبيل وفاته، وبعث إلى أمير المؤمنين عمـر بـن الخطـاب يفيـده بذلك، فلما توفي يزيد عـام ١٨هـ، أقر عمر معاوية فـي الولاية، وامتد منهـا سلطانه فيمـا بعد.[2]

وعندمـا توفـي الخليفـة أبـو بكـر الصديـق ـ رضـي الله عنـه ـ[3] كـان عماله على منطقتنـا، هـم:

أولاً: مكـة المكرمة، وأحوزهـا ، وباديتهـا ـ علـى الوجـه الـذى أوضحنـاه فـي تحديـد الولايـات أواخر عهد الرسول ﷺ[4] عتـاب بـن أسـيد، منـذ أن ولاه إياهـا رسـول الله ﷺ، واستمر واليهـا طـوال عهـد أبـي بكـر[5] وقيل توفي يوم وفاة أبـي بكـر، وقيـل توفـي بعـد ذلـك، وأنـه كـان أمـيراً عليهـا، حـين حـج عمـر بـن الخطـاب موسـم عـام ١٤هـ، ويسـاعده الطـاهر بـن أبـي

---

[1] البداية والنهاية ، ٣/٧

[2] مات يزيد بن أبي سفيان في طاعون عمواس أواخر عام ١٧هـ وقيل بداية عـام ١٨هـ البداية والنهاية، ٨٨/٧، ١٠٥ ، والطبرى ٢٨٩/٤ .

[3] توفي ابوبكر الصديق يرحمه الله ، يوم ٢٢ جمادى الآخرة عام ١٣هـ

[4] الطبرى ، ٣١٨/٣ ، وانظر ص ١٧٧–١٨٠ من هذا البحث .

[5] ابن الأثير ،٤٢٠/٢ ، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ٢/ ١٦٢.

هالة على أرض عك والاشعريين[1] وله مساعدون آخرون يتمثلون في رؤساء البلدان على بلدانهم، والقبائل على قبائلهم، وكثير منهم كان قد عينه الرسول ﷺ، في موقعه حين وفوده إليه بإسلامه، أو إسلام قبيلته، كما هو الحال في كل المناطق.

ثانياً: الطائف، وأحرازها، وباديتها، على الوجه الذي سبق أن أوضحناه عند تحديد الولايات أواخر عهد الرسول ﷺ،[2] ثم نجران المضافة اليها كما سيتضح ذلك في عهد عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ .

كان الوالي هو عثمان بن أبي العاص، منذ أن ولاه إياها رسول الله ﷺ، عام ٩هـ، وكان يساعده كل من مالك بن عوف النصري، وعكرمة ابن أبي جهل، وسعد بن أبي وقاص[3] فتم استدعاء هؤلاء الثلاثة إلى الميدان، و لم يعين بديل لهم اكتفاء برؤساء البلدان والقبائل، كل في موقعه، نظراً لأستقرار الوضع والأمن، في شبه الجزيرة بصفة عامة، وانشغال الناس بتتبع أخبار الفتوحات، وإشعال الحماس في نفوس من لم يذهب الى الميدان بالتأهب للمشاركة.

---

(1) سبق ان أشرنا الى ما ذكره ابن خرداذبة ، والفاكهي وغيرهما ، من أن أخر مخاليف مكه من جهة تهامه جنوبا هي بلاد عك ، واستمر الوضع هكذا الى منتصف الدور الثاني للدولة العباسية ، حين بدأت في الضعف ، واستقلال الأقاليم عنها .. أى استمر هذا الوضع حوالي ثلاثة قرون .

(2) الطبري ، ٣١٦/٣ ، وانظر ص ١٧٧ – ١٨٠ من هذا البحث .

(3) ابن خلدون ، ٨٣/٢–٨٥،وانظر ص ١٧٧ – ١٨٠ ، من هذا البحث .

ومن الملاحظ أن الأمور الإدارية فيالولايات كانت تتسم بطابع الجدية والاهتمام، ودقة المتابعة، والسهر على مصالح المسلمين، ذلك أن الوالي كان لايغادر مقر الولاية إلا إذا أناب عنه من يديرها فترة غيابه، حتى لوكان ذاهبا لمقابلة الخليفة في عاصمة الخلافة، فقد أناب عتاب بن أسيد، عنه في ولاية مكة: المحرز بن حارثة بن ربيعة، في سفرتين سافرهما خارج مكة[1] كما أناب نافع بن عبد الحارث الخزاعي، حين كان والياً على مكة عام ٢٣هـ: عبدالرحمن بن أبزي[2] في عهد عمر بن الخطاب.

• عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (مدة خلافته ٤ أيام/ ٦ أشهر/ ١٠ سنين)

أولاً: مكة المكرمة، وما يتبعها، على الوجه الذي ذكرناه سابقاً في تحديد الولايات. فقد أورد الفاسي[3] أسماء ولاة مكة في عهد عمر، وهم: المحرز بن حارثة بن ربيعة القرشي، ثم قنفذ بن عمير بن جدعان التيمي، ثم نافع بن عبد الحارث الخزاعي ـ تولاها مرتين في عهد عمر ـ ثم أحمد بن خالد بن العاص المخزومي، ثم طارق بن المرتفع بن عبد مناة القرشي، ثم الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وكان الرسول ﷺ قد

---

[1] شفاء الغرام ، ١٦٤/٢ .

[2] شفاء الغرام ، ١٦٤/٢ .

[3] شفاء الغرام ، ١٦٤/٢ ، وقد أورد أقوال المؤرخين ، واختلافاتهم في أسماء بعض الولاة وتاريخ ولايتهم .

استعمله فى جمع صدقات بعض أعمال مكة بتهامة، وكذا أبو بكر الصديق، وولى عتبة بن أبى سفيان على كنانة بتهامة الحجاز أيضاً.[1]

ثانياً: الطائف، وما يتبعها، وما انضاف إليها، على وجه الذى ذكرناه سابقاً فى تحديد الولايات.

كان واليها هو عثمان بن ابى العاص، هو نفس واليها فى عهد الرسول ﷺ، ثم فى عهد أبى بكر الصديق، ثم استدعاه عمر بن الخطاب للقيام ببعض المهام فى ميدان العراق عام ١٥هـ تقريباً، ثم أعاده والياً على اليمامة والبحرين بدلاً من العلاء بن الحضرمى[2] حين عزله عمر عام ١٧هـ، لكونه حمل المسلمين على عبور الخليج لغزو فارس دون أن يستشيره، ثم أعاد العلاء الى ولاية اليمامة والبحرين، وعثمان الى الميدان بفارس، وكانت له جهود واضحه فى فتح اصطخر وبعض خراسان عام ٢٣هـ وما بعده، وظل بها إلى أن توفى عام ٥٠هـ. ولما شغرت ولاية الطائف، عقب استدعاء عثمان بن أبى العاص، نقل عمر بن الخطاب إليها

[1] الطبرى ، ٤/٢٢٠، الازرقى ٢/١٥١ ، ١٥٢ ، والجمهرة ص ٢٤٢ .

[2] العلاء بن الحضرمى عزله عمر عن ولاية البحرين مرتين : احداهما هذه التى علقه فيها عثمان بن أبى العاص، ثم أعاده وبعث عثمان إلى الميدان ، ثم عزله الثانية وحل مكانه قدامة بن مظعون ، وتوفى العلاء عام ٢١ هـ الطبرى ، ٣/٦٢٢ ، والبداية والنهاية ، ٧/٩٣ ، ١١١ ، ١٢٥ ، ١٣٢ ، ١٤٣ ، وفيه أن أبا هريرة هو الذى تولى مكانه بعد عزله المرة الثانية ، وليس هذا صواباً ، فأبو هريرة تولى بعد ابن مظعون .

يعلى بن أمية، والى مأرب وخولان،[1] ثم عزله عمر عن ولاية الطائف عام ٢٢هـ تقريبا، وظل فترة دون مناصب الى أن عينه الخليفة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ والياً على صنعاء، وظل والياً عليها إلى عام ٣٥هـ حين قدم إلى الحج في ذاك الموسم، وعقب انتهاء الحجاج من آداء مناسكهم جاءهم النبأ باستشهاد عثمان ـ رضي الله عنه ـ فظاهر يعلى بن أمية المطالبين بدم عثمان، وأسرع الخطى مع المنطلقين من مكة لهذا الغرض، وحضر وقعة الجمل مناهضاً لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لكنه مالبث أن انضم اليه بعد ذلك ضد معاوية، وقتل مع الإمام علي ـ رضي الله عنهما ـ في وقعة صفين[2] ونظراً لتكرار تنقل يعلى بن أمية بين عدد من الولايات، فقد التبس على بعض المؤرخين تحديد تواريخ تقلده تلك الولايات، ومن ثم ترتيب ولايته لها، وزاد هذا الالتباس لدرجة أن بعضهم أفرده في ولاية اليمن جميعها، بينما لم تجتمع لوال واحد، ربما إلا شطراً من عهد الإمام علي بن أبي طالب، حين وَلّى عليها عبيد الله بن عباس، وإلا في عهد عبد الله بن الزبير حين وَلّى عليها أخاه خالد بن

---

[1] كان يعلى أول من تولى ولاية الجند عند تشكيلها في عهد الرسول ﷺ ، وكان عليها إبان فتنة العنسي ، انتقل الى مأرب مكان أبي موسى الأشعري ، ومن مأرب انتقل الى ولاية الطائف ، وسبق أن قدمنا ترجمته وأن البعض ينسبه الى أمه فيقول : يعلى بن منية ، وأمة هي بنت ، أو أخت (على خلاف في ذلك) عتبة غزوان ، واخته نفيسة بنت منية هي التي قامت بخطبة أم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنها ـ ، الى رسول ﷺ ، قبل البعثة وأسلمت يوم الفتح ، ولما رآها الرسول ﷺ برها وأحسن اليها .
انظر الطبري ٦٢٣/٣ ، والبداية والنهاية ٦٨/٧ ، ٥١/٨ ، وابن الأثير ٤٠/٢ ، والجمهرة ص ٢١٣ ، ٢٩ وهامش كتاب الأموال للقاسم بن سلام ، ص ٤٤٥ .

[2] طبقات ابن سعد ، ٣٥٨/١ ، والاصابة ٦٦٨/٣، والبداية والنهاية ٢٥١/٧ .

الزبير[1] وبعضهم ذكر أن يعلى كان والياً على صنعاء فى عهد أبى بكر وعمر، بينما الصواب أنه لم يكن واليا على صنعاء إلا فى عهد عثمان بن عفان، وبعد أن عزله عمر عن ولاية الطائف وما يتبعها أواخر عام ٢٢هـ ظل فترة دون مناصب بقية عهد عمر وشطراً من عهد عثمان الى أن عينه عثمان والياً على صنعاء.

المهم أن عمر عين فى الولاية التى شغرت فى اليمن من أثر نقل يعلى ـ وهى مأرب ـ عين بدلا منه عبد الله بن أبى ربيعة بن أبى أمية المخزومى، وهو ابن أخى المهاجر بن أبى أمية المخزومى والى صنعاء[2] ورغم أن اليمن كانت مقسمة الى عدة ولايات[3] تزيد أو تنقص وفق الظروف، الا أنها كانت موحدة الإدارة، وتتسم بالهدوء والاستقرار خلال عهد الخلفاء الراشدين، وعهد بنى أمية، وشطراً كبيراً من عهد العباسيين، فى معظم الاحوال، أما يعلى فنقله عمر والياً على الطائف، وما يتبعها، وما انضاف اليها ـ نجران ـ عام ١٥هـ[4] وفى عام ٢٠هـ عزم عمر على

---

(1) الجمهرة، ص ١٨، ١٢٢، والأخبار الطوال ص ١٤١، والمقتطف من تاريخ اليمن للعرافى ص ٨٩، وفيه أن يعلى ظل عاملا على اليمن منذ عهد أبى بكر، وعمر، وعثمان، الى أن عزله على بن أبى طالب وولاها عبد الله بن العباس، وهذا وهم يجانب الصواب، وقع فيه العديدون.

(2) وعبدالله بن أبى ربيعة هو أيضا ابن أخى أم المؤمنين أم سلمة، وهو كذلك والد الشاعر الغزلى: عمر بن أبى ربيعة، الجمهرة ص ١٤٦، ١٤٧، وظل واليا باليمن على ولاية الجند حتى نهاية عهد عثمان - رضى الله عنه -

(3) انظر: البدء والتاريخ ٤/٧١.

(4) الطبرى ٣/٦٢٣، والاصابة ٣/١٦٩.

إجلاء يهود خيبر[1] وإجلاء نصارى نجران[2] فعهد الى يعلى بن أمية وهو والى الولاية التى انضافت اليها ولاية نجران، لأنها تحت إشرافه ومسئوليته، بأن يقوم بعمل الترتيبات اللازمة لإجلائهم عن نجران، ودارت بينه وبين أمير المؤمنين عمر مكاتبات بشأن كيفية الإجلاء، وتقدير ممتلكاتهم وتعويضهم عنها، وتحديد فترة زمنية معينة لمغادرة نجران، كما وجه عمر خطاباً للنصارى أنفسهم، ليتأكدوا من أن الأوامر بإجلائهم صدرت منه رأساً كأمير المؤمنين، حتى لايظن أحد منهم أنها صادرة من والى الولاية دون علم أمير المؤمنين، فما والى الولاية إلا منفذ للتعليمات الصادرة اليه.

يقول عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فى خطابه لهم[3] أما بعد: فإنكم زعمتم أنكم مسلمون (معظمهم قد زعم ذلك) ثم ارتددتم بعد، وأنه من يتب منكم (أى يعود للاسلام) ويصلح (يأتى من الأعمال الصالحة ما يدل على إسلامه) لايضره ارتداده (السابق) ونصاحبه صحبة حسنة .. ومن أبى إلا النصرانية، فإن ذمتى بريئة ممن وجدناه، عشراً تبقى من شهر الصوم (أى أعطاهم مهلة لترك البلاد والخروج من نجران الىعشرين من شهر رمضان عام ٢٠هـ) ..

---

(1) كان الرسول ﷺ قد صالح بعضهم على البقاء لزراعة أرضها، ووقع منهم اعتداء على بعض المسلمين قبلة، منهم عبد الله بن عمر فعزم عمر على إجلائهم وإجلاء يهود فدك ونصارى نجران. انظر: السيرة الحلبية، ٧٧١/١.

(2) وقع فى الطبرى، وابن الاثير وغيرهما: إجلاء يهود نجران بدل نصارى نجران، وهو خطأ ربما يكون من فعل النساخ .

(3) انظر كتاب الاموال لابن زنجويه ، ٢٧٦/١ ، ٢٧٩ ، ٤٥١ .

أمـا بعـد: فـإن يعلـى (الـوالى المسئول عـن ولايتكـم والموكـل اليـه مهمـة إجلائكم) كتـب يعتـذر أن يكـون أكـره أحـداً منكـم علـى الإسـلام، أو عذبـه.

أمـا بعـد: فقـد أمـرت يعلـى أن يـأخذ منكـم نصـف مـاعملتـم مـن الأرض (أى نصـف انتاجهـا) وإنـى لا أريـد نزعهـا منكـم مـا أصلحتـم (اذا أسـلمتم واستمررتم علـى اعتنـاق الإسـلام والعمـل الصـالح).

فتكليـف يعلـى بتلـك المهمـة أتـى مـن كونـه هـو الـوالى المسئول عـن ولايـة نجـران المضافـة قبـل، لولايـة الطـائف لكـى يكـون مسـئولاً عـن متابعـة تنفيـذ عمليـة الإجـلاء، وتقييـم الممتلكـات، وتعويضهـم عنهـا ثـم تسـلم تلـك الأرض منهـم وتوزيعهـا علـى مـن يقومـون بزراعتهـا لصـالح الدولـة، مثـل خيـبر وفـدك[1] وليكـن مسـئولاً عـن أى خطـأ، أو خصومـات تنشـأ عـن هـذا الموضـوع .. لـذا نلحـظ أنـه أرتكـب خطـأ، وكـان هـذا الخطـأ هـو السـبب فـى عزلـه عـن ولايـة الطـائف ونجـران، فقـد بلـغ عمـر أنـه حـاز لنفسـه بعـض الأرض فـى نجـران فعزلـه عـام ٢٢هـ وعـين مكانـه سـفيان بـن عبـد الله الثقفـى، واليـاً علـى الطـائف ونجـران[2].

---

(1) انظر السـيرة الحلبيـة، ٢/٧٧١، والطبرى، ٣/٤٤٦ ، ١١٢، والبداية والنهاية ٧/١١٢، وابن الأثير، ٢/٤٠، ١٩٣، ٢٩٤، ٥٦٩، وابـن خلـدون، ٢/٦٦، ٨٨، الاموال للقاسـم بـن سـلام، ص ١٤٣ ، ١٤٤، ١٤٥، ومجموعة الوثائق السياسية ص١٠٠ ــ ١٠٣ .

(2) الطبرى ، ٤/٢٤١ .

المهم أن نجران أصبحت مضافة وتابعة الى ولاية الطائف، وإن لم يذكرها المؤرخون عند تعين الولاة على الطائف اعتماداً على أنهما ولاية واحدة، أو ولايتين مرتبطتين بوالٍ واحدٍ، بل كثيراً ما كانت الطائف، وما يتبعها ـ ومنها نجران ـ كانت تنضاف الى ولاية مكة، ويتولى الجميع والٍ واحدٍ، كما سنرى ذلك عند تصفحنا للوقائع التاريخية التالية لفترتنا هذه.

ولما طعن أبو لؤلؤة ـ فيروز المجوسي ـ عمر، وهو قائم يصلي الصبح من يوم الأربعاء ٢٦ من ذى الحجة سنة ٢٣هـ، عهد بالأمر بعده شورى في ٦ من أعيان الصحابة ، على أن يختاروا واحداً من بينهم يلي أمر المسلمين[1] ولحكمته وبعد نظره أوصى بأن يظل عماله على الولايات لمدة عام، لكي يضمن استقرار الأوضاع على الوجه الذى رتبه لحسن ودقة الإدارة .. ولحين يستوعب الخليفة الذى يحل محله أمور المسلمين وشئون الدولة.

وكان آخر عماله: على مكة وما يتبعها: الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، وآخر عماله على الطائف، وما يتبعها، هو سفيان بن عبد الله الثقفي، الذى حل مكان يعلى بن أمية، بعد أن عزله عمر، عن ولاية الطائف ونجران [2].

---

[1] الطبرى ، ٤/١٩٠ ـ ١٩٤ ، ٢٢٨ ، والبداية والنهاية ١٥١/٧ ، والخميس في أحوال أنفس نفيس ص ٢٤٨ .

[2] شفاء الغرام ، ١٦٤/٢ ، والطبرى ١٤١/٤ ، وفيه أن يعلى بن أمية كان واليه على صنعاء وليس هذا صوابا ، فان يعلى كان في ذلك الوقت معزولا ، دون أي منصب .

*** عهد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ امتدت خلافته حوالى اثنى عشر عاماً إلا بضعة أيام ***

عمل الخليفة عثمان ـ رضى الله عنه ـ بوصية عمر بإبقاء الولاة فى ولاياتهم لمدة عام، فيما عدا الكوفة التى أعاد إليها سعد بن أبى وقاص بناء أيضاً على وصية عمر، باستعمال سعد لأنه لم يعزله عن تقصير صدر منه (فَلْيَحَقُّه أذى بذلك ويظن الناس أنى عزلته عن سوء)[1] لذا يقال إن عثمان أعاده الى الكوفة عقب توليه الخلافة، وكان سعد من بين الستة الذين رشحهم عمر للخلافة من بعده[2] ثم عزل الخليفة عثمان ـ رضى الله عنه ـ بعض الولاة وعين آخرين فى كثير من الأمصار والولايات، وكان لتجاوزات بعض الولاة أثر فى الفتنة التى حلت بالمسلمين واستغلها أصحاب الأهواء فزادوها اشتعالاً، حتى أودت بحياة ذى النورين يرحمه الله.

وكان عمال عثمان ـ حين استشهد يوم الدار، فى ١٨ ذى الحجة ٣٥ هـ، ـ بمنطقتنا[3]:

– **على مكة وما يتبعها:** عبد الله بن عامر الحضرمى، وكان أول من أبلغ أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ بقتل عثمان، فقد كانت

---

[1] نص عبارة عمر رضى الله عنه .

[2] الطبرى ، ٤/٢٢٨ ، ٢٤٤ ، والبداية والنهاية ، ٧/١٦٣ .

[3] الطبرى ، ٤/٤٢١ ، وشفاء الغرام ، ٢/١٦٤ .

هى وبعض أمهات المؤمنين فى موسم الحج ذلك العام، وكان ابن عامر أول مجيب للطلب بدم عثمان.

– **وعلى الطائف ومايتبعها** ـ نجران، والبوادى، والسراة ـ: القاسم ابن ربيعة الثقفى.

– **وكان على صنعاء:** يعلى بن أمية الوالى السابق للطائف، والذى أشرف على جلاء نصارى نجران فى عهد عمر عام ٢٠هـ، ثم ارتكب بعض التجاوزات فعزله عمر أواخر عهده، وظل دون عمل شطراً من عهد عثمان، ثم أعاده عثمان والياً على صنعاء، كما نقل عثمان: عبد الله بن أبى ربيعة الذى كان والياً على مأرب، والياً على الجند، فكان هو واليها عند وفاة عثمان ـ رضى الله عنه ـ[1].

ومما يسترعى الانتباه حقاً، موقف الخليفة عثمان ـ رضى الله عنه ـ، ومدى حرصه الشديد على توفير الأمن فى بلد الله الحرام، والا يهتك ستار الأمن فى مكة المكرمة، أو يروع أهلها الوافدون إليها مثلما روع إخوانهم فى المدينة المنورة، وعاث فيها المرجفون فساداً أثناء حصارهم له ـ رحمه الله ـ، وحالوا بينه وبين الصلاة فى المسجد، ومنعوا دخول الأكل والماء العذب الى بيته، وأشرف هو وأهله على الهلاك: فخلال هذه المحنة القاسية تطلعت أنظاره الى مكة المكرمة وخشى أن يتسرب إليها بعض

---

[1] البداية والنهاية ٢٥١/٧ .

هؤلاء الشواذ الخوارج فيثيرون الشغب بالبقاع المقدسة ويبدلون أمنها خوفاً وفزعاً، مستغلين قدوم الحجيج إليها موسم عام ٣٥هـ، وكان حصار الخوارج له قد امتد حتى دخل هذا الموسم[1] وبدأ الناس يفدون إلى مكة، وخرج إليها من المدينة العديد من الصحابة رضي الله عنهم، فقام الخليفة عثمان ـ رضي الله عنه ـ باستدعاء عبد الله بن عباس، إلى بيته المحاصر، وقال له: يا ابن عباس، إني كنت قد استعملت على مكة خالد بن العاص ابن هشام[2] وقد بلغ أهل مكة وغيرهم ما صنع بنا الناس، وأنا أخاف أن يمنعوه الوقوف بالموقف ـ أي بعرفات ـ فيأبى هو، فيقاتلهم ويقاتلونه في حرم الله عز وجل وفي أمنه، وبه قوم جاءوا من كل فج عميق، فرأيت أن أوليك أنت أمر الموسم، فاذهب إلى خالد وأمره أن يحج بالناس، فإن أبى أو منعه أحد فتولى أنت أمر الموسم .. ثم كتب معه كتاباً ليقرأه على الناس في موسم الحج .. فذهب ابن عباس وحج بالناس وقرأ عليهم كتاب

---

(1) قيل إن الحصار الثاني الذي قتل فيه عثمان -رضي الله عنه- امتد أربعين يوماً وقيل اثنين وعشرين يوماً وقيل غير ذلك .

(2) هو خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، ابن عم عكرمة بن أبي جهل، ويبدو أنه عينه والياً بدلاً من عبدالله بن عامر الحضرمي أثناء الحصار، غير أن خالد رفض أن يتقلد الولاية، ولهذا استمر ابن الحضرمي هو الوالي على مكة حتى انتهى موسم حج عام ٣٥هـ ، وهو أول من عرف بمقتل الخليفة عثمان -رضي الله عنه- وأبلغ الناس بمكة به، ثم كان من أوائل المطالبين بدم عثمان، ومعه يعلى بن أمية والي عثمان على صنعاء وعبدالله بن عامر واليه على البصرة، وكانا قد حضرا الموسم ذلك العام، ومع يعلى ٦٠٠ بعير، وستة آلاف درهم، جهز الناس بها وخرجوا من مكة للمطالبة بدم عثمان بعد انتهاء الموسم بأربعة أشهر تقريباً انظر البداية والنهاية : ٢٥١/٧، ٢٢٦.

الخليفة عثمان قبل يوم التروية بيوم[1] ولما انتهى من المناسك عاد ابن عباس إلى المدينة مسرعاً فوجد الخليفة قد قتل رضى الله عنه[2] وَوُلِّي عليٌّ بن أبى طالب خليفة على المسلمين.

*** عهد علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – (مدة خلافته ٢٣ يوماً/٨ أشهر/٤ سنوات)[3]**

أمضى أمير المؤمنين على بن أبى طالب فترة حكمه في معالجة آثار الفتنة التي بزغ قرنها في عهد الخليفة عثمان بن عفان، وراح ضحيتها رحمه الله، ثم تأجج أُوَارُها وتفرع لهيبها في عهد الإمام على بن أبى طالب، حتى راح هو أيضاً ضحية لها في ١٧ رمضان عام ٤٠هـ، وكانت السبب المباشر في جنوح الفكر عن جادة الصواب لدى البعض، حيث أخذ طريقه إلى الانحراف وركب موجة جنوحه طوائف من البشر مختلفي النزعات والأهواء، ابتدعوا في الإسلام ما لم ينزل الله به سلطاناً، وأمام هذه المحنة التي واجهها الإمام على بن أبى طالب وخروج ولاية الشام وما يتبعها عن سلطانه، نلحظ أنه جمع أكثر من ولاية ببعض المناطق تحت ولاية والٍ واحدٍ بحيث يعتبر والياً عاماً، وغير ذلك فمثلاً:

---

(1) أي يوم ٧ من ذي الحجة ٣٥ هـ ، فإن يوم التروية هو الثامن من ذي الحجة .

(2) انظر فيما سبق الطبري ٤/٤٠٥-٤١١

(3) البداية والنهاية، ٧/٢٤٧، ٣٦١، ٨/١٥، ١٦، وفي المواهب اللدنية، جـ٢، ص١٢٦، أن مدة خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام .

جعل على مكة المكرمة ـ عقب توليه الخلافة ـ أبو قتادة الأنصاري، ثم عزله وعين بدلاً منه عام ٣٦هـ: ابن عمه، قثم بن العباس بن عبد المطلب، فلم يزل والياً إلى أن قتل علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ وقيل تولاها معبد بن العباس قبل قثم[1] وضُمَّت إلى ولاية مكة ولاية الطائف بما يتبعها من مخاليف وبوادي، وكانت نجران سبق أن انضمت لها منذ عهد الخليفة عمر ـ رضي الله عنه ـ وكان أخوه تمام بن العباس والياً على المدينة المنورة، فكأنهما الواليان على منطقة الحجاز بكاملها، وكان أخوهما عبيد الله بن عباس هو الوالي على اليمن بكافة مخاليفها وولاياتها السابقة، يساعده ولاة للمناطق والمخاليف، وكان مقيماً في صنعاء قاعدة اليمن، واستدعى عبد الله بن عبد المدان الحارثي من نجران، فجعله نائباً له في صنعاء يصرف شئون اليمن خلال فترة عدم وجوده بها[2]، فلما قدم

---

(1) شفاء الغرام، ١٦٦/٢ ، والبداية والنهاية، ٣٣٩/٧، ٣٤٧، والطبري، ٩٢/٥

(2) بعض المراجع تذكر أن والي اليمن من قبل علي بن أبي طالب، هو عبد الله بن عباس، وليس ذلك صواباً، فإن عبد الله بن عباس كان واليه على البصرة وظل مرافقاً له منذ أن خرج من المدينة إلى الكوفة حتى عام ٤٠ هـ حين حين وقع بينه أبي الأسود الدؤلي خلاف، وكان أبو الأسود الدؤلي قاضي البصرة، فترك ابن عباس البصرة مغاضباً له، ولعلي أيضاً، وأخذ شيئاً مما كان قد جمعه من بيت المال من العمالة والفيء، وذهب إلى مكة وتبعه قوم من أخواله من بني هلال، ومن قيس وبني غنم، فهذا كله يدل على أن عبد الله بن عباس لم يذهب إلى اليمن والياً، والبعض خلط بين: عبيد الله وعبد الله ، لتشابه الاسم .

انظر: البداية والنهاية، ٣١٩/٧، ٣٣٩، ٣٤٧، ٣٥٢، ٩٧/٨، والأخبار الطوال للدينوري، ص١٤١، ١٥٢، والجمهرة ص١٨، والطبري، ١٤٠/٥، وكتاب أنساب الأشراف للبلاذري ٤٥٣/١-٤٥٥.

بسر بن أبي أرطأة[1] من قبل معاوية واستولى في طريقه على المدينة المنورة ثم مكة المكرمة وانطلق إلى اليمن ليخضعها هي أيضاً لمعاوية، قتل ابن عبد المدان هذا وابنه مالك بن عبد الله بن عبد المدان، كما قتل طفلين صغيرين لعبيد الله بن عباس، هما: عبدالرحمن وقثم ابنا عبيد الله بن عباس، ولما علم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بما فعله بسر بن أبي أرطأة، بعث إليه كلا من جارية بن قدامة السعدي ووهب بن مسعود الثقفي، ففر من أمامهما بسر، فقاما بإعادة الأمن لتلك المناطق، وأعادا ولاءها إلى الإمام علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ.

ومن الملاحظ أنه كان يوجد بمنطقة نجران في ذلك الوقت بعض المشايعين لعثمان ــ رضي الله عنه ــ اضطهدهم ابن قدامة، وكان باليمن مشايعون لعلي بن أبي طالب اضطهدهم بسر بن أبي أرطأة، عند حلول كل واحد منهما إلى المنطقة[2].

كما لوحظ أن أبناء العباس: عبد الله وعبيد الله وقثم، كانوا يحضرون مواسم الحج إما جميعهم أو أحدهم ليقود الحجيج في عهد الإمام علي ــ رضي الله عنه ــ فيما عدا موسم عام ٣٩هـ حضره مندوب عن معاوية، ووقع تشاحن بينهم، فتصالحوا على أن يقودهم عثمان بن طلحة

[1] بسر بن أبي أرطأة من عامر بن لؤي، أحد قواد معاوية، ومن أكابر أصحابه، الجمهرة ص١٧٠، والطبري ١٣٩/٥.

[2] البداية والنهاية، ٣٥٢/٧، وأنساب الأشراف للبلاذري ٤٥٥/١-٤٥٨

الشيبي الحجبي ـ حاجب الكعبة ـ مخافة أن يحدث في حرم الله الآمن ما يروع الآمنين[1]، وهذا يدل على مدى حرصهم في ذلك الوقت على أمن وحرمة البقاع المقدسة.

وكان عامل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على اليمامة والبحرين (الأحساء) عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، أخو سلمة ابنا أم المؤمنين أم سلمة[2] ومنه نلحظ أن اليمامة والبحرين (الأحساء) تضمهما ولاية واحدة وأمير واحد معظم عهد الخلفاء الراشدين ـ رضي الله عنهم ـ

---

(1) البداية والنهاية، ٨/٩٧، ٩٨، ومجموعة الوثائق السياسية ص٣٩٩، والطبري، ٥/١٣٦، والبلاذري، ص٤٦١ .
(2) الجمهرة ص١٤٤-١٤٦

عهـد بني أميـة :

قدم معاوية بن أبي سفيان إلى الشام في بداية الفتوحات، حين أمَّره أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ على أحد الألوية وعمل مساعداً لأخيه يزيد بولاية دمشق وما حولها، وناب عنه في ولايتها، ولما توفي يزيد ثَبَّتَهُ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مكان أخيه يزيد، وظل والياً على الشام وما يتبعها طوال عهد الخليفة عثمان ـ رضي الله عنه ـ فلما استشهد عثمان كان معاوية يعتبر أقوى أمير أموي تجتمع حوله قوة هائلة، لذا تزعم المطالبة بدم عثمان ـ رضي الله عنه ـ ثم طمح إلى ما وراءها، وسلم عليه الناس في الشام بالإمارة عقب قضية التحكيم في ١٧ رمضان ٣٧هـ واستقر له الأمر دون منازع بعد أن تصالح مع الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ حرصاً على دماء المسلمين، وذلك عام ٤٠هـ، وقيل ٤١هـ[1] ولذا سمي ذلك العام بعام الجماعة، وعقب ذلك قام معاوية بتولية الولاة على الولايات التي لم تكن خاضعة له من قبل، ومنها الحجاز واليمامة والبحرين (الأحساء) واليمن وبعض الولايات الأخرى بالعراق وفارس.

---

[1] البداية والنهاية، ٨/١٦-٢٤، والطبري، ٥/١٥٨-١٦١، ١٦٤، ٣٢٤، ومرآة جزيرة العرب، لأيوب صبري باشا، ترجمة د. أحمد متولي، ود.صفصافي، ١/٦٧ .

أورد الفاسي[1] ولاة مكة في عهد معاوية، لكن الملاحظ أنه بدأت تجتمع عدة ولايات لوالٍ واحدٍ، حسب تواجدها بمنطقة إقليمية متشابهة كمنطقة الحجاز مثلاً.

ففي بداية أمره عين أخاه عتبة بن أبي سفيان على مكة والطائف وما يتبعها مثل نجران، وعين أحمد بن خالد بن العاص على المدينة، وقيل مروان بن الحكم، وبعد ذلك عزل أخاه الوليد وأضاف ولاية مكة والطائف إلى مروان بن الحكم، فأصبح بذلك والياً على الحجاز بكامله، ثم عزله عام ٤٩هـ وولى سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص نفس ولاية الحجاز بكاملها، وكان سعيد يقيم في المدينة وجعل ابنه عمرو نائباً عنه في مكة والطائف وما يتبعهما[2]، وجمعت أيضاً لعمرو بن سعيد بن العاص عام ٦٠هـ في عهد يزيد بن معاوية، وكان يطلق على عمرو بن سعيد: الأشدق لفصاحته وبلاغته[3] إلى أن انفصل بها عبد الله بن الزبير، عقب مقتل الحسين – رضي الله عنه – في ١٠ محرم ٦١هـ، وخلع طاعة يزيد عام ٦٢هـ وعقب موت يزيد في ١٤ من ربيع الأول ٦٤هـ[4] قوى أمر ابن الزبير بالحجاز وما حولها، وبايعه الناس ودانت له كثير من المناطق والبلدان وبدأ يولي عليها الولاة، فكان هو الحاكم المباشر لمكة والطائف وما

---

[1] شفاء الغرام، ٢/١٦٦، ١٦٧

[2] شفاء الغرام، ٢/١٦٧، والجمهرة، ص٨١ .

[3] البداية والنهاية، ٨/١٥٩-١٦١

[4] البداية والنهاية، ٨/٢٣٢، ٢٣٤

يتبعهما يساعده الحارث بن حاطب الجمحي، وولى على المدينة أخاه عبيد الله بن الزبير[1] وعلى اليمن أخوه خالد بن الزبير[2]، وعلى العراق أخوه مصعب بن الزبير واستقل باليمامة نجدة الحنفي، ووافق ابن الزبير[3] لكن ما لبث أن استقر الأمر في البيت الأموي على مروان بن الحكم، فقوى شأنهم وتأكد ذلك بولاية ابنه عبدالملك بن مروان، الذي عمل على استعادة الولايات التي خرجت عن طاعتهم واحدة تلو الأخرى، وبعث الحجاج بن يوسف الثقفي فتغلب على ابن الزبير، في جمادى الأولى ٧٣هـ، وأخضع الحجاز واليمامة واليمن لطاعة بني أمية، ولذا فإن عبد الملك بن مروان ولاه عليها جميعاً[4] ولم يسبق لها أن اجتمعت لوالٍ قبله، وعين الحجاج ولاة من قِبَله على تلك المناطق كنواب عنه يديرونها، وهو المرجع لهم، كان منهم أخوه محمد بن يوسف الثقفي والياً على اليمن[5]

---

[1] البداية والنهاية، ٨/٢٥٧، ٢٥٨، وشفاء الغرام، ٢/١٦٩، ١٧٠

[2] الجمهرة، ص١٢٢

[3] كان نجدة الحنفي من الخوارج الحرورية واستقل باليمامة عن الدولة في عهد يزيد بن معاوية، واستولى على حجره من نجران وزحف إلى اليمن، ولم يجد أهلها لهم طاقة على حربه، فصالحوه على مائة ألف دينار يدفعونها إليه، ويرجع عنهم، فوافق ورجع، ولم يتصادم مع ابن الزبير . انظر: مختصر أنباء اليمن لابن زبارة، ص٤٠، وبعدها دخلت اليمن وغيرها في طاعة ابن الزبير، فعين الولاة عليها.

[4] البداية والنهاية، ٨/٣٥٧، ٩/٣، ٤

[5] مختصر أنباء اليمن، لابن زبارة، ص٤١، والجمهرة ص٢٦٧، مات محمد بن يوسف في عهد أخيه الحجاج، وهو والٍ على العراق، ويوم أن جاءه نعيه كان ابنه محمد بن الحجاج قد توفي منذ ساعة فاسترجع الحجاج وقال: أمحمد ، ومحمد في يوم ؟! وكان عبد الملك قد ولى على المدينة طارق بن عمرو مولى عثمان بن عفان عقب مقتل مصعب بن الزبير عام ٧٣ هـ ثم عزله عنها عام ٧٤ هـ وأضافها للحجاج خلال وجوده بالحجاز فجعل نائبه فيها عبد الله بن قيس بن مخرمة. الطبري ٦/١٩٣، ٢٠١

فلما انتقل إلى العراق عام ٧٥هـ والياً عليها عقب وفاة واليها بشر بن مروان، أصبح ولاة تلك المنطقة يراجعون مباشرة الخليفة عبد الملك بن مروان، وكان منهم: الحارث بن خالد بن العاص المخزومي، والي مكة والطائف وما يتبعهما، وقد سبق له أن تولاهما في عهد يزيد بن معاوية، كما كان على المدينة يحيى بن الحكم بن أبي العاص، عم الخليفة عبد الملك[1]، واستمر محمد بن يوسف الثقفي ـ أخو الحجاج ـ والياً على اليمن وأصبح مرجعه المباشر هو الخليفة، إلى أن توفي هذا الوالي عام ٩١هـ بعد ١٨ عاماً من ولايته لها[2] وتقلد ولاية مكة والطائف وما يتبعهما كثير من الولاة في عهد بني أمية، وبالأخص في عهد عبد الملك بن مروان، كما وليها في عهد ابنه الوليد بن عبد الملك، الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، وأضيفت له المدينة المنورة فكان يعتبر والياً على الحجاز بكامله، واستمرت ولايته من عام ٨٦هـ حتى عام ٩٣هـ وقيل عام ٩١هـ[3] وعندما قدم المدينة والياً جمع عشرة من فقهائها وقال لهم: ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم، فكونوا لي أعواناً على الحق ..[4] وعندما صار خليفة أمر خطباء المساجد بجميع البلدان والأمصار عدم التعرض

---

[1] شفاء الغرام، ٢/١٧٠، والطبري، ٦/٢٠٢، والجمهرة ص٨٧

[2] مختصر أنباء اليمن، لابن زبارة ص٤١، والطبري ٦/٤٩٨

[3] شفاء الغرام، ٢/١١٧٢، والطبري، ٦/٤٢٦، ٤٦٤، ٤٨١

[4] الطبري، ٦/٤٢٧، والبداية والنهاية ٩/٧٨

لسب أحد من الصحابة من فوق المنابر، واستبدال ذلك في آخر الخطبة الثانية، بقوله تعالى ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان ..﴾ الآية[1]

كما تولى ولاية مكة والطائف أكثر من مرة خالد بن عبد الله القسري البجلي، وكان يشابه الحجاج بن يوسف الثقفي، في شدته وسطوته، قبض على بعض التابعين والفقهاء الذين فروا من بطش الحجاج، كعطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير ومجاهد وابن حبيب وابن دينار وأعادهم إلى الحجاج بالعراق، فقتل سعيد بن جبير ومات ابن حبيب في الطريق[2] ومن محاسن ابن القسري النادرة أنه أول من فكر في إدارة الصفوف في الصلاة حول الكعبة، بغرض استيعاب أكبر قدر من المصلين خلف الإمام الواحد، واستشار الفقهاء في ذلك فأجازوه[3].

ونلحظ أن بعض الولاة جمعت له الولايات الثلاث: مكة والمدينة والطائف، مما يتبعهم كنجران مثل: عمر بن عبد العزيز كوال لها في عهد الوليد بن عبد الملك وعبد الرحمن بن الضحاك القرشي عام ١٠٣هـ ثم الذي خلفه في ولايتها وهو عبد الواحد بن عبد الله النصري الثقفي وكان عبدالواحد قد وليَ الطائف فقط عام ١٠٣هـ عقب عزل عبد العزيز بن عبد الله بن أسيد، ثم ضمت إليه الولايات الثلاث عام ١٠٤هـ وأيضاً

---

[1] سورة النحل آية، ٩٠

[2] الطبري، ٤٨٨/٦، ٤٨٩

[3] شفاء الغرام، ١٧٠/٢-١٧٢

إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي ـ خال هشام بن عبد الملك ـ الذي وليها من عام ١٠٦هـ حتى عام ١١٤هـ، ثم أخوه محمد بن هشام الذي تسلمها منه واستمرت ولايته على مكة والطائف حتى عام ١٢٥هـ، ويوسف بن محمد بن يوسف الثقفي ـ ابن أخي الحجاج بن يوسف، وخال الخليفة الوليد بن يزيد ـ حيث تولاها عام ١٢٦هـ، وفي الوقت نفسه كان أخوه مروان بن محمد بن يوسف الثقفي والياً على اليمن، وجمعت أيضاً لعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان عام ١٢٩هـ[1].

وكثيراً ما كانت تنفرد كل ولاية بوال واحد مستقل، يتلقى تعليماته مباشرة من الخليفة فكان من هؤلاء هشام بن أبي سفيان بن معتب الثقفي، الذي ولي أمر الطائف وما يتبعها، دون ولاية مكة وذلك في عهد يزيد بن الوليد[2].

ونلحظ من سياسة معاوية حرصه على اختيار الولاة من ذوي الحزم والحكمة في الاطلاع بشئون الرعية، مع ميله إلى إسناد تلك المناصب إلى رجالات بني أمية، أو من يلوذون في فلكهم، فإذا رغب في أن يولي أحداً من بني أمية ولم يسبق له أن تقلد منصب ولاية ولاة ولاية محدودة تتسم بالهدوء والاستقرار، مثل ولاية الطائف التي لا تردها وفود، أو يطرق

---

[1] انظر فيما سبق: شفاء الغرام ٢/١٧٢-١٧٤، والطبري ٦/٤٤٧، ٦٢٠، ٧/١٤، ٢٠، ٢٩، ٩١، ٢٢٦، والجمهرة ص١٤٨، ٢٦٧، ٢٧٠.

[2] الجمهرة ص ٢٦٨.

أرضهـا إلا عـابر، فـإن رأى منـه خيراً وأعجـب بحسـن سيرته وإدارتــه أضـاف إليـه ولايـة أخـرى، مثـل ولايـة مكـة أو نقلـه إلى ولايـة تستحق رعايــة وسـهر دائـم، لكثرة مـا فيهـا مـن اضطـراب، كـالبصرة والكوفـة[1] وهـذا مـا فعلـه مـع أخيـه عتبـة بـن أبـي سـفيان، ففـي بدايـة تقلـده المنـاصب ولاه ولايـة الطـائف وحدهـا، وبعـد عـدة أشـهر أضـاف إليـه ولايـة مكـة، بعـد أن لمـس فيـه حسـن الإدارة، وتصريـف شـئون الولايـة، وكذلـك مـع مـروان بـن الحكـم، فقـد ولاه المدينـة أولاً ثـم أضـاف إليـه مكـة والطـائف، بعـد عـزل عتبـة لمرضـه، وهـذا فـي حـدّ ذاتـه يعطينـا مؤشـراً علىمـدى اهتمـام الخلفـاء بتلـك الولايـات الـثلاث وتوابعهـا، وإسـنادهم إياهـا إلى ذوي الكفـاءة والمقـدرة، وممـا يؤكـد ذلـك أن عمـر بـن الخطـاب عندمـا قـدم مـن المدينـة إلى مكـة عـام ٢٣هـ لأداء فريضـة الحـج، وكـان والي مكـة مـن قِبَلـه نـافع الخزاعـي، فخـرج هـو وبعـض أعيـان مكـة لمقابلـة عمـر ومـن معـه خـارج مكـة علـى مسيرة يـوم منهـا .. فلمـا سـلم علـى عمـر سـأله عمـر: علـى مـن أنـاب علـى مكـة قبـل خروجـه، فقـال الخزاعـي: عبـد الرحمـن بـن أبـزي ـ مـولاه ـ فغضـب عمـر، واسـتنكر منـه أن يـولي مـولاه علـى أهـل بيـت الله، فقـال: إنـه قـارئ للقـرآن، وعـالم بـالفرائض وحـافظ للحديـث، فسـكن غيـظ عمـر[2] ونلحـظ أن عمـر بـن عبـد العزيـز عندمـا ولي خليفـة عـام ٩٩هـ عقـب وفـاة سـليمان بـن عبـد الملـك، اختـار ولاتـه مـن ذوي الـورع والعلـم وحسـن الإدارة في سياسـة الرعيـة، فـأبقى علـى

---

(1) الطبري، ٥/٢٩٦

(2) شفاء الغرام، ٢/١٦٤

عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد، والي مكة والطائف في عهد سليمان بن عبد الملك، وكان لعمر مشورة من قبل في تعيينه والياً على مكة من قِبَل سليمان، كما عين على المدينة أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، وهو من فقهاء المدينة المشهورين، بينما عزل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة عن ولاية العراق وخراسان لأن في سيفه رهقاً، بالرغم من خبرة يزيد في التصدي للخوارج[1] ويأتي يزيد بن عبد الملك فيفصل ولاية الطائف وما يتبعها عن ولاية مكة، ويولي عليها عبد الواحد ابن عبد الله النصري من ثقيف، ويولي مكة والمدينة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري، وذلك عام ١٠٣هـ[2] لكنها لم تلبث أن انضمت تلك الولايات الثلاث تحت والٍ واحدٍ في عهد هشام بن عبد الملك وإلى نهاية عهد بني أمية في معظم الأحوال.

وفي إطار تداعيات الخروج على الدولة لأسباب مختلفة ونوازع متباينة قد لا تمت إلى المشروعية بأية صلة، وإنما هيئت بدواعي واهية تعاظمت شيئاً فشيئاً حتى استحوذت على أفكار الذين سوّلت لهم أنفسهم هذا الخروج وحسنته في أذهانهم، متغافلين عن نتائجه الوخيمة، شرعاً وعقلاً وما يسببه ذلك من تفريق جماعة المسلمين التي حث الله على الالتزام بها.

---

(1) البداية والنهاية، ٩/٢٠٧، والطبري ٦/٥٥٧، ٥٥٨.

(2) شفاء الغرام، ٢/١٧٤، والطبرى، ٦/٦٢٠.

خرج بأرض حضرموت أحد هؤلاء الخوارج وهو: عبد الله بن يحيى بن عمرو الكندي، المعروف بطالب الحق، وكان أبو حمزة الخارجي واسمه: المختار بن عوف الأزدي السليمي من أهل البصرة ـ أي من بطون الأزد الذين انتقلوا واستوطنوا البصرة ـ كان يوافي مكة في كل موسم يدعو الناس سراً إلى مخالفة مروان بن محمد، آخر خلفاء بني أمية، ويحثهم على نزع طاعته، والخروج عليه بل والخروج على أي خليفة، أو حاكم من بني أمية، فلما كان موسم عام ١٢٨هـ سمعه أحد أنصار طالب الحق فانفرد به وقال له: يا رجل أسمع منك كلاماً حسناً، وأراك تدعو إلى الحق، فانطلق معي، فإني أراك مطاعاً في قومي، وسوف يتبعونك، وحمله معه إلى حضرموت، وهناك التقى بطالب الحق، فبايعه أبو حمزة الخارجي على أن يكون خليفة، وسمي عندئذ: طالب الحق، وأصبح أبو حمزة داعية له وقائداً لجيشه، وكان أبو حمزة خطيباً بليغاً مؤثراً، وانضم إليهم ثالث كانت له هيبة هو: أبرهة الصباح[1] فتبعهم كثير من عامة الناس، فاستولوا على حضرموت وظفار وصنعاء وغيرها من مخاليف اليمن، وطردوا والي اليمن من قبل الخليفة مروان بن محمد، وهو: القاسم بن عمرو بن الحكم بن عقيل الثقفي[2] وذلك عام ١٢٩هـ.

---

[1] هو الحفيد الأدنى لأبرهة بن الصباح بن لهيعة بن شيبة بن معد يكرب الحميري، كان لأبرهة بن الصباح هذا ولدان، أحدهما: كثير بن أبرهة أحد الذين أجلبوا الناس على عثمان ـ رضي الله عنه ـ وثانيهما: حريث بن أبرهة كان من أشد المطالبين بدم عثمان فكانا على نقيض، الجمهرة، ص٤٣٥

[2] هو ابن ابن عم الحجاج بن يوسف الثقفي، الجمهرة، ص٢٦٧، ٢٦٨

ثم تطلعت أنظار الخارجين إلى البقاع المقدسة، لإثبات جدارتهم بالخلافة في أعين أنصارهم، ورغبة في اقتطاع مساحة أكبر من أرض الخلافة وفصله عنها، فأقبل أبو حمزة الخارجي على رأس جيش[1] قبيل موسم عام ١٢٩هـ، وظهر هو ومن معه على الناس في عرفات يحملون أعلاماً سوداء، على رؤوس الرماح، وفزع منهم الحجيج حين رأوهم بعرفة، وذهب لهم البعض يسألهم ما خبرهم وحالهم؟! فأخبروهم بخلافهم لمروان بن محمد، وآل مروان وبني أمية عامة، والتبرؤ منهم وخلع طاعتهم فراسلهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك والي مكة والمدينة والطائف، وصالحهم على عدم إحداث شغب في الموسم، وعقد معهم أماناً إلى انتهاء الأشهر الحرم، فوافقوه على الهدنة إلى نهاية الموسم، ووقفوا بعرفات على حدة، ودفع بالناس الوالي عبد الواحد بن سليمان من عرفات إلى المزدلفة ثم منى، فلما كان بمنى قال له بعض الناس: لقد أخطأت حين أعطيتهم الأمان، فلو حملت عليهم وحمل معك الحجاج لتشتت جموعهم، فتعلل بأنه لا يريد إحداث شغب في الحرم الآمن، ثم تعجل في طواف الإفاضة، وترك مكة وذهب إلى المدينة، فدخل أبو حمزة الخارجي مكة، واستولى على دار الإمارة، دون مقاومة، وزحف نحو المدينة فوصلها في ١٩ صفر سنة ١٣٠هـ، وكان الوالي قد أعد جيشاً للمقاومة، وجعل عليه عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، ووقعت بينهم وبين أبي حمزة وقعة بقُدَيد خارج المدينة، قتل فيها كثير من أهل المدينة، ثم دخلها الخارجي

---

[1] قيل كان جيشه ٧٠٠ رجل، وقيل عشرة آلاف، والصواب الأول لأن مؤشر الوقائع يؤيد ذلك

وأقام بها ثلاثة أشهر، وأراد الذهاب، إلى الشام، فبلغه أن هناك جيشاً بعثه الخليفة في طريقه إلى المدينة، يقوده عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي من هوازن، وقد ولاه الخليفة مروان ولاية كل من مكة والمدينة والطائف واليمن، بالإضافة إلى محاربة الخارجين، فتحمل أبو حمزة الخروج من المدينة إلى وادي القرى، فالتقيا بالقرب من وادي القرى، فهزمه ابن عطية، وقتل أبو حمزة ومعظم أصحابه، ولم ينج منهم إلا من فر في جنح الظلام، ثم ولّى ابن عطية على المدينة ابن أخيه: الوليد بن عروة بن محمد بن عطية، ومضى هو يقود الجيش إلى مكة، فلم يجد بها أحداً من الخوارج، فاستخلف عليها وعلى الطائف وما يتبعها أحد رجاله يقال له ابن ماعز، ثم انطلق إلى اليمن، وبلغ ابن يحيى طالب الحق مسير ابن عطية إليه، فاستعد له وحشد جموعه على مشارف صنعاء، ولما تلاقيا قتله ابن عطية[1] وفرق جموعه، ودخل صنعاء وأعاد الأمن والاستقرار في ربوع اليمن وأعاد ترتيب شئونها.

وكان موسم الحج عام ١٣٠هـ قد قرب موعده، فكتب إليه الخليفة مروان بن محمد يستعجله أن يقبل إلى مكة ليتولى موسم الحج بالناس.

---

(1) في تاريخ اليمن للواسعي ص١٥٩ ما يفيد بأنه لم يقتل، وأنه ظهر مرة أخرى عام ١٤٧ هـ فتغلب عليه والي اليمن معن ابن زائدة الشيباني وقتله، وفي الطبري ٦٤/٨ أن أبا جعفر المنصور ولى معن ابن زائدة الشيباني ولاية اليمن لأنه بلغه أن واليها يهم بمخالفته ومعصيته والخروج على طاعته، فانطلق معن وقضى على الفتنة التي كانت قد قامت بالفعل باليمن، وقتل رؤوس المتمردين ولم يذكر من بينهم يحيى الخارجي المعروف بطالب الحق.

فترك جيشه وقواده جميعاً باليمن، وأقبل مسرعاً ومعه اثنا عشر رجلاً من خاصته، فلما نزلوا أرض قبيلة مراد بتهامة اليمن، جلسوا يستريحون بأحد الأودية، فظنهم بعض رجال قبيلة مراد أنهم لصوص، فهجموا عليهم وقتلوهم، وقتلوا ابن عطية، واستولوا على أمتعتهم وأموالهم، وكان ابن عطية قد حمل معه أربعين ألف دينار لمصاريف موسم الحج، فاستولوا عليها، ولم يفلت منهم إلا رجل واحد، قال لهم إنني من همدان، ويدعى: أبا الزبير بن عبد الرحمن، فعاد إلى صعدة فأخبر من بها بما حدث لهم، ثم انطلق ومعه جماعة إلى مكة فأخبر من بها بما حدث لهم. فتولى الحج بالناس محمد بن عبد الملك بن مروان، وكان قدم للموسم بغرض الحج، ولما انتهى الموسم عينه الخليفة والياً على مكة والمدينة والطائف، وعين على اليمن عروة بن محمد بن عطية السعدي، أخو عبد الملك القائد والوالي السابق المقتول، وأقر محمد بن عبد الملك: الوليد بن عروة هذا على ولاية المدينة كنائب له، فذهب الوليد يقود جموعاً وأنزل بقبيلة مراد عقوبة شديدة، نتيجة لقتلهم عمه عبد الملك[1] .

أطلنا في إيراد تفاصيل هذه الواقعة[2] للتأكيد على أن الخروج على الدولة في أي ثوب يرتديه الخارج، كان يعد بمثابة عصيان مدني لأوامر

---

[1] انظر فيما سبق: الطبري ٣٤٨/٧، ٣٧٤، ٣٩٣-٤١١ بتصرف، والبداية والنهاية ٤٠/١٠-٤٤، وشفاء الغرام، ١٢٥/٢، ١٧٥، ١٧٦، والجمهرة ص٢٦٥، ومختصر أنباء اليمن، لابن زبارة، ص٤٤، ٤٥.

[2] الواقع أننا أوجزناها، فالمصادر السابقة عرضتها بتفاصيل كثيرة، وشغلت حيزاً منها أكبر، ومع إيجازنا وتصرفنا كانت في ظننا بها إطالة لم نعود القارئ عليها، والداعي للملك هو التأكيد على النتيجة التي توصلنا إليها .

الدولة، أو مخالفة لحاكم بعينه، ينتهي أثره بمجرد القضاء عليه وإزالة أسبابه وعودة الطاعة والولاء، وأمثلة هذا كثيرة في عهد الأمويين والعباسيين، وبخاصة في الأقاليم الشرقية للدولة: خراسان وما وراءها شرقاً، وسواحل أفريقيا وامتداده غرباً، وقائع وأحداث كثيرة يصعب على الباحث تتبعها وحصرها، وبحث الغرض من ورائها، وهي في مجملها من أمثال تلك التي قام بها أبو حمزة الخارجي، مما لا يترتب عليه أي أثر سياسي، فضلاً عن التبعية الإقليمية، بدليل أن الوليد بن عروة والي المدينة هو الذي تولى إنزال العقوبة بأفراد قبيلة مراد، الذين قتلوا عمه ومن معه .. فاستطالت يده بالسطوة وإنزال العقوبة إلى هنالك .. إما بتفويض من والده عروة والي اليمن، أو من الخليفة مروان، أو من والي مكة والمدينة والطائف محمد بن عبد الملك بن مروان، الذي أبقى عليه نائباً له في المدينة .. وعهد إليه بأن يحج بالناس موسم ١٣١هـ وفي هذا دليل على امتداد نفوذ مكة إلى ما وراء منطقة الدراسة.

وعلى كل فإن منطقة الحجاز، بل شبه الجزيرة العربية عامة، كانت تعتبر من أهدأ الأقاليم وأكثرها استقراراً وأمناً خلال عهد الأمويين بالقياس إلى غيرها من الأقاليم والأمصار الأخرى، وكان يخضع لها إدارياً الكثير من المناطق والأقاليم ومنها اليمن نفسه، في بعض الأحيان إبان العهد الأموي، فضلاً عن العهد النبوي، وعهد الخلفاء الراشدين، كما سبق أن أوضحنا ذلك .. وليس في هذا منقصة لتلك الأقاليم والأمصار، بل إنها الفترة التاريخية التي يعتز بها المسلمون، لوحدتهم وجمع صفوفهم في ظل الإسلام.

عهد العباسيين :

نجح العباسيون[1] في إقامة دولتهم على أنقاض دولة الأمويين عام ١٣٢هـ[2] مستغلين النزاع والشقاق الذي وقع في البيت الأموي، والصراع بين الأمويين والعلويين[3]، وتردي حالة الدولة بصفة عامة[4].

---

(١) ينسبون إلى العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ وكان للعباس تسعة أبناء، منهم حبر الأمة عبد الله بن العباس، وهؤلاء من ذريته خاصة، وكان يطلق عليهم وقت القيام بالدعوة لهم: آل محمد نسبة إلى أبيهم محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس، ومن المفارقات أن العباس كان قد تطلعت نفسه إلى أن يظل الأمر في بني هاشم، عند مرض رسول الله ﷺ وطلب من علي بن أبي طالب أن يسأل الرسول ﷺ إياها ، فرفض وقال: والله لو منعنا إياها لا يعطينها الناس أبداً، كما تروي ذلك كتب التاريخ المنصفة، ولم تطمح نفس عبد الله بن العباس إلى الخلافة مطلقاً مثل عبد الله بن عمر بن الخطاب، الذي اعتزل الفتنة تماماً حتى توفي، وقام عبد الله بن العباس بدور الناصح الأمين للإمام علي بن أبي طالب، لعدم ترك المدينة والذهاب إلى الكوفة، كما لم يوافق ابن الزبير فيما قام به، لأن فيه تفريقاً للجماعة، وتعلق بثوب الحسين لإثناء عزمه عن المسير إلى العراق، قبيل كربلاء عام ٦١ هـ، بينما الطالبيون -نسبة إلى أبي طالب بن عبد المطلب، أخي العباس- لم ينجحوا في إقامة مثل تلك الدولة، بالرغم من كثرة مطالباتهم وخروجهم وسعيهم، هم وأشياعهم .. وهذا مما يحملو بالمرء الذي يعمل بفكره وعقله بعيداً عن العاطفة، أن يوقن بأن لله سبحانه وتعالى حكمة في ذلك، وأنه سبحانه ﴿يؤتي الملك من يشاء﴾ يؤتيه ويهبه لمن يشاؤه هو سبحانه، لا من يشاء ويسعى إليه من عباده، فليت الساعين في كل عصر يدركون ذلك !..

(٢) بويع أبو العباس بالخلافة ليلة الجمعة ١٣ ربيع الآخر سنة ١٣٢ هـ وقيل في ربيع الأول، الطبري، ٧/٤٢٠

(٣) العلويون نسبة إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن أتباع ذريته نشأت الشيعة، وهي فرق عديدة .

(٤) انظر: أثر العرب السياسي في العصر العباسي الأول، للدكتور علي عبد الرحمن العمرو، ص٧٩-١٠٤.

كان أول الخلفاء العباسيين أبا العباس السفاح[1] وساعده في توطيد الحكم إخوته[2] وأعمامه[3] ودعاته وقواده[4] فبادر بإرسال الجيوش للاستيلاء على الأقاليم والأمصار ومطاردة بني أمية، واختيار الولاة من ذوي الحنكة والسطوة لإحكام السيطرة على الولايات ودعم الاستقرار فيها.

فاستدعى عمه داود بن علي، الذي كان قد هيمن على الكوفة، وصار والياً عليها، منذ إعلان البيعة والخلافة في ربيع الآخر ١٣٢هـ، وانتدبه بعد شهرين تقريباً، ليكون والياً عاماً على معظم شبه الجزيرة العربية، ومسئولاً عن استقرار الأمن والأوضاع فيها، ومطاردة فلول بني أمية، فكان هو الوالي لكل من مكة والمدينة والطائف واليمامة والبحرين واليمن[5]، واتخذ مكة المكرمة مقراً له، وعين ولاة من قبله على تلك البلدان والمناطق كان منهم عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أول والٍ على اليمن في عهد الدولة العباسية من قبل داود بن

---

[1] هو عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، وسمي السفاح لكثرة ما أريق وسفح من دماء في عهده .

[2] كان له خمسة إخوة: إبراهيم الإمام، وكان هو أكبر الإخوة، وكانت الدعوة له إلى أن توفي قبل أن يؤول الأمر لهم، فعهد إلى أخيه أبي العباس، ثم إلى أبي جعفر المنصور. وبقية الأخوة: العباس، وموسى ويحيى ولكل منهم أولاد أسهموا في توطيد الحكم.

[3] كان له سبعة أعمام: سليمان وداود وعبد الله وصالح وعيسى وعبد الصمد وإسماعيل ولكل منهم أولاد كان لهم جميعاً دور بالغ الأهمية في الاستيلاء على المناطق، واستقرار الوضع .

[4] كان من أشهر دعاته وقواده: أبو مسلم الخراساني، أمين آل محمد وعلي أبي سلمة، وزير آل محمد . انظر أثر الفرس السياسي في العصر العباسي، الدكتور علي العمرو ص١٠٥-١٢٠

[5] الطبري، ٤٥٨/٧، والبداية والنهاية، ٦٤/١٠، ٦٦ .

علي، وكان هو الذي أخذ البيعة من أهل مكة لأبي العباس، ولذا اعتبره البعض أنه ولي مكة للسفاح[1]، المهم أن داود بن علي كان هو المرجع المباشر لهم دون الخليفة، وهو الذي حج بالناس موسم عام ١٣٢هـ ثم توفي في شهر ربيع الأول سنة ١٣٣هـ، أي بعد أقل من عام من ولايته، لكنه استطاع أن يثبت دعائم الدولة في تلك المناطق، ويقضي على فلول الأمويين الذين يخشى منهم، وكان داود عندما أحس باشتداد مرضه وقرب وفاته، ولّى ابنه موسى بن داود على عمله، لكن أبا العباس السفاح، بعد أن بلغه وفاة عمه داود رأى، أن موسى ليس كفئاً لهذا المنصب، ومسئولياته الكبيرة، فأسنده إلى خاله زياد بن عبيد الله بن المدان الحارثي[2] واقتطع منه اليمن فولاها لابن خاله محمد بن يزيد بن عبيد الله الحارثي، كما اقتطع البحرين فولاها إبراهيم بن حسان السلمي، واتخذ زياد الحارثي المدينة مقراً له، وجعل ابن أخيه علي بن الربيع الحارثي نائباً له على مكة والطائف وما يتبعهما. ولما توفي محمد بن يزيد الحارثي والي اليمن، حل محله في ولاية اليمن علي بن الربيع عام ١٣٤ هـ، وترك نيابة مكة والطائف، فعين الخليفة عليهما العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس، بداية عام ١٣٥هـ، واقتصرت ولاية زياد بن عبيد الله على المدينة فقط، وعندما توفي العباس بن عبد الله والي مكة والطائف في نهاية موسم

---

[1] الجمهرة ص١٥٢، ومختصر أنباء اليمن ونبلائه لابن زبارة، ص٤٥

[2] عبد الله، أبو العباس السفاح أمه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي من بني الحارث، أهل نجران، وهم أخواله ولهذا كان لهم شأن في صدر دولة بني العباس

عام ١٣٧هـ، أعيدت ولايتهما إلى زياد بالإضافة إلى المدينة[1] فجعل عليهما نائباً عنه هو الهيثم بن معاوية العتكي الأزدي[2] واستمر الوضع هكذا حتى عام ١٤١هـ حينما عزل أبو جعفر المنصور زياد الحارثي، واستعمل مكانه الهيثم بن معاوية العتكي على مكة والطائف أي مستمراً عليها، وبذلك أصبح الهيثم والياً من قبل الخليفة، وليس نائباً لوالي الحجاز. وولي اليمامة السري بن عبد الله بن عبد المطلب، ثم فصل ولاية المدينة من الهيثم وولى عليها محمد بن خالد القسري، وفي عام١٤٣هـ انتقل السري من ولاية اليمامة وتولى مكة والطائف وما يتبعهما بعد عزل الهيثم ابن معاوية العتكي، وحل قثم بن عباس بن عبد الله بن العباس محل السري في ولاية اليمامة، واستمر السري حتى عام ١٤٦هـ حين عزله أبو جعفر المنصور وعين بدلاً منه عبد الصمد بن علي، عم أبي جعفر المنصور، وخلال ولاية السري خرج على المنصور: محمد بن عبد الله الحسني العلوي الملقب بالنفس الزكية، فخلع الطاعة عام ١٤٥هـ واستولى على المدينة، وبعث من استولى على مقر الحكم في مكة واليمن فسير إليه أبو جعفر المنصور عيسى بن موسى العباسي على رأس جيش، قتله وقتل كثيراً من أنصاره واستعاد منهم المدينة ومكة واليمن وما يتبعهم، وأعاد الأمن

---

[1] الطبري ٧/٤٨٥-٤٦٧، ٤٩٦، ٦٥٦، والبداية والنهاية، ١٠/٦٧، ٧٢، ٨٥

[2] الطبري، ٧/٥١١ .

فيهم وعاد لهم أمراؤهم السابقون، كالسري لكن الخليفة ما لبث أن عزل هؤلاء الولاة، وعين بدلاً منهم ولاة آخرين[1].

وهذا التعيين والنقل والعزل للولاة ليس خاصاً بمنطقتنا وحدها، بل كان يشمل كافة الولاة في الأقاليم والمناطق الأخرى، وهو يعطي دلالة على مدى اهتمام الدولة بالسيطرة على الأقاليم والمناطق، وحرصها على اختيار الولاة من ذوي الكفاءة وحسن الإدارة لمواجهة أي اتجاه مُخِلٍّ أو مفسد للأمن.

---

[1] شفاء الغرام ٢/١٧٦-١٧٨.

محاكمة نجراني:

وخلال هذه الفترة وقعت حادثة تؤكد ما ذهبنا إليه من حيث تحديد الولايات في المنطقة وتبعية انتمائها الإقليمي والإداري وتتلخص في الآتي:

أن بعض بطون بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة[1] كانت تمتد مواطنهم في بادية عسير (السراة) ملاصقة ومجاورة لأرض كل من جرم ونهد المقيمين بنجران غرباً، وذلك منذ ما قبل الإسلام، فقد سبق أن أشرنا إلى انه وقعت منازعة بين بعض بني جرم على ملكية أحد الأودية، ورفعوا خصومتهم إلى الرسول ﷺ، فحكم به الرسول إلى بني جرم فتراضوا وقبلوا بحكمه عليه السلام[2] .

ونظراً لتقارب موطن كل من بني عقيل وبني الحارث بن كعب من أهل نجران، فقد كانت كثيراً ما تنعقد بين رجالاتهم ورتبائهم نوع من الألفة والمودة، وأحياناً تقع بينهم منافسة ومنازعة، تؤدي إلى المشاحة والخصومة وربما إلى الاقتتال، شأن كثير من القبائل المتجاورة .

---

[1] بطون بني عقيل ، منهم بنو المنتفق، وبنو خويلد بن عوف، وبنو خفاجة، رهط توبة صاحب ليلى الأخيلية، وبنو عبادة رهط ليلى الأخيلية، وكانت بطون منهم قد رحلت من مواطنها قبل الإسلام، وخلال الفتوحات الإسلامية، فحلت محلها قبائل أخرى، الجمهرة ص٢٩٠-٢٩٢، وعجالة المبتدى للحازمي ص٩٣.

[2] انظر: الجمهرة، ص٤٥٠، ومعجم البلدان، ج٤، ص١٣٩.

كـان جعفـر بـن عُلْبَـة بـن ربيعـة الحـارثي فارسـاً وشـاعراً ومعـاصراً لكـل من الدولـة الأمويـة والعباسية، وكـان أبـوه شـاعراً أيضـاً، وادعـت بنـو عقيـل على جعفـر بـن علبـة أنـه قتـل منهـم رجـلاً واستعدوا عليـه والي مكـة، ورفعـوا نفراً منهـم إليـه، فاسـتدعاه الـوالي إلى مقـر الإمـارة بمكـة ونصـب محاكمتـه فيهـا، فـأنكر جعفـر ان يكـون قتـل أحـداً مـن بـني عقيـل، فشـهد عليـه خمسـون رجلاً منهم، فحكـم عليـه بالقصـاص ونفـذ الحكـم بمكـة.

وردت عـدة روايـات في السـبب الـذي دعـا جعفـر إلى قتـل العقيلـي، وفي أي الأزمنـة حـدث هـذا؟. أورد ذلـك كلـه بإفاضـة (صـاحب الأغـاني) كعادتـه في إيـراد الأخبـار الـتي تتضمـن شـعراً أو نثـراً جـزل العبـارة[1] فكـان ممـا أورده: أن هـذا وقـع في عهـد الخليفـة هشـام بـن عبـد الملـك، وأن والي مكـة والطـائف كـان هـو إبراهيـم بـن هشـام المخزومـي خـال هشـام بـن عبـد الملـك، وأن الـوالي اسـتدعى الحـارثيين الأربعـة ومنهـم جعفـر وأجـرى محـاكمتهم، فـأدين جعفـر فنُفِّـذ فيـه القصـاص .. وهـذه الروايـة بعيـدة عـن الصـواب زمنيـاً لأن ولايـة إبراهيـم المخزومـي لمكـة والطـائف كـانت مـن عـام ١٠٦هـ حتـى عـام ١١٣هـ تقريبـاً، والمصـادر تفيـد بـأن جعفـر أدرك الدولـة العباسـية، وبعضهـا ينـص صراحـة علـى أن هـذا الحـادث وقـع في صـدر الدولـة العباسـية، لـذا نجـد (صـاحب الأغـاني) يـأتي بروايتـين تؤكـدان أن الحـادث وقـع في عهـد الخليفـة أبـي جعفـر المنصـور، وأن والي مكـة هـو: السَّـريّ بـن عبـد الله بـن

[1] الأغاني، لأبي فرج الأصفهاني، ١١/١٤١-١٤٦، وديوان الحماسة لأبي تمام بشرح التبريزي، ٩/١، والمحبرة ص٤١٧.

الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، الذي ولي مكة والطائف من عام ١٤٣ حتى عام ١٤٦هـ[1]، فبعث السري من الشُّرَط من يأتي بجعفر والمتهمين معه فإن لم يتمكن منه فليأت بأبيه علبة. وبالفعل لم يجدوا جعفراً فأتوا بأبيه فحبسه لديه بمكة حتى يحث أهله وعشيرته على الإتيان بجعفر والمتهمين الثلاثة الذين كانوا معه، فأتوا بهم جميعاً، فأجرى لهم محاكمة في مكة مقر الإمارة، وأدين جعفر .. والرواية الثانية بها إضافة مفيدة هي أن السري كان متزوجاً من أخت جعفر، وأنه حاول درء القصاص عن جعفر بشبهة أنه اشترك معه ثلاثة، ولا يدري من أيهم وقع الفعل، وأنه حاول أن يراعي خؤولة أبي العباس السفاح في بني الحارث عشيرة جعفر، غير أن بني عقيل عندما أحسوا بنوايا واتجاه الوالي نفروا وتوعدوه بالخروج إلى الخليفة أبي جعفر المنصور، والتظلم إليه إن هو تدخل في القضاء لصالح جعفر. فخاف وعدل عما كان ينوي الإقدام عليه .. فأجريت المحاكمة بعد قسامة شهد على جعفر فيها خمسون رجلاً من بني عقيل أنه هو القاتل، ونفذ حكم القصاص فيه بعد انقضاء موسم الحج الذي توافق أن بنتاً ليحيى بن زياد الحارثي حضرت إلى مكة للحج في ذلك الموسم، وبقيت بمكة حتى نفذ الحكم في جعفر فبكته هي ومن معها من جواريها، وأحضرت له كفناً

---

[1] عزله أبو جعفر بعد القضاء على فتنة محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي، الذي خرج بالمدينة عام ١٤٥ هـ واستولى أتباعه على السلطة في مكة واليمن. ثم ما لبث أن تغلب عليهم جيش أبي جعفر واسترد السلطة من أيديهم، وترتب على ذلك عزل الولاة القدامى، وتعيين ولاة جدد على تلك المناطق، فعين على مكة والطائف عمه عبد الصمد بن علي، وعلى المدينة جعفر بن سليمان بن علي ابن عمه .

كُفّن فيه وعاد من حضر من بني الحارث إلى نجران، فقام نساؤهم يبكينه بنجران، وقيل شعر كثير في هذا الحادث أورده صاحب الأغاني .

وعموماً فهذه الواقعة تؤكد ما ذهبنا إليه من استمرارية خضوع نجران وارتباطها إدارياً بولاية الطائف منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكلاهما كانا يخضعان في معظم الأحيان لوالي مكة، فقد كان يُعد بمثابة الوالي العام للمنطقة، وبخاصة إذا أضيفت إليه ولاية المدينة، وإبان وقوع هذه الحادثة كان السري والياً على مكة والطائف وما يتبعهما، ومن المؤكد أنه كان له نواب ومساعدون في كل من الطائف ونجران وغيرهما من البلدان والبوادي بتهامة وعسير وعلى القبائل والعشائر، فهو تنظيم إداري معمول به منذ عهد الرسول ﷺ وقد وقعت الحادثة في حيز ولايته، وفي داخل حدودها فرفع بنو عقيل الأمر إليه، لأنه من اختصاصه إدارياً وإقليمياً، ولو كان هناك مجرد شك في التبعية الإدارية وأنها لجهة أخرى لفزع إليها بنو عقيل، خاصة وأنهم يعلمون صلة المصاهرة للوالي مع خصمهم .. وكونهم لجأوا إليه مع علمهم بتلك المصاهرة يفيد بتأكيد تلك التبعية الإدارية، وأنه لا مناص لهم من رفع الأمر إليه، لذا أقيمت الدعوى، وأجريت المحاكمة ونفذ الحكم في مقر الولاية وهو مكة المكرمة .

الشافعي والياً على نجران :

لقد درس الكثيرون منا آراء الإمام الشافعي الفقهية، واجتهاداته، وفتاويه، واستدلالاته وأصول أحكامه، وغير ذلك، لأنه صاحب أحد مذاهب أهل السنة الأربعة المتبعة. أما حياته الذاتية، والوظيفية فلم يهتم بها سوى القلة، وهاؤم جزء من تاريخ حياته.

ولد محمد بن إدريس الشافعي في غزة[1] وقيل: بغيرها، عام ١٥٠هـ، ومات أبوه وهو صغير، فحملته أمه[2] وهو ابن سنتين، عائدة به

---

[1] هو أبو عبد الله، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع [فهو منسوب إلى جده شافع هذا، وهو الجد الثالث له] ابن السائب بن عبيد الله بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، فهو يجتمع مع النبي ﷺ، في النسب بعبد مناف، فهاشم الجد الأعلى للنبي ﷺ والمطلب الجد الأعلى للشافعي، هما أخوان من أبناء عبد مناف بن قصي، ويوم خيبر أعطى الرسول ﷺ ، بني هاشم، وبني المطلب هذا من خمس خيبر، ولم يعط بني عبد شمس، ولا بني عبد مناف، فمشى إليه جبير بن مطعم، وعثمان بن عفان، فقالا: أعطيت بني المطلب وتركتنا، وإنما هم ونحن منك بمنزلة واحدة، فقال: إن بني هاشم وبني المطلب شيء واحد لم يفارقونا .. لقي جده شافع رسول الله ﷺ وكان السائب أبو شافع، مع المشركين يوم بدر، ولم يكن أسلم بعدُ، حمل راية بني هاشم، وأسره المسلمون يومها، ففدى نفسه ثم أسلم، فقيل له لِمَ لَمْ تسلم قبل أن تفدي نفسك؟ قال: ما كنت أحب أن أحرم المسلمين مطمعاً فيّ .. وهذا يدل على كرم نفسه، ورجاحة عقله. أنظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان ١٦٣/٤، وطبقات الشافعي، للسبكي، ص١٠٠، وحلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني، ٦٦/٩، ٦٧، والجمهرة ص ٧٢-٧٣، وغيرها

[2] أمه: قيل: أزدية، من الأزد، وقيل: أسدية، من ولد أسد بن عبد العزى بن قصي، رهط أم المؤمنين خديجة بنت خويلد الأسدي رضي الله عنها، وآل العوام، وحكيم بن حزام، وليست من أسد ربيعة، الذين تتوزع منهم بطون قبائل عديدة، وقيل: بل هي من الطالبيين من بني هاشم، وأن عودتها به إلى مكة إشارة إلى عودتها إلى أهلها وأهله.
أنظر حلية الأولياء، ٦٦/٩-٦٨، وطبقات الشافعية، ص ١٠٠، ١٠١

إلى مكة لئلا يضيع نسبه، فأقاموا ببيت في شعب الخيف بمكة، ودفعته امه إلى الكُتّاب، فحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر، وكان خلال ذلك يختلف إلى موطن قبيلة هذيل بالبادية بضواحي مكة، فتعلم منهم لغة العرب وفصاحتهم، والشعر، وايام العرب[1] وأخذ من علماء مكة وفقهائها، كسفيان بن عيينة، ومسلم بن خالد الزنجي وغيرهما، ثم أزمع الذهاب إلى الإمام مالك بالمدينة، ليقرأ عليه الموطأ، وكان الإمام مالك في تلك الأيام اعتكف الناس، ولزم بيته، ولا يشارك في حياة الناس العامة، بُعداً عن الفتنة، فاستعان الشافعي بوالي مكة ووالي المدينة على لقائه والجلوس إليه، فقابله وبدأ يقرأ عليه الموطأ، فأعجب مالك بحسن قراءته، وجودته، ثم لزمه فأخذ عنه الفقه، وعِلْم أهل الحجاز[2] كما كان يطلق عليه في ذاك الوقت.

ثم عاد إلى مكة، وجلس للتدريس والفتوى، بعد أن أجازه بعض أساتذته، لكنه أمام وطأة الحياة، وضيق ذات اليد، ذهب يوماً إلى عبد الله ابن المصعب الزبيري[3] وكان عالماً تقياً، تجمعه به صلة مودة وقربى، طلب

---

[1] البداية والنهاية، ١٠/١٠٣

[2] مناقب الشافعي للبيهقي، ١/١٠٣، والبداية والنهاية، ١٠/٢٨٤، والحلية ٩/٦٩، ٧٠.

[3] هو: عبد الله بن المصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام، من بني أسد بن عبد العزى، التي قالت بعض الروايات أن أم الشافعي منهم، وكان عبد الله بن المصعب هذا، عالماً صالحاً، ولاه الرشيد المدينة المنورة فقبل الولاية عليها بشروط عدة اشترطها على الرشيد فأجابه الرشيد إليها، ثم بعد مدة ولاه على اليمن - ونوع الولاية سنتعرض لذكرها أعلاه، وهل هي إمارة، أو قضاء أو هما معاً - توفي سنة ١٨٤هـ، وتولى ابنه بكار ابن عبد الله بن المصعب ولاية المدينة بعد أبيه مباشرة، أو بعده بزمن، وحفيده الزبير بن بكار بن عبد الله ...

منه أن يسعى لدى أحد أقربائه الموسرين بأن يعطيه أو يقرضه شيئاً يستعين به على قضاء حاجته، فذهب ابن المصعب، ثم عاد ومعه مائة دينار، وقال للشافعي: إنه قال لي: تُكلِّمني في رجل كان منا فخالفنا؟![1] ثم قال له ابن المصعب: إن الرشيد كتب إليّ أن أصير إلى اليمن قاضياً، فتخرج معنا لعل الله يعوضك خيراً من هذا الرجل، فخرج مع ابن المصعب إلى اليمن ليعمل في القضاء والإفتاء.

بعض الروايات تفيد بأن عبد الله بن المصعب بن الزبيري، عمل والياً على اليمن للرشيد[2] غير أن هذه الرواية تفيد بأنه ذهب إليها قاضياً[3] ويجوز أن يكون قد ذهب لتقلد المنصبين معاً، فبعض الولاة، وبخاصة الذين كانوا من العلماء والفقهاء، كان يسند إليهم المنصبان معاً: الولاية، والقضاء، ورواية ثالثة تفيد بأن الوالي المكلف بولاية اليمن لم يكن هو ابن المصعب، وإنما والٍ آخر قدم مكة فكلمه بعض القرشيين ليصحب الشافعي معه، فأخذه معه واستعمله على بعض الأعمال فيها[4] وسواء أكان الوالي ابن المصعب، أم غيره، فقد ذهب الشافعي إلى اليمن، وعمل

= بن المصعب، الراوية النسابة المشهور، قاضي مكة في عصره. وفي بعض الكتب ورد الاسم: المصعب بن عبد الله وهو خطأ. أنظر: البداية والنهاية، ٢١١/١٠، والجمهرة ص١٢٣، والطبري ٣٥٣/٨.

(1) إن لم يفصح الرواة عن اسم هذا الرجل، لكن العبارة تشير إلى أنه من بعض الطالبيين الذين كانوا يتوقعون أن يسير الشافعي في ركابهم، ويقول بمثل مايقولون.

(2) الجمهرة ص ١٢٣.

(3) الحلية، ٧١/٩.

(4) مناقب الشافعي للبيهقي ١٠٦/١ .

بها في القضاء والفتوى، وذاع صيته، وطار ذكره، وأثنوا عليه في عدله وإنصافه، وسعة أفقه بالأحكام الفقهية. وقدم العمال إلى مكة في شهر رجب من نواحي اليمن ومخاليفها، فأشاعوا ذلك في مكة، وعلى مسامع أساتذته، ثم قدم الشافعي عائداً إلى مكة، فأثنى عليه بعض أساتذته كسفيان بن عيينة ولامه البعض الآخر لأنه قَبِلَ أن يعمل قاضياً، فهم عازفون عن تَقَلّد هذا المنصب، ويودون تلامذتهم أن يقتدوا بهم في ذلك، حتى لايقعوا في الفتنة، وتغرهم الدنيا .. وكان من هؤلاء ابن أبي يحيى[1]

وغالب الظن أن ذلك كان عام ١٨٢هـ، بما يفيد أن عبد الله بن المصعب هو الوالي على اليمن، لأنه عاد إلى مكة أوائل عام ١٨٣هـ، ولزمها حتى توفى عام ١٨٤ في رواية الطبري، أو عام ١٨٥ في رواية ابن الأثير، وتسلم منه ولاية اليمن محمد بن يحيى بن خالد البرمكي[2] أوائل عام ١٨٣هـ، واستمر فيها حتى بداية عام ١٨٤ هـ، حين قدم إلى المنطقة حماد البربري والياً على مكة، والطائف، واليمن، متخذاً من مكة مقراً له. وكان والى مكة والطائف هو: أحمد بن إسماعيل بن علي، العباسي،

---

[1] مناقب الشافعي، للبيهقي، ١/١٠٦.

[2] كان محمد بن يحيى البرمكي، أحد أربعة أخوة هم أبناء يحيى بن خالد البرمكي – الفضل، وجعفر، ومحمد وموسى – وكان محمد صالحاً ورعاً، ومخلصاً في عمله، وكان ناصحاً للرشيد وتولى الحجابة له عامي ١٧٧، ١٧٨ هـ، وعندما أوقع الرشيد بالبرامكة عام ١٨٧ هـ لم يعرض لمحمد بأي سوء أو أذى، وبقيت أمواله كما هي، لحسن سيرته، لذا فإنه يعد من الولاة المتميزين الذين تولوا اليمن.
انظر : الطبري ٨/ ٢٦١، ٢٨٧، والبداية والنهاية، ١٠/ ٢١٥، ومختصر أنباء اليمن، لابن زبارة، ص ٤٨، وابن الأثير ٦/١٧١.

القرشي، الذي تسلم منه حماد البربري الولاية حين قدمها .. وأحمد بن إسماعيل هو الذي اختار الشافعي والياً وقاضياً على نجران، نهاية عام ١٨٣هـ، بعد أن ذاع صيته واشتهر أمره فترة وجوده في اليمن، وذلك قبل قدوم البربري بفترة يسيرة، بعد أن كلمه عم الشافعي محمد بن علي بن شافع.

وإبان ولاية محمد البرمكي لليمن، خرج بعض شتات القبائل بمخلاف الجند بتهامة اليمن، قيل: أثارهم أحد الطالبيين، وأحدثوا شغباً واضطراباً، ولم يستطع البرمكي السيطرة عليهم، لذا فإن الرشيد عزله، وعزل أيضاً والي مكة والطائف ربما لعدم تعاونه معه في القضاء على هذا الاضطراب، وأعطى الرشيد تعليماته لحماد البربري قائلاً: أسمعني أصوات أهل اليمن[1] ـ كناية عن صراخهم الذي يقرع الآذان من قسوة التعذيب، ويقصد بذلك الذين أحدثوا شَغَباً في ولاية الجند ـ لكن قسوة البربري تجاوزت ولاية الجند، وكان يحمل تعليمات أخرى عامة لكافة الولاة، بأهمية أخذ الناس بالمتأخر من الخراج، كل في منطقته، وولي الرشيد هذا الأمر أميراً في دار الخلافة مهمته متابعة الولاة في ولاياتهم، ومتابعة أهل سواد العراق خاصة لتحصيل المتأخر من الأموال المطلوب آداؤه للدولة، وهو عبد الله بن الهيثم بن سلم، فروّع الناس أيّما ترويع لهذا الغرض[2] ونعود إلى نص ذكره الشافعي، يوضح فيه سبب عزله عن نجران، يقول

---

[1] مختصر أنباء اليمن، لابن زبارة، ص ٤٤٨، وتاريخ اليمن (فرجة الهموم ...) للواسعي، ص١٥٨.

[2] الطبري، ٢٧٢/٨، والبداية والنهاية، ٢١٠/١٠.

الشافعي[1]! .. ثم وُلِّيتُ نجران[2] وبها بنو الحارث، وموالي ثقيف، وكان الوالي إذا أتاهم صانعوه، فقدمتُ فأرادوني على ذلك [أي أرادوا أن يصنعوا معه كما كانوا يُصانعون غيره] فلم يجدوا عندي [استعداداً لقبول ذلك] وتظلّم عندي ناس، فجمعتهم، وقلتُ: اجتمعوا، على سبعة منكم [وفي رواية: اختاروا سبعة منكم] رجالٌ عُدولٌ. فمن عَدَّلوه [من الشهود] كان عَدْلاً، ومن جَرَّحُوه كان مجروحاً، فاجتمعوا على سبعة منهم، فجلست للحكم، وقلت للخصوم: تقدّموا، وأجلست السبعة حولي، فإذا شَهِد شاهدٌ التفتُ إلى السبعة، فقلتُ: ماتقولون في شهادته؟ فإن عَدَّلُوه كان عَدْلاً، وإن جَرَّحُوه قلتُ [لمن استشهد به] زدني شُهوداً، فلم أزل أفعل ذلك حتى أتَيتُ على جميع من تظلّم عندي، فلما صححتُ [النظر في أقوال الخصوم] وضعت الأحكام، وسجّلتُها، فنظروا إلى حُكْمٍ حادٍ [وفي رواية: جارٍ أي جارٍ في رأيهم] فقالوا: هذه الضياع التي تحكم علينا فيها ليست لنا، إنما هي للمنصور بن المهدي! [أي ابن الخليفة المهدي، وأخو الخليفة هارون الرشيد المعاصرين له][3] فقلتُ للكاتب:

---

[1] مناقب الشافعي، للبيهقي، ١٠٦/١، ١٠٧، وحلية الأولياء، لأبي نُعيم الأصبهاني، ٧٦/٩، ٧٧، وآداب الشافعي ومناقبه، لأبي حاتم الرازي، ص ٣٢، ٣٣.
ومابين المعقوفين زيادة من عندنا، عبارة عن إيضاح وتفسير للنص.

[2] وردت في بعض المراجع السابقة وغيرها بهذا النص، وفي بعضها: ... ثم قدمت بعد ذلك نجران .. وفي بعضها الآخر: .. وكنت بنجران .. وأياً كان فبقية الكلام الآتي يفيد بأنه كان والياً وقاضياً، أي ليس معه والٍ آخر بنجران، وسوف نقف على مايفيد هذا النص من مدلولات، بعد استيفائه ..

[3] المنصور بن المهدي بن أبي جعفر المنصور، عاش حتى أدرك عهد الخليفة المتوكل، الذي بدأ عهده عام ٢٣٢ هـ

اكتب: أقرَّ فلان بن فلان الذى وقع عليه حكمى فى هذا الكتاب، أن الضيعة التى حكمتُ عليه فيها ليست له، إنما هى لمنصور بن المهدى، ومنصور بن المهدى قائم على حُجَّته متى قام[1] [أى أنه مطلوب منه تقديم ماثبت ذلك أو بنفيه] قال الشافعي: فخرجوا إلى مكة، فلم يزالوا يعملون [أي يطعنون، ويتهمونه بالتشيع وعدم الموالاة] حتى رُفِعْتُ إلى العراق، وفي رواية: حتى أخذت مكبلاً إلى العراق، فقيل لي [بالعراق]: إلزم الباب [أي لاتفارق الباب في المكان الذي وضعوه فيه، وذلك كناية عن حبسه، أو تحديد إقامته في ذلك المكان] وبقية الخبر[2]: أنه سعى إلى محمد بن الحسن الشيباني، صاحب أبى حنيفة، والتقى به قبل أن يقابل الرشيد، وناظره في مسائل فقهية، وأثبت خطأه في بعض الأقوال، وانتصر منه لمذهب أهل الحجاز، وبخاصة فقهاء المدينة، وعلى رأسهم الإمام مالك، ورد مطاعنه عليهم، فأعجب به كثير من الحاضرين، وكان منهم

---

[1] أى أنه بالحجة والدليل، بإقرارهم أن هذه الضياع والأملاك ليست لهم، وإنما هى ملك لمنصور بن المهدى، ومنصور حى وقائم، وتلزمه الحجة، لإثبات هذا القول أو نفيه. فإن أقر به وأثبته يلزمه الحكم، وعليه تنفيذه، وتبرأ ساحة هؤلاء، أما إذا نفاه فيلزم هؤلاء تنفيذ الحكم، وإقرارهم كان لغرض خاص، فيبطل ويُرد عليهم .. وقد أحدث هذا الحكم دوياًً حيث استغله هؤلاء المغرضون استغلالاً سيئاً وشنعوا على الشافعى، واتهموه بالتشيع، بل بأنه يسعى للخلافة، ويهيئ نفسه لها، وأنه لايبالى بالعباسيين بدليل أنه أصدر حكماً يسيئ إلى سمعة أخى الخليفة، وقد أجمل الشافعى مضمون هذا في باقي النص.

وانظر بعض ماقيل عن الشافعي من تلك الطعنات في كتاب (مناقب الشافعي للفخر الرازي، ص ١٠، ٢٢).

[2] انظر فيما سبق، وبقية الخبر، مناقب الشافعى للبيهقى ١/١٠٥ – ١٤٧، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ٩/٧٦ – ٨٤، وآداب الشافعى ومناقبه لابن أبى حاتم الرازي، ص٣٢ – ٣٨، والبداية والنهاية، ١٠/٢٨٥، ومناقب الشافعى للفخر الرازى، ص١٠-٢٢، والكنز المدفون والفلك المشحون، للسيوطي، ص٢٥٨، ٢٥٩.

الفضل بن الربيع حاجب الرشيد، وهرثمة بن أعين والى الشرطة، فنقلا ذلك إلى الرشيد فاستدعاه، ثم أنبه على ماصدر منه، فنفى الشافعي أن يكون صدر منه مايسيئ إلى الخليفة، أو أن تكون له علاقة بالطالبيين، وحكى له قصته مع هؤلاء المتقاضين بنجران. فصفح عنه، ثم استدعى الرشيد: ابن الحسن الشيباني فتناظرا أمام الرشيد في بعض المسائل، فأعجب الرشيد بالشافعي، وأثنى عليه ابن الحسن، فأعطاه الرشيد عطاء جزيلاً، وأمر بإنزاله بمكان يليق به طوال وجوده ببغداد..

* ويستفاد من هذا النص: استمرار تبعية نجران إلى ولاية الطائف، وارتباطهما معاً بولاية مكة، بدليل أن الخصوم الذين اصدر عليهم الشافعي تلك الأحكام، لجأوا إلى مكة، وطعنوا عليه أمام واليها، واستعانوا به لرفع شكواهم إلى الخليفة، ولكي يوغروا صدر الوالي على الشافعي، وصدر الخليفة أيضاً، رموه بتهمة شنيعة فى نظرهم، وهى أنه أحد الطالبيين، ويروم الخلافة لنفسه، ويسعى إليها، فرفع الوالى كل ذلك إلى الخليفة، فجاءه الأمر بالقبض عليه وإرساله مكبلاً إلى بغداد .. وقد سأله الرشيد أول ماسأل عن مسعاه للخلافة، ومشايعته للطالبيين، فنفى ذلك بحجة قوية، وكلام مقنع، مُوَشًى بالفصاحة والبلاغة، ثم استعاده منه الرشيد ثلاثاً، حتى أدرك مقدار صدقه وإخلاصه، فانكشفت أسارير وجه الرشيد، وذهب عنه الغضب وعفا عنه. ثم استدعى محمد بن الحسن كى يناظر الشافعى بمجلسه، ففاز الشافعي بقصب السبق، فنال الرضا، والجائزة..

* أن اختيار الشافعي لولاية نجران تَمَّ من قِبل والي مكة أحمد بن إسماعيل بن علي بن عبدالله، العباسي القرشي الذي كان في مكانة حمد الرشيد، والذي سعى إليه أحد أقرباء الشافعي كي يوليه عملاً .. فولاه نجران، فتسلم العمل قُبيل قدوم حماد البربري بقليل .. فقد كان تعيين نواب على المناطق والأقاليم والبوادي التابعة لولاية مكة من اختصاص والي مكة، إلا إذا تدخل الخليفة وأمر بتعيين شخص معين بإحدى المناطق، أو في أي من المناصب. فعلى والي مكة تنفيذ ذلك .

* أن نجران لم تكن وقفاً على بني الحارث بن كعب، وإنما كانت بها ضياع وأملاك وأموال، لبعض العباسيين، والثقفيين، وأن موالي بني ثقيف كانت تقيم بتلك الضياع لزراعتها وإدارتها، وأنهم كانوا بكثرة بدليل النص على ذكرهم، ثم إن النص على ذكرهم، هم وبنو الحارث، لاينفي وجود قبائل أخرى بنجران، وسبق أن أشرنا إلى بعضهم في العصر الجاهلي، وعند مجيء الإسلام، ودخول أبناء المنطقة فيه، وجهودهم في خدمته، ومنهم بنو نهد، وجرم، ويام وغيرهم.

* أن نجران خلال هذه الحادثة، وحتى بعد الفترة الزمنية التي وقعت فيها، لم تكن قد عرفت غير مذهب أهل السنة، وبالأخص المذهب الشافعي، الذي يُعزَى انتشاره في تهامة، وعسير، واليمن، إلى وجود الإمام الشافعي بالمنطقة. قاضياً في اليمن، ثم والياً وقاضياً في نجران، وشهرته وإعجاب الناس به، وقيام تلامذة له يتداولونه ويتبعون آراءه الفقهية، ثم العمل على نشرها في تلك المناطق، وثباتهم عليها بالرغم من المصاعب التي

تعرضوا لها في فترات لاحقة لذلك. عندما تسربت إلى المنطقة بعض النحل والمذاهب الأخرى، وبالأخص عندما استحكم المذهب الزيدي في بعض أجزاء اليمن .. مع أنه يعد أقرب المذاهب فقهياً إلى مذهب أهل السنة، لكن العصبية السياسية حادت به عن طور الاعتدال، في كثير من الأحيان.

بلاد عَكّ والأشعريين :

وعَوْد على بدء كما يقال، فما يكاد الأمر يصل إلى غايته حتى نجد مايجذبنا إلى معاودة الحديث عنه مرة بعد مرة لنضيف دليلاً من سياق الأحداث التاريخية يؤكد ماسبق ذكره بداية[1] من أن أرض قبيلتي عَكّ والأشعريين وغيرهما من القبائل، دخلت التاريخ لأول مرة كولاية أنشأها الرسول ﷺ، أواخر عهده، وجعل الطاهر بن أبي هالة والياً عليها، وجعلها تابعة لولاية مكة، وامتداداً لباديتها من أرض تهامة الحجاز، واقتصرت ولاية فروة بن مسيك المرادي ــ المجاورة جنوباً لولاية عك ــ على أرض مراد وزبيد[2] وضُمّت هذه إلى الجند، وأصبحت ولاية قائمة بذاتها.. واستمر الوضع هكذا بتلك المنطقة، بالنسبة للترتيبات الإدارية، في عهد الخلفاء الراشدين، ثم في عهد بني أمية، وحتى الزمن الذي نرصد أحداثه من عهد العباسيين، ولوحظ أن تلك المنطقة ـــ أي ولايتي الجند وعكّ ـــ غمرها طوفان الفتن والصراعات، أواخر عهد بني أمية وشطراً من عهد العباسيين، وصارت بعض قبائلها تنقاد لأدنى بادرة للمخالفة والتمرد

---

(1) انظر: ص ١٧١-١٧٤ من هذا البحث.

(2) ليس المراد بها زبيد الحالية، وإنما زبيد القديمة التي اندثرت، وكانت على مقربة من (الجند) أما زبيد الحالية، والتي مازالت عامرة ومزدهرة، فقد أنشئت في بداية النصف الأول من القرن الثالث الهجري، على يد ابن زياد، الذي حكم تلك البلاد في فترة لاحقه للتاريخ الذي نصفح أحداثه، وأنشئت مكان بلدة قديمة يقال لها (الحصيب) وهي إحدى بلدان قبيلة عك.

على سلطة الدولة، لأسباب ودواعي عديدة، لعل من أهمها تعسف بعض الولاة، وأنفة القبائل الخضوع لهذا التعسف، فيندفعون خلف من يثير عاطفتهم، ولو انتهى بهم الأمر إلى خلع الطاعة والولاء، ووجد المناوئون للدولة في هذه القبائل بيئة خصبة للسعاية ضد الدولة، يهيجونهم حتى يعتدوا على الولاة بالطرد، أو القتل، فمثلاً في عام ١٤١هـ قاموا بقتل والي ولاية الجند في عهد أبي جعفر المنصور فبعث إليهم معن بن زائدة الشيباني، فأوقع بهم، وأجبرهم على الدخول فيما خرجوا منه من الطاعة والولاء[1] وفي عهد الرشيد ثاروا على عماله بالمنطقة، وطردوهم من ولاية الجند وعك عام ١٨٣هـ، فبعث الرشيد إليهم مولاه حماد البربري، فقدم والياً على منطقة الحجاز واليمن، وأوصاه قائلاً: أسمعني أصوات أهل اليمن [كناية عن صراخ أهل ولايتي الجند وعك، الذين فعلوا مافعلوا بولاته] ولأن حماد البربري قدم والياً عاماً على المنطقة، متخذاً مكة المكرمة قاعدة لحكمه، شأن كل الولاة الذين عهد إليهم من قبل بتلك الولاية العامة، فقد سوغ لنفسه ــ وربما بإذن من الخليفة ــ أن يضم بعض الولايات إلى بعض تحت قيادة واحدة بهدف إحكام القبضة والسيطرة عليها، فبعث أحد رجاله ليتولى أمر ولايتي الجند وعك، لإحكام السيطرة، وتنفيذ تعليمات الرشيد، لاسيما وأن مصدر القلق هذه المرة أتى من قبيلة الأشعريين، وانتشر منها إلى القبائل الأخرى بالمنطقة، وفي الولايتين .. فالضمُّ في مثل تلك الأحوال إدارياً أجدى وأفضل، وفي عام ٢٠٧ خرج ببلاد عك عبد

---

(1) البداية والنهاية، ١٠/٨٨، ومختصر أنباء اليمن لابن زبارة، ص ٦٤.

الرحمن بن أحمد، من ذرية عمر بن علي بن أبي طالب، في عهد المأمون، فبعث إليه دينار بن عبد الله في جيش كثيف، ومعه كتاب أمان لعبد الرحمن إن هو رجع وأطاع، فسمع وأطاع، وقدم به دينار بن عبد الله إلى بغداد، فعفا عنه المأمون، وأكرمه فلبس السواد وهو شعار العباسيين[1]

وتعالوا نستطلع معاً مواطن قبيلتي عكّ والأشعريين، في ذلك الوقت، مما قاله لسان اليمن الهمداني، الذي جاء بعد قرن تقريباً من تلك الحادثة التي نسجل وقائعها، ليصف لنا مواطن وبلاد كل من عكّ والأشعريين. يقول[2] :

.. والخصيب وهي قرية زبيد[3] وهي للأشعريين، وقد خالطهم بآخرة (أي مؤخراً) بنو واقد من ثقيف[4] وقرى بواديها حيس وهي للركب من الأشعر، والقحمة للأشاعرة، وفيها من خولان، وهمدان،

---

[1] البداية والنهاية، ١٠/٢٩٤، والجمهرة، ص٦٦.

[2] صفة جزيرة العرب، ص ٧٣، ٧٤، ٧٥.

[3] أي زبيد الحالية المعاصرة، وكان قد أنشأها ابن زياد.

[4] لم نطلع على بني واقد من ثقيف أهل الطائف، فربما يكون بطن انتقل وتوطن تلك المنطقة قبيل الإسلام، أو في مطلعه، فقد سبق أن توطنتها بطون من عترة، وبنو مجيد القرشيون، كما استوطن (الجند) يحيى بن عبدالرحمن بن عبدالله بن عمر بن الخطاب، وكانت له بها ضياع وأموال، وذرية كبيرة بعد ذلك (الجمهرة ص ١٥٣) فالمناطق والأقاليم في شبه الجزيرة العربية، وغيرها، كانت مباحة لمن يستوطنها، لأنها جزء من أرض الدولة، يقيم فيها من يشاء من العرب، طالما كانت الإقامة والتملك بالطرق الشرعية، دون اعتداء على ملك الآخرين، فلم تكن هناك منطقة مغلقة على قوم دون الآخرين، ولا على سلالة دون من عداها، فلم تكن الحدود الدولية قد عرفت بعد.

وذؤال المعقر، والكدراء مدينة يسكنها خليط من عكّ والأشعر، وباديتها جميعاً من عك إلا النبذ من خولان، ثم المهجم، وهي مدينة سردد ومور وبه مدينة تسمى بلحة لعك.

ثم يستطرد في وصفه البلاد المتجاورة في تهامة اليمن وتهامة الحجاز، فيقول: ثم الساعد من أرض حَكَم بن سعد العشيرة.. وهنا يكون قد دخل في تهامة الحجاز الحالية[1] التي دخلت في إطار معاهدة الطائف لعام ١٣٥٣هـ.

ويقول[2] ووادي الملح يسكنه الأشعر، وفيما بينه وبين تباشعة بلد العشورة، لقبيلة من الأشعر .. ويقول[3] .. تلتقي هذه الأودية في رأس لحج على مسيرة ساعة من قرب الجوار، ثم يخرج هذا الوادي من الجوار عند ثري الخيب وهما للواقديين، ثم في وسط الرّعاع وهي سوق الواقديين، ومدينتهم مور .. وسهام عكية .. ومن بواديها واقر ثم المهجم .. سافلتها لعك .. إلخ.

---

[1] والوقائع التاريخية تثبت بأن أرض عك والأشعريين ضمن تهامة الحجاز، وليس من تهامة اليمن، ونحن نحسن الظن بالهمداني، رغم تعصبه الواضح، ونقول: إنه يصف مواطن قبائل، وأماكن في شبه الجزيرة بصفة عامة، ولا يحدد حدوداً إقليمية، بدليل أنه وصف في كتابه مناطق وأقاليم شبه الجزيرة بكاملها: بأوديتها وجبالها ومياهها، وأشجارها وغير ذلك. ولم يقصد أن كل أرض وطئها قدم يمني، أصبحت يمانية، والذين أتوا بعده صوروا قوله إلى مايرضيهم، ويشفي غلتهم.

[2] المصدر السابق ص ١٠١.

[3] المصدر السابق، ص ١٣٨، ١٣٩، وانظر عن مواطن الواقديين المجاورين لقبيلة عك، نفس المصدر، ص ١٠٥، ١٠٨، ١٥٨، ٢٠٤.

المهم أن مخلاف مور هو آخر المناطق الشمالية لولاية عك، ثم يجاوره شمالاً بلدة (الساعد)، وهي أول بلاد بني الحكم بن سعد العشيرة. وهذه كانت تعد من بوادي مكة، ولم تكن بها ولاية، حتى هذه الفترة الزمنية التي نحن بصددها، وإنما كانت تحكم هي وغيرها من بالبوادي، عن طريق رؤساء القبائل، أو البلدان، الخاضعين للوالي في مكة..

قلنا إن حماد البربري جمع ولاية الجند وولاية عك. لأحد معاونيه للظروف الأمنية التي اقتضت ذلك عام ١٨٤هـ، ثم نجد أن هذا الدمج انفك بعد فترة زمنية يسيرة، وذلك في بداية عهد الخليفة المأمون عام ١٩٦هـ عندما كان داود بن عيسى[1] والياً على الحجاز. وكان الأمين هو الذي ولاه عليها عام ١٩٣هـ، فكان أسرع والٍ في شبه الجزيرة العربية يقوم بخلع الأمين، لسبب أفاض فيه المؤرخون، لأن الدولة العباسية كانت مهددة بالسقوط أثناء ذلك.

كان هارون الرشيد قد رتب شئون الدولة قبل وفاته[2] فبايع لابنه الأمين ولياً لعهده، ولابنه المأمون ولياً لعهد الأمين، ولابنه القاسم ولياً لعهد المأمون، وجدد هذه البيعة إبان حجته موسم عام ١٨٦ هـ، وكتب

---

(1) هو داوود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، كان في مرتبة جد الأمين، والمأمون. كان أبوه عيسى بن موسى ولياً للعهد لأبي جعفر المنصور، فأبعده، ثم أبعده أيضاً كل من المهدي، وابنه الهادي.. وكان اخوته نيفاً وثلاثين ذكراً وأنثى، معظمهم تولى مناصب في الدولة العباسية، هم وأبناؤهم، الجمهرة ص ٣٢.

(2) ابن الأثير، ٢٦١/٦.

بذلك عهداً، وأخذ إقراراً على ولديه الأمين والمأمون بالالتزام بهذا، وأشهد عليه كبار رجال الدولة، والأمراء، والقواد، وأعيان بني العباس، وأودع ذلك العهد والإقرار في جوف الكعبة، وأوصى حجبة الكعبة وقتها ألاّ يخرجوه من جوفها .. ومات الرشيد، ووقع الخلاف بين الأخوين: الأمين والمأمون .. وقع ماكان يخشاه الرشيد، وبدأت الفتنة تدب في سراديبها المعتمة، ثم تطل بعنقها ولاتجد من يقرعها لتميد في باطن الأرض، واشتعل الخلاف، وتغلب أرباب المنافع، بخلابة ألسنتهم، على كل مساعي المصلحين بين الأخوين، وأقدم الأمين على خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، ويسجل التاريخ أن أحد أشهر قواد الأمين، المخلصين له، وهو عبد الله بن خازم دخل عليه أول الليل، وجعل يحاوره، ويناظره، لكي يقصيه عن فكرة خلع أخيه المأمون، حتى منتصف الليل، ويناشده ألا يقدم على ذلك، وألا يكون سبباً في ضياع ملك بني العباس، وضياع نفسه، وألا يكون أول الخلفاء نكثاً للعهد، ونقضاً للميثاق[1] لكن الأمين لم يستجب له، لأن الآذان استمالتها ألسنة المفسدين في الأرض .. ولكل منهم مآرب شتى..

بعث الأمين من أخذ العهد من جوف الكعبة، وأحرقه، وأصدر تعليماته إلى الولاة على المناطق والأمصار بخلع المأمون، وأخذ البيعة لابنه موسى بن الأمين عام ١٩٦هـ، واشتعلت الحرب بين الأخوين، ونجد أن

---

[1] ابن الأثير، ٦/ ٢٢٨.

والي الحجاز داوود بن عيسى ـ عندما جاءه أمر الأمين بخلع المأمون ـ يتخذ موقفاً شجاعاً ومنصفاً، فيجمع علماء وأعيان أهل مكة وماتبعهما، وأخذ يستشيرهم في الأمر، ثم يقول لهم: إنه أخ بغى على أخيه وظلمه، فلنقف مع المظلوم. فقالوا رأينا تبع لرأيك، فجمع الناس وصعد على المنبر في المسجد الحرام، وجعل يذكّرهم بما فعله هارون الرشيد قبل وفاته من كتابة العهد وأخذ إقرار على الأخوين، وشهادة الناس على ذلك، وكيف أن الأمين بعث من أخذ العهد وأحرقه، ولهذا فإنه يخلعه، ويعلن البيعة للمأمون. ونزل بأخذ البيعة من الناس للمأمون، وكتب بذلك عهداً أقر فيه أعيان مكة بالبيعة للمأمون بالخلافة .. وكان داود قد أمر ابنه سليمان[1] نائبه على المدينة أن يفعل ذلك أيضاً في الوقت نفسه مع أهل المدينة، وكان ذلك في رجب سنة ١٩٦هـ، ثم انطلق داوود يحمل بيعة أهل الحرمين إلى المأمون، وكان وقتها بخراسان، فسُرَّ المأمون بذلك، وتيمّن واستبشر خيراً ببيعة أهل الحرمين، ورأى أن موقف عمه داود موقف عادل، فأحب أن يكرمه، فثبّت ولايته على منطقة الحجاز، وأعاد إلى ولاية مكة ماسبق أن استقطع منها إبان ولاية البربري، وهي ولاية عك،

---

[1] كان سليمان بن داوود هذا من مشايخ الإمام أحمد بن حنبل. توفي عام ٢١٩هـ. انظر: البداية والنهاية ٣٢٠/١٠.

فعادت إلى تبعيتها السابقة، من حيث خضوعها إلى والي مكة، منذ أن أنشئت في عهد الرسول ﷺ، حتى الفترة الزمنية هذه[1]

وأثناء عودة داود من عند المأمون، قدم معه ابن أخيه العباس بن موسى بن عيسى ليحج بالناس موسم ١٩٦هـ، وقدم معهما أيضاً يزيد بن جرير بن يزيد القسري، والياً على اليمن، وكان يزيد قد عرض على المأمون أن يبعثه والياً على اليمن، وتعهد له بأنه سيستميل أهلها للبيعة للمأمون، فولاه إياها، فانطلق ثلاثتهم حتى قدموا مكة، وأدوا الموسم معاً، ثم انطلق القسري إلى اليمن، ونجح في مسعاه باليمن فبايعوا للمأمون، وهدأت بعض القلاقل التي استغلت وقوع الفتنة لتركب الموجة، فسار فيهم القسرى سيرة حسنة، وأظهر فيهم العدل والإنصاف[2] .

ولسائل يسأل إذا كان المأمون قد رأى إعادة ما استقطع سابقاً عن ولاية مكة إليها، حين أراد تكريم عمه داود بن عيسى، أفما كان من الأجدى به أن يضم إليه ولاية أكبر مثل اليمن أو اليمامة، المتصلين بالحجاز، خاصة وأنه سبق وأن وليهم والٍ واحد في أزمان مختلفة؟..

ويجاب بأن اليمن واليمامة لم يكن موقف كل منهما واضحاً بالنسبة للمأمون، فعليهما ولاة من قبل الأمين، وربما يكون فيهما متآمرون

---

[1] انظر فيما سبق: ابن الأثير، ٢٦٦/٦، والطبري ٢٧٥/٨-٢٨٦، ٤٣٨-٤٤١، وشفاء الغرام، ١٨١/٢، والبداية والنهاية، ٢٥٣/١٠، والأزرقي/ ٢٣١/١-٢٣٤.

[2] ابن الأثير، ٢٦٦/٦، والطبري، ٤٣٨/٨-٤٤١، وشفاء الغرام، ١٨١/٢.

له، ويستتبع ذلك وقوع حروب، وعمه داوود شيخ كبير، ولا يملك حنكة وخبرة رجل الحرب، مثل أخويه إسحاق، وموسى، أو ابن أخيه العباس بن موسى، فأعفاه من مؤنة الحرب، وعرف أن أهل الحجاز مطيعون له فثبته في نفس الولاية، ومما يدل على أنه ليس رجل حرب، وأن المأمون كان محقاً في نظرته إليه من تلك الناحية، هو موقف داوود حين ترك مكة موسم ١٩٩هـ، عندما بعث أبو السرايا ــ الذي كان يدعو للطالبيين بالبصرة ــ الحسين بن الحسن العلوي، المعروف بالأفطس، ولما بلغه قدومه على مشارف مكة تركها داوود مؤثراً السلامة، وعدم إراقة دماء في البقاع المقدسة، وفي الأشهر الحرم، فدخلها الأفطس عندما علم بخلوها من العباسيين، وكان معه عشرة أفراد فقط[1] ثم إن اليمن كان قد تم اختيار والٍ لها هو أقدر على الحرب إن لم تُجْدِ أساليب الإقناع والمحاورة، ولذا استسلم له من استغل دواعي الفتنة بين الأخوين، ووثب على صنعاء، وهو عمر بن إبراهيم بن واقد العمرى، من ذرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2] وربما يكون الواقديون الذين ذكرهم الهمداني أنهم من ثقيف ومجاورين لعك نسبة إلى هذا الفرع من أولاد عمر بن الخطاب، بما انضم إليهم من اتباع وموالي وأحلاف.

وخلال ولاية داود بن عيسى على الحجاز، أمر بهدم إقامة سوق حباشة، وكانت من أشهر الأسواق التي تقام بتهامة الحجاز منذ العصر

---

(1) شفاء الغرام، ٢/١٨١، والطبري، ٨/٥٣١-٥٣٣، والبداية والنهاية، ١٠/٢٧٧، والجمهرة، ص٥٣.

(2) الجمهرة، ص ١٥٤.

الجاهلي بالقرب من حلي بن يعقوب، على الطرف الشمالي لمنطقة جازان، كان يستعمل عليها رجلاً للإشراف على إدارتها، ومراقبة الموازين والبيع والشراء، وفي عام ١٩٧هـ عدا عليه رجل من الأزد فقتله، فاستشار داوود علماء مكة في إغلاق هذا السوق، فوافقوه على إغلاقه، وعدم إقامته.[١]

المهم أن أرض بلاد عك والأشعريين عادت إلى ولاية مكة المكرمة، كما كانت من قبل.

---

[١] الأزرقي، ١٩١/١، ١٩٢.

مصدر تاريخي في ميزان النقد :

ولنا هنا وقفة مع أحد المصادر التاريخية التي تناولت الفترة الزمنية، التي نحن بصدد ذكر وقائعها ـ وهي عصر المأمون وما بعده ـ لندرك مدى أهمية التثبت من صدق الخبر قبل نقله، والاعتماد عليه في مسائل تاريخية، وقضايا سياسية واجتماعية وغيرها.

هذا المصدر هو كتاب "المفيد في أخبار صنعاء وزبيد" لعمارة اليمني[1] وقد أشار عمارة إلى أنه بدأ بتأليفه عام ٥٦٣هـ، بناء على طلب

---

(1) هو أبو محمد، عمارة بن أبي الحسن علي بن محمد ابن زيدان الحكمي، من قبيلة بني الحكم بن سعد العشيرة، أهل حازان، ولد عام ٥١٥هـ وقيل عام ٥٢٩، بقرية الزرائب، التي تطل عليها الكرتان وعكاد [أورد العقيلي في المعجم الجغرافي لمقاطعة حازان ص١٧١، بحثاً عنها] وقيل: بمدينة مرطان من وادي وساع، ورحل إلى زبيد طلباً للعلم، فتلقى على علمائها المذهب الشافعي وغيره من العلوم، ثم اشتغل بالتجارة فسافر إلى عدن، وكانت له مواقف مع حكامها آل زريع، ثم سافر إلى مكة المكرمة عام ٥٤٩هـ، واشتغل فيها بالعلم، فعهد إليه واليها بالقيام بمهمة لدى الخليفة الفاطمي بمصر عام ٥٥٠هـ فنجح في مهمته وعاد إلى مكة في نفس العام، فبعثه في مهمة أخرى إليه عام ٥٥١هـ، فبقي في مصر إلى أن توفي فيها عام ٥٦٩هـ، واشتهر أمره في مصر بين العلماء، حتى طلب منه القاضي الفاضل أبو علي عبد الرحيم بن علي البيساني، رئيس ديوان الإنشاء، للدولة الفاطمية، تأليف هذا الكتاب، وحظي بمكانة خاصة لدى الخليفة العاضد، آخر خلفاء الدولة الفاطمية بمصر، كما أدرك زوالها على يدي صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٥هـ وعرف عند أهل بلده (الزرائب) بالحلقي (أي الحاذق للعلم) وعند أهل مصر باليمني (نسبة إلى أصله القحطاني) كما عرف عند أهل اليمن وعدن والجبال بالفقيه، وعند أهل زبيد بالفرضي، وربما لأن كتابه هذا مصنفه وهو بمصر أطلقوا عليه: عمارة اليمني. انظر: مقدمة طبعة الكتاب بعنوان "تاريخ اليمن" تحقيق الشيخ محمد بن علي الاكوع، ومقدمة طبعته بتحقيق الدكتور محمد زينهم محمد عزب والتي أشار فيها إلى أنه اعتمد في ترجمته نقلاً عن الدكتور حسن سليمان الجهني في طبعته المحققه لنفس الكتاب. وانظر: المختصر في أخبار البشر، لأبي الفداء ص٥٠.

القاضي الفاضل له بتأليفه، وهو قاضي الديار المصرية أواخر عهد الدولة الفاطمية.

وهذا الكتاب اعتمد عليه بعض المؤرخين قديماً، ونقلوا عنه دون تثبت وتمعن، وتفحص وتمحيص لما فيه من أخبار ومعلومات تاريخية وغيرها[1] وأشاع هؤلاء ما نقلوه دون تمحيص في كتبهم حتى أضحت وكأنها حقائق مؤكدة، وقضايا مسلمة، ومعلومات موثقة، وجاء فريق بعدهم، من هواة النقل على علاته، فنقل دون تثبت، اعتماداًعلى الثقة فيما يكتبه أولئك، حتى وصل أخيراً إلى المعاصرين ممن ينهجون منهج النقل على علاته، دون نظر وتمحيص، فزادوا في الثناء على أهميته، وقيمته العلمية[2] ذلك لأنهم وجدوا فيه ما يشبع لديهم الرغبة السياسية لا العلمية.

ورحم الله ابن خلدون، فقد قال قديماً[3] : "التاريخ محتاج إلى مآخذ متعددة، ومعارف متنوعة؛، وحسن نظر وتثبيت يفضيان بصاحبهما إلى الحق، وينكبان به عن المزلات، والمغالط، لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تُحكَّم أصول العادة، وقواعد السياسة، وطبيعة

---

[1] من هؤلاء كما أشار الأكوع في المقدمة ص٥١: ابن العماد، وابن خلكان، وياقوت الحموي، والجندي والخزرجي، والديبع.

[2] انظر المقدمة التي كتبها محققه الشيخ/ محمد بن علي الاكوع ـ المطبوعة ـ لكنه ـ والحق يقال ـ أشار إلى بعض المآخذ على عمارة في المقدمة ص٦، وأيضاً في التعليقات.

[3] المقدمة، ص٧.

العمـران، والأحـوال في الاجتمـاع الانسـاني، ولا قيـس الغـائب منهـا بالشـاهد، والحـاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيهـا من العثور، ومزلـة القـدم، والحيد عـن جادة الصـدق .. وكثيراً مـا وقـع للمؤرخين؛ وأئمة النقل المغالط في الحكايات، والوقـائع، لاعتمـادهم فيهـا على مجرد النقل غثاً وسميناً".

ومع أن عمـارة أشار في مقدمـة كلامـه[1] إلى أنه اعتمـد علـى ميسـور خـاطره. أي مـا تيسر تداركـه من الذهن والخـاطر، والذهن لايسـعف أحيانـاً، بل يوقع في التصحيـف والخلط، والوهن، وقـال: إنه أعتمـد علـى مـا حدثـه بـه الشيخ الفقيـه نـزار بن عبـد الملك المكي، والفقيـه أحمد بن محمـد الأشعري[2] مسـنداً إليهمـا العلـم بأيـام النـاس وأنسـابهم وأشـعارهم[3] مضيفـاً إلى ذلـك مـا قرأه في كتاب "المفيد" لأبي طـامي جيـاش بن نجـاح، ملك زبيـد !

وللبـاحث أن يتسـاءل: هـل هـذه تكفـي كمراجـع لتـأليف كتـاب تـاريخي يمكـن الاعتمـاد عليه ؟! إن الذاكرة الحافظة كثيراً مـا تخـون صاحبهـا، والفقيهـان ليسـا معـاصرين للوقـائع والأحـداث التي تضمنهـا الكتـاب، فبينهمـا وبينهـا أكثر من ثلاثـة قرون، ثـم إنهمـا حدثـاه و لم يسـندا روايتهمـا إلى رواة آخريـن، أو إلى كتـاب قـرآه، إذاً فالإسـناد مقطـوع .. ولهـذه الأسـباب

---

[1] انظر ص٣٨ من طبعة الأكوع، وص١٧ من طبعة الدكتور عزب.

[2] لم يعط محققا الكتاب تعريفاً بكل منهما، كما أنهما لم يأتيا بما يؤكد نسبة الكتاب إلى مؤلفه بصفة عامـة، وأين توجد نسخة المخطوط التي تم الاعتماد عليها عند نشر الكتاب وطباعته؟!.

[3] هذا مما يوحي بإلقاء المسئولية على هذين العالمين لكنه لايعفي من التبعة، كمن ينقل نقلاً عن غيره دون تثبت.

وغيرها جاء الكتاب حافلاً بالتصحيف، والخلط، والأغلاط والوهن. وهاكم بعضها:

* أن عمارة بدأ مصنّفه بقوله: "قالوا[1] لما كان في سنة تسع وتسعين ومائة، أُتيَ إلى المأمون بقوم من ولد عبد الله بن زياد[2] فانتسب أحدهم، واسمه: محمد بن فلان[3] بن عبد الله بن زياد بن معاوية. وانتسب منهم رجل إلى سليمان بن هشام بن عبد الملك، ومن ولد هذا الرجل الوزير خلف بن أبي طاهر، وزير جياش بن نجاح. فقال المأمون لهذا الأموي: إن عبد الله بن علي بن العباس[4] ضرب عنق سليمان بن هشام، وأعتاق ولديه في يوم واحد، فقال الأموي، أنا من وَلَدِ الأصغر، من وُلْدِ سليمان بن هشام، ومنا قوم بالبصرة في أفناء الناس، وانتسب له رجل إلى بني تغلب، واسمه: محمد بن هارون، عندها بكى المأمون، وقال: وأنّى لي بمحمد بن هارون. يعني أخاه الأمين، ثم قال المأمون: أما الأمويان فيُقتلان، وأما التّغلبيّ فعفا عنه رعاية لاسمه واسم أبيه. فقال ابن زياد: ما

---

(1) من هم الذين قالوا؟. هل هما هذان العالمان؟ أم غيرهما؟. وعموماً فهي كبداية المسامرات والحكايات القصصية التي تقال للاستئناس بها، وليس بأسلوب المنهج العلمي. وأول القصيد.؟

(2) هنا أشار الشيخ الأكوع أنه ورد عند الوصابي، والديبع زيادة: من بني أمية. وفي المخطوطة التي لم يعط لنا بيانات تفصيلية عنها، زيادة: بن عبد شمس.

(3) كلمة يؤتى بها عند عدم تذكر الاسم، وهو كما قلنا نتيجة لوهن الذهن، وعدم إسعاف الحافظة.

(4) الصواب أن يقول: ..بن علي العباسي، لأن عليا ليس ابن العباس، وإنما ابن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. وكان عبد الله بن علي هذا عم كل من السفاح والمنصور، وقام بدور بارز في توطيد دعائم الدولة العباسية، عند قيامها. مات عام ١٤٧هـ.

أكذب الناس يا أمير المؤمنين، لأنهم يزعمون أنك حليم كثير العفو، مُتَوَرِّع عن سفك الدماء بغير حق، فإن كنت تقتلنا على ذنوبنا، فإنا لم نُخرج يداً عن الطاعة، و لم نفارق في بيعتك رأى الجماعة، وإن كنت تقتلنا على جناية بني أمية فيكم، فا الله يقول: ﴿ولاتزر وازرةٌ وزر أخرى﴾[1] فاستحسن المأمون كلامه، وعفا عنهم جميعاً، وكانوا أكثر من مائة رجل، ثم أضافهم إلى أبي العباس الفضل بن سهل، ذى الرياستين، وقيل إلى أخيه الحسن، فلما بويع لإبراهيم بن المهدى ببغداد في المحرم سنة اثنتين ومائتين، وافق ذلك ورود كتاب عامل اليمن بخروج الأشاعرة وعك في تهامة عن الطاعة، فأثنى ابن سهل على هذا محمد[2] بن زياد، وعلى المرواني والتغلبي عند المأمون، وأنهم من أعيان الرجال، وأفراد الكفاة، وأشار بتسييرهم إلى اليمن، ابن زياد أميراً، وابن هشام وزيراً، والتغلبي حاكماً [3] ومفتياً .. ثم يقول: فخرجوا في الجيش الذى جهزه المأمون إلى بغداد لمحاربة إبراهيم بن المهدى، وحج ابن زياد ومن معه في سنة ٢٠٣هـ، وسار إلى اليمن، فتغلب على المناوئين للدولة من عك والاشعريين بتهامة بعد حروب جرت بينه وبينهم، واختط زبيد في شعبان سنة ٢٠٤هـ ويقول بعد ذلك: فعَظُم أمر ابن زياد، وملك إقليم اليمن بأسره، الجبال والتهائم وملك حضرموت، والشحر، ومرباطاً، وأبين، ولحجاً، وعدن،

---

[1] سورة فاطر، آية ١٨.

[2] وردت هكذا، اسم الإشارة متقدم على المشار إليه. على لغة أكلوني البراغيث.

[3] قاضياً.

والتهائم إلى حليّ .. وملك من الجبال الجند وأعماله، ومخلاف المعافر، ومخلاف جعفر، وصنعاء، وصعده، ونجران وبيحان ..إلخ".

رويدك ياعمارة!.. رحمك الله .. وعفا عنك .. وعمّن نقل عنك دون تمحيص.

تعالَوْا بنا نناقش هذا النص، كي نعرف من يكون ابن زياد هذا؟! الذى جعله ابن عمارة سلطاناً للبر والبحر، وملّكهُ بلاداً وكأنه افتتحها لأول مرة، وأقام فيها مملكة له، ولذريته من بعده في داخل الدولة العباسية، وفي عز مجدها ــ عهد الرشيد وولديه المأمون والمعتصم ــ ولم يعلم عنه أحد من أئمة المؤرخين، كالطبرى، وابن الأثير، وابن كثير وغيرهم ممن تتبعوا أخبار الدولة العباسية يوماً بيوم، في حولياتهم الموسوعية، وظل أمره مجهولاً إلى أن جاء عمارة بعد أكثر من ثلاثة قرون فاكتشفه، ووضع له تاريخاً غاب عن سابقيه، ودولة لم يحدد حدودها إلا هو، ضم لها ماشاء من البلاد!، وليست مجرد دولة، وإنما دولة أموية في داخل أراضي الدولة العباسية، وهي في عز مجدها؟!!.

يقول عمارة: انتسب أحدهم واسمه: محمد بن فلان بن عبد الله بن زياد بن معاوية بن أبي سفيان، لأنه يزاد في بعض النسخ: معاوية بن أبي سفيان، من بني أمية بن عبد شمس، وليس المقصود زياد بن أبيه، الذى ألحقه معاوية إبان خلافته، بأبيه أبي سفيان بن حرب، كسباً لوده ومؤازرته له، فقد كان زياد بن أبيه من اتباع الإمام عليّ بن أبي طالب، ولما أستشهد الإمام عليّ، أغراه معاوية بعملية إلحاق نسبه وغير ذلك حتى

بايعه وانضم إليه، واستمرت ذريته على هذا الإلحاق في النسب، حتى أمر الخليفة المهدى عام ١٦٠هـ بأن يُرَدَّ نسبه إلى ثقيف لأنه ولد فيهم، وأن يرد نسب أبى بكرة من ثقيف إلى ولاء رسول الله ﷺ ، وكتب المهدى بذلك إلى والى البصرة، ووالى المدينة المنورة، لإنفاذه[1] فلو كان المقصود زياد بن أبيه لانتسب إليه أمام المأمون لابعاد شبه التآمر عليه لكونه من ثقيف وليس من بنى أمية. فضلاً عن أن المأمون يعرف أن جده المهدى، أعاد نسب آل زياد إلى ثقيف، فكونه ينتسب إلى بنى أمية فيه تحد للمأمون، في موقف هو أحوج فيه لابعاد نفسه عن الشبهه، لا دفعها إلى المخاطر. إذاً فزياد هذا من بنى أمية، وكونه ابن معاوية بن أبى سفيان هو تصحيف، لأن ابن معاوية هو يزيد (الخليفة)، وليس زياد، و لم يكن لمعاوية ابن أبى سفيان إلا ولدان فقط، هما: يزيد، الخليفة بعد أبيه، وعبد الله،

---

[1] عند حصار النبى ﷺ للطائف، عقب فتح مكة عام ٨هـ، وكانت ثقيف قد تحصنت بحصونها بالطائف، فنادى منادى رسول الله ﷺ : " أيما عبد نزل من الحصن، وخرج إلينا فهو حر، فنزل بعضهم، وكان منهم: أبو بكرة، نُفَيع بن مسروح، وكان للحارث بن كلدة طبيب العرب، وإنما كنى بأبى بكرة لأنه نزل من الحصن متدلياً من بكرةٍ - وهى خشبة مستديرة في جوفها محور يوضع فيه حبل لرفع الدلاء من البئر - فدفع الرسول ﷺ أبا بكرة إلى عمرو بن سعيد بن العاص، ليمونه ويحمله، ويقرئه القرآن ويعلمه السنن، ويكون ولاؤه إليه، لكن ابن سعيد فعل به ذلك وتركه يقوم على خدمة الرسول ﷺ، فكان أحد موالى الرسول ﷺ، ولما أسلمت ثقيف تكلم أشرافهم في هؤلاء ليردهم الرسول إليهم، وكان منهم الحارث بن كلدة، مولى نفيع، فقال لهم النبى أولئك عتقاء الله، لا سبيل لكم إليهم .. فكان ولاؤه للرسول، لكن ذريته عادوا في ولائهم إلى ثقيف ربما في عهد الحجاج، وأما بنو زياد فاستمروا في ولائهم لبنى أمية منذ أن ألحقهم معاوية، مخالفاً بذلك قول الرسول ﷺ: الولد للفراش. ولذلك قام خصوم معاوية باتهامه بأنه خالف حكم الرسول في هذا الإلحاق وندّدوا به، وعَيّروا زياد وابنائه بقبوله هذا من معاوية.

انظر: المغازى للواقدى ٩٣١/٣، والطبرى ١٢٩/٨، ١٣٠، والبداية والنهاية ١٥١/١٠، ١٥٢، والأغانى ٢/٧.

ولم يكن لعبد الله عقب إلا ابنة تزوجها ابن عمها عبد الله بن يزيد بن معاوية، ولم يكن في أبناء يزيد بن معاوية من اسمه زياد، ولا في ذريته. اللهم إلا من ذرية ابنه عبد الله بن يزيد، فقد كان من أبنائه: أبو محمد السفياني: أي زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية، وهو الذي قام في المدينة، وخلع طاعة عبد الملك بن مروان، فأخذ وقتل هو وابنه مخلد بن زياد، ولم يكن من أبنائه من اسمه عبد الله، حتى يقال إن محمداً هو ابن عبد الله هذا !!. فمن أين أتى اسم زياد هذا الذي انتسب إليه بنو زياد. وكيف ينتسبون إلى معاوية بن أبي سفيان؟![1] فقد صَحف وخلط في نسبة زياد إلى معاوية، وهذا التصحيف والتخليط مما يوهن درجة الثقة في صحة الرواية. وربما يكون هذا هو الذي دفع الشيخ الأكوع إلى أن يقول: لا أصل لما ذكره "عمارة" من أن آل زياد من أرومة أموية، بل هم من حضر يمني[2] ولم يذكر الشيخ الأكوع السبب الذي دفعه إلى هذا القول، ولا السند الذي استند عليه في الأخذ به.

وعموماً فقد ذكر الأكوع بعض الأوهام والأخطاء التي وقع فيها "عمارة" ومنها:

---

(1) انظر فيما سبق الجمهرة ص١١٢، ١١٣.

(2) مقدمة الطبعة الثانية ص٦.

- أنه اعتمد فيما نقله على تاريخ "مفيد" للقائد جياش بن نجاح، وفيه مبالغة، وقضايا غير مُسَلّمة.[١]

- أنه جعل ابن زياد يملك إقليم اليمن بأسره، الجبال والتهائم، وهو أول وهم تسرب إلى ذهن عمارة.[٢]

- وأنه جعل جعفر مولى زياد أول مختط للمذيخرة، فهي قديمة الاختطاط، لأنها مقر المناخيين ملوك الكلاع من حمير في الجاهلية والإسلام.[٣]

- وأنه جعل البلاد التي كانت تخضع لجعفر، تسمى "مخلاف جعفر"، بينما هي تنسب إلى جعفر بن إبراهيم بن ذي المثلة، وليس إلى جعفر مولى ابن زياد.[٤]

- وأن هناك حلقة، أو فترة من التواريخ سقطت من عمارة[٥] وأنه وقع فيه تخليط في التواريخ والاسماء.[٦]

---

[١] المصدر نفسه ص١٥، ١٦.

[٢] المصدر نفسه ص٤٧.

[٣] المصدر نفسه ص٤٨.

[٤] المصدر نفسه ص٤٨.

[٥] المصدر نفسه ص٥٢.

[٦] المصدر نفسه ص٥٣، ٥٤، وغيرها مما يصعب تقصيها ومما يؤكد عدم صحة ما احتواه من معلومات وأخبار.

- ان مدة حكم إبراهيم بن زياد [أخو أبي الجيش، الذي أتى بعده] لا شك قد طالت، وامتد نفوذه لكن لا كما يصورها لنا عمارة من التوسع والمبالغة بل كان حكمه محصوراً على التهائم فقط [1]

ونزيد على ما قاله شيخنا الأكوع: كان حكمه محصوراً على تهامة اليمن فقط، و لم يمتد لا إلى السسراة، ولا إلى نجران، كما لم يمتد إلى اليمن بأسره، الجبال والتهائم، وحضرموت، كما يبالغ عمارة. بدليل الآتي:

- أنه عام ٢٠٧هـ خرج على طاعة المأمون، ببلاد عك: عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب. يدعو إلى الرضى من آل محمد، فلما بلغ المأمون ذلك وجه له دينار بن عبد الله، أحد قواده المعروفين، ومعه حشد من الجند، فسار دينار حتى مر بمكة، وحج هو ومن معه موسم ٢٠٧هـ، ولما فرغ من الحج، توجه إلى بلاد عك، وكان يحمل كتاب أمان من المأمون إلى عبد الرحمن العلوي، ليعرضه عليه قبل أن يحاربه، فإن قبله، وإلا حاربه، فلما دخل دينار أرض عك أرسل إلى عبد الرحمن العلوي بكتاب الأمان، فقبله، وعاد إلى الطاعة، وتفرق من كان قد تجمع حوله، فأقبل به دينار راجعاً إلى المأمون أوائل عام ٢٠٨هـ فعفا عنه، وأكرمه[2] فأين ابن زياد من هذا الحادث إذا

---

[1] المصدر نفسه ص٥٣، وبدليل أنه لم يرد له ذكر في أمهات كتب التاريخ الإسلامي، كالطبري، وابن الأثير، وغيرهما.

[2] الطبري ٥٩٣/٨، والبداية والنهاية ٢٩٤/١٠.

كان المأمون قد بعثه إلى نفس المنطقة عام ٢٠٣هـ؟! ألم يكن من الأجدى أن يعهد إليه بتلك المهمة بدلاً من أن يبعث إليها قائداً وجنوداً يقطعون الفيافي من بغداد إلى بلاد عك.

– أنه لم تغفل أعين الخلفاء العباسيين ـــ وبخاصة فترة ازدهار الدولة ـــ عن اليمن أو غيره من أقاليم الدولة، حيث كانوا يهتمون بإرسال الولاة، ومتابعتهم، وليس أدل على ذلك من أن المأمون طلب سليمان بن عبد الله بن سليمان العباسي ـ وكان في مكانة عمه، ليعينه والياً على اليمن، وجعل له ولاية إمامة الناس في الصلاة في كل بلد يدخلها، وكان مقيماً في دمشق، فخرج من دمشق، فكان يتولى الإمامة في كل بلد يدخلها في طريقه، حتى دخل بغداد فصلى بالناس عيد الفطر عام ٢١٦هـ، ثم شخص منها في طريقه إلى اليمن، فدخل مكة يوم ٢ ذو القعدة، فظل يؤم الناس في الصلاة حتى دخل موعد الحج، وهو الذى أقام للناس موسم حج عام ٢١٦هـ، ثم انطلق بعد الموسم إلى اليمن والياً عليها .. وقدم منها عام ٢١٧هـ ليؤمَّ الحجيج ويقودهم في المشاعر ذاك الموسم[1] فأين ابن زياد الذى جعله عمارة يملك اليمن، وما حوله؟! ثم إنه كانت هناك شخصية قريبة من البيت العباسي تولى ولاية الحرمين خلال الفترة من عام ٢٢١هـ حتى عام ٢٣١هـ، وهو محمد بن داوود بن عيسى، الذى كان أبوه والياً عليها إبان الخلافات بين الأمين والمأمون، وخلع الأمين، وبايع

---

(1) الطبرى ٦٢٦/٨، ٦٢٩، والبداية والنهاية ٣٠٨/١٠.

للمأمون، وقد تولى محمد هذا الحج بالناس فترة ولايته[1] وذلك فيما عدا موسمين، وكان قد اقتصرت ولايته على مكة والطائف، وما يتبعهما عام ٢٢٨هـ، وعين والياً على المدينة محمد بن صالح بن العباس بن محمد، العباسي، لأن بعض الأعراب حول المدينة بدأوا يتطاولون على الناس، والسابلة، وعلى غيرهم من القبائل الأخرى، وبخاصة بنو سليم الذين كانوا إذا وردوا سوقاً من أسواق الحجاز، أخذوا ما يحتاجونه من الأسواق بالسعر الذي يريدونه، لا بما يريده صاحب السلعة، وتطور بهم الأمر إلى أن أوقعوا بغيرهم من بعض القبائل، كبني كنانة وباهلة، وقتلوا نفراً منهم، في جمادى الآخرة عام ٢٣٠هـ، وكان يرأس هذه العشيرة من بني سُلَيم عُزَيْز بن قطّاب الليبدي السُّلَميّ، فوجه إليهم والي المدينة وهو يومئذ محمد ابن صالح: حماد بن جرير الطبري، رئيس مسلحة المدينة[2] فتغلبوا عليه، وقتلوه عند الرُّوَيْثة، على ثلاث مراحل من المدينة، واستفحل أمر بني سليم بعد أن انضمت إليهم بطون أخرى منهم، واستباحوا القرى والمناهل، فيما بين مكة والمدينة، واعتدوا على من يليهم من القبائل، واقتدى بهم بعض القبائل الأخرى في المنطقة، وكاد زمام الأمن يفلت من السلطة، وتقتتل القبائل بعضها مع بعض، فوجه إليهم الخليفة الواثق: أبا موسى بغا الكبير، على رأس جيش كثيف، فقدم في شعبان سنة ٢٣٠هـ إلى حَرَّة بني سُلَيْم،

---

[1] الطبري ٨/٣٢٢،٣٢٨،٣٣٢،٣٣٣.

[2] كان المعتصم ومن بعده ابنه الواثق، قد جعلوا في مقر كل ولاية مسلحة، مثل الشرطة، بجوار الوالي يساعدونه في تنفيذ الأوامر والتعليمات، ويحافظون على المدينة، ويحرسونها ليلاً ونهاراً، وسموا الشاكرية.

فواقعهم عند شق الحرة من وراء السوارقية، وقتل خمسين من فرسانهم، وانهزم الباقون، فدعاهم إلى الأمان، والنزول على حكم الخليفة فيهم، فأجابوا، فأخذ من رؤسائهم جمعاً، وممن كانو يوصفون بالشر والفساد زهاء ألف رجل، جعلهم في سجن المدينة ــ دار يزيد بن معاوية ــ ثم شخص إلى مكة حاجاً موسم ٢٣٠هـ، وبعد انقضاء الموسم عرّج على بني هلال، ببادية الطائف، وكان طائفة منهم فعلت مثل بني سليم من قطع الطريق، فأخذ أهل الفساد والشر فيهم، وخلى سائرهم. ثم سار إلى بني مرة، شمال خيبر ففعل بهم مثلما فعل ببني هلال، ثم ذهب إلى بني فزارة بفدك، والى غطفان وأشجع وبني كُلاب، وكافة القبائل التي حاولت الاخلال بالاستقرار والأمن[1] .. واستمر في المنطقة حتى نهاية عام ٢٣٢هـ، لأن بطناً من بني نمير عاث في الأرض فساداً، فذهب عمارة ابن عقيل حفيد الشاعر جرير الخطفي، وكان هو شاعر أيضاً فمدح الخليفة الواثق بقصيدة، ثم شكا بني نمير إلى الخليفة، وأنهم يغيرون على الناس، والقبائل المجاورة لهم في اليمامة، فكتب الخليفة إلى بغا الكبير أن يسير إليهم من المدينة، فسار إليهم و لم يتغلب عليهم إلا بصعوبة، وفر بعض رؤوسهم، فظل مساعده واسمه: واجن الصغدى يطاردهم حتى صاروا إلى ما وراء تبالة، بالقرب من حد عمل اليمن، فعاد بعد أن فاتوه ودخلوا أرض اليمن.[2] و لم يكن بمقدوره متابعتهم في داخل أرض اليمن إلا

---

[1] انظر فيما سبق: الطبرى ٩/١٢٩،١٣٥.

[2] الطبرى ٩/١٤٩،١٥٠.

بتعليمات من الخليفة نفسه، أو القائد العام بغا الكبير .. وهذا من دقة التنظيم الإدارى.

ترى لو كان ابن زياد كما يصفه عمارة يستولى على البلدان واحدة بعد الأخرى، ويحارب هذا وذاك كى يستخلص ما تحت نفوذهم من البلدان والوديان، ويقتل في طريقه ما يشاء بغرض إنشاء دولة يرثها أبناؤه من بعده، افكان يُترك هو أو غيره، يفعل ما يشاء؟! إن شواهد التاريخ، ووقائع الأحداث، وطبائع العمران والأحوال تنفى وقوع ما وصفه عمارة في شأن ابن زياد، خلال هذه الفترة التاريخية التى وُجد فيها أحد قواد الدولة بالمنطقة، لتأديب بعض الخارجين على الأمن من القبائل التى لا تُطاول في قوتها، وبأسها! كما يلاحظ أن جعفر بن دينار عاد مرة أخرى إلى ولاية اليمن، من قِبل الخليفة الواثق عام ٢٣١هـ وسار إليها ومعه أربعة آلاف فارس[1] للعمل على استتباب الأمن في بعض مناطقها، فيبدو أن بعض القبائل باليمن قد فعلت في هذه الفترة ما فعلته بنو سُلَيم وغيرها بمنطقة الحجاز.

ويلاحظ أيضاً أنه كان على بلدة بيشه ــ في ذاك الوقت ــ والٍ قوى، هو عيسى بن محمد، من بنى المغيرة من مخزوم من قريش، وأن الخليفة المعتز عهد إليه هو ومحمد بن أحمد بن عيسى بن جعفر المنصور بقتال اسماعيل بن

---

[1] البداية والنهاية ٣٤٧/١٠، والطبرى ج٩، ص١٤٠.

يوسف العلوى، حين ظهر بمكة عام ٢٥١هـ[1] وبه يستدل على أن المخزومى كان أحد الولاة المحليين التابعين لوالى مكة، وبيشة أحد البلدان التى تقع في نطاق ولاية الطائف المنضمة لولاة مكة، فمحمد بن أحمد العباسي كان هو والى مكة في ذاك الوقت.

أيمكن لابن زياد الذى حكم من عام ٢٠٣هـ حتى توفى عام ٢٣٥هـ، أن يحارب جيرانه ـ كما يقول عمارة ـ ويدخل في حوزته ما بأيديهم، ويقتل في سبيل ذلك ما يقتل، ويُضَيع المعالم الحدودية لكل ولاية، والتى بنيت على أساسها مطلوبات الخراج والصدقة، وحصر القبائل في مواطنها وغير ذلك من أسس كانت مدوّنة بمقر وقاعدة الإقليم، وفي ديوان الخلافة أيضاً؟! أيتم ذلك في عهد المأمون، الذى كان يملك قوات مهّدت له الخلافة شرقاً وغرباً، أو في عهد المعتصم فاتح عمورية، حصن الروم الحصين[2] والذى أخذ عليه بعد وفاته أنه أنفق على الحروب في عهده أكثر مما أنفق في الإنشاء والعمران؟!

والعجيب أن الدكتور عزب صنف دولة بنى زياد ضمن دول الشيعة التى قامت في اليمن[3] ونسى أن عمارة نسب ابن زياد إلى بنى

---

[1] انظر: غاية الأمانى، ليحيى بن الحسين، تحقيق د.سعيد عبد الفتاح عاشور، وآخر القسم الأول ص١٦٠، ١٦١، وفيه أن ذلك حدث عام ٢٤٩هـ، وانظر الطبرى ٩/٣٤٦، ٣٤٧، ٣٧٢، وفيه أنه حدث عام ٢٥١هـ وهو الصواب كما في الجمهرة ص٤٦، وشفاء الغرام ٢/١٨٦.

[2] الطبرى ج٩/٥٧-٧٠، والبداية والنهاية ١٠/٣٢٤-٣٢٧.

[3] انظر مقدمة [illegible] التى حققها الدكتور محمد زينهم محمد عزب لكتاب عمارة بعنوان "تاريخ اليمن" ص٧-٩.

أمية، فهل يُعقل أن يكون أحد من بني أمية متشيعاً للعلويين؟! إن المشاحة والخصومة كانت مستحكمة بينهما، وكانت قبلهما في بني هاشم وبني أمية منذ ما قبل الإسلام، حتى أن المقريزي ألف في ذلك رسالة (كتيب) عنوانه على ما أذكر "الانصاف فيما وقع بين بني هاشم وبني أمية من خلاف" متتبعاً بداية ذلك منذ العصر الجاهلي، وفي الإسلام .. ثم كيف يتشيع ابن زياد وقد بدأ عاملاً للعباسيين وكان بينهما مثلما كان بين الأمويين والعلويين؟! ولعن كان المأمون هو الوحيد الذي هادنهم فترة، وجعل أحدهم[1] ولياً لعهده فتوفي ولم يتم له شيء، لكن العباسيين ثاروا عليه يومها، وخلعوا طاعته وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي خليفة عام ٢٠٢هـ بدلاً من المأمون ثم إن المأمون تراجع عن تلك الفكرة، وأبقى ولاية العهد في العباسيين، وفي سنده القرى أخيه المعتصم، ثم أقدم على اتخاذ موقف أشد في تعامله مع الطالبيين[2] عام ٢٠٧هـ، فأخذ يَحْذر منهم

---

[1] هو علي بن موسى بن جعفر بن محمد، العلوي وذلك عام ٢٠١هـ انظر الطبري ٨/٥٤٤، ٥٤٦، ٥٤٧، والبداية والنهاية ١٠/٢٧٩، ٢٨٠.

[2] عندما يقال الهاشميون: فيشمل أبناء العباس، وأبناء أبي طالب بن عبد المطلب، وأما العباسيون، فخاصة ببني عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، والطالبيون: خاصة لأبناء علي، وجعفر، وعقيل أبناء أبي طالب بن عبد المطلب. والعلويون: خاصة لأبناء علي بن أبي طالب: من الحسن، والحسين، ومحمد (المعروف بابن الحنفية) والحسنيون: نسبة إلى الحسن بن علي، والحسينيون: نسبة إلى الحسين بن علي، وكافة طوائف الشيعة تابعون لأئمة من أبناء علي بن أبي طالب الثلاثة: الحسن، والحسين، ومحمد. وهناك اختلافات كبيرة وواسعة في آراء ومعتقدات طوائف الشيعة، وفيها غلوّ شديد.

ومنع دخولهم عليه دون إذن، وأمرهم بلبس السواد[1] فلمن هادن أحد من أحفاد ابن زياد أحداً من الشيعة، فهي مهادنة سياسية.

كان من نتيجة الأخطاء التي وقع فيها عمارة اليمني، أن الذين نقلوا عنه وقعوا في نفس الأخطاء، وحدث تضارب في أقوالهم، فمثلاً قال الجرافي[2] : إن الخليفة المأمون قلّد ابن زياد أعمال اليمن عام ٢٠٣هـ، وأناط به أمر تأديب العصاة بتهامة اليمن، فقاتل قبيلة الأشاعرة، واستولى على تهامة[3] وعدن، وحضرموت. وامتد نفوذه إلى مكة، واستمر كذلك حتى توفي عام ٢٤٢هـ[4] بعد أن أسس دولة مستقلة عن الخلافة، استمرت في ذريته حتى قيام بني نجاح عام ٤٠٣هـ.

ثم يقول بعد ذلك[5] : إن الخليفة المعتصم بعث الأمير عبد الرحيم ابن ابراهيم الحوالي عام ٢٢٥هـ والياً على اليمن، وفي عام ٢٤٧هـ تولى حكم اليمن محمد بن يعفر الحوالي من قِبَل الخليفة المنتصر ..

ولسائل يسأل: ألم يستول ابن زياد على اليمن، وماحوله ويكَوّن دولة مستقلة عن الخلافة العباسية، فكيف يرسل الخلفاءُ الولاةَ عليها، والِ

---

(1) الطبري ٨/٥٩٣.
(2) المقتطف من تاريخ اليمن، ص١٠٥، ومثل الجرافي كثيرون!..
(3) ونقول الصواب: تهامة اليمن فقط لأن مجرى الأحداث التاريخية تفيد ذلك. بدليل ماسبق أن ذكرناه.
(4) الصواب أنه توفي عام ٢٣٥هـ
(5) المرجع نفسه ص١٠٧.

بعد الآخر؟!. وما موقف ابن زياد من هؤلاء الولاة؟!. وأين هي الدولة المستقلة عن دولة الخلافة؟!. إن هذا التضارب والتناقض يبعث على عدم الثقة في الأخبار والروايات التى تصدر عن هواة النقل دون تدبر ..

وعلى كلٍ فإنه يتضح من كل ماسبق أن عمارة بالغ كثيراً، وأن ذاكرته خانته فصَحَّف وخَلَط، ولم يَطّلع على ما كتبه ثقاة المؤرخين، لذا توهّم أشياء لم تقع، وتلقفها عنه بعض المؤرخين دون تثبت من صحتها ــ من منطلق الثقة ــ فوقعوا في الخطأ نفسه، وعلى أيديهم شاعت وكأنها حقائق مسلمة، لأن كثرة تداول المعلومة الخطأ يزيدهاشهرة، ورسوخاً في الذهن، وربما يُنكر الصواب إن ظهر، شأن الكلمة المخالفة لقواعد اللغة، والقياس، التى اشتهر وشاع استعمالها خطأ!. فإن الآذان تمج سماعها، ولا تستأنس بها إن قيلت صواباً، بينما تستعذبها وتشغف لها إن قيلت خطأ!. حقاً آفة الأخبار رُوَاتُها..

حقيقة الوضع :

إن حقيقة الوضع على ضوء ماسبق من شواهد وأدلة تاريخية، أن ابن زياد سواء أكان مرسلاً من قبل الخليفة، أم كان من أبناء المنطقة، وسواء وُجد بها خلال هذه الفترة الزمنية التي نحن بصدد سرد أخبارها، أم وُجد بعدها؟، فما هو إلا والٍ محدود الولاية على أرض عَك والأشعريين فقط، يحكمها باسم الخليفة، ويستمد سلطته من السلطة العامة للدولة، مثل الولاة المحليين الآخرين، من رؤساء البلدان، والمخاليف والقبائل، الذين لا يتعدى نفوذهم حدود منطقتهم، أو بلدهم، أو مخلافهم، أو قبيلتهم، ليبدأ خلف تلك الحدود نفوذ الوالي أو الرئيس المجاور .. وأى تعدٍ لتلك الحدود كان يعتبر اعتداء على حقوق الغير، وعندئذ يُرفع الأمر إلى والى الإقليم الذى يخضع هؤلاء إلى رئاسته، فإن استطاع ردع المعتدى، وإلا رفع الأمر إلى السلطة العليا التي ترعى الجميع، أى ديوان الخلافة، لأن هذا هو ما حدث فعلاً بالنسبة لبنى سُلَيْم وغيرها من قبائل الحجاز. وفي اليمن أيضاً عندما عاد إليهم جعفر بن دينار والياً، يقود أربعة آلاف جندى عام ٢٣١هـ، كما سبق أن ذكرنا ذلك.

كان هؤلاء الرؤساء، أو الولاة المحليين هم الذين يُوَرِّثُون الرئاسة لأبنائهم من بعدهم، طالما كانوا محل رضا وثقة من مرؤوسيهم .. كبنى عبْد المدان على بنى الحارث بن كعب بنجران، ثم بنى الجون من بنى عبد المدان .. وبنى طرف على مخلافى حكم وعثر، ثم إلى أن وحدهما سليمان

ابن طرف تحت مسمى " المخلاف السليماني" في جازان، وغير ذلك. وكرؤساء القبائل على قبائلهم .. أما ولاة الأقاليم والأمصار والولايات مثل مكة، والطائف، والمدينة، واليمامة، واليمن، والكوفة، ومصر، وغيرها فإن ولاتها كانوا يعينون من قبل الخليفة، وله أن يعزلهم متى شاء، كما شاهدنا ذلك خلال السرد التاريخي السابق ..

وحينما بدأ الضعف والوهن يتسرب إلى قلب الدولة العباسية في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، كانت أطرافها أشد تأثراً بهذا الضعف والوهن، كالشجرة الباسقة تصْفَرُّ أوراقها، وتسرع في الذبول، عندما تعتريها الشيخوخة، فكان أول ما أنفصل عن جسم الدولة أطرافها في شمال أفريقيا، وأدنى الشمال الشرقي فيما وراء خراسان بأسيا، أما في شبه الجزيرة العربية فكان جنوبها هو الأبعد عن متناول يد الدولة، وأصبح المناخ فيه مهيأ لنمو الأفكار والآراء المذهبية[1] كما أتيحت الفرصة هؤلاء الولاة المحليين لأن ينمو نفوذهم شيئاً فشيئاً، بمقدار إنحسار نفوذ الدولة عنهم تدريجياً، وأغراهم ذلك على بسط نفوذهم على مجاوريهم من الولاة الضعفاء، ورؤساء القبائل، وتخلت الدولة ـ بسبب ضعفها المتنامي ـــ عن أهم وظائفها وواجباتها، وهو مناصرة الضعيف، والسهر على الأمن، وحفظ حقوق الرعية في تلك المناطق، واكتفت أحياناً بإرسال ولاة أقاليم

---

[1] تاريخ اليمن لابن المطاع، ص١٤٦ قال: كان باليمن مذاهب مختلفة: قرامطة، وإباضية (فرقة من الخوارج) وجبرية، ونقول: وشيعة زيدية، وباطنية، وغيرها بالإضافة إلى أهل السنة، وكان وجود هذه الطوائف سبباً في الفتن والاضطرابات لأزمان طويلة.

من قبلها، لايتدخلون فيما يحدث في المنطقة، وإنما يكون وجودهم فيها وجوداً اسمياً وشرفياً، كما اكتفت من هؤلاء الولاة المحليين، بتقديم الطاعة والولاء، ولو بشكل مظهرى، كالدعاء على المنبر، وكتابة اسم الخليفة على الصكوك المتعامل بها تقدياً، وقبول بعض الهدايا بدلاً من الخراج، أو الصدقة، أو الارتفاع، كما كانت تسمى به في ذلك الوقت.

بدأ هؤلاء الولاة المحليين بسط نفوذهم على أكبر مساحة من جسم الدولة الواهية الضعيفة، بعد ان تأكدوا من عدم مقاومتها لتصرفاتهم، محاولين إضفاء الشرعية على أعمالهم وتصرفاتهم، سواء بإعلان الطاعة، وأنهم فعلوا ما فعلوه ولم يخرجوا عن طاعتها، وولائها، كبنى زياد، والنجاحيين، أم بالخروج عن الطاعة، بزعمهم أنه حادت عن تحكيم كتاب الله، كالخوارج، أو أن حكامها ليسوا أولى بالحكم منهم كالأئمة الزيديين وغيرهم.

ووقع تنافس بين هؤلاء الولاة. ونشأت بينهم حروب طال مداها، بهدف السيطرة على اكبر مساحة من الأرض، لإقامة دويلة عليها، يتوارثها الأبناء من بعدهم، ولم يدر بخلد أحد منهم في ذاك الوقت الحدود الإقليمية لنواحى شبه الجزيرة العربية، أو بالأحرى الحدود الإقليمية لليمن نفسها، كى يدور الصراع بينهم داخل تلك الحدود، بهدف توحيدها سياسياً مثلاً، وإنما كان المجال أمامهم متسعاً في أقاليم وأرض الدولة ممثلة في شبه الجزيرة العربية بكاملها، فطموحاتهم في ذاك الوقت لا تحد بحدود إقليمية، ولو كان بمقدور أحد منهم أن يبسط نفوذه إلى كافة أقاليم

الدولة، بل وإلى قلبها في بغداد لما توانى في اقتناص ذلك. فما بالك بأرض اليمن، فلم يستطع أحد منهم توحيدها سياسياً، فظلت في عهدهم مجزأة، ومفتته، وأبناؤها وقود لتلك الحروب والصراعات المتواصلة.

وكان على كل بلدة حاكم، وعلى كل مخلاف أمير غالباً، وجميعهم في صراع متواصل، على مدى ثلاثة قرون تقريباً، إلى أن دخلت اليمن في حوزة الدولة الأيوبية عام ٥٦٩هـ، مما دعا محقق كتاب تاريخ مدينة صنعاء لأن يقول: ونرى صنعاء في نهاية القرن الرابع لها في كل شهر حاكم، وفي كل يوم أمير[1] وبلغ التعصب المذهبي أحياناً إلى استساغة فرض الجزية على سكان اليمن من أهل السنة[2] وتنازع السلطة في اليمن أحياناً عدة أئمة، وكثيراً مانعارض إمامان فأكثر في بلد واحد، ومن الطريف أنه حدث في منتصف القرن الثالث عشر الهجري أن تنازع خمسة أئمة في صنعاء، وما حولها في عصر واحد عقب وفاة المهدى عبد الله بن المتوكل[3] لذا لم يتسن لأحد منهم توحيد اليمن سياسياً وإقليمياً.

وعموماً فطالما أن مسألة الاقليمية لم تكن في اعتبار هؤلاء المتصارعون على امتداد النفوذ، ولم تهيأ في خلدهم، فمن خطل الرأى أن

---

[1] مقدمة تحقيق كتاب: تاريخ مدينة صنعاء للرازي، تحقيق حسين بن عبد الله العمرى ص٢٧، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

[2] انظر مقدمة تحقيق كتاب تاريخ اليمن، المسمى "تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى" لعبد الله بن على الوزير والتى كتبها باسم مركز الدراسات والبحوث اليمنية: عبد الصمد القليسي، ص١٤.

[3] اليمن الكبرى للويسى، ص٢٦٤.

يقال إن امتداد نفوذهم إلى مناطق أخرى ألغى الشخصية السابقة للأقاليم المضافة، واكسبها إقليمية جديدة دائمة!. فلئن قيل ذلك في معرض الاستشهاد التاريخي لامتداد نفوذ هؤلاء الولاة المحليين على بعض الأماكن، فماذا يقال عن امتداد نفوذ المدينة المنورة في عهد الرسول ﷺ ، وفي عهد الخلفاء الراشدين إلى كافة البقاع والأصقاع، وكذلك في عهد الأمويين، والعباسيين وهم أصلاً من أهل الحجاز .. من قريش؟!. ثم إن القرامطة، والفاطميين، وبنو بويه، والمماليك وغيرهم امتد نفوذهم إلى كثير من المناطق والأقاليم، ولم تمح خلال ذلك هوية أى إقليم، وإن كان اكتسب الصبغة السياسية المؤقته لهؤلاء لكنه عادت له هويته السياسية المحلية، التي تتوافق مع خواص إقليميته وطباع أهله وعاداتهم، بمجرد إنحسار ذلك النفوذ عنه، وإن الشواهد على ذلك في العصر الحديث كثيرة، مثل المستعمرات في عهد دول الاستعمار، فقد عادت للدولة المحتلة هويتها السياسية بمجرد انتهاء النفوذ الاستعماري عنها ـ بالشكل الذى يتوافق مع إقليميته، ورغبات أهله ومواطنيه في الأسلوب الذى يحكمون به أنفسهم، وكدول روسيا الاتحادية التي انفرط عقدها، وعادت لكل منها هويتها السياسية، بما يتوافق مع إقليميته السابقة، ورغبة مواطنيه وذلك بمجرد تداعي كابوس الشيوعية الذى كان جاثماً على أنفاسها .. فهو نفوذ مؤقت قام لعدة عوامل، وعند انتهائه زال ذلك النفوذ ..

ويتبين من كل ذلك أن مسألة امتداد النفوذ ليست ذات أهمية، وبخاصة في العصر الذى نتناول أحداثه ونستعرض وقائعه .. لأنها كانت

عبارة عن غزو وسطو كتلك التى كانت تقع بين القبائل بعضها مع بعض، دون أن يؤثر ذلك على وضعية الأرض والأقاليم. وبالتالى التبعية الإقليمية التى أوضحناها فيما سبق ..

ثم تعالوا بنا نستعرض بلمحة سريعة نشأة بعض تلك الدويلات[1] التى أقامها هؤلاء الولاة المحليين، لنتلمس مدى هذا النفوذ .. إن كان هناك نفوذ حقاً كما يزعم البعض!..

دولة بنى زياد (٢٠٣هـ ـ ٣٩١هـ) قاعدتها زبيد، وسبق أن أوضحنا أن الجميع نقل ما كتبه عنها، وعن نشأتها، وامتداد نفوذها إلى كثير من المناطق، عن عمارة اليمنى، وأنه توهم أشياء لم تقع، وخلط وصحّف، فلا يمكن الاعتماد على ما كتبه عمارة .. فالحقيقة أن نفوذ بنى زياد لم يخرج عن تهامة اليمن، و لم يمتد إلى حرض بتهامة الحجاز، لأنه كان عليها ولاة محليون، وكانوا يخضعون إدارياً لولاة مكة، وعند ضعف الدولة العباسية ظلوا يحكمونها، وتربطهم بولاية مكة والطائف، علاقة وُدّ، تشبه إلى حد كبير الارتباط الإدارى، وأن منطقة جازان وهى المجاورة للزياديين، كان يديرها بنو الحكم من أهل المنطقة، ثم انتقل الحكم فيها عام ٣٩٣هـ إلى آل موسى الجون، وهم من أبناء المنطقة أيضاً، و لم يخضعوا للنجاحيين (٤٠٣-٥٥٥هـ) الذين قاموا بزبيد على انقاض الزياديين، ولا

---

[1] أطلق بعض المؤرخين عليها اسم: دولة، أو مملكة، وهى بهذا الإطلاق تختلف عن المعروف فى العصر الحديث، بتكوينات الدول وأسس تشكيلها فى المفهوم الدولى، أو القانون الدولى العام.

لغيرهم، بدليل أنه عندما استفحل أمر ابن مهدى، في تهامة اليمن[1] وحاول بسط هيمنته ونفوذه على حازان بتهامة الحجاز، وقعت بينه وبين حاكمها في ذاك الوقت غانم بن حمزة، وقائع وحروب قتل فيها ابن حمزة، فاستنجد أخوه بالخليفة العباسى، فكتب الخليفة إلى السلطان صلاح الدين الأيوبى حاكم مصر، بنصرته، فبعث صلاح الدين أخاه تورانشاة إلى اليمن عام ٥٦٩هـ فاستولى على كافة اليمن، وقضى على تلك الدويلات التى كانت قائمة فيه، ودخلت بذلك اليمن في حكم الأيوبيين من عام ٥٦٩هـ حتى عام ٦٢٦هـ، ثم خلفهم الرسوليون من عام ٦٢٦هـ حتى عام ٨٥٨هـ، ثم بنو طاهر وهم قرشيون من عام ٨٥٨هـ حتى عام ٩٢٣هـ، ثم المماليك الجراكسة من عام ٩٢٣ حتى بداية الدولة العثمانية في اليمن عام ٩٤٥هـ كغيرها من الأقاليم والأقطار العربية التى دخلت في حوزة الدولة العثمانية.[2]

ترى في أى اتجاه كان امتداد النفوذ؟ من اليمن أم إليها؟ وخلال هذه الحقبة الزمنية الطويلة؟!. وهل لو كان لأحد بالمنطقة نفوذ على حاكم حازان، أو تهامة عسير، غير نفوذ الخليفة، وغير والى الإقليم مثلاً، أفليس من الأجدى به أن يبعث الاستغاثة إليه، لقرب مكانه، وسرعة نجدته؟! بل أكثر من هذا فإن المؤرخين أنفسهم الذين أرخوا لما سبق،

---

(1) قامت دولة بنى مهدى عام ٥٥٣-٥٥٨هـ.

(2) المقتطف من تاريخ اليمن للجرافى، ص١٢٦،١٢٧، وتاريخ اليمن للواسعي، ص١٨٩، وتاريخ اليمن لعمارة، تحقيق د.زيتهم ص١٥٦، وغاية الأمانى، القسم الأول، ص٣٢١-٣٢٤.

قالوا: إنه في عهد الأيوبيين امتد النفوذ الدعوي لبني حمزة، حكام جازان إلى صنعاء، وصعدة؟[1] وأن حكام دولة بني رسول بزبيد كانوا يستميلون حكام جازان، وأقطع الملك المظفر الرسولي أحدهم مدينة القُحْمة[2]، عندما زاره في زبيد.[3]

ثم إن كثيراً من هؤلاء الولاة المحليين كان يستمد سلطته من الخليفة العباسي، أو الفاطمي، أو الأيوبي، أو المملوكي، وذلك باعلان الطاعة حتى ولو بصورة رمزية أو اسمية، فكان هذا اعترافاً ضمنياً بهيمنة الدولة، والخضوع لها، وهو يشبه إلى حد كبير الدخول تحت الحماية في العصر الحديث .. وان امتداد سلطة الدولة للمناطق التي تحت أيدي هؤلاء الولاة لم ينقطع، و لم تنفصل تلك المناطق عن جسم الدولة سياسياً، وربما لهذا السبب وجه حاكم تهامة عسير استغاثته إلى الخليفة العباسي، ولهذا أيضاً قدمها الأيوبيون، والمماليك وغيرهم، على اعتبار أنها امتداد لأرض الدولة.. ولهذا السبب أيضاً تصدت الدولة في عهد المماليك إلى الغزاة الأوربيين كالبرتغاليين وغيرهم، عندما قدما بحراً إلى المنطقة.

---

[1] تاريخ عمارة، بتحقيق د.زينهم ص١٣٨، وهو الجزء الذي جمع من تاريخ ابن خلدون عن اليمن، وألحق بالكتاب.

[2] القُحمة في الشمال الشرقي من زبيد، فيما بين بيت الفقيه والمنصورية وهي غير القحمة الواقعة ببلاد المنجحة، شمال جازان بمسافة ١٣٠ كيلو، على الساحل.

[3] المقتطف للعرافي، ص١٣٣، ومدينة القُحمة كانت بالقرب من جبل القحمة على وادي ذوال في الشمال الشرقي لزبيد، بين بيت الفقيه والمنصورية، وهي خربة حالياً. انظر معجم المدن والقبائل اليمنية، ص٣٢٤.

إن شبه الجزيرة العربية بصفة عامة، وإن كانت مقسمة إلى أقاليم جغرافياً وإدارياً، لكنها كانت تعتبر وحدة سياسية مترابطة ضمن أقاليم الدولة، وإن توزعها ولاة محليون، لأن أياً منهم لم يملك القدرة على تكوين دولة تكويناً سياسياً مستقلاً في نظر العالم الخارجي ذلك الوقت.

بل ظلت المنطقة في نظر العالم الخارجي، على أنها جزء من جسم الدولة العباسية ثم المماليك، وقدمها العثمانيون عام ٩٤٦هـ على اعتبار أنها جزء من جسم الدولة، وأنها ورثت من كان قبلها في الهيمنة على أجزاء الدولة وأرضها.

ونلحظ أن الأئمة الزيديين ظلوا فترة طويلة منذ استقرارهم في اليمن عام ٢٨٤هـ[1] يقومون بالدعوة ولا يلتفتون إلى السلطة، ثم بدأوا يتجهون إلى الحكم والسلطة، وعندما دخل الأيوبيون اليمن عام ٥٦٩هـ انحاز الأئمة إلى صعدة، ولم يجابهوا الأيوبيين، وظلوا كذلك في عهد الرسوليين ثم الطاهريين ٨٥٨هـ، ثم بدأوا في الدخول مع غيرهم في صراعات. كما تنازعوا السلطة فيما بينهم، وكثيراً ما تعارض إمامان فأكثر في بلد واحد، ووقت واحد[2] ، ودخل أهل نجران مع الأئمة في حروب طويلة، لمنع نفوذهم إليهم، ورفض دعوتهم، وهيمنتهم عليهم، وذلك إبان فترة

---

[1] كان الأمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الحسني، أول من ذهب إلى اليمن للمرة الأولى عام ٢٨٠هـ ثم تركها وعاد إلى الرس، ثم ذهب إليه شيعته وحملوه إلى العودة إلى اليمن عام ٢٨٤هـ فاستمر بها هو وذريته، تاريخ اليمن، لابن المطاع ص٧٤-٧٦.

[2] اليمن الكبرى، للويسي ص٢٦٤، وابن المطاع ص١٨٦، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٠.

ضعف الدولة، ووهنها، وعجزها عن مد يد العون للضعيف، كما كان الحال في مجدها، حتى عمت الفتن والاضطرابات جنوب شبه الجزيرة .. وقام صراع طويل بين هؤلاء الولاة المحليين، ودخل الأئمة حلبة هذا الصراع .. ولم يستطع أيّ منهم التغلب على الساحة وتوحيد اليمن سياسياً في ذاك الوقت. لذا فإن امتداد نفوذ أيٍّ منهم إلى ما وراء حيزه ـــ إن حدث ـــ كان امتداداً مؤقتاً، ولفترات عارضة يعود بعدها، إما رغبة أو رهبة إلى موقعه، وبالتالي يعود الاقليم أو البلدة إلى وضعها السابق، دون أن يترتب عليه أيّ أثر سياسي، لأنه لم يكن يدور بخلدهم ذلك الهدف، ولذا فإن أعمالهم كانت تشبه إلى حد كبير الغزوات والغارات التي ليس لها من الثبات والديمومة ما يؤدى إلى التوحيد السياسي لبناء دولة، وما يتفق مع رغبات السكان، والرضا من المواطنين .. فامتداد النفوذ الخارجي قهراً كان أشبه بالاستعمار، وعند زواله يعود الوضع إلى ماكان عليه سابقاً

ونلاحظ أن صاحب كتاب "غاية الأماني"[١] الذى حاول فيه تقصي تاريخ اليمن منذ البعثة النبوية حتى عام ١٠٤٥هـ، متوسعاً في ذكر الدول التي قامت باليمن، والصراعات التي دارت بينها، وتعددها خاصة في القرن السادس الهجرى، قال: "افترق مُلك اليمن في هذه المدة، فكان عدن أبين، والد ملوه، وتعز إلى نقيل صيد لآل زريع، أهل عدن. وذمار ومخاليفها لسلاطين جنب. وصنعاء وأعمالها إلى نواحي الظاهر، وحدود الأهنوم،

---

[١] غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تأليف يحيى بن الحسين بن القاسم (ت ١١٠٠هـ).

لعلي بن حاتم اليامي، صاحب صنعاء، والجوف وما يليه لآل الدعام. وصعدة وما يليه للأشراف بني الهادي، وشهارة وبلادها لأولاد القاسم العياني. والجريب وما حوله لولد عمر بن شرحبيل الجحوري، وزبيد وبلاده إلى حد حرض [.. لاحظ كلمة: حرض هنا آخر حدود اليمن] لعبد النبي بن علي بن مهدي." أي أن دولة بني مهدي تنتهي حدودها الغربية إلى حد حرض..

ثم قال: "ولم يزالوا كذلك حتى زالت دولتهم جميعا ببني أيوب."[1] فانظر كيف قسمت اليمن إلى عدة دويلات، وإمارات، تنازعت فيما بينها قروناً عديدة، وقد تقصاها المؤلف، وأتى على ذكر كل منها بشكل تفصيلي، ثم أعطانا في النهاية خلاصة هذا التقصي. وهو حين أوردها في النص السابق، أوردها كدول تقاسمت أرض اليمن وتنازعت فيما بينها، حتى انتهت جميعها على يد الأيوبيين ولم تدخل منطقتنا ذلك الصراع، وإنما وقف الصراع بينهم عند حدود حرض، ولم يتجاوزها غرباً وشمالاً.

كما نجد أن ابن المجاور[2] الذي زار المنطقة أوائل القرن السابع الهجري، يقول ـــ بعد أن عدد ذكر بعض البلدان في تهامة وعسير، وأهلهما ــ: "..إنهم قبائل وفخوذ من العرب، ليس يحكم عليهم سلطان،

---

[1] انظر غاية الأماني، ص٣١٦ في كل ماسبق.

[2] هو جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد، المعروف بابن المجاور، الشيباني، الدمشقي.

بل مشايخ منهم وفيهم."[1] ويقول عن نجران ".. إن أهلها لايطيعون الملك الغز ولا لسلاطين العرب"[2] وهو يقصد بملك الغز الأيوبيين ومن عاصرهم من الحكام والأمراء العرب.

وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من عدم خضوع منطقتنا لأى من نفوذ المتصارعين في جنوب شبه الجزيرة العربية.

كما نلحظ أن ابن بطوطة، الرحالة العربي الشهير[3] مر بالمنطقة، بعد أن جاور بالحرم المكي فترة، ثم أدى الفريضة عام ٧٣٠هـ، وانطلق بعدها مع حاكم حليّ، وهو عامر بن ذويب من بني كنانة، إلى بلاد حليّ بمركبه في البحر حتى حليّ، فاستضافه ابن ذويب، ثم انطلق نحو اليمن، ومر ببعض الأماكن والبلدان. حتى وصل زبيد وعندها قال: إنها مدينة عظيمة باليمن.. وهي إحدى قواعد اليمن[4] بينما لم ينسب غيرها مما مّر به من بلدان إلى اليمن، ولم يذكر اليمن إلا عندما وصل إلى زبيد.. وهذا يعني انها بداية أرض اليمن..

---

(1) كتاب "المستبصر" تحقيق أوسكر لوفجرين، ليدن/بريل ص٢٦.

(2) المرجع نفسه، ص٢١٠.

(3) ابن بطوطة، هو: أبو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي، الطنجي، نسبة إلى مسقط رأسه طنجة من بلاد المغرب بشمال أفريقيا. خرج من بلده طنجة للقيام برحلته المشهورة يوم الخميس ٢رجب ٧٢٥هـ، وكان عمره ٢٢ عاماً، وطاف كثيراً من بلدان العالم العربي والإسلامي. وسجل رحلته في كتابه المسمى "تحفة النظار في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار" المعروف باسم: رحلة ابن بطوطه.

(4) رحلة بن بطوطة، ج١، ص١٥٦.

وهذا كله يؤكد ما رأيناه، مدعماً بشواهد وأدلة تاريخية، سردنا بعضها خلال هذا الطرح لمسيرة التاريخ في مراحله المتتابعة.

وأيا كان فإن نشأة الدول في العصر الحديث تعتمد على أسس ومعايير ومفاهيم دولية، أوضحتها النظم والقوانين الدولية .. كما أوضحت أسس العلاقات بين الدول المتجاورة، واعتبرت من يشذ عن تلك الأسس خارجاً، ومعادياً للمجتمع الدولي.

ويتضح من كل ماسبق أن منطقة بحثنا ـ جازان وعسير ونجران ـ كانت امتداداً لوسط شبه الجزيرة العربية، ومرتبطة بها اجتماعياً وروحياً قبل الإسلام، ثم أضيف إلى ذلك العنصر الإداري في ظل الإسلام، وعلى مدى فترات التاريخ الإسلامي. حتى قيام الدولة العثمانية، ودخولها إلى المنطقة. ومواكبة ذلك نشأة الدول في العصر الحديث .. وهو ما نركز عليه الدراسة في الجزء الثاني من هذا البحث ـ إن شاء الله ـ.

المراجــــع

أولاً :

- القـرآن الكريـم
- بعض كتـب السنة

ثانياً: الكتب

- د.ابراهيم، حسـن.

اليمن البلاد السعيدة، سلسلة اخترنا لك (٥٢) دار المعارف/القـاهرة.

- ابن الأثير، عز الديـن أبو الحسن، على بن محمد الشيبانى (ت٦٣٠هـ)

الكامل في التاريخ، دار صـادر، بيروت، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

- الأزرقى، أبو الوليد، محمد بن عبد الله بن أحمد (٢٥٠هـ)

أخبار مكة، وماجاء فيها من الآثار، تحقيق رشدى صالح ملحس.

دار الأندلس، بيروت.

- ابن الأصبغ، عرام السلمي (٢٧٥هـ)

أسماء جبال تهامة وسكانها، طبع ضمن مجموعة قام بجمعها وتحقيقها، د.عبد السـلام هـارون، في سلسلة نوادر المخطوطات. ط:٢، الحلبى، القـاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

- الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد، القرشي الأموي الأصبهاني البغدادي (٣٥٦هـ)
الأغاني، دار الفكر، القاهرة.
- الأكوع، محمد بن علي، الحوالي.
اليمن الخضراء مهد الحضارة، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- الألوسي، محمود شكري
بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجة الأثري ط:٣، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
- باسلامة، حسين عبد الله
تاريخ الكعبة المعظمة، تهامة، جدة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن ابراهيم، الطنجي
تحفة النظار في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار، الطبعة الثانية، القاهرة.
- البغدادي، صفي الدين، عبد المؤمن بن عبد الحق (٧٣٩هـ)
مراصدالاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت.
- البكري، أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز، الأندلسي (٤٨٧هـ)
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.
- البلاذري، أبو الحسن، أحمد بن يحيى بن جابر بن داوود (٢٧٩هـ)

أنساب الأشراف، تحقيق محمد باقر المحمودى، دار الصادق، بيروت.

فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية،بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

- د.بيضون، إبراهيم

الحجاز والدولة الإسلامية. بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- البيهقى، أبو بكر، أحمد بن الحسين (٤٥٨هـ)

مناقب الشافعى، تحقيق السيد أحمد صقر. دار التراث، القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

- ابن تيمية، تقى الدين أحمد بن عبد الحليم، الحرانى الدمشقى (٧٢٨هـ)

السياسة الشرعية في اصلاح الراعى والرعية، دار الكتب العربية، بيروت.

- أبو تمام، حبيب بن أوس بن الحارث الطائى (٢٣١هـ)

ديوان الحماسة، تحقيق د.عبد الله عبد الرحيم عسيلان، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م. ونسخة أخرى بشرح التبريزي، ط:١ دار القلم، بيروت.

- ابن جعفر، قدامة، الكاتب (٣٢٠هـ)

الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق د.محمد حسين الزبيدى، مكتبة المثنى ببغداد.

- الحازمي، أبو بكر، محمد بن أبى عثمان موسى بن عثمان (٥٨٤هـ)

عجالة المبتدى وفضالة المنتهي في النسب، تحقيق عبد الله كنون، ط:٢ القاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد (٨٥٢هـ)
الإصابة في تمييز الصحابة، دار صياد، بيروت، مصورة عن الطبعة الأولى بمصر ١٣٢٨هـ.
- الحربي، أبو إسحاق، إبراهيم بن اسحاق (٢٨٥هـ)
المناسك وأماكن طرق الحج، تحقيق حمد الجاسر، قدم له بمقدمة مفيدة، دار اليمامة، الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- ابن حزم، أبومحمد، علي بن أحمد بن سعيد، الأندلسي (٤٥٦هـ)
جمهرة أنساب العرب، تحقيق د.عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة ط: ٣، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- ابن الحسين، يحيى بن الحسن بن القاسم بن محمد (١١٠٠هـ)
غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق د.سعيد عبد الفتاح عاشور ود.محمد مصطفى زيادة، دار الكاتب العربي ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- الحقيل، حمد إبراهيم
كنز الأنساب ومجمع الآداب، ط:١٠، الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- الحلبي، علي برهان الدين بن ابراهيم بن أحمد بن علي (١٠٤٤هـ)
السيرة الحلبية، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- حمزة، فؤاد
في بلاد عسير، ط:٢، مكتبة النصر الحديثة، الرياض١٣٨٨هـ/١٩٦٨م
- د.حميد الله، محمد

مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط:٣، بيروت ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

- ابن خرداذبة، أبو القاسم، عبيد الله بن عبد الله (٣٠٠هـ)
المسالك والممالك، طبع لأول مرة بمطبعة بريل، ليدن ١٨٨٩م، ثم صورته وأعادت طباعته مكتبة المثنى ببغداد.

- الخزرجي، علي بن الحسن بن أبي بكر، الزبيدي، المعروف بابن وهاس (٨١٢هـ)
العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، دار الهلال بالفجالة، القاهرة ١٣٢٩هـ/١٩١١م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، الحضرمي، الأشبيلي (٨٠٨هـ)
تاريخ ابن خلدون، المسمى "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م، مصورة عن طبعة حجر.

- ابن خلكان، أبو العباس، أحمد بن محمد بن أبي بكر (٦٠٨هـ)
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د.احسان عباس، دار الثقافة بيروت.

- الخوارزمي، أبو جعفر محمد بن موسى (بعد عام ٢٣٢هـ)
كتاب صورة الأرض، طبعة: دولف هولز، فينا، النمسا ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م.

- ابن خياط، أبو عمرو، خليفة بن خياط، الشيباني، البصري (٢٤٠هـ)
الطبقات، تحقيق اكرم ضياء العمري، بغداد ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

- الدهلوي، عبد الستار

المنتقى في أخبار أم القرى، أبواب، وفصول مختارة من كتب كل من: الأزرقي، والفاكهي، وابن ظهيرة، والفاسي، وغيرهم، طبع ليدن.

- الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (٩٦٦هـ)

تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، مؤسسة شعبان، بيروت، مصورة عن طبعة حجر.

- الدينوري، أبو حنيفة، أحمد بن داوود (٢٨٢هـ)

الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة ١٩٦٠م.

- الذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ)

سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، د.حسين الأسد، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

تجريد أسماء الصحابة، دار المعرفة، بيروت.

- الرازي، ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد (٣٢٧هـ)

أدب الشافعي ومناقبه، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٦هـ.

- الرازي، أبو العباس، أحمد بن عبد الله بن محمد، الصنعاني (٤٦٠هـ) ٠

تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق د.حسين بن عبد الله العمري، وعبد الجبار زكار، ط:٢، صنعاء ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- ابن زبارة، محمد بن محمد بن يحيى بن عبد الله، الصنعاني

مختصر أنباء اليمن ونيلاته في الإسلام، ضمن مجاميع لكتاب بعنوان: الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

– الزبيدي، محب الدين أبو الفيض، السيد محمد مرتضى (١٢٠٥هـ)
تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، القاهرة ١٣٠٦هـ.

– الزبيري، أبو عبد الله، المصعب بن عبد الله المصعب (٢٣٦هـ)
نسب قريش، عنى بنشره والتعليق عليه لأول مرة: ا، ليفي، بروفنسال ط:٢، دار المعارف مصر.

– ابن زنجويه، حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله (٢٥١هـ)
كتاب الأموال، تحقيق شاكر ديب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

– د.سالم، السيد عبد العزيز
دراسات في تاريخ العرب، الجزء الخاص بتاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية.

– السبكي، تاج الدين أبو النصر، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (٧٧١هـ)
طبقات الشافعية الكبرى، ط:٢، دار المعرفة، بيروت.

– سرهنك، الميرالاى إسماعيل
حقائق الأخبار عن دول البحار، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٣١٢هـ.

– ابن سعد، أبو عبد الله، محمد بن سعد بن منيع، الزهري، البصري (٢٣٠هـ)

الطبقـــات الكـــبرى، دار صـــادر ودار بـــيروت، بـــيروت ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

- ابن سلام، أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروى (٢٢٤هـ)

كتاب الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

- السمعانى، عبد الكريم بن محمد بن منصور، التميمى (٥٦٢هـ)

الأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمى، ط:٢، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- السمهودى، على بن عبد الله بن أحمد (٩١١هـ)

وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق إبراهيم الفقيه، ط:٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن أحمد، اليعمرى، الأشبيلى، المصرى (٧٣٤هـ)

عيون الأثر في المغازى والشمائل والسير، دار الجيل، بيروت، ط:٢، ١٩٧٤م.

- السيوطى، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد (٩١١هـ)

تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة، القاهرة ١٩٧٥م.

الكنز المدفون والفلك المشحون، القاهرة، الحلبى ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

- د.شرف الدين، أحمد حسين

اليمن عبر التاريخ، ط:٤، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- صبرى باشا، أيوب

مرآة جزيرة العرب، ترجمة وتعليق، د.أحمد فؤاد متولى، د.الصفصافى أحمد المرسى، دار الرياض للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

- صبرى بك، عبد العزيز

تذكار الحجاز، خطرات ومشاهدات في الحج، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤٢هـ.

- العامرى، عماد الدين أبو بكر، يحيى بن أبى بكر بن محمد (٨٩٣هـ)

بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسِّير والشمائل، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

- ابن عبد ربه، أبو عمر، أحمد بن محمد، القرطبي الأندلسي (٣٢٨هـ)

العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين، وآخرون، ط:٣، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

- العقيلي، محمد بن أحمد

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، مقاطعة جازان.

- د.علي، جواد

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط:٢، دار العلم للملايين، بيروت، ومكتبة النهضة ببغداد ١٩٧٦م.

- د.العلي، صالح أحمد

الدولة في عهد الرسول ﷺ ، مطبعة المجمع العلمى العراقى، ١٩٨٨م

محاضرات في تاريخ العرب، بغداد ١٩٦٠م.

- عمارة اليمنى، أبو محمد، ابن أبى الحسن، علي بن محمد الحكمى (٥٦٩هـ)

تاريخ اليمن، المسمى "المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها"، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، ط:٢، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

ونسخة أخرى من الكتاب نفسه طبعت بعنوان **"تاريخ اليمن"** تحقيق د.محمد زينهم عزب، دار الجيل، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- د.العمرو، علي عبد الرحمن

أثر الفرس السياسي في العصر العباسي، مطبعة الدجوي، القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- الغزالي، محمد

فقه السيرة، طبعة قطر.

- د.الغنيم، عبد الله يوسف

أقاليم شبه الجزيرة العربية بين الكتابات القديمة والدراسات العربية المعاصرة، الكويت ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- الفاسي، تقي الدين، محمد بن أحمد بن علي، المكي (٣٨٢هـ)

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت.

العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م.

- ابن الفقيه، أبو بكر، محمد بن أحمد، الهمذاني (٢٨٩هـ)

مختصر كتاب البلدان، ليدن ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م.

- ابن قتيبة، أبو محمد، عبد الله بن مسلم (٢٧٦هـ)

المعارف، تحقيق د.ثروت عكاشة، ط:٢، دار المعارف، القاهرة.
- ابن قدامة المقدسي، موفق الدين أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن محمد
التبيين في أنساب القرشيين، تحقيق محمد نايف الديلمي، بغداد ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (٦٨٢هـ)
آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت
عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط:٥، الحلبي، القاهرة ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.
- القسطلاني، شهاب الدين أبو العباس، أحمد بن أبي بكر بن أحمد (٩٢٣هـ)
المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، بشرح الزرقاني، تحقيق صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- القلقشندي، أبو العباس، أحمد بن علي (٨٢١هـ)
صبح الأعشى في صناعة الانشا، المطبعة الأميرية، القاهرة.
- فلهوزن، يوليوس
تاريخ الدولة العربية، ترجمة د.محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة ١٩٦٨م.
- ابن كثير، أبو الفدا عماد الدين، إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ)
البداية والنهاية، تحقيق محمد عبد العزيز النجار، مطبعة الفجالة،القاهرة
المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت.

السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- كحالة، عمر رضا

معجم قبائل العرب، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

- الكتاني، عبد الحي بن محمد، الحسني.

نظام الحكومة النبوية، المسمى "التراتيب الإدارية" دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ابن الكلبي، أبو منذر، هشام بن محمد بن السائب (٢٠٤هـ)

الأصنام، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب، ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م.

- الماوردي، أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب (٤٥٠هـ)

الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط:٣، الحلبي، القاهرة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

- المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد (٢٨٥هـ)

الكامل في اللغة والأدب، مكتبة النصر، الرياض، ١٣٨٦هـ.

نسب عدنان وقحطان، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي، الدوحة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد، الشيباني الدمشقي، المعروف بابن المجاور.

صفة بلاد اليمن وبعض الحجاز، المسمى "تاريخ المستبصر" اعتنى بتصحيحه وضبطه، أوسكر لو فغرين، ليدن، بريل ١٩٥١م.

- ابن أبي مخرمة، عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد، الشهير: بالطيب. بامخرمة (٩٤٧هـ)

تاريخ ثغر عدن، طبعة بريل، ليدن ١٩٢٦م، ضمن مجموعة.

- المقدسي، مطهر بن طاهر (٣٥٥هـ)

كتاب البدء والتاريخ، عني بنشره لأول مرة المسيو كلمان، قنصل فرنسا، على أنه لأبي زيد بن سهل البلخي، وطبع في باريس عام ١٨٩٩هـ، ثم أعيد طباعته على أنه للمقدسي.

- المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (٣٤٦هـ)

مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط:٢، المكتبة التجارية، القاهرة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

التنبيه والأشراف، بتصحيح ومراجعة عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

- ابن المطاع، أحمد بن أحمد بن يحيى

تاريخ اليمن الإسلامي، من سنة ٢٠٤هـ إلى سنة ١٠٠٦هـ، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، شركة التنوير، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

- المقحفي، إبراهيم أحمد

معجم المدن والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء ١٩٨٥م.

- م.ب.بيوتروفنسكي

اليمن قبل الإسلام، والقرون الأولى للهجرة، تعريب محمد الشعيبي، دار العودة، بيروت ١٩٨٧م.

- الميداني، أبو الفضل، أحمد بن محمد، النيسابوري (٥١٨هـ)

مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ط:٣، دار الفكر القاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

مجلة الهلال (دورية) العدد ٢٥٧، أغسطس ١٩٩٢م.

- أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٣٠هـ)

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط:٣، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- النيسابوري، أبو اسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم، التغلبي (٤٢٧هـ)

قصص الأنبياء، المسمى "عرائس المجالس" المكتبة الثقافية، بيروت.

- ابن نباته المصري، جمال الدين (٧٦٨هـ)

سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

- النويري، شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣هـ)

نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب، القاهرة.

- ابن هشام، أبو محمد، عبد الملك بن هشام بن أيوب (٢١٣هـ)

السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط:٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (بعد ٤٠٠هـ)

الأوائل، تحقيق د.وليد قصاب، ومحمد المصري، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض.

- الهمداني أبو محمد، الحسن بن أحمد بن يعقوب (٣٤٤هـ)

الاكليل، ج١٠، تحقيق محب الدين الخطيب، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط:٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، وتقديم حمد الجاسر دار اليمامة، الرياض ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
- الواسعي، عبد الواسع بن يحيى
تاريخ اليمن، المسمى "فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن" ط:٣، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ١٤١٢هـ/١٩٨٢م.
- ابن واضح، أحمد بن أبي يعقوب (٢٩٢هـ)
تاريخ اليعقوبي، دار الفكر، بيروت.
- الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (٢٠٧هـ)
المغازي، تحقيق د.مارسيدن جونس، مطبعة جامعة أكسفورد ١٩٦٦م.
- ابن الوردي، زين الدين، عمر بن مظفر (٧٤٩هـ)
تتمة المختصر في أخبار البشر، المعروف: بتاريخ ابن الوردي، تحقيق أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.
- ابن الوزير، عبد الله بن علي
تاريخ اليمن، المسمى "تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى" تحقيق محمد عبد الرحيم جازم، وتقديم عبد الصمد القليس، منشورات مركز الدراسات والبحوث اليمن، دار المسيرة، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
- الويسي، حسين بن علي
اليمن الكبرى، مطبعة النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٢م.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الرومي (٦٢٦هـ)
معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

المحتويـــــات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع ٨٨٥٧ / ٩٥
الترقيم الدولى I . S . B . N ٩٧٧ - ٠٠ - ٩٠٩٦ - ٤

طبعت بمطابع دار التعاون للطبع والنشر
دار السلام - طريق المعادى الزراعى - القاهرة
تليفون : ٣١٨٢٥٣٣ - ٣١٨٢١٦٠
٣١٨١٣٦٥ - ٣١٨١٧٧٨
فاكسيملى : ٣١٨٤١٦٢ دار السلام

طبع بمطابع مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر

البيان

في تاريخ

جازان وعسير ونجران

(من الدولة السعودية الأولى حتى معاهدة الطائف)

١١٥٧-١٣٥٣هـ

١٧٤٤-١٩٣٤م

الجزء الثاني

تأليف

عبدالواحد محمد راغب

دادا ح

البيان

في تاريخ

جازان وعسير ونجران

(من الدولة السعودية الأولى حتى معاهدة الطائف)

١١٥٧-١٣٥٣هـ

١٧٤٤-١٩٣٤م

الجزء الثانى

تأليف
عبد الواحد محمد راغب
دالال

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

استكمالاً لما سبق من هذه الدراسة في الجزء الأول عن كلٍّ من مناطق "جازان وعسير ونجران" نقدم لك - أيها القارئ الكريم - الجزء الثاني منها، وهو يشمل الفترة منذ قيام الدعوة السلفية والدولة السعودية الأولى حتى العهد الحاضر، في إيجاز واختصار وتركيز، والإطار الزمني والمكاني، وماطرأ من التغيرات والأحداث محلياً ودولياً، وأحوال شبه الجزيرة العربية، في ذلك الوقت، تتأثر بما حولها وبما للقوى الدولية من مصالح ونفوذ.

ولو أطلقنا للقلم العنان لكبر المجال وطالت المسافة.

والقارئ المعاصر له مشاغله وعليه التزاماته، يضيق وقته في استكمال قراءة الصحيفة اليومية فضلاً عن كتاب يحتوي على مئات الصفحات.

وفي الوقت نفسه مطلوب توضيح الحالة، فقد كانت شبه الجزيرة العربية قد فقدت اسمها وعروبتها أو كادت، وأصبحت ضمن خريطة الإمبراطورية العثمانية كسائر البلاد التابعة لها، ليس لها كيان خاص، فأضحت وكأنها لم تكن هي التي حملت مشاعل الإسلام ورايات

الفتـوح، وأنـارت ظلمـة جهالـة الكـون فـى ذلـك التـاريخ، حتـى أن خريطتهـا أصبحـت ضمـن خريطـة الإمبراطوريـة العثمانيـة وجـزءاً منهـا، واسمها ضمـن الرعايا العثمـانيين، الـذى عمـم علـى كـل مـن استظل بالرايـة العثمانيـة، فـلا حـدود تميزهـا ولاخصـائص تتفـرد بهـا عـن تلـك الإمبراطوريـة المترامية الاطـراف فـى أوربـا وأسيا وبعـض أفريقيـا. حتـى أتـاح الله قيـام الدعـوة السـلفية والدولـة السـعودية الأولى، التـى نقّـت الإسـلام مـن الخرافات والبـدع وأعادتـه إلى العصـور الأولى فـى عهـد الخلفـاء الراشـدين وترامـت حدودهـا مـن مشـارف الشـام وحـدود العـراق إلى جبـال حجـة وكوكبـان وبـاب المنـدب.

فـرأت الدولـة العثمانيـة تلـك النهضـة المباركـة والبعـث الجديـد، وإحيـاء معـالم الديـن، والنهضـة الإسـلامية الحقّـة، والعربيـة السُّـدى واللُّحمـة، مـاينذر بـزوال نفوذهـا وطيّ صفحـة اسـتعمارها.

فشـمرت عـن سـاق الجـد، وأسـندت إلى محمـد علـى القيـام بالمهمـة، ووجـدت تـأييداً مـن بعـض الـدول الأوربيـة، التـى لهمـا مصـالح فـى بقـاء الحـال علـى مـاهو عليـه، لأن الدولـة العثمانيـة فـى ذلـك التـاريخ كـانوا يسـمونها بـالرجل المريـض، وتلـك الـدول تنتظـر وفاتـه فـى الصبـاح والمسـاء، فشـمر عـن سـاق الجـدّ، وكـان ماكـان مـن تقويـض تلـك النهضـة، وإطفـاء

تلك الشعلة، وإنما كان ذلك لفترة وجيزة ومدة قصيرة، وظل لها وميضها وبريقها الظاهر والخفيّ، مشتعل في الصدور، كما قيل[1]:

كأني "بعين" الشعرِ أرمقُ فكرةً
تجَول "بذهنٍ" بَذّت "العُجم" والعُربا
بدت شعلةً حمراءَ يضمرها الدُّجى
فتخبو ويذكيها اليقين إذا هَبَّا
فإن عصفت "نكْبَاء" خطبٍ توهجت
برغم احتلال الخطب واستعرت شبّا
إلى أن سرى في ضوئِها العرب للعلا
وعَمَّ سنى لئلائِها الشرّق والغَربَا

إلى أن قيض ا لله إعادة تلك النهضة، ورجوع ذلك البعث على يد صقر الجزيرة وباني نهضتها الحديثة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود.

حرصين في الوقت نفسه على الايجاز والاختصار دون الإخلال بالمواضيع المهمة، متحاشين التكرار ومتجنبين الدخول في الزيادة المخلّة، وألا يكون ذلك على حساب العرض التاريخي والسرد الموضوعي.

وقد أعانني مجهود من سبقني من أبناء هذه البلاد، وما كُتب وأُلّف من مؤلفات كانت خير عون لي على إنجاز هذه المهمة الشاقة والعمل الجاد، اعتمدت على المراجع الأساسية وبعض الوثائق العربية

---

[1] المجموعة الشعرية الكاملة للعقيلي ص٢٢١.

والأجنبيـة وبخاصـة العثمانيـة، كمـا أنـي استفدت مـن مؤلفـات الشـيخ العقيلـي وكـذا مـن مؤلفـات الأخـوة الأكـاديميين دون تحديـد أسمـاء أصحـاب هـذه المراجـع، وعلـى ضـوء مصنفـاتهم اهتدينـا إلى مسـيرتنا لنقـدم هـذه الإضافـة التـى لم تعـدُ كونهـا خليجـاً مـن بحـر، أو رافـداً مـن نهـر مـاكُتب وماسـوف يُكتـب.

أسـأل ا لله التوفيـق، وأن يرزقنـي التواضـع، ويلهمنـي الصـواب، وا لله علـى كـل شـئ قدير، ومـاتوفيقى إلا بـا لله.

المؤلـــف

الباب الأول

امتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى تلك المناطق، واستمرارية الولاء

- الفصل الأول: الوضع فى هذه المناطق إبّان ظهور الدعوة السلفية.
- الفصل الثانى: دخول هذه المناطق فى طاعة الدولة السعودية الأولى.
- الفصل الثالث: وجود جيش محمد على باشا الوالى العثمانى لمصر، فى هذه المناطق.
- الفصل الرابع: علاقة تلك المناطق بالدولة السعودية الثانية.

الفصل الأول

الوضع فى هذه المناطق إبّان ظهور الدعوة السلفية.

كانت منطقة جازان وعسير ونجران، مثل غيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية، بل الاقطار العربية والإسلامية كافة، قد تفشى فيها منذ زمن بعيد، الانحراف عن مبادئ الدين القويم، وانتشار البدع والخرافات، بين عامة الناس وخاصتهم، ودخل الانحراف إلى العقيدة الاسلامية من أوسع أبوابه، عن طريق الصوفية وغيرها، واختلق أرباب المنافع والأهواء مفاهيم للولاية والوليّ والأولياء، وأطلقوها على متبوعيهم، وغالوا فى إطرائهم، واظهار كراماتهم، وفى مدحهم والثناء عليهم إلى درجة أن نسبوا إليهم الكشف عن الغيوب، التى لايعلمها إلا الله ـ والعياذ بالله ـ وارتقوا بسلوكياتهم إلى درجة العصمة من الخطأ، التى لايوصف بها إلا الأنبياء عليهم السلام، وحاكوا حولهم أقاصيص وروايات ليستحوذوا بها على عقول العامة.

وأصبح الناس يقدسون الأولياء، وصارت أضرحتهم مطلباً تُشدُّ إليه الرحال .. يتباكون أمامها، ويتمسحون بها، ويتشفعون بأصحابها لجلب منفعة أو لدفع مضرة .. بل صاروا يلومون من لم يزرها ويتبرك بها،

ويُرجعون أسباب الكوارث التى تحل بهم، لتقصيرهم فى زيارتها، وتقديم النذور لها!!.[1]

وصار فى كل بلد يوجد إما قبر أو جماد أو نبات، خُلعت عليه أسطورة لاستدراج العامة إليه، بغرض تعظيمه، والتقرب إليه، والاستشفاع أو الاستغاثة به، ثم تقديم النذور، والعطايا، والهدايا، التى تدخل جيوب فئة من المنتفعين، الذين لايهمهم صواب أو صحة العقيدة، بقدر مايهمهم استمرار الوضع على ماهو عليه، لاستمرار نفعهم، هم وذريتهم من بعدهم.

ثم كان عصر المماليك، ومن عاصرهم من حكام وأمراء الدول العربية والإسلامية، فرأوا أن تُضفى عليهم هالة من التبجيل والإطراء، على نسق ماكان يضفى على الأولياء، فأطلقوا على أنفسهم العديد من الألقاب، تزيد أحياناً عن عشرة ألقاب[2] بما يوحى بأنه فوق الحساب، ولا رقيب عليه، أو أنه وذريته من طبقة مميزة عن بقية المسلمين[3] وترتب على

---

(1) حسين بن غنام، روضة الأفكار والافهام لمرتاد حال الامام، وتعداد غزوات ذوى الاسلام، ج١، ص٧-١٤.

(2) انظر ماأضفاه المماليك على أنفسهم من ألقاب، وهو العهد الذى انتشرت فيه الصوفية إلى العامة والخاصة، فى كتاب صبح الأعشى، للقلقشندى.

(3) انظر: حسين محمد نصيف، ماضى الحجاز وحاضره، ص١٧، ٢٨٩-٣٠٩، حيث قال إن أبا نمى، محمد بن بركات (ت ٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م) كان قد أصدر قانوناً سمى باسمه "قانون أبى نمى" اشتمل على ٦٣مادة، جعل فيه الأشراف طبقة ممتازة لها حقوق وأعمال يجب ألا يمارسها العامة، وحرم على الرعية التطاول بأى حال على الأشراف، أو معارضة نفوذهم .. وعمل بهذا القانون فترة ثم توقف العمل به، لكن الشريف حسين بن عليّ أحياه فى عهده، وزاد عليه بعض المواد التى تعطى حقوقاً ومكاسب للأشراف. دون الرعية.

هـذا فقـدان العدالـة الاجتماعيـة، وتلاشـى نزاهـة الحكـم عـن الأهـواء والأغـراض، واسـتعمال أسـاليب القهـر والظلـم، وتبعـه عـدم الاسـتقرار الإدارى والسياسـى، والصـراع علـى السـلطة، والاخـلال بـالأمن، وانتشـار الفـتن والاضطرابـات، والسـلب والنهـب، حتـى استشـرى الفسـاد فـى الـبر والبحـر!.

وحتـى لاأُتَّهـم بالمغـالاة فـى الوصـف، أو إعطـاء صـورة قاتمـة عـن الوضـع السـائد فـى المنطقـة، أو نجـد، أو الحجـاز، أو حتـى اليمـن مثـلاً، فيمـا قبـل الدعـوة السـلفية، مـن حيـث عـدم الاسـتقرار الادارى والسياسـى فـى شـبه الجزيـرة بصفـة عامـة، وهـو الاسـتقرار الـذى يَتْبعـه النمـو الاقتصـادى، والازهـار المعيشـى، ويسـود مـن خلالـه الأمـن، ويطمئـن النـاس فيـه علـى أرواحهـم وأموالهم، وذويهم، بمـا يمكـن أن يطلـق عليـه مجتمـع ديـن، آمـن، مسـتقر.

إن جانبـاً واحـداً مـن قتامـة هـذه الصـورة قـد أتـى مـن عـدم الاسـتقرار الإدارى والسياسـى، الناشـئ عـن الصـراع علـى الحكـم، والوصـول إلى السـلطة، بـأي ثمـن، وبأيـة وسـيلة، حتـى لـو كـان الثمـن قتـل الأخ أخـاه، فـى الأشـهر الحـرم[1] أو فـى المسـجد الحـرام[2] الـذى جعلـه الله آمنـاً بأمـان منـه

---

(1) اسماعيل حقى أوزون، أمراء مكة فى العهد العثمانى، ترجمة الدكتور خليل مـراد، ص١٢٣، ١٢٤، وفـى غيرهـا، عن الأشراف الذين سعوا إلى السلطة بالقوة والغلبة.

(2) فمثلاً: وقعت معركة داخل المسجد الحرام، بين الشريف غالب بن مساعد وبين منافسه ابن أخيـه الشـريف عبـد الله بن سرور بن مساعد وذلك فى نهاية شـهر صفـر ١٢٠٤هـ (نوفمبر١٧٨٩م) استخدمت فيهـا البنـادق والمدافع، التى تطايرت منها إحدى الشظايا على جدران الكعبة، وانكسر على إثرها جزء من الحجر الأسـود--

سبحانه وتعالى، منذ عهد الخليل ابراهيم عليه السلام، وحافظ العرب في جاهليتهم على الالتزام بأمانه، إلا فيما ندر، وجاء الإسلام ليؤكد هذا الأمان، فنجد أن الصراع يحتد على السلطة في هذه الأماكن الآمنة، ويمارس البعض من طلاب السلطة أعمال السلب والنهب، تماماً مثل قبائل البادية التي دفعتها قسوة الظروف للإقدام على ذلك .. وقد قام بعض الولاة العثمانيين في جدة، وأمراء الحج المصري والشامي باشعال الفتن أحياناً بين أشراف مكة لمآربهم الشخصية.

الظروف نفسها مرت بها جازان التي كانت تمتد حدودها الجنوبية لتشمل حرض وما حولها في معظم الأحيان، حتى حليّ بن يعقوب شمالاً، منذ عهد بني طرف مروراً بالسليمانين حتى آل خيرات[1] منذ أن تمكن

-- وعندئذ تدخل العلماء وكبار القوم وطلبوا من المتقاتلين ايقاف القتال، ونقل صراعهم وقتالهم خارج مكة، انظر: اسماعيل حقي أوزون، المصدر السابق، ص١٢٣، ١٥١، وانظر أيضاً هامش ص١١٩ من المرجع نفسه. وفي ص١٢٠ يقول: بلغ القتلى في المعارك التي دارت بين الشريف سعد بن زيد، والشريف عبد الكريم بن محمد في شوال ١١١٦هـ (١٧٠٤م) حوالي ٦٠٠ قتيل، وقيل ١٢٠٠، وأن رؤوس القتلى قد فصلت عن الأجسام ثم جمعت وكوّمت فوق بعضها على شكل تلّ ووضعت أمام سبيل السلطان مراد في المعلى لارهاب الناس. وانظر أيضاً: مرآة جزيرة العرب، لأيوب صبري باشا، ترجمة. دكتور فؤاد متولي، والدكتور الصفصافي أحمد المرسي، ج١، ص١٠٨. ومحمد أديب غالب، المصدر السابق، فيما نقله عن الجبرتي، ص١٠٦.

[1] العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج١، ص٣٨٩، ود. أحمد بن عمر الزيلعي، المصدر السابق، ص٧٢، ٧٨، ١٩٠.

الشريف أحمد بن محمد بن خيرات[1] من كسب ودّ العلماء والزعماء المحليين، وتولى السلطة على أبو عريش[2] وما حولها عام ١١٤١هـ، ثم انتقلت الولاية بعده هكذا:

- ابنه محمد بن أحمد من عام ١١٥٤هـ حتى وفاته عام ١١٨٤، فيما عدا عام واحد انتزع السلطة منه عمه حوزان بن محمد.

- حوزان بن محمد بن خيرات. تولاها لمدة عام تقريباً. ثم استعادها منه ابن أخيه محمد بن أحمد، وظل حتى وفاته.

- أحمد بن محمد بن أحمد، تولاها بعد وفاة أبيه، في المرة الأولى عام ١١٨٤هـ، ثم تنازل عنها لأخيه حيدر بن محمد عام ١١٨٦هـ.

- حيدر بن محمد بن أحمد، تولاها بعد تنازل أخيه أحمد عام ١١٨٦هـ، ثم انتزعها منه عمه الحسن بن أحمد عام ١١٨٨هـ.

---

(١) التاريخ التقريبي لانتقال خيرات بن شبير بن بشير من ذوى زيد الحسنيين، إلى المخلاف، كان عام ١٠٧٧هـ تقريباً، وبعد مايقرب من ٦٠عاماً تولى حفيده أحمد أول سلطة لآل خيرات، على أبو عريش وماحولها، بولاء اسمى لإمام اليمن.

(٢) لفظ "أبو عريش" مركب إضافى، من كلمتين، ولعلماء النحو طريقتان فى إعرابه: إما أن تظهر حركات الاعراب على جزئه الأول والثانى مضاف إليه، أو أن يعتبرا كلمة واحدة، وتظهر على الجزء الثانى فقط، وهذا مااخترناه ولذا لن نضعه بين قوسين، وكذا مايشبهه من الاسماء المركبة.

- الحسن بن أحمد بن محمد بن خيرات من عام ١١٨٨هـ حتى عام ١١٩٠هـ

- أحمد بن محمد بن أحمد (للمرة الثانية) من عام ١١٩٠هـ حتى عام ١١٩١هـ.

- عليّ (فارس) بن محمد بن أحمد من عام ١١٩١هـ حتى منتصف عام ١١٩٢هـ تقريباً.

- يحي بن محمد بن أحمد من منتصف عام ١١٩٢هـ حتى نهاية العام.

- أحمد بن محمد بن أحمد (للمرة الثالثة من بداية عام ١١٩٣هـ، لعدة أشهر).

- يحي بن محمد بن أحمد (للمرة الثانية) من منتصف عام ١١٩٣هـ تقريباً حتى عام ١٢٠٥هـ.

- عليّ بن حيدر بن محمد من عام ١٢٠٥هـ ثم تنازل عنها لعمه حمود بن محمد (أبو مسمار) عام ١٢١٦هـ، وفي عهد عليّ بن

حيـدر هـذا بـدأت تنتشـر فـى المخـلاف (جـازان) الدعـوة السـلفية[1].

وبنظـرة أوليـة، ودون أن ندخـل فـى تفـاصيل الأحـداث التاريخيـة، يستطيع أيّ بـاحث أن يحكـم بأنـه كـان هنـاك صـراع على السـلطة بـين أبنـاء الأسرة الواحـدة، وأن الصـراع فـى الغـالب كـان دمويـاً، استخدمت فيـه كـل الوسائل الممكنة،وصـولاً إلى الغايـة المنشـودة ـ وهـى السـلطة ـ غلبـةً وقهـراً فـى معظـم الأحيـان، وانتفـى بذلـك الاستقرار الإدارى والسياسـى، ومـا تبعـه مـن عوامل سـلبية سـادت المنطقـة.

كـان مـن أسـوأ المظـاهر السـلبية إستعانة أمـراء آل خـيرات بقبـائل يـام مـن نجـران، لتوطيـد حكمهـم. ممـا حـدا بقبـائل يـام لزيـادة أطمـاعهم فـى المنطقـة، إمـا بفـرض إتـاوات، أو المزيـد مـن أعمـال السـلب والنهـب، وتدخلهـم فـى شئون الحكـم فـى جـازان، بمنـاصرة أمـير علـى آخـر، وادخـال الـرَّوع فـى قلـوب بعضهـم، حتـى أن الأمـير أحمـد بـن محمـد (ت ١١٩٨هـ) الـذى تـولى الامـارة لثـلاث مـرات، كـان يرتجـف قلبـه عندمـا يعلـم بقدومهـم إلى أبـو عريـش، فيتنـازل عـن الامـارة لأحـد إخوتـه حتـى لايواجههـم[2] وأحيانـاً كـانت

---

[1] اعتمدنا فى ترتيب اسماء ولاة آل خيرات، وسنيّ حكمهم على ماأورده استاذنا الشيخ محمد بن أحمد العقيلى فـى كتابه "تاريخ المخلاف السليمانى" ج١، ص٣٨٧-٤٣١.

[2] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٠٩،٤١٦،٤١٧،٤٢٣.

تتم الاستعانة بقبائل وادعة عَبيدّة من خارج المنطقة، وقحطان، وهم من قبائل عسير[1] بالاضافة إلى بطون من حاشد وبكيل[2].

كانت هذه الاستعانات بقبائل من خارج حازان تكلفهم باهظاً، فيضطرون إلى فرض ضرائب، أو مصادرة بعض الأموال، حتى ضاقت صدور الأهالى، وقبائل المنطقة، بالاضافة إلى وجود منافسين من القطبيين والخواجيين الذين كانوا يحكمون المخلاف فيما مضى، ولاتزال تطلعاتهم إلى الحكم قائمة، مما يوحى بعدم الاستقرار.

كما كان من نتيجة عدم الاستقرار الإخلال بالأمن، وشيوع الفتن والاضطرابات، وفقدان الثقة بين الناس، وتحزبات البلدان والقبائل بعضها على بعض، وامتهان بعض القبائل أعمال السلب والنهب، وهنا تطلعت نفوس المصلحين، وذوى الهمم العالية فى حازان (المخلاف السليمانى) إلى البحث عن مخرج .. وكان وقع الأحداث فى نجد ـ من أثر الدعوة السلفية ذاك الوقت ـ يهز القلوب، فكان الاتجاه صوب الدعوة، ومقرها فى الدرعية، حيث أصلحت من أحوال نجد ماأفسدته جهالة الجاهلين. من بدع وخرافات، وفتن وعداوات[3]، فدخلت فى صراع مع المناوئين، ولأنها دعوة حق فقد نصرها الله على خصومها، بل تحول معظم هؤلاء

---

[1] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٠٦،٤٢٣.

[2] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٠٦.

[3] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٣٨٠-٣٨٦.

المعادين بالأمس إلى مناصرين لها، يشد بعضهم أزر بعض، في تفانٍ لم يعرف له مثيل إلا في صدر الاسلام .. وكان هذا مثار دهشة لمن هم حول نجد، فبدأوا يمعنون النظر في أمرها حتى عرفوا أنها الحق .. فوجهوا ركبهم إليها، وكان في طليعة أهل جازان إليها الداعية الشيخ أحمد بن حسين الفلقي، من أهل صبيا. وعرار بن شار من بني شعبة.

أما عسير السراة فإن الوضع فيها ـ قبيل ظهور الدعوة ـ كان يختلف نوعا ما عنه في جازان، فقد لوحظ أنه لم تقم فيها إمارات جمعت كافة بلدان عسير وقبائلها تحت رئاسة مركزية واحدة، مثلما كان الشأن في جازان، فلم تشر المصادر التاريخية الموثوق بها إلى شئ من هذا القبيل، بل إن بعضها أشار إلى أن الرئاسات فيها كانت مستقلة، وإلى أنه ليس لأحد سلطان عليهم[1] وأن رؤساء البلدان والقبائل كانوا هم المهيمنون على مناطق بلدانهم وقبائلهم، منذ زمن بعيد، وبخاصة آل يزيد، وبنو مغيد، وعلكم، ورفيدة، وربيعة، وبنو مالك، وغيرهم من قبائل عسير، وكانت لهم رئاسات لكنها مرتبطة أكثر بمكة المكرمة. في حين أن قبائله الجنوبية مثل قحطان الجنوب، ووادعة، وعبيدة، وغيرها كثيراً ماكان يستعان بها في المنازعات التي كانت تحدث في اليمن، وفي جازان أيضاً، وذلك بمقابل نظير مشاركتهم.دون أدني ولاء لأيّ منهم على تلك القبائل المتعددة.

---

[1] العقيلي، عسير في أطوار التاريخ، ص٥٣،٥٤،٥٨.

لكن الغالب على تلك الرئاسات كان كثرة المنازعات إما بغرض التوسع وفرض النفوذ، أو البحث عن مغنم ومصدر رزق وبخاصة عندما تجدب الأرض، وعندها تشيع الفتن والاضطرابات، ويُفتقد الأمن والأمان .. لذا تطلعوا هم أيضاً إلى الدعوة الاصلاحية، لإصلاح أمر دينهم ودنياهم.

عرف عن اليامين من قديم، الشراسة وقوة الشكيمة في النزال، ولهذا فطالما استُعين بهم، نلحظ أن أئمة اليمن استعانوا بهم في صراعهم بعضهم مع بعض، أو مع خصومهم من العثمانيين وغيرهم، بمقابل نظير هذه الاستعانة، وعندما حاولوا بسط نفوذهم عليهم، منذ عهد الامام الهادى[1]، رفضوا هذا النفوذ، وعندما تسرب إليهم المذهب الاسماعيلى، واعتنقوه[2] استحكم العداء بينهم وبين أئمة اليمن، حيث اتسم بالعداء العقائدى، كما استعان بهم أشراف جازان،ومع أن أرضهم من أجود البقاع الزراعية، منذ الجاهلية، إلا أنهم لم يهتموا بها بما فيه الكفاية، وامتهنوا أعمال الغزو والسلب، ربما لأنها توافق طباعهم، وتشبع رغبتهم

---

(1) الامام الهادى يحى بن الحسين الرسى، أول الأئمة الزيدية فى اليمن، حكم خلال الفترة من عام ٢٨٤ ـــ ٢٩٨هـ (٨٩ - ٩١١م).

(2) قيل إن مبادئ المذهب الاسماعيلى تسربت إليهم منذ عهد على بن الفضل (ت٣٠٣هـ) على نطاق ضيق، و لم ينتشر إلا بعد أن قدم إلى نجران الداعى محمد بن اسماعيل بن ابراهيم المكرمى عام ١١٢٧هـ حتى توفى عام ١١٢٩هـ فخلفه مكرمى آخر، وصار للمكارمة الرئاسة الدينية والدنيوية على يام .. وبهذا نستنتج أن قبيلة العجمان وبنى مرة نزحت عن نجران بعد هذا التاريخ، ربما لرفضها عدم الدخول فى المذهب الاسماعيلى، واصرارها على بقائها على مذهب أهل السنة، وربما يكون سبب النزوح غير ذلك.

فـى امتشـاق الحسـام، والضـرب والـنزال .. لالمبـدأ وإنمـا لمغنـم، وأطلــق عليهــم أنهم جنــود مرتزقـة[1].

ونلحــظ أن خصومــة اليــاميين بقيــادة المكرمــى حســن بــن هبــة الله، للدعـوة السـلفية فـى بـدء أمرهـا، لم تكـن خصومـة عقائديـة، مثلمـا كـان الحـال بينهـم وبـين أئمـة اليمـن، وإنمـا كـانت بدافـع الرغبـة فـى البحـث عـن الغنيمــة، فـإذا مـاحصلوا عليهـا عـادوا مـن حيـث أتـوا، فقـد استجابوا لاستغاثة أقربـائهم العجمـان، وكـانت موقعـة حـاير سـبيع بـين الخـرج والريـاض عــام ١١٧٨هــ، وانتصر فيهـا المكرمـى بمـا يشـبه الخديعــة، وقـدم إليــه ابـن دواس، وزيـد بـن زامـل، رئيـس بلـد "الدلم" وغـيرهم مهنئـين بـالنصر، وحـاملين لـه الهدايـا، وفـى الوقـت نفسـه يحثـون المكرمـى علـى المضـى إلى الدرعيـة، للقضــاء علـى الدولـة الناشـئة، ومـن ثـمّ تملكهـا، لكـن المكرمـى الـذى عجــز عــن اقتحـام الدرعيــة، وهزم أمام دفاعاتهـا، عـرف أنـه لـن يسـتطيع القضـاء علـى الدولـة التـى يُرغّبونـه فـى القضـاء عليهـا، لـذا قنـع بمـا حصـل عليـه مـن مغنـم وهدايـا، ولم يسـتجب لتلـك الاغـراءات، وعقـد صلحـاً مـع قـادة الدرعيــة تبودلـت فيـه الأسـرى، وعـاد إلى نجـران[2] ثـم قـدم مـرة أخـرى عـام ١١٨٩هــ، أى بعـد أحـد عشـر عامـاً، استجابة لاغـراءات ابـن زامـل، وحويـل الودعـانى، وبطـين بـن عريعـر رئيـس الأحسـاء، الذيـن وعـدوه ببـذل الأمـوال بسـخاء، فقـدم ونـزل حـاير سبيع، ثم تحـول منهـا إلى بلـدة ضرمـا، وكـانت فيهـا مرابطـة بعثهـا إليهـا الامـام

---

(1) العقيلى، المخلاف السليمانى، ج١، ص٤٢١.

(2) ابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص٩٣-٩٦.

عبد العزيز بن محمد، فتكاتف أهل ضرما والمرابطين في التصدى له، وانزلوا به هزيمة قبل أن تصلهم نجدات الدرعية فانسحب منها عائداً إلى نجران، بعد أن قبض المقابل ممن استدعوه[1] وظل قابعاً في ديرته، مبتعداً عن الدخول في نزاعات مع قادة الدرعية، إلى أن دخل ماحوله من بلدان في طاعة الدولة السعودية، فلم يجد معظم سكان نجران، مفراً من بذل الولاء، مما سنعرضه فيما بعد.

ومما يلاحظ أن استقلالية اليامين بقيادة المكارمة على مواطنهم بنجران، كانت شبيهة باستقلالية الرئاسات في بلدان نجد قبل الدعوة، إلا أنها لم تمنع من وجود نوع من الترابط، أو التحالف مع بوادى نجد وبلدانها من قديم، وربما يعود ذلك إلى أنهم كانوا يعتبرون أرض نجد امتداداً طبيعياً لمواطنهم، حتى أن البطون والعشائر اليامية التى كانت ترغب فى النزوح عن نجران لأى سبب كان، كالعجمان وآل مرة، كانت تتجه إلى بادية نجد، دون أن تتجه جنوباً أو غرباً، وأن بادية نجد ـ وبخاصة الجنوبية منها ـ كانت تتجه إليها بعض قبائل وبوادى نجران للمرعى والكلأ، مما يشير إلى أنهم سواء، ولايقيمون بينهم فواصل طبيعية، أو إدارية .. ولم تشر المصادر التاريخية على مدى علمى، إلى أنهم غزو أرض نجد قبل الدعوة، مثلما كانوا يفعلون ذلك بأرض اليمن، وهذا يدل على وجود حد معين من التوافق، والانسجام، وامتزاج الأعراف والعادات،

---

[1] ابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص١٢٠،١٢٥،١٢٦.

على أقل التقديرات، إن لم يكن هناك ترابط وتحالف مع كثير من بوادى وبلدان نجد، اتباعاً للعرف السائد بين القبائل التى لم تكن تخضع لحكم سياسى مركزى يُحْكِم تصرفاتها، ويحد منها، وهى قبائل وبلدان وسط شبه الجزيرة العربية فى ذاك الوقت.

الفصل الثانى

دخول المناطق فى طاعة الدولة السعودية الأولى

الدعوة والدولة

كان التفكك السياسى هو السمة البارزة لتاريخ نجد منذ زوال الدولة الأخيضرية عام ٣٦٠ تقريباً[١] حيث قامت بنجد رئاسات وكيانات مستقلة على المدن والقبائل، و لم يستطع أيّ منهم جمع المنطقة تحت سلطة مركزية موحدة .. وبالرغم من أنه قامت فى الأحساء إمارات ذات سلطة ونفوذ كالعيونيين[٢] وآل جبر[٣] وبنو خالد[٤] وغيرهم، وكان

---

[١] بنو الأخيضر، حكام اليمامة (الخضرمة) من ذرية السبط الحسن بن على بن أبى طالب رضى ا الله عنهما، وكان اسماعيل بن يوسف بن ابراهيم بن موسى الجون، قد استولى بالغلبة على مكة المكرمة من يد جعفر بن الفضل بن عيسى العباسى، الوالى عليها من قبل الخليفة المستعين، عام ٢٥١هـ، ثم انطلق إلى المدينة المنورة فاستولى عليها ايضاً لكنه توفى بالجدرى عقب ذلك، فتولى الأمر بعده أخوه محمد بن يوسف، الملقب بالأخيضر، ثم انتقل إلى نجد وانشأ فيها دولة الأخيضريين، واتخذ بلدة اليمامة قاعدة للدولة، واستمر حكمهم حوالى قرن، حكم فيه منهم ثلاثة عشر حاكما، ثم زال حكمهم فى نجد على يد القرامطة عام ٣٦٠ تقريباً، و لم يستمر حكمهم فى مكة والمدينة فى البداية كثيراً إذ تغلبت عليهم قوات الدولة العباسية، انظر: أيوب صبرى باشا، المصدر السابق، ج١، ص٨٥-٨٧، وقد ورد فيه أن حكمهم انقرض عام ٣٥٠هـ، لكنه على مايبدو استمر إلى عام ٣٦٠هـ.

[٢] العيونيون، من بنى عبد القيس، أول حاكم منهم هو عبد ا الله بن على العيونى، وعلى يديه زالت دولة القرامطة فى الأحساء حوالى عام ٤٦٦هـ، وعلى انقاضها أسس دولة له ولأسرته من بعده، استمرت حتى منتصف القرن السابع الهجرى تقريباً. (٣) و (٤) بعده --

لبعضهم نفوذ فى نجد، أو فى بعض مناطق منها، لكنه لم يكن نفوذاً سياسياً متكاملاً، بحيث يمكن أن يوصف بأنه جمع الأحساء ونجد تحت سلطة مركزية موحدة، وفق متطلبات وأسس قيام الدولة ذات الكيان المستقل، وكان شأن نجد كذلك بالنسبة للأشراف فى الحجاز، فقد حاولوا بسط نفوذهم باسم الدولة العثمانية، أو المماليك قبلهم، يبذلون الرغبة أو الرهبة فى إظهار النفوذ، فلا يتمخض ذلك إلا عن علاقة لاترقى إلى مستوى الولاء .. وظلت نجد قروناً عديدة لاتخضع لسلطة مركزية، لذا رسخ فى نفوس أهلها ـ حاضرة وبادية ـ النزعة الاستقلالية، المتمسكة باستمرارية تلك الرئاسات والكيانات الصغيرة، حتى لو كانت لها مساوئ فادحة، وتعمق لديهم النفور من الاندماج فى كيان واحد، ودولة واحدة، ولعل هذا هو السبب المباشر الذى دفع بعضهم فى البداية، لمقاومة نفوذ الدولة السعودية، لاحتوائهم وصهرهم فى بوتقة دولة واحدة، واستغرق ذلك اكثر من أربعين عاماً متواصلة[1] وحين توحدت نجد ظهرت قوتها

---

[3] آل حمير، أو الجبور، أقاموا دولة لهم فى الأحساء فى النصف الأول من القرن التاسع الهجرى حتى الثلث الأول من القرن العاشر تقريباً ـ كان من أشهرهم أجود بن زامل ـ الجاسر، العرب، ج٧ س١، ص٦٠٥،٦٠٦، وآل عبد القادر، محمد بن عبد الله، تحفة المستفيد..، ج١، ص١٢٠،١٢١.

[4] استطاع براك بن غرير آل حميد، أحد زعماء بنى خالد، الذى كان والياً على الأحساء من قبل العثمانيين، الاستقلال بها عن ولاية كل من البصرة وبغداد، و لم يعد للعثمانيين إلا ولاء اسمى، منذ عام ١٠٧٦هـ وقيل عام ١٠٨٠هـ، واستمرت إمارة الخوالد إلى أن دخلت الأحساء تحت حكم الدولة السعودية الأولى عام ١٢٠٨هـ، بعد العديد من الحروب ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٢٠٦.

[1] د.العثيمين، عبد الله الصالح، بحوث وتعليقات فى تاريخ المملكة العربية السعودية، ص١٦،١٣٧.

الحقيقية، وأصبحت كالمارد الذى انطلق، يجول شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، يدافع عن نفسه، ويرد عداوة المعادين.

قضية البدء بالعداوة، وتطورها إلى الصدام المسلح المتوالى، الذى اعتبر من أبرز السمات الملازمة لحياة الدولة السعودية الأولى، نلحظه من خلال استقراء الأحداث المعاصرة لها .. كما نلحظ أن حتمية ذلك الصدام قد فرض عليها.

فنبذ البدع والخرافات التى كانت قد شاعت فى المجتمعات الإسلامية، والعودة إلى ماكان عليه السلف الصالح، من سلامة المعتقد، والعبادة الخالصة لله، والعمل بالكتاب والسنة، والمأثور عن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين، والالتزام بما أمر الله به ونهى عنه، وتطبيق ماشرعه الله على عباده من فرائض، وحدود، وغير ذلك .. كل هذا بمجمله هو ماعرف بـ "الدعوة السلفية"[١] أو الدعوة الاصلاحية، التى نادى بها من قبل الامام ابن تيمية[٢] ثم جاء الامام المجدد الشيخ محمد بن عبد

---

(١) غالب الظن أن مصطلح "الدعوة السلفية" لم يستعمل فى عهد ابن تيمية، ولا فى عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأن كل ماكان يتردد هو "العودة إلى ماكان عليه السلف" أو ".. أهل السلف" أى عهد الرسول ﷺ، وعهد الصحابة والتابعين وتابعيهم، أى بما يغطى زمنياً حوالى ثلاثة قرون، وأن اصطلاح "الدعوة السلفية" أو "الدعوة الاصلاحية" استعمل حديثاً.

(٢) هو الامام: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية، ولد بحران فى الشام عام ٦٦١هـ، ونشأ فى أسرة علمية، فكان عالماً فذاً، مجتهداً، لاتأخذه فى الله لومة لائم، وقد سببت له جرأته فى قول الحق العديد من الاضطهادات، حتى سجن ومات فى سجنه بدمشق عام ٧٢٨هـ. بعد أن ترك تراثاً ضخماً، مصنفاته تزيد على خمسمائة مجلد. د.محمد يوسف موسى، ابن تيمية، ص١١٦،١١٧.

الوهاب[1] فأحيا هذه الدعوة، عندما رأى أن البدع والخرافات، وكافة أنواع المنكرات قد انتشرت في نجد وغيره من المجتمعات الإسلامية .. فكان حرِىٌّ بكل من تناهت إلى اسماعه تلك الدعوة ألايستنكرها، أو يتمادى في عداوتها، فلقد نودى بها من قبل.

عاد الشيخ من رحلته العلمية إلى بلدة حريملا، التى كان والده قد انتقل إليها من العيينة، وبدأ يعلن دعوته الاصلاحية، ثم مالبث والده أن توفى عام ١١٥٣هـ فعاد إلى العيينة مسقط رأسه، ووجد من أميرها عثمان ابن معمر مؤازرة لما يدعو له، وكشأن كل دعوة إصلاحية جديدة على أى مجتمع، كان لها أنصار ولها معارضون.

اتخذ الشيخ أسلوب الحوار العلمى، أثناء مناقشاته ومناظراته للعلماء المعارضين كوسيلة لاقناعهم بصواب مايدعو إليه، متبعاً منهج البحث الفقهى المبنى على استنباط الأحكام من أدلتها الشرعية، وهو المنهج الذى كان سائداً بين العلماء الأوائل فى عصر ازدهار الأجتهاد، وترسيخ الأحكام للعلوم الشرعية بصفة عامة .. وهو عصر اتسم بالانفتاح الفكرى للرأى الآخر، ومقارعته بالحجة والبرهان، لابالرهبة والطغيان .. ولعل

---

[1] الامام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد، الوهيبى، التميمى، ولد عام ١١١٥هـ، بالعيينة على مسافة حوالى ٤٥ كيلو شمال الرياض، من بيت علم، وقد دفعه طموحه العلمى إلى الرحلة فى طلب المزيد من العلم، فرحل إلى المدينة المنورة، والبصرة، والأحساء، وخلال اقامته فى تلك البلدان كان يناقش علماءها فى مسائل عديدة، ومنها مايشوب العقيدة من بدع وخرافات .. ثم عاد إلى نجد ليعلن دعوته .. توفى عام ١٢٠٦هـ. انظر: ابن غنام، روضة الأفكار، ج١، ص٢٥-٣٠.

رسائل الشيخ ــ وهى عديدة ـــ إلى هؤلاء المعارضين، داخل نجد وخارجها[1] وكذا مؤلفاته الكثيرة، دليل ذلك النهج الذى سلكه الشيخ، واتبعته الدولة، لاقناع الخصوم عن رغبة لارهبة.

كان فى طليعة المعارضين من علماء نجد المحليين سليمان بن سحيم من الرياض، وعبد الله المويس من حرمة، اللذان عجزا عن مجاراة الشيخ محمد فى قوة حجته، وخشيا من نتيجة فشلهما، وضياع هيبتهما فى أعين الناس، فلجآ إلى أسلوب آخر، وهو الاستنصار بعلماء المناطق الأخرى، واستعداؤهم على الشيخ .. ومن ثمّ الإيعاز إلى القوى السياسية المتمثلة فى حكام تلك المناطق للتدخل والقضاء على الدعوة قبل استفحال أمرها.

أرسل ابن سحيم رسالة إلى علماء البصرة والأحساء، هاجم فيها الشيخ، واستنهض همتهم للوقوف إلى صفهم والرد عليه[2] وكان من نتيجة ذلك أن دخل حلبة الصراع حاكم الأحساء، سليمان بن محمد آل حميد، زعيم بنى خالد، الذى بعث يهدد الأمير عثمان بن معمر، ويطلب

---

[1] جمع الشيخ حسين بن غنام، فى كتابه "روضة الأفكار .." فى الفصل الثالث من الجزء الأول، معظم رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، التى أرسلها إلى العلماء المعارضين، المعاصرين له، فى نجد والأحساء، وعلماء الحجاز. وقام الشيخ عبد الرحمن بن قاسم بجمعها وجمع كثيراً من رسائل علماء الدعوة، فى كتابه "الدرر السنية فى الأجوبة النجدية" كما قام الشيخ سليمان بن سحمان بجمع مجموعة أخرى فى كتابه "الهدية السنية والتحفة النجدية الوهابية" وأخيراً قامت جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، بجمع تلك الرسائل وطباعتها بمناسبة اسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذى أقامته عام ١٤٠٠هـ، وانظر أيضاً: د.العثيمين، بحوث وتعليقات، ص٩١-١١٣، حيث حلل موقف ابن سحيم من الدعوة تحليلاً جيداً.

[2] د.العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، ص٧٥، وابن غنام، المصدر السابق، ج١، ص١١٠-١١٣.

منه اخراج الشيخ من العيينه. وبعد تردد طلب ابن معمر من الشيخ الخروج، ولو لفترة، فخرج الشيخ إلى الدرعية عام ١١٥٧هـ لأن له فيها تلاميذ وأنصاراً، وفي مقدمتهم إخوة الأمير، على أمل أن يجد في أميرها مناصراً له، ففي نفوذه منعة، وحصن يقيه غائلة المعادين، وصدق حدس الشيخ فقابله الأمير محمد بن سعود[١] وتم الاتفاق بينهما على مناصرة الدعوة، وكان ذلك بمثابة إعلان ميلاد دولة لها مبادئ في المنطقة[٢] دولة تحمي الدعوة، وتلتزم بتطبيق الشريعة، كما كان عليه أهل السلف .. وتتخذ من الحوار العلمي الشرعي منهجاً لاقناع الخصوم، والقبول بما تنادي به من إصلاح أمر الدين والدنيا، قبل أن تلجأ إلى الاحتكام للسيف، كآخر المراحل للانقياد لما أمر الله به، ونهى عنه. وفق تعاليم الشريعة.

وما أن استقر الشيخ في الدرعية، وعقد حلقات التدريس، حتى توافد إليه مؤيدوه من البلدان الأخرى، بعضهم استقر عنده، والبعض الآخر عاد إلى بلده لينشر الدعوة فيها، وانضمت بعض بلدان العارض طواعية إلى الدولة الجديدة، خلال عامين من استقرار الشيخ في الدرعية، وبهت أعداء الدولة من سرعة نموها فقرروا العمل على وقف هذا النمو

---

(١) الامام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي، تولى حكم الدرعية عام ١١٣٩هـ، وبعد ثمانية عشر عاماً من توليه قدم إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فآواه ونصره، وتصدى لهجمات خصوم الدعوة والدولة، على مدى ٢٢ عاماً، فكان النصر حليفه، توفي عام ١١٧٩هـ، فخلفه ابنه الامام عبد العزيز بن محمد.

(٢) د.العثيمين، بحوث وتعليقات، ص٢٤، وابن بشر، ج١، ص٤٢.

المتزايد، فبدأ دهام بن دواس عام ١١٥٩هـ بمهاجمة بلدة منفوحة التى انضمت للدولة، فكانت الدولة ملزمة بالوقوف بجانب أنصارها[(١)] وانضم إلى دهام بعض المناوئين من أمراء البلدان الأخرى، وكان على الدولة أن تدافع عن نفسها، وبذلك دخلت فى مرحلة جديدة، من الصدام المسلح الذى فُرض عليها. ولذا ورد فى إحدى رسائل الشيخ محمد مايؤيد هذا إلى حد ما، إذ قال: ".. وأما القتال فلم نقاتل أحداً إلا دونه النفس والحرمة، وهم الذين أتونا فى ديارنا، ولا أبقوا ممكناً"[(٢)].

ودخل زعماء بنى خالد، حكام الأحساء، حلبة الصراع بصورة فعلية هذه المرة، فقد كان سليمان بن محمد بن غرير السبب فى اخراج الشيخ من العيينة وذهابه إلى الدرعية عام ١١٥٧هـ، ثم انشغلوا ببعض الفتن الداخلية التى حالت بينهم وبين الإقبال إلى نجد إلا فى عام ١١٧٢هـ، حيث قدم عُرَيْر بن دُجَين، الذى كان أمر الأحساء قد آل إليه، مستنفراً أهل الأحساء، وعربانه، وكذا مايأنس منهم من بلدان نجد وعربانه، لكنه لم يوفق[(٣)] وقدم مرة أخرى عام ١١٨٨هـ، ولم يكن حظه فيها بأفضل من الأولى[(٤)] وبعدها تحول ميزان القوى لصالح الدولة السعودية ـــ وبخاصة بعد توحيد مناطق نجد عام ١٢٠٠هـ ـــ مقارنة

---

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص٥٠-٥٣.

(٢) د.العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، ص٩٣.

(٣) ابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص٨١،٨٢.

(٤) ابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص١٢١،١٢٢.

بالأحساء، فاصبحت في موقف المهاجم بدل المدافع، إلى أن ضمت الأحساء إليها عام ١٢٠٨هـ[١].

أما أشراف الحجاز فقد اتخذوا موقفاً معادياً، بناء على أخبار وصلتهم مشوشة ومختلقة، ربما عن طريق علماء نجد المعارضين، فقد كان الشريف مسعود بن سعيد بن زيد، هو الذى يتولى الإمارة في مكة ذاك الوقت[٢] وكانت ظروفه المادية صعبة بسبب المنازعات بينه وبين ابن أخيه محمد بن عبد الله بن سعيد، الذى كان ينافسه على الإمارة، وقد استدان مبالغ من أمير الحج الشامى، وأمير الحج المصرى عام ١١٤٧هـ، لتسديد التزاماته، كما رفع للباب العالى يطلب المزيد من المخصصات لمواجهة زيادة النفقات، وطلبات بعض الأشراف، فصدر الأمر السلطاني بايقاف إرسال الهدايا التى كان يرسلها أمراء وأشراف مكة إلى الباب العالى، والوزراء، وذلك لاكتفائهم أولا، وحاجتهم لأثمان تلك الهدايا ثانياً، وأبلغ الشريف مسعود بذلك عام ١١٤٨هـ[٣] لكن يبدو أن أزمته المالية ظلت

---

[١] ابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص٢٠٤-٢٠٦، وآل عبد القادر، محمد بن عبد الله، المصدر السابق، ج١، ص١٢٣.

[٢] الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبى نمى (الثانى) ابن بركات، عين فى شرافة مكة بعد ابن أخيه محمد بن عبد الله بن سعيد عام ١١٤٥هـ (١٧٣٣م) ثم أجبر على تركها لابن أخيه بعد ثلاثة أشهر من توليه، ثم عاد فتولاها عام ١١٤٦هـ، وظل بها إلى أن توفى يوم ١١٦٥/٣/٢هـ (١٧٥٢/٢/١٨م) فتولاها بعده أخوه مساعد بن سعيد، انظر: اسماعيل حقى حارشلى، المصدر السابق، ص١٣٨،١٣٩، وايوب صبرى باشا، المصدر السابق، ج١، ص١٠٩.

[٣] اسماعيل حقى حارشلى، المصدر السابق، ص١٣٨.

قائمة لفترة طويلة، ولهذا فهو ينتهز الفرصة بين الحين والآخر ليرفع إلى الباب العالى لزيادة المخصصات لمواجهة الأعباء، وما أن تناهت إلى اسماعه الأخبار المشوشة عن الدعوة والدولة حتى بادر بالرفع إلى الباب العالى عام ١١٦٢هـ (١٧٤٩م) فى خطاب يتضمن التهويل من شأن الدعوة والدولة[١] كى يحفز الباب العالى على سرعة إرسال الأموال والإمدادات لمواجهة هذا الخطر، فجاءه الرد فى صورة أمر سلطانى متضمناً السير إلى الشخص المذكور ـ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ والعمل على استئصاله هو واتباعه (هكذا !!) لاجتهاداته الباطلة، ومخالفته للمذاهب الأربعة (هكذا !!) وأنه قد أُنعِم عليه بمبلغ ٢٥ كيس رومى من الأقجات من خزينة مصر عام ١١٦٣هـ، لأجل تسديد رواتب ومؤن العساكر الذين سيقومون بهذه المهمة[٢] وفى الوقت نفسه كُلّف عثمان باشا ـ متصرف جدة، ووالى ولاية الحبش (فالحبشة: أى جزء من أرضها الحالية ثم

---

[١] كان مما تضمنه خطابه: أنه ظهر شخص فى إحدى قرى نجد، يدعى محمد بن عبد الوهاب، يصدر اجتهادات مخالفة للمذاهب الأربعة، ويضلل الناس، وأنه استطاع التأثير على كثير من البلدان والقبائل بنجد، وأننا بحاجة إلى الامدادات والمعونات لزجره هو واتباعه. حيث تمكن من كسب سكان المنطقة إلى جانبه بكل الحيل، حيث لم يعد ممكنا التقرب (الاقتراب) من تلك الاطراف، وإن التقاعس بخصوص هذا الشخص، سيؤدى إلى ظهوره اكثر، وسيحتاج عندئذ إلى قوات اكثر عدداً لمحاربته .. انظر: اسماعيل حقى، المصدر السابق، ص١٣٩.

[٢] اسماعيل حقى، المصدر السابق، ص١٣٩، وهامش الصفحة نفسها، وهى من تعليق المترجم، وقد أتى بالصورة الكاملة للأمر السلطانى، المحفوظ فى أرشيف رئاسة الوزراء، وثائق الداخلية، تصنيف جودت رقم ٦٧١٦، شوال ١١٦٤هـ. وفى خطاب الأمر السلطانى المشار إليه، جاءت الاشارة إلى الخطاب المرفوع من الشريف مسعود، وترديد لبعض ماورد فيه من معلومات عن الدعوة، والاتهامات الموجهة إلى صاحبها، وإلى اتباعه .. مما أوضحناه عاليه.

الصومال وجيبوتى كانت خاضعة لولاية جدة ذاك الوقت) وشيخ الحرم المكى - بالتعاون مع شريف مكة فى هذه المهمة، بناء على الأمر السلطانى المشار إليه.

وكان من نتيجة الفكرة الخاطئة، والمعلومات المختلقة التى تلقاها الشريف مسعود عن الدعوة وأتباعها، قيامه بالقبض على الحجاج النجديين، الذين ذهبوا كالعادة لأداء فريضة الحج موسم ١١٦٢هـ، وحبسهم وبعضهم مات فى الحبس، مع أنهم كانوا حجاجاً عاديين، ولم يكونوا مؤهلين للعمل على نشر الدعوة فى الحجاز، أو بين الحجاج الوافدين إلى الموسم[1] واستمر الشريف مسعود فى منع حجاج نجد من آداء فريضة الحج، وتبعه فى ذلك أخوه مساعد بن سعيد .. ولاريب أن الحيلولة بين المسلم وآدائه الفريضة التى فرضها الله عليه، هو تجاوز فى استغلال السلطة فى غير ماهو مشروع، ومن المفارقات أن هذا المنع حدث أيضاً لأهل نجد فى عهد الشريف حسين بن على إبان تصعيده خلافاته مع الملك عبد العزيز، وكان ذلك من دواعى الاقدام على ضم الحجاز عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م).

---

[1] ابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص٥٩،٦٠، ود.العثيمين، تاريخ المملكة، ج١، ص١٢٤-١٢٦، وقد ناقش الدكتور العثيمين ماأورده ابن دحلان فى هذا الصدد، وفنده، حيث زعم أنهم كانوا ثلاثين عالماً، وأوردهم المؤرخ التركى، سليمان عزى، بأن عددهم كان ستين رجلاً.

المهم أن العداوة التى كانت نتيجة لتلك المعلومات المختلقة، أخذت تتصاعد، وصعب معالجتها بالوسائل السلمية بعد ذلك فى عهد الشريف غالب بن مساعد (١٢٠٢هـ ـ ١٢٢٨هـ) عندما بعثت الدرعية أحد العلماء لمناظرة علماء مكة[1] ووقع الصدام المسلح الذى طال مداه فى هذه المنطقة، حتى استولت عليها القوات السعودية عام ١٢١٧هـ[2].

وعلى كلٍّ فما أوردناه فيما سبق باختصار، يعطى دلالة أكيدة على أن الدعوة الإصلاحية قد تبنت منهج الحوار الفكرى، والانفتاح على الرأى الآخر، ونهجت أسلوب المناظرات لمعارضيها، مع ماكانوا يوجهونه إليها من أبشع الاتهامات والافتراءات .. وأن الدولة السعودية الأولى منذ نشأتها، كانت مسالمة للغاية، ولم تكن هى البادئة بالعداوة، وإنما فرض عليها القتال، وظلت فترة فى موقف المدافع عن وجوده، بينما الخصوم يجمعون لها الجموع الحاشدة .. ثم آن للمظلوم أن ينتصر .. ولمن نصر

---

(١) كان الشريف غالب بن مساعد قد طلب من زعماء الدرعية إرسال عالم لمناظرة علماء مكة، فبعثوا إليه الشيخ عبد العزيز الحصين، الذى سبق له أن ذهب إلى مكة فى سفرة مماثلة عام ١١٨٥هـ، فى عهد الشريف أحمد بن سعيد، وحمل معه رساله إلى الشريف أحمد بن سعيد، أوردها ابن غنام، روضة الأفكار، ج١، ص١٢٣، وقد ناظر الشيخ الحصين علماء مكة فى ثلاث مسائل واحتكموا إلى الكتب والمراجع الفقهية، وأخيراً سلم علماء مكة بأنه ليست هناك مخالفة لأى أمر من أمور الدين. وانظر هامش عنوان المجد لابن بشر، ج١، ص١١٧، وابن غنام، المصدر السابق، ج٢، ص١٤٤،١٤٥.

(٢) ابن بشر، ج١، ص٢٦٣، وقيل: إنه وقعت اكثر من خمسين وقعة بين حكام الدرعية والشريف غالب، فى الفترة من عام ١٢٠٥-١٢٢٠هـ، ابن دحلان، خلاصة الكلام، ص٢٦٧،٢٦٨، وهامش ص١٥٣ من كتاب: أمراء مكة المكرمة فى العهد العثمانى، لاسماعيل حقى.

شرع الله أن ينصره الله، فثبت الله الأقدام .. وانقلب ميزان القوى، فتحول المدافع إلى مهاجم.

ومادمنا فى معرض تحسس بعض القضايا التى كانت تثار فى غمار السرد التاريخى من قبل المناوئين فى أى موقع كانوا، للنيل من الدعوة والدولة، واستعراض الشواهد التاريخية على مدى مصداقية ماكان يثار، أويردد من مغالطات ضدهما .. فإن هناك قضية لاتقل أهمية عما سبق طرحه، فلقد صوروا الدولة وقادتها وأنصارها الوهابيين[1] بأنهم ملكوا ماملكوه بالرهبة لابالرغبة، وأخضعوا فى سبيله الرقاب والعباد بسيفهم!. متناسين هذه الحوارت والمناظرات العلمية التى أشرنا إليها، وأن المعارضة حينما فشلت فى العثور على الأدلة الشرعية التى تؤيد بها رأيها، لجأت إلى القوى السياسية، التى تطور الموقف بدخولها إلى الميدان، وتحول النقاش العلمى المسالم، إلى خصومة وعداوة سياسية، احتكم فيها إلى السيف، وكان البادئ فى استعماله هم المعادون، وفرض القتال على الدولة .. كما سبق أن ذكرنا. فلما تحول المدافع إلى مهاجم ـــ وهذا حقه للدفاع عن كيانه ووجوده، ومن ثم إبلاغ دعوته، وتوطيد شرع الله ـ إدّعوا أنهم

---

[1] كان يحلو للمناوئين للدولة السعودية الأولى فى البداية إطلاق هذا المسمى بغرض التشنيع والتشويه لهم، لكنه أصبح فيما بعد مألوفاً، عندما عرف العالم الحقيقة، وأن مدلوله أناس متمسكون بأمور دينهم. لذا استعمله أنصارهم، واستعمله أيضاً بعض علمائهم ومؤرخيهم .. ونحن نتحدث عن الوقت المبكر من حياة الدعوة والدولة، والذى كان اللفظ قد أطلق فيه للتشنيع .. وامتلأت المصنفات المعادية للدولة السعودية الأولى بالكثير من المغالطات والافتراءات .. ولانعنى مؤلفاً بذاته .. وإنما الجميع فيه سواء، وإن تفاوتت درجة الحدة فى بعضها عن البعض الآخر.

ملكوا ماملكوه بالرهبة لابالرغبة .. وتناسوا أيضاً أن آثار الدعوة، وامتداد مؤثراتها إلى بعض المناطق والبلدان فى نجد، وفيما جاور نجد كان سابقاً لامتداد نفوذ الدولة، فبعض بلدان نجد دخلت فى الدعوة، وأعطت الطاعة والولاء للدولة قبل أن تشهر الدولة سيفها فى وجه خصومها[1] ونلحظ أن آثار الدعوة امتدت أيضاً إلى بعض المناطق المجاورة لنجد، قبل أن يمتد إليها نفوذ الدولة، وأقوى دليل على هذا هى منطقتنا المعنية بالدراسة، عسير وجازان، بل إن آثار الدعوة امتدت إلى معظم شبه الجزيرة العربية. وإلى خارجها، واصبح بها مناصرون ومؤيدون، دون أن تمتد إليها نفوذ الدولة أصلاً.

نلحظ ذلك فى استجابة بعض العلماء وتأييدهم للدعوة، وهم فى مناطق أخرى نائية من بلاد العرب، فمثلاً ممن أيدها وناصرها فى وقت مبكر ـ ولم يكن نفوذها قد شمل نجد بعدُ ـ العالم اليمنى الشيخ محمد بن اسماعيل الصنعانى، المتوفى عام ١١٨٢هـ[2] المعروف بالأمير الصنعانى، فرغم أنه كان يتولى منصب الوزارة، وقاضى القضاة فى عهد كل من الإمام المنصور، وابنه الإمام المهدى من أئمة اليمن[3] وكان له دور بارز

---

[1] د.العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، ص٨٩،٩٥، د.عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى، ج١، ص٦٣،١٦٢.

[2] ترجم له تلميذه الامام الشوكانى، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج٢، ص١٣٣، وابن بشر، عنوان المجد، ج١، ص١٠٦،١١٢.

[3] الامام المنصور الحسين بن القاسم، تولى الامامة عقب وفاة أبيه القاسم بن حسين بن القاسم بن المؤيد، عام ١١٤٠هـ، وتوفى عام ١١٦١هـ فتولى الامامه بعده ابنه الامام المهدى العباس بن الحسين حتى توفى عام--

فى تهدئة الأوضاع السياسية فى اليمن لصالح هذين الإمامين، ومع ذلك لم يمنعه منصبه من مناصرة الدعوة وتأييدها، عندما عرف حقيقتها، وأنها تدعو إلى العودة إلى ماكان عليه السلف، ولم ينخدع بافتراءات خصومها، كما أيدها تلميذه الإمام الشوكانى[1] كذلك أيدها من خارج شبه الجزيرة العربية المؤرخ المصرى عبد الرحمن الجبرتى، وتعاطف مع أنصارها فى كتاباته، وندد بتصرفات محمد على باشا ضدها[2] وغير هؤلاء كثيرون[3]

--١١٨٩هـ، فتولى بعده ابنه الامام المنصور على بن العباس، الذى دخلت الدعوة الاصلاحية، وامتد نفوذ الدولة السعودية فى عهده إلى بعض مناطق اليمن حتى جنوب الحديدة. وتوفى عام ١٢٢٤هـ، فتولى بعده ابنه الامام المتوكل أحمد بن على، الذى توطدت فى عهده السيادة السعودية على المناطق التى سبق السيطرة عليها فى تهامة اليمن وتجاوزت الفتوحات السعودية كلا من الحديدة وتعز وأشار صاحب نفح العود ص١٧٧، إلى دخول مخلاف حجة فى طاعة السعوديين، وفى ص١٩٤، عن وصول عمال من الدرعية يشرفون على خراج تهامة اليمن واتخذوا اللحية مقراً لهم، وفى الصفحات التالية لذلك استولت السرايا السعودية على المخا، وحيس، ودخل أهلهما فى الطاعة، ودخل صاحب كوكبان فى الدعوة وأعلن الطاعة، حتى قدمت إلى المنطقة القوات العثمانية المصرية بقيادة محمد على باشا. انظر المقتطف، للجرافى، ص٢٥٠-٢٦١، وتاريخ اليمن، للواسعى، ص٢٢٨-٢٣١.

(1) حيث رثى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقصيدة بليغة، عند وفاته عام ١٢٠٦هـ، وأشاد فى القصيدة نفسها بآل سعود وجهودهم فى نشر الدعوة، د.عبد الرحيم عبد الرحمن، المصدر السابق، ص٦١،٦٢، ومقدمة التحقيق لكتاب نفح العود، للشيخ محمد بن أحمد العقيلى، ص٤٥.

(2) وذلك فى كتابه "عجائب الآثار فى التراجم والأخبار" المشهور باسم، تاريخ الجبرتى، وقد استخلص الأستاذ محمد أديب غالب مايتعلق بأخبار الحجاز ونجد، من تاريخ الجبرتى، وجمعه فى كتاب بعنوان "من أخبار الحجاز ونجد فى تاريخ الجبرتى" طبعته دار اليمامة، عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م. ولد عبد الرحمن بن حسن الجبرتى عام ١١٦٧هـ (١٧٥٤م) وتوفى عام ١٢٤٠هـ تقريباً (١٨٢٥م).

(3) هناك العديد من الدراسات والبحوث تناولت موضوع انتشار، أو أثر الدعوة الاصلاحية فى العالم الاسلامى، من بينها كتاب "انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، خارج الجزيرة العربية" للأستاذ محمد كمال جمعه،--

ولسنا فى مجال الحصر أو الاحصاء، ولكن نستعرض الشواهد التى تعطى دلالة بأن الدعوة ونفوذ الدولة لم يمتد بالرهبة إلى المناطق التى امتدت إليها.. ومنطقتنا اكبر شاهد على هذا، كما سنوضحه فيما يلى.

الجنوب الغربى لنجد

أما فى منطقتنا المعنية بالدراسة ـ جازان وعسير ونجران ـ فإن موقف كل منهم كان مختلفاً إلى حد ما، بالنسبة إلى سرعة الاستجابة لمؤثرات الدعوة الاصلاحية، ومن ثم إلى الانضواء تحت ظلال الدولة الجديدة، وقد خضع هذا التفاوت فى الاستجابة لعدة اعتبارات من أهمها أن قيادة اليامين فى نجران اتخذت من البداية موقفاً عدائياً لظروف مختلفة، كما سبق أن أوضحنا جزءاً منه، ثم رضخت أخيراً، وأيضاً السلطة المركزية فى جازان (المخلاف السليمانى) التى خشيت من فقدان نفوذها فقاومت فى البداية ثم استسلمت، وأعلنت الطاعة فاستمر لها نفوذها. أما عسير فلم تكن فيها سلطة مركزية موحدة، لذا كانت استجابتها أسرع، ودورها ريادياً فى المنطقة.

ومن الملاحظ أنه فى بداية انتشار الدعوة، وعقب تردى الأوضاع الدينية والسياسية فى المنطقة، والتى سبق أن أتينا على ذكر بعض ملامحها

-- طبعته دارة الملك عبد العزيز بالرياض. وكتاب "أثر الدعوة الوهابية فى الحياة الاجتماعية والعمرانية" للشيخ محمد حامد الفقى، القاهرة عام ١٩٣٥م.

فى الفصل السابق لهذا، نرى أن مؤثرات الدعوة قد استحوذت على أفئدة ذوى الهمم من أبناء المنطقة، الذى ينشدون الاصلاح لمواطنهم وبلدانهم، التى استشرى الخلل فى أركانها، فاتجهوا إلى الدعوة، أملاً فى اصلاح أمور دينهم ودنياهم، لاسيما وانهم رأوها قد أصلحت من كانوا أمثالهم، وربما فاقوهم شططاً وفرقة، فجعلتهم قلباً واحداً، وأمة واحدة، فى دولة واحدة لم يعهدوا لها مثيلاً وسط شبه الجزيرة العربية منذ مئات القرون .. لذا حثوا مطاياهم الاسراع صوب الدرعية.

وباستقراء الأحداث عند نشأة الدولة السعودية الأولى[1] يلاحظ أنها اتخذت مبدأ السبق للدخول فى الدعوة والانضمام إلى الدولة كمعيار للأفضلية والحفاظ على الكيان والمكانة، بمعنى أنه إذا دخلت إحدى البلدان، فى الطاعة، وتقدم رئيسها جميع الأهالى لإعلان ولائهم، وما يستتبع ذلك من أمور شرعية، كاعطاء الزكاة، استمرت إمارته على بلدته، وأمدته الدولة بالعلماء والقضاة والمرشدين، طالما كانت البلدة بحاجة إليهم، وكذا أمدته بالمال والسلاح وغيره، فإن نقض العهد أُبعد عن الإمارة بأى أسلوب كان، وولت الدولة أميراً على البلدة غيره، فإن عاد تائباً أعادت إليه الدولة إمارته، أو ولّته إمارة أخرى، كما نلحظ أن هناك بعض الأمراء أو القواد الذين بادؤوا الدولة بالخصومة أو العداوة، ثم عادوا

---

[1] كل من تاريخى ابن غنام، وابن بشر ملئ بمثل تلك الوقائع التى تدلل على هذا المبدأ الذى سارت عليه الدولة السعودية الأولى، من حيث أفضلية السبق للدخول فى الدعوة وإعلان الولاء للدولة، وكذا بعض القواد الذى عادوها أولاً ثم ناصروها باخلاص شديد .. فنالوا مكانة مرموقة.

وأعطوا الولاء والطاعة في إخلاص شديد، فكانت لهم مكانة مرموقة لدى الدولة سواء في إمارة البلدان، أو قيادة الجيوش .. ومنه يتضح أن الدولة لم تكن موغلة في خصومتها، وأن التسامح كان مبدءاً أساسياً من مبادئها.

عسير وجازان

يغلب على الظن أن امتداد أثر الدعوة الاصلاحية إلى المنطقتين كان متزامناً، أو قريباً من ذلك. وإن كانت بعض الروايات تفيد بأن دعاة عسير كانوا أسبق[1] إذ قدم إلى الدرعية عام ١١٧٧م بعض أعيان عسير، ومن جملتهم محمد بن عامر الرفيدى، وأخوه عبد الوهاب، وطامى بن شعيب، وهم من آل المتحمى[2] وايضاً من آل الحفظى[3] على بن الحسين، وعبد القادر بن أحمد، وعبد الله بن عبد الرحمن، وسواهم، وذلك بغرض طلب العلم على يد علامة زمانه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وان بداية انضمام

---

[1] فيما يرويه الاستاذ محمود شاكر، نقلاً عن مذكرات جعفر الحفظى، حيث يقول إن وفد عسير إلى الدرعية كان عام ١١٧٧هـ، انظر: د.محمد بن عبد الله آل زلفة، دراسات من تاريخ عسير الحديث، ص١٨، ود.عبد الله ابن محمد بن حسين أبو داهش، عسير فى ظلال الدولة السعودية الأولى، ١٢١٥هـ-١٢٣٣هـ، ص١٤.

[2] المتاحمة من ربيعة رفيدة من عنز بن وائل.

[3] وآل الحفظى ينسبون إلى جدهم الأعلى أول من تلقب بالحفظى، وهو الشيخ أحمد بن عبد القادر الحفظى ابن بكرى، الذى يرتقى نسبه إلى جده الأعلى الشيخ موسى بن جعثم بن عجيل، الذى نزح من بلدته "بيت الفقيه" بضواحى الحديدة، فراراً من جور العثمانيين، أواخر القرن العاشر الهجرى، واستوطن بلاد رجال ألمع، وأخذ فى نشر العلم، فقصده طلاب العلم. انظر: هاشم بن سعيد النعمى، عسير، قبيلة وبلاداً، العرب، ج٣،٤ شوال ١٤١٢هـ/ أبريل ١٩٩٢. ص١٨١.

عسير كان عام ١١٧٩هـ. حينما وجه أمير الدرعية محمد بن سعود كتاباً مع محمد بن عامر وأخيه عبد الوهاب، إلى أعيان وعلماء عسير يدعوهم فيه للعودة إلى التمسك بما كان عليه السلف، ونبذ البدع التى تؤدى إلى الشرك.

غير أن هذه الوفادة لرجالات عسير إلى الدرعية لم يشر إليها كل من ابن غنام وابن بشر، وهما المعنيان بتسجيل وقائع الدولة السعودية إبان نشأتها، لكن عدم ذكرهما لها لاينفى وقوعها، وربما يكون وقوعها بعد التاريخ المذكور. أى بعد عام ١١٧٩هـ، لأنه فى هذا التاريخ لم تكن نجد قد توحدت بعدُ، فضلاً عن المناطق الجنوبية لنجد، كوادى الدواسر، وبيشة، وهى المجاورة لعسير شرقاً، والتى كان لها أثر فعال فى إقدام أهل عسير على وفادتهم هذه.

وفى بداية القرن الثالث الهجرى كانت قد توحدت مناطق نجد فى ظل الدولة السعودية الناشئة، ابتداء من حائل شمالاً حتى وادى الدواسر جنوباً، وتملكت الدولة زمام المبادأة بالنسبة لخصومها فى الشرق والغرب، حتى ضمت الأحساء عام ١٢٠٨هـ، وشهدت عالية نجد، والمنطقة الغربية تصعيداً للحرب خلال الفترة من عام ١٢٠٥هـ حتى عام ١٢١٢هـ[١] نظراً لأن الشريف غالب بن مساعد هاله أن يرى انضمام كثير من قبائل بادية الحجاز إلى طاعة الدرعية، مثل قحطان برئاسة هادى بن قرملة،

---

[١] ابن بشر، ج١، ص٢٠٧-٢٤٢.

وعتيبة تحت قيادة محمد بن حمود بن ربيعان، والبقوم، وسبيع وغيرهم، كما دخلت فى الطاعة بيشة وقراها[1] تحت قيادة سالم بن شكبان رئيس قبيلة شهران، وكذلك بلدان ، تربة، ورنية، والخرمة، لذا فزع الشريف غالب، وجمع جموعاً ضخمة إلى تلك البلدان، ولما بلغ الامام عبد العزيز بن محمد أمر هذا الحشد، سارع فى إرسال نجدة من بوادى نجد: مطير، والعجمان، وسبيع، والسهول، وعتيبة، ووادى الدواسر، تحت قيادة ربيع ابن زيد الدوسرى، رئيس المخاريم، وغيره من رؤساء تلك القبائل وأمرهم أن يسرعوا السير للانضمام إلى هادى بن قرملة رئيس قحطان، قرب الجمانية عند جبل النير بعالية نجد[2] بغرض التصدى لقوات الشريف .. ووقعت عدة معارك كانت أعظمها فى "الخرمة" التى مُنِيَ فيها جيش الشريف بهزيمة ساحقة، لم تقم له بعدها قائمة، كما يقول ابن بشر، لذا طلب الشريف الصلح من الامام عبد العزيز، وكان من شروطه السماح

---

(1) كانت بيشة من قديم تعد من أشهر أسواق بلاد العرب، لوقوعها فى ملتقى طرق القوافل بين الحجاز، ونجد، وعسير، واليمن، وهى تبعد عن مكة المكرمة مسافة خمسمائة كيلو تقريباً، فى الشرقى، وتشتمل على عدة قرى، منها: الروشن، والدحو، ونمران، وأبو الشوك، وواعر، والحيفة، والمبيدرة .. وكان سالم بن محمد بن شكبان، رئيس إحدى بطون قبيلة شهران، يقطن قرية الدحو، فلما دخل فى طاعة الدولة السعودية هو وقبيلته، ولاه الامام عبد العزيز بن محمد إمارة بيشة، فكان من أهل الصدق والبذل والعطاء، ابن بشر، ج١، هامش ص٢٨٦.

(2) كانت قبيلة قحطان تنزل آبار المسيل، على مسافة خمسين ميلا تقريباً من بلدة الدوادمى، وكانت تعد قبل ذلك من بوادى الحجاز، رئيسها: هادى بن قرملة. الذى وفد إلى الدرعية عام ١٢٠٢هـ وبايع الامام عبد العزيز على السمع والطاعة، فولاه أميراً على قحطان، وكان صادق العطاء، قتل فى معركة الجديدة عندما قدمت قوات محمد على باشا، ونزلت ينبع، فتولى الامارة بعده ابنه مبارك بن هادى، ثم أخوه محمد بن هادى، ابن بشر، ج١، ص١٦٠، ١٧٣، ١٧٩، ٢١٢-٢١٤.

لأهل نجد بأداء فريضة الحج[1] وكانت هذه الموقعة عام ١٢١٢، وشاعت السمعة الطيبة للدعوة والدولة، فشجع ذلك بعض قبائل بادية الحجاز للدخول فى طاعة الدولة السعودية، وتواجد بعض العلماء والدعاة السعوديين وعلى رأسهم الشيخ على والشيخ ابراهيم ابنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى موسم حج عام ١٢١٣هـ. وحلوسهم إلى غيرهم من حجاج المناطق الأخرى، والبلدان الاسلامية. فكان من آثاره إزالة الفكرة الخاطئة التى أشيعت حول الدولة والدعوة. وبدأ البعض يسمع بأذن واعية، وعقل منصف، حتىاطمأنوا إلى أنها الحق، فتحولوا إليها. وكان ممن تأثر بها من أهل الحجاز القائد عثمان بن عبد الرحمن المضايفى[2].

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٢٤١-٢٤٤، ويقول ابن بشر: إن الشريف دخل فى طاعة الامام عبد العزيز، لكن وقائع الأحداث تفيد بأن الصلح كان بغرض السلم، وايقاف الحرب لمدة ست سنين، والسماح لأهل نجد بأداء الفريضة. وقد نقض الشريف هذا الصلح بعد ثلاث سنين .. ونشبت الحروب بين الفريقين، حتى استولى السعوديون على الحجاز فى ٨محرم ١٢١٨هـ تحت قيادة سعود بن عبد العزيز قائد الجيوش السعودية فى عهد أبيه.

(٢) عثمان بن عبد الرحمن بن عون بن جمهور المضايفى، من قبيلة عدوان، العدنانية، كان يقطن ببلدته العبيلا، بين الطائف وتربة، وكان متزوجاً من أخت الشريف غالب، وأحد الذين عملوا على عقد الصلح بين الامام عبد العزيز، والشريف غالب عام ١٢١٢هـ عقب موقعة الخرمة، ولما نقض الشريف غالب الصلح فارقه عثمان وانطلق إلى الدرعية، وعاهد الامام عبد العزيز بن محمد، ووالاه فأصبح أشهر قواده فى الحجاز، وقد ولاه الامام عبد العزيز على كافة الحجاز عام ١٢١٨هـ، وعند قدوم جيش محمد على باشا إلى المنطقة تصدى له ضمن القواد السعوديين الآخرين، حتى أسر عام ١٢٢٨هـ، وارسل إلى استانبول فأعدم فيها، ابن بشر، ج١، ص٣٣٤،٣٣٥،٣٣٦، وهامشهم.

قد تكون هناك نوازع وإرهاصات في وقت مبكر، لدى بعض العلماء، وذوى الهمم من المصلحين، فى كل من عسير وحازان، وأنهم وجهوا أنظارهم إلى اكثر من مكان بحثاً عن مخرج، فلما ظهرت الدعوةالاصلاحية فى نجد تطاولت إليها أعناقهم، لاسيما وأن الاتجاه السلفي يتوافق مع مذهبهم الشافعى[1] غير أن التأثير الفعال، والتجاوب الحقيقى كان عقب موقعة "الخرمة" وماترتب عليها من آثار، لعل أهمها عقد صلح لمدة ست سنين، دفع الناس للتحرك فى أمان، ونشط الدعاة فى الحضر والبادية، حتى كان من نتيجته دخول كثير من القبائل الحجازية فى الدعوة، واعطت ولاءها للدولة السعودية، وكان هذا أحد مبررات الشريف غالب لنقضه الصلح بعد ثلاث سنين فقط.

وغالب الظن أن هذا التأثير قد بلغ مداه إلى عسير وحازان، وتوافق مع طموحات رجالاتها، ودفعهم للوفادة إلى الدرعية للارتباط بها .. ولا يقلل من شأنهم أن وفادتهم حدثت عام ١٢١٣هـ أو بعده، بدلاً من عام ١١٧٩هـ[2] فلهم فضل السبق، وميزة المبادأة والسعى للارتباط بالدولة، عن رضا وقناعة تامة، و لم ينتظروا حتى يؤتوا، ولذا حفظ لهم قادة الدولة

---

(١) د.عبد الله أبو داهش، المصدر السابق، ص١٤.

(٢) وهو العام الذى ورد فى مذكرات جعفر الحفظى، ونقله عنه الاستاذ محمود شاكر، وتناقله عنه غيره من المؤرخين.. ولعل من أولى المآخذ على هذه الرواية: إذا كانت عسير قد انضمت إلى الدولة السعودية عام ١١٧٩هـ، فلماذا لم يظهر لها أو لرجالاتها أثر فى الحروب حتى عام ١٢١٥هـ، مثل غيرهم من المناطق التى انضمت للدولة، كوادى الدواسر، وبيشة وغيرها؟!.

فضل سبقهم، وكانت لهم المكانة المرموقة، التي اثبتوا أنهم حقاً جديرون بها، بما بذلوه من إخلاص وتفانٍ في خدمة الدولة. وذلك بالعمل على نشر الدعوة في مواطنهم بجهودهم الذاتية، حتى انقاد للدعوة وطاعة الدولة معظم أهل عسير، والعديد من أهل جازان، قبل أن يمتد إلى المنطقة النفوذ الفعلي للدولة، بل إن ذلك النفوذ الفعلي للدولة لم يمتد إلا بناء على طلبهم، وتنفيذاً لرغبتهم، عندما شعروا بأنهم بحاجة إليه لمواجهة خصومهم.

وفد إلى الدرعية نفر من علماء وأمراء عسير، يتقدمهم محمد بن عامر الرفيدى وأخوه عبد الوهاب[1] عام ١٢١٣هـ ويقال انهما أقاما عاما كاملاً في الدرعية، وعند عودتهما حملهما الإمام عبد العزيز بن محمد كتاباً إلى أعيان وعلماء عسير يدعوهم فيه إلى اتباع الدين القويم، ونبذ الشرك، كما عهد الإمام بالامارة في عسير لمحمد بن عامر، وكان هو الأكبر سناً من أخيه عبد الوهاب[2] فما انتصف عام ١٢١٥هـ حتى دخل

---

[1] أطلق عليه ابن بشر ج١، ص٣٦٢ كنية "أبو نقطة" وتناقله عنه المؤرخون، بينما يقول الدكتور أبو داهش نقلاً عن العجيلي في "الظل الممدود، ص٢٣" أن هذه الكنية كانت تطلق على أخيه محمد بن عامر، وليست على عبد الوهاب، ونحن سنعتبرها من قبيل الأخطاء الشائعة كما يقول أهل اللغة على بعض الكلمات، ونطلقها أيضاً على عبد الوهاب، لأنه أصبح مشهوراً بها في التاريخ، كما يلاحظ أن العجيلي ذكر أن دخول أهل عسير في الدعوة كان عام ١٢١٣هـ فيما نقله عنه أيضاً الدكتور عبد الله أبو داهش، المصدر السابق، ص١٥،٢٢،٢٣.

[2] دكتورة ميّ العيسى، الحياة العلمية في نجد، منذ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى نهاية الدولة السعودية الأولى، ص١٨٢.

سائر أهل عسير فى طاعة الدولة السعودية[1] عن قناعة ورغبة صادقة، دون قهر أو إكراه ونشط علماء عسير فى نشر الدعوة فى مواطنهم حتى لم يعد بها معارض، وكان شأنها فى ذلك شأن بعض بلدان نجد التى سارعت بالدخول فى الدعوة وبذل الولاء والطاعة للدولة من الوهلة الأولى، وجندت قواها لخدمتها.

أما جازان فإن الداعية أحمد بن حسين الفلقى، من أهل "صبيا" كان قد ذهب لآداء فريضة الحج موسم ١٢١٣هـ، وقيل: موسم ١٢١٤هـ[2] والتقى باتباع الدعوة، وأعجب بما سمعه منهم عن مبادئها، فانطلق إلى الدرعية لمعرفة المزيد عنها، والاتصال مباشرة بقادة الدولة، فأقام فترة، وعند عودته عينه الإمام عبد العزيز بن محمد داعية فى بلاده، وأرسل معه رسالة إلى رؤساء المخلاف السليمانى وعلمائه، وكافة أهاليه، يحثهم فيها على التعاون مع الداعية الفلقى لنشر الدعوة الاصلاحية[3] أما الداعية عرار ابن شار، أمير بنى شعبة فانطلق إلى سالم بن شكبان أمير بيشة من قبل الدولة السعودية، وعاهده على الدخول فى طاعة الدولة، ومناصرة الدعوة، والعمل على نشرها بين قومه، بنى شعبة وأحلافهم وسواهم من

---

(١) د.ابو داهش، المصدر السابق، ص١٥.

(٢) د.العثيمين، تاريخ الدولة السعودية، ج١، ص١٣٩.

(٣) نص الرسالة منشورة فى كل من كتاب "نفح العود فى سيرة دولة الشريف حمود، للشيخ عبد الرحمن بن أحمد البهكلى، وتحقيق الشيخ محمد العقيلى، ص٦٨-٨٩، وكتاب "تاريخ المخلاف السليمانى، للشيخ محمد العقيلى، ج١، ص٤٤٠-٤٤٢.

أهل المخلاف[1]. كما سلك الطريق نفسه محمد بن دهمان، من بلحارث ببلاد بنى شهر، فولى إمارة بنى شهر وبنى عمرو، وكذا غيرهما من رؤساء القبائل فى عسير وجازان.

عاد الفلقى إلى صبياً بالكتاب، ثم سلمه لأميرها ناصر بن منصور الخيراتى، الذى يرتبط إداريا بسلطة ابن عمه على بن حيدر الخيراتى الأمير العام على المخلاف السليمانى، ومقره "أبو عريش" وبدأ الفلقى يدعو أهل صبيا، فاستجاب له البعض، ويبدو أنه شعر بتذمر من قبل الإدارة فى صبيا حيال مايفعله، خاصة وأنه لم يلمس أثراً طيباً للخطاب الذى سلمه، لذا فضل مغادرة صبيا إلى وادى بيش عند قبائل الجعافرة، الذين أفسحوا له صدورهم، وتجاوبوا مع مايدعو إليه، وفشت الدعوة فى المناطق المجاورة، وأثمر غرسه عن دعاة بعثهم إلى العديد من مناطق المخلاف، وعاهده الكثيرون على الدخول فى الدعوة، وبذلوا الطاعة والولاء للدولة السعودية، وخلع طاعة أميرهم، وبعث له بعض أهل صبيا يطلبون منه العودة للوقوف معه، لكنه آثر البقاء بوادى بيش لدى الجعافرة، وعندئذ شعر أمير صبيا بالخطر المحدق به، فأبلغ ابن عمه الأمير على بن حيدر أمير المخلاف، فطلب منه التريث[2] وفى الوقت نفسه كان عرار بن شار يمارس نشاطه الدعوى فى بنى شعبة، وفيما جاورها، وتبعه أناس،

---

[1] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٤٤، والبهكلى، نفح العود، ص١٠١.

[2] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٤٢، وأيضاً تعليقه فى ص٨٤ على كتاب "نفح العود".

وعارضه آخـرون، فرفـع الأمـر إلى الدرعيـة عـن طريـق ابـن شـكبان أمـير بيشـة، فجاءه الأمر بالـتريث مـع الاستمرار فـى نشـر الدعـوة بحكمـة.

وأمـر طبيعـى أن تجـد الدعـوة لهـا مناصرين، ومنـاوئين، فهـذا حالهــا فــى كافـة المنـاطق، لكنهـا فـى جـازان تختلــف إلى حــد مــا، فــالذين حملــوا عــبء الدعـوة مـن أهلهـا، والمنـاصرين لهـا دخلـوا برغبتهـم عـــن رضـــا وقناعـــة تامـــة، والمنـاوئين كـانوا هـم أصحـاب السـلطة الذيـن داخلهـم الوهـم بـأن امتـداد تلـك الدعوة إليهــم سينزع منهـم سـلطانهم ونفوذهـم، مثلهـم مثـل غـيرهم ممـن قـاوم الدعـوة والدولـة فـى بعـض المنـاطق، و لم يدركـوا أن الدولـة تُبْقـى ذوى السـلطة فـى سـلطتهم إن هـم أقبلـوا إليهـا مواليـن طـائعين، وهـو الأمـر الـذى أدركـوه مؤخـراً فحفظـت لهـم الدولـة نفوذهـم، ودعمتهـم عندئـذٍ. و لم يطـل بهـم الوقـت فـى مناوآتهـا، وانمـا حملـوا فضيلـة الرجـوع إلى الحـق بمجـرد معرفتـه، و لم يتمـادوا فـى البـاطل.

جـاء وقـت خـرص الثمـار، فبعـث أمـير المخـلاف عمالـه إلى مـزارع الجعافرة لعمـل الـلازم نحـو تسـلم مطلوبـات السـلطة مـن زكـاة النـاتج الزراعـى، فمنعهـم الجعـافرة[1] مـن مباشـرة عملهـم، فعـادوا أدراجهـم، وعندئـذ تـأكد للأمـير مخـالفتهم والخـروج عـن طاعتـه، فاسـتعد لمحـاربتهم. وجهـز جموعـه

---

[1] الجعافرة: حلف يضم عدداً من القبائل، انضوت تحت اسم القبيلة الرئيسية منهم "الجعافرة" تمتد مواطنهم من حربية إلى المقارية، وهم أهل الأثلة، وأهل قرية الحجرين، والطمحة، والشواجر، والمقارية، والسباعية، والحفاوية وغيرهم. انظر: نفح العود، هامش ص٩٠ من تعليق المحقق الشيخ العقيلى. والمتن ص٩٨.

وخرج من أبو عريش، وبعث إلى عمه الأمير حمود بن محمد للاشتراك في الحملة، التي أنتهت بهزيمة الجعافرة في موضع يسمى "الحجرين" غرب وادى صبيا[1] عام ١٢١٥هـ وبعد المعركة نشب خلاف بين الأمير علي ابن حيدر وعمه حمود على منصب الإمارة، انتهى بتنازل الأمير عنها لصالح عمه، الذى أراد أن يثبت مقدرته على التصدى للخارجين عن طاعتهم، دون أن يمعن النظر في أسباب هذا الخروج، بينما نلحظ أن بعض الأشراف من آل خيرات قد مالوا إلى الدعوة عندما عرفوا حقيقتها، مثل الشريف يحيى بن محمد، الأمير الأسبق للمخلاف[2] وأخوه الأمير ناصر بن محمد، أمير صبيا السابق قبل ابنه منصور، الذى كان أميرها وقت هذه الأحداث[3].

كان أنصار الدعوة في حاجة إلى تنسيق قبل معركة الحجرين، فلم تتح الفرصة لعرار بن شار الشعبي للاشتراك فيها بأتباعه، وعقبها انسحب الفلقي بأتباعه إلى وادى بيش، وسارع بابلاغ القيادة في الدرعية بالموقف، طالباً المساعدة بسرعة الدعم، فصدرت أوامر القيادة في الدرعية إلى حزام ابن عامر العجماني بسرعة التحرك إلى المخلاف (جازان) يقود ألفاً وخمسمائة جندى من العجمان وغيرهم، وكانت القيادة لحزام، فتوجه إلى

---

[1] العقيلي، المصدر السابق، ج١، ص٤٤٣، ونفح العود، ص٩٨،٩٩.

[2] تولى الإمارة فى المخلاف مرتين، أولاهما: فترة من عام ١١٩٢هـ، وثانيتهما: من منتصف عام ١١٩٣هـ حتى عام ١٢٠٥هـ، وكان هو الذى يتولاها قبل علي بن حيدر، الذى تنازل عنها لعمه حمود بن محمد.

[3] العقيلي، هامش نفح العود ص٧٨-٨٠، والمتن من الكتاب نفسه، ص١١٩،١٢٩،١٣٢.

درب بنى شعبة وصحب عرار بن شار معه على رأس مجموعة من بنى شعبة، وتقدموا ومن معهم إلى الجعافرة بوادى بيش لدعمهم ضد خصومهم وعسكروا فى الحجرين، وشعر أمير صبيا الأمير منصور بن ناصر بخطورة الموقف فيما لو حدث اشتباك بين الفريقين، فعمل جهوده فى الاتصال بعمه الأمير حمود أمير المخلاف وبغيره من أعيان المخلاف حتى تم تشكيل وفد لمقابلة حزام ومن معه والتباحث فى ايجاد حل سلمى، وتشكل الوفد من الأمير يحيى بن محمد الخيراتى، عن منطقة أبى عريش، والشيخ أحمد بن عبد الله الضمدى عن منطقة ضمد، والأمير منصور بن ناصر عن منطقة صبيا. وتم الاتفاق على الدخول فى الطاعة، وأعطوا العهد والبيعة للامام عبدالعزيز بن محمد، فأنابهم حزام كل على جهته مؤقتاً لحين صدور الموافقة النهائية من لدن الإمام عبدالعزيز فى الدرعية، وبذلك انتهت مهمة حزام دون قتال[1] فيما عدا بعض المناوشات اليسيرة خلال الطريق إلى بنى شعبة[2] وبهذا يمكن ان يقال إن المخلاف (جازان) دخل فى طاعة الدولة دون حرب، وأن الغالبية الغالبة من أهله بذلت الولاء عن رضا وقناعة تامة. وكان الوضع الادارى فى المخلاف (جازان) بعد هذا الاتفاق الذى عقده حزام مع وفد المصالحة عام ١٢١٥هـ كالآتى:-

---

[1] يلاحظ أن بعض المؤلفات التاريخية قد بالغت بشكل ملفت للنظر فى مهمة حزام العجمانى هذه، وصوروه على أنه اغتصب الأرض، وأكره أصحابها على غير مارغبوا، انظر: كتابنا "مطالعات فى المؤلفات التاريخية اليمنية" ص١٨-٢٥،٣٦،٣٧.

١- من وادى ضمد وجنوباً تحت سلطة الأمير حمود بن محمد.

٢- وادى صبيا تحت سلطة الأمير منصور بن ناصر بن محمد.

٣- من صبيا شمالاً وغرباً إلى بيش تحت سلطة الفلقى - ماعدا قرية الملحا فإنها تتبع صبيا.

٤- من بيش شمالاً إلى رجال ألمع تحت سلطة عرار بن شار[١].

ويبدو أن الأمير حمود لم يكن راضياً على هذا الاتفاق الذى قلص من سلطته، ولأنه لم يكن ضمن الأطراف التى أقرته ووقعته، فاعتبر نفسه فى حل منه، لذا بعث إلى الإمام المنصور على بن المهدى عباس[٢] طالباً نجدته، لكن الإمام لم ينجده. وخلال ذلك انتهز فرصة استعانة أهل "الملحا" به ضد الفلقى فبعث قوة حاربت الفلقى، ثم عرار بن شار الذى قدم لمناصرة الفلقى، وذلك أواخر عام ١٢١٦هـ[٣] وهَمَّ بمحاربة ابن أخيه أمير صبيا الشريف منصور بن ناصر على أساس أنه والى الدرعية، لكن بعض الأشراف تدخلوا وحالوا بين وقوع الحرب بينهما.

---

[٢] العقيلى، تاريخ المخلاف، ج١، ص٤٤٥،٤٤٦.

[١] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٤٧.

[٢] الامام المنصور على، تولى الامامة فى اليمن بعد وفاة أبيه فى ١٩رجب سنة١١٨٩، حتى وفاته فى ١٢٢٤هـ، وكان ضعيفاً، عارضه عمه، وخرجت عليه بعض القبائل، واستقلت بعض أطراف اليمن فى عهده، الواسعى، تاريخ اليمن، ص٢٣٠.

[٣] البهكلى، المصدر السابق، ص١١٢-١١٧.

علمت القيادة فى الدرعية بالموقف فأصدرت أوامرها باستنفار جميع قبائل عسير بما فيها شهران وقحطان وبنى شهر، وبنى عمرو، وغامد وزهران وغيرهما يقودها عبد الوهاب بن عامر المتحمى، المعروف بأبى نقطة[1] وأن ينضم إليه كل من منصور بن ناصر، أمير صبيا، والفلقى وعرار. بما لدى كل منهم من قوات، وتقدم هذا الحشد الذى تجاوز عشرين ألف مقاتل فعسكر بالقرب من "صبيا" فى ١٢/١٠/١٢١٧هـ، ثم تقدموا إلى أبى عريش فجر ١٥/١٠/١٢١٧هـ، ودارات رحى معركة عنيفة، انهزمت فيها قوات الأمير حمود، فسارع بطلب الأمان، والصلح، معلناً طاعته للدولة السعودية، فقبل منه عبد الوهاب بن عامر عهده وموالاته، واستشار كبار أصحابه فى استمرارية الأمير حمود فى الإمارة، فاستقر رأيهم أخيراً على إبقائه، بشرط القيام بمتطلبات الإمارة، من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومحاربة البدع، والعمل على نشر الدعوة فى المناطق الجنوبية بتهامة اليمن، والجهاد فى سبيل ذلك، ثم استدعاه ابن عامر، وأبلغه ذلك، وقال له: إن هذا مرهون بموافقة الامام عبد العزيز بن محمد. ثم رفع الأمر إلى الدرعية، فأتى الأمر بالموافقة، وعلى أن يخضع

---

(١) كان محمد بن عامر المتحمى، الذى عينته الدرعية أميراً على عسير، قد توفى أوائل عام ١٢١٧هـ، فأسندت القيادة فى الدرعية إمارة عسير إلى أخيه عبد الوهاب، وكانت كنية "أبو نقطة" تطلق على محمد، فلما مات أطلقت أيضاً على عبد الوهاب، واشتهر بها بين المؤرخين.

إدارياً لعبد الوهاب بن عامر، أمير عسير[1]. وبذلك دخل الأمير حمود في طاعة الدولة، ووظف جهده وسيفه لخدمتها.

لكن يلاحظ هنا أن تكليف الأمير حمود بالعمل على نشر الدعوة في أرض اليمن، بما يستلزمه ذلك من الدخول في حروب، والاستيلاء على أراض، إنما كان صادراً بادئ ذي بدء من القائد عبد الوهاب بن عامر، وربما يكون منشؤه من إقتراح أحد كبار قواده، خلال اجتماعه بهم لبحث تقلّد منصب الإمارة عقب معركة أبو عريش، لاسيما وأن البعض طالب باستبعاد حمود عن هذا المنصب بعد أن حدث منه ماحدث، وكان لديهم علم بالمكاتبات التي جرت بينه وبين إمام اليمن، طالباً نصرته، وسرعة نجدته[2] وذلك بهدف وضع حمود في موقف حرج، من حيث معاداته لإمام صنعاء حليف الأمس، ثم مدى مصداقيته في طاعة الدرعية، وولائه لحكامها، بما يلتزم به من تنفيذ أوامرها، وبالتالي فإن باب دخول الدرعية في منازعة مع أئمة اليمن كان موصداً حتى ذلك الوقت، بالرغم من أن بعض علماء الزيدية كانوا قد انتقدوا الدعوة الاصلاحية إبان انتشارها، و لم يهتم علماء الدعوة بانتقاداتهم، فكفاهم أن يثني عليها علماء السنة في صنعاء، كابن الأمير الصنعاني، والشوكاني[3].

---

[1] البهكلي، المصدر السابق، ص١٢٨-١٣٨.

[2] البهكلي، المصدر السابق، ص١٣٩، والعقيلي، المصدر السابق، ج١، ص٤٥٠.

[3] سبق أن أوضحنا موقف العالم الشيخ محمد بن اسماعيل الصنعاني، والشوكاني في ص٣٤ من هذا البحث، وانظر: د.عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المصدر السابق، ص١٦٠-١٦٢.

كمـا يلاحـظ أن أئمـة صنعـاء لم يهتمـوا بدخـول عسـير وجـازان (المخـلاف) فـي طاعـة الدولـة السـعودية، ولكـن اهتمـامهم ظهـر واضحـاً عندمـا تقدمـت الجيـوش السعودية بـالزحف جنوبـاً نحـو الحديـدة وغيرهـا مـن بلـدان تهامـة اليمـن ـ كمـا سنوضحه فيمـا بعـد ـ وهـذا يؤكـد ماسـبق أن أوضحنـاه، واستشـهدنا عليـه بوقـائع تاريخيـة عديـدة، مـن أن هـذه المنـاطق ـ جـازان وعسـير ونجـران ـ لم تكـن محسـوبة ولا معـدودة ضمـن أرض اليمـن، لاجغرافيـا، ولاسياسيـاً، خـلال المراحـل التاريخيـة السـابقة، ولاعـذر لمـن يتعلـل مـن المؤرخـين بضعـف الإمامـة الـذى دعاهـا إلى الصمـت حيـال هـذا الموقـف[1] وأحـرى بهـا ألا تصمـت لـو كـانت متـأكدة مـن أن لهـا حقـاً، أو نفـوذاً فـي المنطقـة، مثلمـا فعلـت فـي تهامـة اليمـن، فقـد خرجـت عـن حالـة الصمـت، بـالرغم مـن انهـا كـانت مـاتزال تعيـش حالـة الضعـف نفسـها، ومـا ذاك إلا لأنها تـرى أحقيتهـا واضحـة فـي أرض تهامـة اليمـن، كـالحديدة وغيرهـا.

ورأى آخـر بحاجـة إلى تنبيـه، أو إمعـان فكـر ونظـر، وهـو أن بعـض المؤرخين ـ مـن خـلال سـردهم لتلـك الأحـداث التـى نحـن بصددهـا ـ يخرجـون باسـتنتاجات، مـن بينهـا: أن نجـاح الدولـة السـعودية الأولى، فـي تشـكيل أعظـم قـوة عسـكرية، شـجعها علـى اقتحـام أرض اليمـن، وضمهـا إلى حـوزة

---

[1] من هؤلاء: الواسعى، المصدر السابق، ص٢٣٠، والبهكلى، نفح العود، ص١٣٩، ود.حسين عبد الله العمرى، مائة عام من تاريخ اليمن الحديث، ص١٣٠،١٣١، ود.عبد الرحيم عبد الرحمن، المصدر السابق، ص١٥٩،١٦٩.

أملاكها، نظراً لما كانت تتمتع به اليمن من أهمية اقتصادية[1] أى أن العامل الاقتصادى هو الأساس فى إقدامها نحو اليمن!!.

فحقيقة إن العامل الاقتصادى عنصر مهم لكل الدول، لاعتمادها عليه فى نموها، وضرورى لبناء قواها فى شتى المجالات، لكنه ليس أهم العناصر باطلاق، فالدولة الإسلامية فى عهد الفتوحات لم يكن العامل الاقتصادى هو الباعث الأول لحفز همتها لتلك الفتوحات، وإنما كانت هناك رسالة أهم بكثير من هذا العامل، تتمثل فى العمل على نشر الإسلام والجهاد فى سبيله، ومع تغير الأوضاع والظروف الدولية، فإن الوضع بالنسبة لحكام الدولة السعودية، أنهم تعاهدوا على مناصرة الدعوة الإصلاحية، وأوقفوا حياتهم على خدمتها، والعمل على نشرها، وهى دعوة دينية بحتة، تخدم الإسلام بالدرجة الأولى، وبالتالى فهى عامة وليست قاصرة على مجتمع نجد، أو وسط جزيرة العرب فحسب، وقد جاء توطيد ملكهم، ثم اتساعه، ثم رخاؤهم الاقتصادى بالتبع، دون تخطيط مسبق لكل ذلك. فحين عاداهم خصومهم فى نجد وما حولها شرقاً وغرباً، نصرهم الله عليهم، فتوطد ملكهم واتسع مداه، وامتلأت خزائن مالية الدولة فى الدرعية بالأموال دون تخطيط اقتصادى مسبق[2] فقد كانوا بسطاء فى تفكيرهم المادى، و لم يجمعوا الأموال لخزينة الدولة إلا بالطرق

---

[1] د.عبد الرحيم عبد الرحمن، المصدر السابق، ص١٥٧.

[2] انظر عن مالية الدولة السعودية فى عهد الامام عبد العزيز بن محمد، وابنه الامام سعود، ابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص٢٧٣-٢٧٥.

المشروعة. وفق تعاليم الشريعة الإسلامية، وكانوا ينفقونها أيضاً بالطرق المشروعة، ولم يستحوذ العامل الاقتصادى على أدنى جهد من تفكيرهم، الذى كان شاغله الشاغل هو العمل على نشر الدعوة الاصلاحية على أوسع نطاق بين المسلمين، دون الالتزام بالمعالم الجغرافية، والفواصل السياسية بين المسلمين فى بلاد العرب .. فلم تكن تلك الفواصل يومها قد حُددت ورُسمت بشكل دقيق كما هى فى وقتنا الحاضر.

ولهذا وافقوا على الفكرة التى رفعها إليهم فى مقرهم بالدرعية القائد عبد الوهاب بن عامر، بتكليف الأمير حمود بالعمل على نشر الدعوة باسمهم فيما جاوره من أرض تهامة الجنوبية، لاسيما وانهم شوافع، ولم يمعنوا النظر فى غنى هذه المنطقة أو فقرها، أو يفكروا فى العائد المالى والاقتصادى من وراء تنفيذ هذه العملية، أو ينتهزوا الضعف الذى كان يمر به الحكم، أو غير ذلك من تخمينات واستنتاجات غير دقيقة، لأن كل همهم كان هو نشر الدعوة الاصلاحية بين المسلمين كافة فى بلاد العرب، ولذا كانوا يعرضون على القبائل ورؤساء البلدان الدخول فى الدعوة، اقتضاء للمنهج التشريعى، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

والمثير للانتباه ويستحق إمعان النظر حقاً، هو أن المنطقة من جنوب "حرض" حتى مشارف "الحديدة" دخل أهلها فى الدعوة ــ حضر وبادية ــ واعلنوا الولاء للدرعية بطريقة سلمية، لم ترق فيها قطرة دماء، وخلال مدة يسيرة، وكأنها كانت فى انتظار الداعية، بالرغم من أن بها قبائل ذات شوكة وبأس ومنعة، كالواعظات، وعبس، والزرانيق وغيرهما.

بعد أن تأكد الأمير حمود من استمرار ولايته على "أبو عريش" بوصول الموافقة من الدرعية، أراد أن يؤكد إخلاصه وولاءه لها، فجهز ابن أخيه الأمير على بن حيدر ـ الوالى السابق للمخلاف ـ بسرية صغيرة قوامها ثلاثون فارساً، وأمره بالتوجه جنوباً لدعوة القبائل ورؤساء البلدان للدخول فى الدعوة، وإعطاء الولاء. وكانت حرض وما حولها حتى جنوب الواعطات تابعة قبل ذلك للمخلاف، تبعية إدارية وسياسية.

ولنا أن ننظر إلى مايرويه البهكلى، وهو معاصر لتلك الأحداث، وشاهد عيان لها:

انطلق الشريف على بن حيدر إلى حرض فى ذى القعدة ١٢١٧هـ، وكتب إلى بنى مروان، وهم من أعتى القبائل بالمنطقة فى ذلك التاريخ، يدعوهم إلى الدخول فى الدعوة والطاعة، فاستجابوا، وصحبه جماعة منهم، ثم نزل بلاد بنى حسن ودعاهم فأقبلوا طائعين، وصحبه جماعة منهم، ثم توجه إلى بلاد عبس، فبذلوا له الطاعة عقب أن دعاهم، ثم توجه إلى الواعظات، وكما يقول البهكلى: هى آخر البلدان التى حكم ولايتها أشراف أبى عريش، فأما ماوراءها إلى اليمن (أى جنوبها)، فولايتها إلى أعمال "اللحية" و"الزيدية" تحت خليفة صنعاء[1] ذاك الوقت. وهذا كلام واضح فى أن مابعد الواعظات جنوباً هو تابع للمخلاف تبعية إدارية وسياسية.

---

[1] انظر فيما سبق "نفح العود .." ص١٤٦،١٤٧، والعقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٥٣.

ويبدو أن التعليمات التى كان يحملها قائد تلك السرية، الأمير على ابن حيدر، هى أن يبعث الدعاة فى مقدمته، تحمل كتباً منه إلى القبائل ورؤساء البلدان التى يزمع التوجه إليها، تدعوهم للدخول فى الدعوة، وإعطاء الطاعة، وذلك بمجرد خروجه من "أبو عريش" ونلحظ أنه خلال وجوده فى الواعظات بعث الرسل بكتب إلى أهل "الزعلية" وأهل "صليل" فأقبل وفد من مشايخهم ورؤسائهم، تعلن الدخول فى الدعوة وتعطى الولاء، وكذلك الزيدية، والجرابح، وكتب إلى عامل بلدة "مور" من قبل إمام صنعاء، وكتاباً آخر إلى زعماء أهلها، فقدم إليه هؤلاء الزعماء والمشايخ فى الواعظات، معلنين طاعتهم والدخول فى الدعوة، أما العامل فترك مور وذهب إلى "اللحية" وكانت مور تتبع اللحية إدارياً. عندئذ تحرك ابن حيدر ودخل مور، ومنها كتب إلى عامل اللحية، وكان عاملها هو صالح بن عبد الملك العُلفى[1] فتردد فى أمره بين المقاومة، أو تسليم البلدة، ثم داخله الفزع عندما بلغه أن بعض السفن التابعة للسعوديين دخلت ميناء اللحية[2] فترك اللحية هارباً إلى الحديدة. فدخلها ابن حيدر فى أول ذو

---

(1) كان هو وأمير الحديدة صالح بن يحيى العلفى، أبناء عمومة، وهما أيضاً أبناء عمومة وزير الامام المنصور، الحسن ابن الحسن بن عثمان العلفى، الأموى، القرشى، الذى كانت له مكانة فى عهد الامام المنصور.

(2) كانت بعض السفن قد خرجت من ميناء "الشقيق" بالمنطقة التابعة لادارة عرار بن شار الشعبى، وهى سفن صغيرة، حملت بعض الرجال لأعمال الاغارة على الموانئ الساحلية لليمن، وربما لبث الرعب فى النفوس ولاثبات أن منطقة عرار بن شار لها أيضاً مشاركات، وإلا فلم يكن هناك تنسيق بين حمود، وعرار، كما أن تلك السفن لم تكن مهيأة بالمدافع والأسلحة الكافية للدخول فى معركة بحرية .. المهم أنها أحدثت الرعب فعلاً فى روع أمير اللحية، فخرج هارباً، انظر: هامش ص١٤٨ من "نفح العود" تعليق الشيخ العقيلى.

الحجة سنة ١٢١٧هـ، واقبل إليه أهلها معلنين الطاعة، والدخول في الدعوة، ومن اللحية بعث إلى أمير الحديدة يطلب منه الدخول في الدعوة، وبذل الطاعة، لكن هذا كاتب إمام صنعاء طالباً النجدة، فجاءته الاجابة بالمقاومة لحين وصول الغوث والدعم، وبدأ يجمع قواته للتصدى لابن حيدر، وبهذا تعتبر الحديدة أول بلدة قاومت، المهم أن ابن حيدر خلال إقامته في اللحية كان قد بعث كتباً إلى بعض القبائل والبلدان الواقعة بين اللحية والحديدة، فوصله عَهْدُ من على بن حميدة شيخ قبيلة القحرى، ويرأس بعض بطون باجل، كما وصله عَهْدُ من عبد البارى بن الأهدل، رئيس بلدة المراوعة، وهى من توابع بيت الفقيه[1] وكان الدعاة يتقدمونه لدعوة الناس للدخول في الدعوة الاصلاحية، فاستجاب لهم كثيرون من أهل تهامة اليمن وبعض أهل الجبال، حتى ان أعراب "ريمة" قبلوا الدعوة، ودخلوا فيها، وبدأوا يتعرضون للذاهب من الحديدة إلى صنعاء، أو العائد منها، ممن لم يدخل في الدعوة، وخشى الناس سلوك الطريق الذى يمر عليهم فتجنبوا المرور فيه[2].

ويتضح مما سبق أنه خلال شهر واحد (ذو القعدة ١٢١٧هـ) شملت الدعوة، وامتد نفوذ الدولة السعودية إلى كل من: الزيدية، واللحية، ومور، وبوادى بيت الفقيه، ومشارف الحديدة، وإلى بعض القبائل بالجبال، بالرغم من أن السرية التى قادها الشريف على بن حيدر كانت محدودة

---

[1] انظر: فيما سبق نفح العود للبهكلى، ص١٤٦-١٥١، والعقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٥٣،٤٥٤.

[2] البهكلى، المصدر السابق، ص١٥٣.

للغاية، ولايمكن أن توصف بكونها جيشاً جراراً، يبعث الرهبة في نفوس الناس، ويرغمهم على قبول الدعوة، وبذل الطاعة عن رهبة. وكما يقول البهكلي: انقاد الناس للدعوة، والدخول في الطاعة، وإعطاء الولاء، دون طعنة ولاضربة[1] ولذا يمكن أن توصف هذه السرية بأنها سرية سِلْم، لاسرية حرب. ويبدو أنه لسهولة مهمتها فيما وصلت إليه من تحقيق المطلوب دون إراقة دماء، أن تشجع الأمير علي بن حيدر في تكليف أخيه يحيى بن حيدر بقيادة قوة يسيرة من الفرسان للاستيلاء على الحديدة،عندما تأخر عليه جواب عاملها ابن العلفي، ظناً منه أنها ستبذل الطاعة كغيرها، ولايدري أن ذلك العامل يعد عدته لأية مواجهة، ولذا كانت الدائرة على الشريف يحيى وفرسانه، فقد ووجهوا بقوات ضخمة، لذا عادوا إلى مور، التي اتخذها الأمير علي بن حيدر مقراً له. وولى على اللحية كلاً من حسن النعمي، ومحمد بن قيراط[2].

وصلت أخبار تلك السرية التي قادها الأمير علي بن حيدر إلى أسماع قبائل المخلاف وعسير وماجاورهما، فسعدوا بها، وحفزهم للمشاركة في هذا الميدان، لاسيما وقد بلغهم خبر هزيمة مجموعة الفرسان الذين قادهم الأمير يحيى بن حيدر في مواجهة عامل الحديدة، فخفت إلى المنطقة سرايا من قحطان، والدواسر، والعجمان، وشهران، إلى الأمير حمود يطلبون منه المشاركة في غزو تهامة اليمن، وذلك في أوائل محرم

---

(1) البهكلي، المصدر السابق، ص١٥١.

(2) البهكلي، المصدر السابق، ص١٥٠، ١٥١، والعقيلي، المصدر السابق، ج١، ص٤٥٤.

١٢١٨هـ (١٨٠٣م) فقادهم بنفسه مع من انضم إليه من قبائل عسير والمخلاف، واتجه صوب الحديدة، غير أن عاملها كان مستعداً أكثر هذه المرة فحدثت بعض المعارك بينهم، أصيب في إحداها الشريف حمود بمسمار قذيفة في صفحة عنقه، فشفي بعدها، لكنها تركت فيه أثراً، ولذا أطلق عليه منذ ذلك الوقت "حمود أبو مسمار" المهم أنه لم يستطع الاستيلاء على الحديدة، وتراجع عنها عائداً عن طريق الساحل إلى "غلافقة" ثم "المجيلس" حتى بلغ "التحيتا" من قرى زبيد، ومنها إلى أبو عريش، وخلال مسيره في عودته كان يأتيه رؤساء البلدان والقبائل لتأكيد ولائهم وطاعتهم، وعلى كل فقد امتد نفوذ الدولة أوائل عام ١٢١٨هـ إلى مشارف الحديدة، وبوادي بيت الفقيه.غير أنه مما كان يؤرق خاطر حمود هو ارتباطه بالقائد عبد الوهاب بن عامر أمير عسير، فهو غير راض عن رئاسته له من البداية، وحملها في نفسه للظروف التي وقعت عقب معركة أبو عريش، فهو يعتد بنفسه لكفاءته، ويعتز بنسبه، وقد كان أميراً على المخلاف كافة، فاقتُطع منه جزء يديره عرار بن شار، وجزء آخر (صبيا وما يتبعها) يديره ابن أخيه منصور بن ناصر. بينما عبد الوهاب ابن عامر، لم يترأس قبل دخوله في الدعوة إلا على قبيلته وما بحوزتها من بلدان عسير، وأن سبقه للدخول في الدعوة هو الذي أعطاه ميزة الرئاسة في عسير، ثم إن الظروف هي التي جعلت نفوذه يمتد إلى المخلاف، والآن وقد أثبت حمود إخلاصه للقيادة في الدرعية، وجهاده في ضم كثير من بلدان تهامة اليمن إلى حوزة الدولة، لذا فهو يطمح في أن تعيد القيادة

نظرتها إليه، وتحقق أمله في انفصاله عن عبد الوهاب بن عامر، وتجعل صلته بها مباشرة دون وسيط[1].

وما أن استقر في أبو عريش بعد حملته هذه حتى تواترت الأخبار باستشهاد الإمام عبد العزيز بن محمد، وهو يؤدى صلاة العصر بمسجد الطريف بالدرعية، في العشر الأواخر من شهر رجب ١٢١٨هـ. على يد رجل مشعوذ من أهل العمادية بالقرب من الموصل بالعراق[2] وانطلقت الوفود من كافة المناطق إلى الدرعية للتعزية، وتأكيد العهد والولاء لابنه الامام سعود بن عبد العزيز، المعروف بـ (سعود الكبير) فانتهزها حمود فرصة واستدعى ابن أخيه منصور بن ناصر أمير صبيا، وتبادل معه الرأى، الذى استقر على ارسال وفد للدرعية بغرض التعزية وتأكيد العهد والولاء للامام سعود، ومن ثم السعى في المطالبة بالانفصال عن رئاسة عبد الوهاب بن عامر أمير عسير، وتشكل الوفد من الشيخ حسن بن خالد الحازمى، وابن أخيه أحمد بن حيدر، ومعهما ناصر بن منصور أمير صبيا، ليتكلم عن نفسه، والآخران نيابة عن حمود، والجميع يسعون في فصل المخلاف عن عسير. وقد نجح الوفد في مهمته في الانفصال عن رئاسة عبد الوهاب، وأصبح اتصالهما مباشراً بالقيادة في الدرعية[3] إلا إذا حدث

---

[1] البهكلى، المصدر السابق، ص١٥٦-١٦٥، والعقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٥٤،٤٥٥.

[2] ابن بشر، ج١، ص٢٦٤، والبهكلى، المصدر السابق، ص١٦٥-١٦٧.

[3] البهكلى، المصدر السابق، ص١٦٧-١٦٩، والعقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٥٥،٤٥٦.

استنفار عام، فإن ناصر بن منصور يخضع لرئاسة عبد الوهاب أبو نقطة خلال ذلك الاستنفار، وكذلك عرار بن شار.

ولما علم أبو نقطه بما سعى إليه حمود وابن أخيه، ونجاحهما في مسعاهما، حملها في نفسه، وظل يتتبع مايصدر عنهما من تقصير، ليرفعها إلى الدرعية، وزادت الوحشة بينهما، ووجد الوشاة جواً خصباً لنشر سمومهم، وآذاناً من الطرفين تسمع وتنفعل، حتى كادت تقع المواجهة بالسلاح بينهما، لولا تدخل القيادة في الدرعية التي سارعت بارسال وفد لتقصى الوضع، ومعرفة الحقيقة، في محاولة لتهدئة حدة التنافس بين قادة المنطقة، عبد الوهاب، وحمود، وعرار[1] وكان من نتيجة تدخل القيادة في الدرعية أن خمدت حدة النزاع بين هؤلاء القادة لكن إلى حين.

المهم أن جبهة حمود هي التي كان موكل إليها العمل في الجنوب بتهامة اليمن بتكليف من قبل القيادة العامة في الدرعية، أما القواد الآخرون فيشاركون كمساندين لها، أو يشاركون في ميادين أخر كالحجاز مثلاً، ويهمنا إلقاء الضوء على هذه الجبهة الجنوبية لأن لها علاقة بما نحن بصدده تاريخياً.

بدأ الامام المنصور يدرك خطورة الوضع، بسبب خروج بلدان تهامة اليمن، فيما هو جنوب الواعظات وحرض حتى مشارف الحديدة،

---

(1) انظر: دواعي هذا التنافس، أو بالأصح الخلافات في العقيلي، المصدر السابق، ج١، ص٤٥٧-٤٦٠، والبهكلي، ص١٦٥،١٦٩،١٧٠،١٩٣،١٩٤.

وبيت الفقيه، ونتيجة لما كان يرفعه إليه عامل كل من الحديدة وبيت الفقيه من سرعة التحرك، قام بامدادهما بالرجال والعتاد، للتصدى لهذا الزحف الذى يهددهما، ومما زاد من قلق إمام صنعاء أن النفوذ السعودى بدأ يمتد أيضاً إلى اليمن الأعلى بالجبال، فمخلاف "حجة" المجاور لكوكبان، والمشهور بزراعة البن، والذى يبعد عن صنعاء مسافة ١٢٧ كيلو متر، فى الشمال الغربى، وبه دفن الامام أحمد بن يحيى المرتضى، وحفيده الامام شرف الدين، أقبل وفد من مشايخه وأعيانه إلى الشريف حمود ليعلنوا الطاعة والولاء للدولة السعودية، والدخول فى الدعوة، فبعث معهم عاملاً وداعياً أوائل عام ١٢١٩هـ[1] وذلك بالاضافة إلى امتداد الدعوة إلى أعراب "ريمة" بالجبال، فى الشمال الشرقى من الحديدة. لذا سارع الامام المنصور بتزويد عامل الحديده صالح بن يحيى العلفى، بالرجال والعتاد مما مكنه من استعادة قلعة الزيدية[2]، ولما علم الشريف حمود بعث سرية من الفرسان يقودها على بن حيدر، لكنها لم تستطع استخلاصها فعادت أدراجها إلى مور، فشجع ذلك عامل الحديدة على التقدم نحو اللحية لاستعادتها هى الأخرى فى بداية عام ١٢١٩هـ.

وعلم حمود بتحركات العلفى فجمع جموعه، وتحرك فى ٩صفر ١٢١٩هـ، والتقى بالعلفى عند مكان يسمى "دير على" وكانت بينهما

---

[1] البهكلى، المصدر السابق، ص١٧٧.

[2] تبعد الزيدية عن الحديدة مسافة ٦٢ كيلومتر، فى الشمال الشرقى، بالقرب من وادى سرور، المقحفى، ابراهيم أحمد، معجم المدن والقبائل اليمنية، ص١٩٤.

وقعة مهولة، منى فيها العلفى بالهزيمة، ثم تصالحا على عقد هدنة لمدة عام، على أن يسلم أمير الحديدة: الزيدية وما وراءها إلى حدود سهام وشمال الحديدة للشريف حمود، ويقتصر نفوذ العلفى على الحديدة، وما وراءها جنوباً[١] ثم بعث إمام صنعاء جيشاً أواسط عام ١٢٢٠هـ، إلى حجة فاستعادها[٢] وكانت معركة "باجل" من أشد المعارك التى وقعت ذلك العام بين حمود وعامل الحديدة صالح العلفى وانتهت بتوقيع صلح لمدة عام آخر، وتأكيد نفوذ كل منهما على المناطق التى سبق تحديدها فى الصلح السابق، وقد استخدم حمود فى هذه المعركة جنداً من بكيل، واستخدم العلفى جنداً من يام، الذين حصلوا منه على أموال عديدة، وعادوا إلى نجران، مما كان سبباً فى وقوع خلاف بينه وبين قيادته فى صنعاء، وجعله فى النهاية يخلع طاعتهم، وينضم إلى طاعة القيادة فى الدرعية، تحت تأثير مكاتبات وصلته من الشريف غالب عندما وقع صلحاً مع الامام سعود عام ١٢٢١هـ، ودخل فى طاعته، يحثه الشريف غالب على الدخول أيضاً فى طاعة الامام سعود، وكذلك مكاتبات من القائد عبد الوهاب بن عامر، وبذلك أصبح العلفى رجل عبد الوهاب، المنافس لحمود فى المنطقة[٣].

---

(١) البهكلى، المصدر السابق، ص١٧٠-١٧٥.

(٢) البهكلى، المصدر السابق، ص١٧٨،١٨٥.

(٣) البهكلى، المصدر السابق، ص٢٠٣-٢١٠، والعقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٦٣،٤٦٤.

ونتيجة لذلك دخلت المنطقة التى كان يحكمها صالح العلفى فى حوزة الدولة السعودية، وهى الحديدة، وبيت الفقيه، غير أن إمام صنعاء تصرف بسرعة فبعث قوة انضم إليها جنوده الموالين له فى كل من المخا والحديدة، فاستولوا على الحديدة، وقبضوا على أولاد العلفى، ونهبوا أمواله، وكان هو فى ذاك الوقت فى بيت الفقيه، فاستنجد بعبد الوهاب أبو نقطة لانقاذ أولاده، وكان عبد الوهاب مشغولاً بحرب نجران وقتها، فبعث حمود قوات إلى الحديدة استولت عليها، وانقذت أبناء العلفى، كما بعث قوات عن طريق البحر لمساعدة صالح فى بيت الفقيه فيما لو قدمت قوات الامام إليها، وفى الوقت نفسه كانت قد وصلت إليه قوات لمساعدته من طرف عبد الوهاب بن عامر[1].

وفى أواسط عام ١٢٢٣هـ وصلت الخلافات بين حمود وعبد الوهاب بن عامر أبو نقطة إلى طريق مسدود، بالرغم من محاولات القيادة فى الدرعية تصفية تلك الخلافات أكثر من مرة، ولإحساس حمود بأن عبد الوهاب له الحظوة لدى الدرعية أكثر منه، وربما يكون ذلك لكثرة الشكايات التى تصلها فى حقه[2] لذا بادر باظهار الخلاف، والعمل على

---

[1] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٦٣-٤٦٦، البهكلى، المصدر السابق، ص٢٠٥-٢٠٩،٢١٧-٢٢٢. وعبد الله بن مسفر، السراج المنير، ص٥١،٥٢.

[2] ففضلا عن عبد الوهاب أبو نقطة، فقد شكاه إلى الامام سعود كل من الشريف حيدر، والشريف منصور بن ناصر، إبنى أخيه، البهكلى، ص٢٣٧-٢٤١، ود.عبد الرحيم، المصدر السابق، ص١٧٨-١٨١، والعقيلى، ج١، ص٤٦٨،٤٧١.

استقلاله بالمنطقة فيما بين أبو عريش حتى جنوب الحديدة[1] ووصلت تلك الأخبار إلى الدرعية فأصدرت القيادة العليا في الدرعية تعليماتها إلى عبد الوهاب أبو نقطة بالعمل على إخضاع حمود بالاستعانة بقبائل عسير وماجاورها، فاستعد كل منهما للآخر، ثم التقيا في وادي بيش في معركة رهيبة يوم ١٢٢٤/٦/٢٨هـ، أسفرت عن هزيمة حمود، ومقتل عبد الوهاب بن عامر الرفيدي[2] فتولى إمارة عسير بعده ابن عمه طامي بن شعيب، بناء على تعليمات القيادة في الدرعية.

وبعد ذلك أصبحت المنطقة التي بحوزة حمود، وهي من أبو عريش جنوباً حتى الحديدة مسرحاً للعمليات والغارات من قبل القواد السعوديين في المنطقة حتى عام ١٢٢٥هـ، فقد تكررت غزوات كل من عثمان المضايفي، وطامي بن شعيب، وعرار بن شار، ومحمد بن أحمد المتحمي، وغيرهم، ووصلت غزواتهم إلى اللحية والحديدة وغيرهما من بلدان حتى استولوا على الحديدة[3]، وكانوا يستعملون في بعض تلك الغزوات السفن التي تحمل جنوداً للمساندة البحرية، تنطلق من ميناء الشقيق إلى ميناء

---

[1] ويقال إن مما شجعه على اتخاذ موقف انفصالي عن القيادة في الدرعية، أنه كان يتصل سراً بالشريف غالب بن مساعد وعلم منه أن الدولة العثمانية كلفت والي مصر محمد علي باشا بالذهاب إلى الحجاز لمحاربة الدولة السعودية، وأنه يستعد لذلك. فشجع ذلك حمود على التمرد، نفح العود، هامش ص٢٣٩. دراسة وتحقيق الشيخ محمد بن أحمد العقيلي.

[2] البهكلي، المصدر السابق، ص٢٥٣-٢٥٥، والعقيلي، المصدر السابق، ص٤٦٨،٤٦٩، وابن بشر، ج١، ص٣٠٢-٣٠٤، ود. عبد الرحيم، المصدر السابق، ص١٨٢-١٨٤.

[3] ابن بشر، ج١، ص٣١٢. وعبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص٦٤.

اللحيـة، أو الحديـدة. ثـم انشـغلت القيـادة فـى الدرعيـة، وهـؤلاء القـواد أيضـاً بالتصدى لقـوات محمـد علـى باشـا التـى قدمـت إلى الحجـاز عـام ١٢٢٦هـ[(١)].

وممـا يلاحـظ علـى المنطقـة بصفـة عامـة، خـلال هـذه الفـترة التـى استعرضنا وقائعهـا:

١- أصبحـت العقيـدة السـلفية، بمـا تحملـه مـن مبـادئ واصلاحـات لأمـور الديـن والدنيـا، تحتـل المكانـة الأولى فـى قلـوب أبنـاء كـل مـن منطقـة عسـير والمخـلاف (جـازان) بمـن فيهـم سـراة القـوم وعـامتهم علـى حـد سـواء، وتخلصـوا مـن البـدع والخرافـات، وأسـاليب الطـرق الصوفيـة التـى كـانت شـائعة فـى المنطقـة، ولأن العلمـاء كـانوا قـد ملّـوا واقعهـم الدينـى المشـوب بالخرافـات، الـذى كـانوا يعيشـونه قبـل الدعـوة فقـد وجـدوا فـى أنفسـهم دافعـاً قويـاً لمنـاصرة الدعـوة، وشمـروا عـن سـواعدهم لنشـر مبادئهـا، وتـولى أعمـال التدريـس، والقضـاء، والافتـاء، دون الاسـتعانة بعلمـاء مـن خـارج المنطقـة فـى هـذا المجـال، ممـا دفـع القيـادة فـى الدرعيـة إلى الوثـوق بهـم، فجعلـت أحـد علمـائهم رئيسـاً للقضـاة فـى عسـير، وهـو الشـيخ أحمـد الحفظـى، وفـى جـازان الشـيخ حسـن بـن خـالد الحـازمى[(٢)] ونظـراً للقناعـة الذاتيـة لـدى أبنـاء المنطقـة فـى مصداقيـة

---

(١) د.أبو داهش، المصدر السابق، ص١٤.

(٢) ابن بشر، ج١، ص٣٦٤.

الدعـوة، فقـد كـان ولاؤهـم لحكـام الدرعيـة خالصـاً وصادقـاً، وارتبـاطهم بهـم مصيريـاً فـى الشـدة والرخـاء، بدليـل مشـاركتهم لهـم فـى تصديهـم لقـوات محمـد علـى باشـا، ثـم تصديهـم لتلـك القـوات خـلال غزوهـا للمنطقـة، بشـجاعة واسـتماتة تسـتلفت الأنظـار، وأن قنـاعتهم لمصداقيـة الدعـوة، ووفـاءهم لروّادهـا وأصحابهـا لم ينتـه بـزوال النفـوذ السياسـى فـى الدرعيـة عـام ١٢٣٤هـ بـل استمر وتواصـل مـع حكـام الدولـة السـعودية فـى مرحلتها الثانيـة، ثـم الثالثـة بعـد ذلـك.

٢- قـام أبنـاء المنطقـة، وعلماؤهـا بـدور الدعـاة والمرشـدين، لنشـر الدعـوة فـى معظـم أرجـاء أرض اليمـن فـى الحواضـر والباديـة، مسـتغلين صلاتهـم السـابقة بهـم، ومعرفتهـم بمواطنهـم، ووضعهـم الاجتمـاعى، واتجاهـاتهم الفكريـة، مما كـان لـه أثـر بـالغ فـى اندفـاع العديـد مـن بلـدان تهامـة اليمـن وقبائلهـا إلى قبـول الدعـوة واعـلان الـولاء والطاعـة، حـال وصـول الدعـاة إليهـم بشـكل رسمـى برفقـة سـرية الشـريف علـى بـن حيـدر، التـى سـبق أن أشـرنا إليهـا[١] وأن أثـر الدعـوة امتـد عـن طريقهـم إلى مشـارف صنعـاء، فـى حجـة وكوكبـان[٢] وكـان عـامل صعـدة محمـد بـن علـى القـاسمى قـد مـال

---

[١] انظر ص١٠٤-١٠٦ من هذا البحث.

[٢] كوكبان من أشهر جبال اليمن، وهى منطقة تبعد عن صنعاء مسافة أربع ساعات سيراً على الأقدام، وكان عامل صنعاء بها هو السيد/شرف الدين بن أحمد، ولما أراد الدخول فى الدعوة، وإعلان الولاء للدرعية، طلب من--

قلبه إلى الدعوة، وأرخى حبل المودة لحكام الدرعية، حتى أنه توسط في الخلافات بينهم وبين الشريف حمود عام ١٢٢٤هـ، فقبلوا وساطته[١].

٣- أن إمام صنعاء لم يحفل بدخول كل من عسير وجازان (المخلاف) تحت نفوذ وطاعة الدولة السعودية، لأن الوضع فيهما لم يكن يمثل بالنسبة إليه أهمية دينية أوسياسية، فقد كان الحكم فيهما شبه استقلالى، كما سبق أن أوضحناه[٢] وعندما امتد نفوذ الدولة السعودية إلى تهامة اليمن، وبات يهدد الحديدة بدأ القلق يساوره مخافة استمرار الزحف إلى صنعاء، فحاول امداد عامل الحديدة ببعض التعزيزات حسب امكاناته وقتها، ثم تأكد لديه الخطر الذى يخشاه عندما خرجت كل من حجة وكوكبان عن طاعته، ففزع وعمل جاهداً على استخلاصها، حتى نجح فى هذا، ثم وجه همته نحو تهامة اليمن لتخليص الحديدة، فلم يستطع تخليصها، وعندما انشق الشريف حمود عن

--- الشريف حمود أن يبعث إليه بمجموعة من الرجال برفقة أحد رجاله قائداً لهم. لكى يتعلل بهم لدى إمام صنعاء بأنه مغلوب على أمره، البهكلى، المصدر السابق، ص٢٤٢،٢٤٣.

(١) البهكلى، المصدر السابق، ص٢٧٧، وهى التكملة على نفح العود، من تأليف ابن عاكش، الحسن بن أحمد، وفيها ذكر أن تلك الوساطة التى قام بها عامل صعدة كانت عام ١٢٢٦هـ، والصواب أنها كانت قبل ذلك. انظر: العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٧٠. ود.عبد الرحيم، المصدر السابق، ص١٨٤. وابن مسفر، المصدر السابق، ص٦٥.

(٢) انظر: الفصل الأول من هذا البحث ص٥٨.

الدرعية، استغل هذه الفرصة لتخليصها ظناً منه أن حمود أصبح ضعيفاً، لكنه لم يستطع أيضاً، ثم حاول أن يضع يده فى يد حمود ليكون ردءاً له، وحائلاً فيما بينه وبين الدولة السعودية، وأثناء ذلك كانت قوات محمد على باشا قد وصلت إلى الحجاز، فكاتب كلاً من السلطان العثمانى، ومحمد على باشا عام ١٢٣٤هـ (١٨١٩م) طالباً منهما العمل على استخلاص تهامة اليمن لصالحه[١] وبهذا يتأكد القول بأن تهامة اليمن، من جنوب حرض حتى الحديدة، هى ماكان يهمه أمرها دون ماعداها.

نجران:

سبق أن تحدثنا عن نجران قبيل ظهور الدعوة الاصلاحية[٢] ثم دور اليامين بقيادة المكرمى، حسن بن هبة الله، فى بداية نشأة الدولة السعودية الأولى، وقدومه إلى نجد لمحاربتها عامى ١١٧٨هـ، ١١٨٩هـ، ثم لم يعاود بعدهما القدوم إلى نجد، وولى وجهه جهات أخر، ليحقق فيها ماينشده من غنائم وأسلاب، فربما أدرك أن شأن الدولة السعودية فى تزايد مستمر، وأن قدومه إلى نجد قد يجلب عليه من الخسائر أضعاف ما ينشده من غنائم لذا مارس هوايته بجهة أخرى، لأنه يصعب أن يقر لليامين قرار، فقد

---

[١] د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ص١٨٥.

[٢] انظر: ص٦٦-٧٠ من هذا البحث.

امتهنوا أعمال الغزو والسلب من مئات السنين، وتأصلت فيهم كمصدر لرزقهم، فضلاً عن أنها كانت تعتبر من مظاهر الفروسية بمعايير ذلك العصر، وهى تشبع رغبتهم فى امتشاق الحسام، والضرب والنزال، وهو أمر يكاد يكون مشتركاً بين كافة البادية، لكنه كان أوضح فى اليامين، الذين أطلق عليهم أنهم جنود مرتزقة، يمتشقون الحسام لالمبدأيعتنقونه، وإنما لمغنم يطلبونه، وسيفهم مع من يدفع أكثر، ولايعرفون الولاء لغير رؤسائهم، ثم لذوى الرئاسة الدينية فيهم من المكارمة، وكان العداء مستحكما بينهم وبين أئمة صنعاء فى مختلف العصور، نظراً للاختلاف المذهبى، واتخذوا أرض اليمن مسرحاً لغزوهم نظراً لكثرة خيراتها، وقام بعض أئمة اليمن بغزوهم لتأديبهم وكسر شوكتهم، لكن شوكتهم كانت أصلب من أن تنكسر، فحاولوا كسب مودتهم ببذل المال، والاستعانة بهم كمحاربين ضد خصومهم، فأخذوا المال، وانفضوا من حولهم دون ولاء، تاريخهم كاد يكون أنموذجاً للشراسة والعنف فى شتى صوره، فسبحان من طوّعهم لمن أراده الله من خلقه، فاستكانوا واطاعوه وبذلوا له الولاء، وانتظموا فى سلك رعيته مستكينين، مسئولين عن الأمن فى مواطنهم، والمسالك والدروب المؤدية إليها .. وانساب اليهم رزقهم رغداً من غير أعمال الغزو والسلب، التى امتهنوها مئات السنين!.

وعلى كلٍ فقد جنح الحديث بنا عما كنا فيه، بسبب ماعرف عن يام من سلوكيات خلال الأزمان السابقة، فهى ظاهرة بحاجة إلى دراسة مستقلة عن سلوكيات البادية قبل العصر الحديث، الذى استقرت فيه

الأوضاع السياسية، والأمنية، والاقتصادية، للمقارنة بين ماكانت عليه الأوضاع فى الجزيرة العربية بصفة عامة وبين ماتعيشه الآن من أمن ورخاء، للتذكير بنعمة الله والتحدث بها. ثم نسبة الفضل لذويه ممن بذلوا الجهد فى استقرار الأوضاع .. ولنعد إلى ماكنا فيه.

ابتعد الياميون عن نجد، ومارسوا أعمال الغزو فى أرض اليمن، وفيما جاورهم من مناطق. فغزوا عسير عام ١١٩٩هـ[(١)] واستخدمهم أشراف جازان قبل الدعوة كجنود مستديمين مرتزقة، فأفسدوا حكمهم، وكاتبهم الشريف حمود ليقفوا معه قبيل موقعة أبو عريش عام ١٢١٧هـ، التى أعلن طاعته بعدها، وأصبح قائداً من قواد الدولة السعودية، فقدم إليه بعضهم عند حرض، فبعث إليهم بالأموال مع ابن أخيه على بن حيدر كحافز للاقدام إلى أبو عريش، والالتزام بالوقوف معه، فقالوا لابن أخيه: إن حركات جند نجد بطيئة، ونحن نسير إلى اليمن ننهب منه مايقوينا على الحرب، ونعود قبل وصول جند نجد، فحاول إغراءهم فلم يستجيبوا، وانصرفوا ينهبون، و لم يعودوا[(٢)] وحاول إمام صنعاء أن يستعين بهم ضد القوات السعودية التى دخلت تهامة اليمن، فاستدعى إليه عبد الله بن حسين بن نصيب اليامى، أحد رؤسائهم من المواجد[(٣)] وأغراه ببذل

---

(١) د.محمد آل زلفة، المصدر السابق، ص١٧، ١٨.

(٢) البهكلى، المصدر السابق، ص١٢٧، ١٣٠.

(٣) يقول البهكلى ص١٥٥ "يزعم ابن نصيب هذا أن نسبه يعود إلى الحارث بن كعب، ذو العصم أحد جمرات العرب" فإن صح هذا فإن يام تكون قد انضمت إليها ـ تحت هذا الاسم ـ بعض القبائل الأخرى بالتحالف.

الأموال على أن يقود بطون يام إلى تهامة اليمن، لكن البطون اليامية الأخرى لم تستجب لابن نصيب، ونقموا على إمام صنعاء، وخرجوا ينهبون فى أرض اليمن[1] وحاول عامل الحديدة من قبل إمام صنعاء، صالح بن يحيى العلفى، أن يستعين بهم ضد قوات الدولة السعودية بقيادة الشريف حمود، والتى كانت تزحف جنوباً صوب الحديدة، فحدثت معركة بينهم عند جبل باجل، أوائل شهر رمضان ١٢٢٠هـ، وكان يقود يام كل من جابر بن مانع بن مذكور، من آل فاطمة، وعبد الله بن نصيب من المواجد، ثم أخذوا من عامل الحديدة أموالاً جزيلة وانصرفوا عائدين إلى نجران، و لم يستمروا معه، وكانت هذه الأموال سبباً فى توجيه اللوم والتهديد من صنعاء إلى عاملها فى الحديدة، صالح العلفى، مما دعاه إلى التفكير فى خلع طاعة إمام صنعاء والدخول فى طاعة أئمة الدرعية، لاسيما وأنه وقع تحت تأثير مراسلات كلٍ من الشريف غالب، وعبد الوهاب بن عامر أبو نقطة، مما شجعه على خلع طاعة أئمة صنعاء، والدخول فى طاعة أئمة الدرعية[2].

وبالنظر لكون يام تميل إلى الإغراءات المادية، فتثير فيها نزعة المغامرة ولأن حكام الدرعية لم يتعودوا بذل تلك الاغراءات، لذا كانت يام كثيراً ماتنحاز إلى جانب خصومهم، بمقابل كجنود مرتزقة، بالرغم من العداء المذهبى بينهم وبين الزيدين، الذى يتلاشى مؤقتاً أمام ذلك الاغراء المادى،

---

[1] البهكلى، المصدر السابق، ص١٥٥،١٥٦.

[2] البهكلى، المصدر السابق، ص١٨٩-١٩٢،١٩٤،٢٠٢،٢٠٦.

وكان ذلك مما يقلق القادة السعوديين في الميدان الجنوبي بتهامة اليمن، الذى تندفع إليه يام دون غيره من ميادين، وكان قد بدرت منها تعديات على عشيرة من قبيلة سنحان المجاورة لهم بجنوب عسير وهى ضمن رعايا الدولة السعودية، وكان الامام سعود مشغولاً ذاك الوقت بالحدود الشمالية والشرقية للدولة، لذا أصدر أوامره عام ١٢٢٠هـ إلى القائد عبد الوهاب ابن عامر أبو نقطة، بأن يقود قبائل عسير لتأديب يام، والعمل على إخضاعها، كما أصدر أوامره إلى فهاد بن سالم بن شكبان ـ الذى تولى إمارة بيشة بعد أبيه، وإلى الدواسر، تحت قيادة كل من ربيع بن زيد، وابراهيم بن مبارك بن عبد الهادى ـ رئيس الودّاعين بالدواسر، الذى تولاها بعد ابيه ـ وإلى قبائل قحطان ووادعة الجنوب، بأن تسير جموعهم تحت قيادة أبو نقطة إلى نجران[1] فالتقت تلك الجموع التى تجاوز عددها ثلاثين ألفاً، مع جميع بطون يام وبادية نجران بالقرب من بلدة بدر الجنوب[2] ووقع قتال شديد على مدى ثلاثة أيام، قتل من الطرفين قتلى عديدون، كان منهم ابراهيم بن مبارك، رئيس الودّاعين، وإدريس بن حويل، وأقام أبو نقطة فى موضعه هذا حوالى شهرين، ثم بنى فيه قصراً بما يشبه الحصن سمى "الثغر" فى قرية حمضه، وترك فيه مرابطة ليضيقوا على

---

[1] ابن بشر، ج١، ص١٨٩، والبهكلى، ص٢٠٧. وابن مسفر، المصدر السابق، ص٥٢.

[2] بلدة بدر إحدى أكبر مدن نجران، وهى حالياً توسعت ويتبعها بعض القرى، وبها أمير، وعديد من المنشآت الحكومية للادارة والتعليم والصحة والمواصلات وغيرها.

بادية نجران[1] ويثبت لهم امتداد نفوذ الدولة السعودية إليهم، وكان لهذا تأثيره على معظم أهل نجران وبخاصة باديتها، وأقبل وفد منهم إلى الدرعية ليبذلوا الطاعة والولاء. ويؤدوا الزكاة إلى الإمام سعود. فكتب الإمام سعود بن عبد العزيز كتاباً لهم جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم من سعود إلى جناب الأشراف حسين بن ناصر، وحسن ابن دهشان، وحمزة ومحمد ابنا حسن، وحسين بن أحمد، ومقبل بن محمد، وصالح بن عبد الله، وأحمد بن معوض، وأحمد على بن شما، وصالح حسين مسلى، سلمهم الله من الآفات، واستعملهم بالباقيات الصالحات. وبعد: ألفى[2] علينا مقبل بن عبد الله، وأشرف على مانحن عليه، وماندعو إليه، ومانأمر به، وما ننهى عنه، ويصف لكم من الرأس اكثر من القرطاس، إن شاء الله، ونخبركم أننا متبعون لامبتدعون، نعبد الله وحده لاشريك له، ونتبع رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، فيما يأمر به وينهى عنه، ونقيم الفرائض، ونجبر مَنْ تحت يدنا على العمل بها، وننهى عن الشرك بالله، وننهى عن البدع والمحرمات، ونقيم الحدود، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، ونأمر بالعدل، والوفاء بالعهود، والمكاييل والموازين، وبّر الوالدين، وصلة الأرحام.

---

[1] ابن بشر، الجزء والصفحة نفسها، والبهكلى، المصدر، والصفحة نفسها. ود.العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، ص١٤٥.

[2] ألفى: أى قدم.

هـذه صفـة مـانحن عليـه، ومـاندعو النـاس إليـه، فمـن أجـاب وعمـل بمـا ذكرنا، فهو أخونا المسـلم، حـرام الـدم والمـال، ومـن أبـى قاتلنـاه حتـى يديـن بمـا ذكرنـا .. وانتـم أخـص النـاس باتبـاع محمـد ﷺ، والحـق عليكـم أكـبر منـه علـى غـيركم، والاسـلام هـو عزكـم وشـرفكم، كمـا قـال تعـالى: "لقـد أنزلنـا عليكـم كتابـاً فيـه ذكركـم أفـلا تعقلـون"[1] وقـال تعـالى: " وإنـه لذكـر لـك ولقومـك وسـوف تسـألون"[2] فالمـأمول فيكـم الدعـوة إلى الله، لأن الدعـوة سـبيل مـن اتبعـه ﷺ، كمـا قـال تعـالى: "قـل هـذه سـبيلى أدعـو إلى الله علـى بصـيرة أنـا ومـن اتبعنـى وسـبحان الله ومـا أنـا مـن المشـركين"[3] وقـال تعـالى: " ومـن أحسـن قـولاً ممـن دعـا إلى الله وعمـل صالحـاً وقـال إننـى مـن المسـلمين"[4] ونسـأل الله أن يجعلنـا وإيـاكم مـن الداعـين إليـه المجـاهدين فـى سـبيله، لتكـون كلمته هى العليـا، ودينـه هـو الظـاهر، وصلـى الله علـى محمـد وسـلم[5].

وهـو كتـاب موجـه مـن الامـام سـعود بـن عبـد العزيـز إلى المذكوريـن أعـلاه، ويبـدو أنهـم كـانوا مـن أكـابر نجـران[6] يحثهـم فيـه علـى الدخـول فـى

---

[1] سورة الأنبياء، آية١٠.

[2] سورة الزخرف، آية٤٤.

[3] سورة يوسف، آية١٠٨.

[4] سورة فصلت، آية٣٣.

[5] نفح العود، للبهكلى، هامش ص٢٠٦ أورده محقق الكتاب الشيخ العقيلى، وأيضاً فـى كتابـه "نجـران فـى أطـوار التاريخ" ص١٣٢-١٣٥.

[6] سبق أن أشرنا إلى أن هناك قبائل أخرى غير اليامين بنجـران، منهـم: آل خريـم، وأولاد عبـد الله، والأشـراف، وغالب الظن أن رسالة الامام سعود موجهة إلى هؤلاء وإلى غيرهـم من بعض بطون يام.

الدعوة، والالتزام بتعاليم الاسلام الصحيحة، وأنه كان من نتيجة هذا الترغيب أن دخل البعض في طاعته رغبة منهم، وأدوا إليه الزكاة كما قال ابن بشر[1] كما يلاحظ أن بعض بطون يام لم يدخلوا في الطاعة ضمن من دخلوا عام ١٢٢٠هـ، لأنهم إشتركوا في حرب وقعت عام ١٢٢٤هـ ضد الدولة السعودية[2] ثم حدثت مهادنة بين الطرفين إلى أن كانت حروب الدرعية، فلم يسهموا بأى دور مع أيٍّ من الطرفين، وظلوا بعيداً عن ساحتها، بخلاف قبائل عسير وجازان، التي تصدت لهذا الغزو الخارجي، كما سنعرفه في الفصل الثالث.

ويقال أن اليامين بقيادة المكارمة توغلوا في أرض اليمن وأخضعوا مناطق بداخلها لحكمهم عام ١٢٢٩هـ، كمنطقة صعفان غربي مسار، من أعمال مناخة، ونصبوا أمراءها وجندها من أهل نجران، وذلك في وقت يوسف بن علي بن هبة الله المكرمي[3] الذى ولّى عليها ابن أخيه حسين ابن حسين بن علي المكرمي[4] وكذلك على حراز والحيمة غربي صنعاء واستمرت في يدهم إلى مابعد عام ١٢٦٨هـ[5].

---

[1] ابن بشر، ج١، ص١٨٩، ٣٥٤.

[2] د.العثمين، المصدر السابق، ج١، ص١٤٥، وابن بشر، ج١، ص٣٠٣.

[3] توفي يوسف بن علي عام ١٢٣٤هـ، انظر: فؤاد حمزة، فى بلاد عسير، ص١٧٥.

[4] سيد الماحى، نجران الارض والناس والتاريخ، ص٢٨، ٢٩.

[5] مؤلف مجهول "صفحات مجهولة من تاريخ اليمن" تحقيق القاضى حسين السياغى، ص٤٤، ٧٨، ١١٣.

وعلى كل فإن ولاء بعض البطون اليامية، والقبائل الأخرى وبخاصة بادية نجران استمر مبذولاً إلى أئمة الدولة السعودية الأولى، والثانية كما سنراه فيما بعد.

الفصل الثالث

وجود قوات محمد على باشا، الوالى العثمانى لمصر، فى هذه المناطق.

كانت الدولة العثمانية تعتبر نفسها وريثة الخلافة الإسلامية، من منطلق امتداد نفوذها إلى البلاد العربية، بعد قضائها على نفوذ المماليك فى الشام ومصر، وأنها أصبحت تمثل العالمين العربى والاسلامى أمام دول العالم الخارجى، واكتسبت زعامتها الاسلامية من كونها راعية لأرض الحرمين الشريفين، وقد هالها الفزع بسبب امتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى معظم شبه الجزيرة العربية، وبخاصة الحجاز ـ أرض الحرمين الشريفين ـ وذلك عام ١٢١٨هـ[١] ثم الحيلولة بين وصول وفودها الرسمية، ووفود الولايات التابعة لها ـ العراق والشام ومصر ـ إلى الأماكن المقدسة على الصفة التى كانت تأتى بها، فى مصاحبة المحمل[٢] بالاضافة إلى التقدم شمالاً نحو العراق والشام، رداً على محاولات الولاة فى الولايتين مهاجمتها، وبعث الحملات إليها. وفشلهم فى ذلك[٣] ورأت أن خروج الحرمين الشريفين عن دائرة نفوذها يعتبر صفعة قوية ستفقدها الزعامة التى تتمتع

---

[١] ابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٩-٢٦٣، وأيوب صبرى، المصدر السابق، ص١٤٢.

[٢] محمد أديب غالب، من أخبار الحجاز ونجد فى تاريخ الجبرتى، ص١١١، وابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص٢٩١،٢٩٢، وأيوب صبرى، الصدر السابق، ص١٤٤.

[٣] د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص١٥٢،١٩٧-٢٢١،٢٩٨.

بها على العالم الاسلامى، ومما زادها فزعاً هو أن امتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى أصبح له تأثير ورنين أخاذ على الساحة الدولية، وأضحى مثار اهتمام من بعض الدول المهتمة بالمنطقة، كانجلترا، وفرنسا، وروسيا القيصرية، بسبب ظهور قوة جديدة فى المنطقة تهيمن على مساحات شاسعة من بلاد العرب، وتتحكم فى الشاطئ الغربى للخليج العربى، والشاطئ الشرقى للبحر الأحمر، فبدأوا يطلبون ودّها وصداقتها، ويتنافسون فى هذا المجال، بإرسال وفودهم إلى الدرعية، بغرض عقد اتفاقات، أو على الأقل كشف الوضع عن ماهية تلك الدولة المتنامية بصورة ملفتة[1].

رأت الدولة العثمانية أن صورتها قد اهتزت أمام العالم على يد الدولة السعودية، فحرصت على استرداد هيبتها أمام العالم الاسلامى، باستعادة نفوذها على أرض الحرمين الشريفين، فعهدت بتلك المهمة إلى واليها على مصر، محمد على باشا، بعد أن فشل ولاتها بالعراق والشام فى تلك المهمة.

ومع أن الدولة العثمانية لم يكن لها نفوذ حقيقى وسط شبه الجزيرة العربية، وبخاصة على أرض نجد، ولم تكن تطمع إلا فى استعادة نفوذها على أرض الحرمين الشريفين، إلا أن محمد على باشا، قد وجدها فرصة لصنع نفوذ له فى شبه الجزيرة العربية، على حساب الدولة السعودية،

---

[1] د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٢٦٤،٢٧٨-٢٨٤،٢٨٦-٢٨٨.

وعندما تأتَّى له هذا النفوذ تمرد على الدولة التي أعطته تلك الفرصة، ودخل معها في منازعات وحروب، أضعفها وأوهنها، ثم تحجمت على اثر ذلك قوته بفعل التدخل الدولي ضده، وكان قد نجح في القضاء سياسياً على الدولة السعودية، لكنه لم يستطع القضاء عليها دينياً وعاطفياً، فتأججت في الصدور جذوة الكفاح ضد قواته في طول البلاد وعرضها، و لم تخمد إلا بقيام الدولة السعودية في دورها الثاني.

وتشير الوثائق إلى أن أول تكليف ورد من السلطان مصطفى الرابع[1] إلى محمد علي، للقيام بتلك المهمة، كان عام ١٢٢٢هـ (١٨٠٧م) إلا أن محمد علي أرسل إلى السلطان يعتذر عن عدم تمكنه من القيام بالمهمة، بسبب تدهور الحالة الاقتصادية للبلاد، واستيلاء المماليك على صعيد مصر، وعندما اعتلى السلطان محمود الثاني سُدّة الحكم عام ١٢٢٣هـ، عاود تكليف محمد علي باشا القيام بالمهمة، فجعل يتعلل بالأعذار السابقة بالاضافة إلى تعلله بخشيته من أطماع الدول الأوربية في مصر فيما لو تركها وذهب إلى الحجاز، ثم من تخوفه من سليمان باشا والي الشام، الذي يأوي المماليك الفارين من مصر، ويحرضهم عليه، وطلب إبعاد سليمان باشا عن ولاية الشام، وتعيين صديقه يوسف كنج

---

(١) السلطان مصطفى الرابع، حكم لمدة عام واحد ١٢٢٢هـ ـ ١٢٢٣هـ (١٨٠٧-١٨٠٨م) ثم تولى بعده السلطان محمود الثاني، الذي استمر حكمه حوالي واحد وثلاثين عاماً ١٢٢٣هـ ـ ١٢٥٥هـ (١٨٠٨-١٨٣٩م) وفي عهده كانت الحروب ضد الدولة السعودية الأولى.

بدلاً منه، أو أن يشترك معه في الحملة[1] وظل يماطل حوالي ثلاث سنين إلى أن أجبر الدولة على الاستجابة لبعض مطالبه، كتزويده بجزء من العتاد والأموال للإعداد للحملة، وفي الوقت نفسه كان قد استطاع الاستعداد، بعد تثبيت أقدامه في مصر، وإحكام قبضته عليها، والتخلص من أمراء المماليك واتباعهم، في مذبحة القلعة التي دبرها لهم يوم ٤صفر ١٢٢٦هـ (٢٨فبراير ١٨١١م) في الحفل الذي أقامه لتقليد ابنه أحمد طوسون خُلْعة القيادة لتلك الحملة[2] وكان هذا من المفارقات العجيبة أن يبدأ تحرك الحملة من القاهرة بإراقة الدماء. ثم خلال مسيرتها من البداية إلى النهاية.

كانت الحملة التي قادها طوسون تتكون في البداية من ثمانية آلاف جندي، بكامل معداتهم، منهم خمسة آلاف من المشاة والمدفعية، خرجوا من القاهرة يوم ١٩رجب ١٢٢٦هـ (١٨١١م) ليسافروا بحراً من السويس، وثلاثة آلاف من الفرسان ومعهم طوسون قائد الحملة خرجوا يوم ١٢رمضان، ليسافروا بالبر عبر العقبة إلى ينبع البحر، التي اختيرت لتكون نقطة التجمع لجنود البر والبحر[3].

---

(1) د.عبد الرحيم عبد الرحمن، المصدر السابق، ج١، ص٢٩٨-٣٠٠ اعتماداً على الوثائق التركية التي ذكر أرقامها وتواريخها، والمحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(2) د.عبد الرحيم عبد الرحمن، المصدر السابق، ج١، ص٣٠٢.

(3) محمد أديب غالب، المصدر السابق (نقلاً عن الجبرتي) ص١٢٦، ود. عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣٠٣، وابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص٣٢١،٣٢٢، ويقول إن عدد جنود الحملة كان أربعة عشر ألف رجل، أو يزيدون.--

قام محمد علي منذ أن عرف بأمر تلك المهمة، باجراء الاتصالات بالشريف غالب من خلال المراسلات التي كان يحملها التجار الذين يترددون بين جدة والقاهرة، وعن طريقه عرف الكثير عن المنطقة، كما أنه بث العيون بين القبائل لمعرفة المزيد، ولذا وضع في مخططه منذ البداية العمل على استمالة مايمكن من القبائل إلى جانبه، بأسلوب بذل الأموال والأعطيات والهدايا، وقدم مع الحملة لهذا الغرض[1] ابن المحروقي كبير التجار في القاهرة، ومعه مجموعة ممن يجيدون التعامل مع الأعراب.

ويبدو أن القيادة في الدرعية لم تكن لديها المعلومات الاستطلاعية الكافية عن تحركات محمد علي، متى تبدأ، وعلى أيّ السواحل يكون نزولها؟. لذا أخذت تترقب، ثم غلب على ظنها أن النزول سيكون في جدة، لذا أمر الامام سعود ابنه عبد الله بقيادة بعض القوات، والنزول بوادى فاطمة بين مكة المكرمة وجدة[2].

--ومعروف أن قوات محمد علي التي قدمت إلى الجزيرة العربية كانت تتكون من جنسيات مختلفة كالأتراك والأرناؤوط، والألبان، والمغاربة وغيرهم، ولم يكن بها أحد من المصريين، لأن محمد علي لم يعتمد على المصريين في جيوشه إلا بعد توقيع معاهدة ١٨٤٠م. انظر الجبرتي ج٤، ص٢٤١-٢٤٥.

[1] محمد أديب غالب، المصدر السابق، ص١٣٠، د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ص٣٠٤،٣٠٥، حيث استند إلى وثائق محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة، تشير صراحة إلى استجلاب قلوب القبائل والعشائر الموجودة باقليم الحجاز، وان البعض استجاب لذلك.

[2] ابن بشر، ج١، ص٣٢٩، ووادى فاطمة كان يعرف فيما مضى باسم: مرّ الظهران. وهو جنوب غرب مكة بحوالى ثلاثين كيلو متراً في الطريق إلى جدة.

وصلت السفن التى تقل الجنود إلى ينبع البحر، التى لم تكن بها إلا قوة يسيرة فتغلبوا عليهم، واستولوا عليها أوائل شوال ١٢٢٦هـ، ثم وصلت القوات القادمة بالبر، ومعها طوسون فتقدموا إلى ينبع النخل[1] فاستولوا عليها بعد مقاومة أميرها من قبل الدرعية الشريف جابر بن جبارة، فى ٢١شوال ١٢٢٦هـ، ثم تقدموا إلى الصفراء والجديدة فى ١٧ذى القعدة، وبلغ خبر نزول الحملة واستيلائها على ينبع النخل إلى القيادة العامة فى الدرعية، فأعلنت النفير العام، فتحول الأمير عبد الله بن سعود بمن معه من قوات من معسكره فى وادى فاطمة إلى وادى الصفراء شرق ينبع[2] للتصدى لهذه القوات، ومنعها من التقدم نحو المدينة المنورة،

---

(1) سماها الجبرتى "ينبع البر" وقال: وأنهم ملكوا قرية ابن جبارة من الوهابية، وتسمى قرية السويق. انظر: محمد أديب غالب، المصدر السابق، ص١٣٠، والشريف جابر بن جبارة العباش، كان أميراً على ينبع النخل للامام سعود، وابنه الامام عبد الله، وأبلى بلاء حسناً فى محاربة جيوش محمد على باشا. ابن بشر، ج١، هامش ص٣٦٢.

(2) قال البكرى فى كتابه معجم ماستعجم، ج٣، ص٨٣٦: الصفراء قرية فوق ينبع، كثيرة المزارع والنخيل، وماؤها عيون، يجرى فضلها إلى ينبع، وبين ينبع والمدينة ست مراحل، والصفراء على بُعد يوم من جبل رضوى فى جهة الغرب منه وتبعد عن المدينة المنورة بحوالى ١٤٠كيلومتر، ويسكنها جهينة والأنصار وغيرهم، وبها مات عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وكانت قد قطعت رجله يوم بدر، فرحل إليها مرتشئاً، قالت هند بنت أثالة بن عبيدة بن عبد المطلب ترثيه:

وقد ضمنوا الصفراء مجداً وسؤدداً ... وحلماً أصيلاً وارف اللب والعقل

وقد زارها ابن بطوطة فى رحلته الشهيرة، وهو فى طريقه إلى المدينة المنورة. رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٧٨.

ولحق بالأمير عبد الله كثير من أهل نجد والمناطق الأخرى[1] فنزل بهم الأمير عبد الله "الخيف" من وادى الصفراء، والتقى الجمعان فى عدة معارك كانت نهايتها. وقوع هزيمة فادحة بجيش طوسون، تشتت على إثرها قواته، وسارع بعضهم بالفرار إلى ميناء البريكة جنوب ينبع، وركبوا السفن ــ التى أعدت بها من قبل احتياطيا ــ وعادوا بها إلى مصر، وغنم جيش الأمير عبد الله كثيراً من أسلحتهم وامتعتهم. ويقول ابن بشر: إن قتلاهم أكثر من أربعة ألاف رجل، وقتل من المسلمين من جميع النواحى نحو ستمائة رجل، منهم مقرن بن حسن بن مشارى بن سعود، وسعد بن ابراهيم بن دغيثر، وبرغش بن بدر الشبيبى العتيبى، وهادى بن قرملة رئيس قحطان، ومانع بن كرم رئيس عبيدة .. وغيرهم ممن عدّد أسماءهم، وكانت هذه الموقعة فى العشر الأواخر من ذى القعدة ١٢٢٦هـ[2] ولنقرأ بعضاً مما كتبه الجبرتى عن هذه الموقعة، نقلاً عمن شاهدوها وشاركوا فيها، ثم هربوا إلى مصر عقب الهزيمة:

---

[1] شارك فى هذه الموقعة قوات مثلت معظم أقاليم الدولة السعودية، جنود كل أقليم تحت رئاسة أمير الإقليم، والجميع تحت قيادة الأمير عبد الله بن سعود، الذى جعل أخاه فيصل بن سعود، وحباب بن قحيطان المطيرى قائدين لجناحى الفرسان، ووزع مهمة المشاة على القواد الآخرين.

[2] ابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص٣٢٢-٣٢٦، ومما يؤيد رأى ابن بشر فى أن عدد قتلى جند طوسون يزيد عن أربعة آلاف رجل، أن الجبرتى فى ج٤، ص١٣٨، ذكر أن طوسون أحصى جنده عقب المعركة، فوجدهم ثلاثة ألاف جندى فقط، من بين ثمانية ألاف قدم بهم، ولو قدرنا أن الفارين إلى مصر عقب المعركة يقرب من الألف، فيكون الأحياء أربعة آلاف، والموتى مثلهم. وهم مجموع جيشه الذى قدم به، وهذا يعطينا دليلاً على هول الهزيمة وفداحتها فى تلك المعركة.

فى ٢٥ذى الحجة ١٢٢٦هـ (١٠يناير ١٨١٢م) وصلت قافلة من السويس، بصحبتهم مكاتبات، وأخبروا أن جيش طوسون ارتحل من ينبع البر (النخل) فى ١٣ذى القعدة، ووصلوا إلى منزله بالصفراء والجديدة، ثم نصبوا خيامهم بالقرب من الجبال، وارتقت بعض الجنود إلى قمم تلك الجبال، فوجدوا بها متاريس وأحجاراً (يبدو أن الأمير عبد الله كان قد سبق إلى المنطقة، ووضع عناصر استطلاعية متقدمة على قمم تلك الجبال) فحاربوا على أول متراس حتى أخذوه، ثم أخذوا متراساً آخر، حتى صعدوا إلى قمم الجبال فهالهم كثرة الجيش الذى بصحبة الأمير عبد الله، وقامت اشتباكات فى أعلى الجبال استمرت يوماً وليلة إلى مابعد الظهر من يوم الأربعاء ٢٣ذى القعدة، وسارت الخيالة فى مضيق من الجبال، ثم ماشعر الجنود الذين بأسفل الوادى إلا والعساكر الذين فى أعلى الجبالى، هابطون منهزمون، فأنهزموا جميعا، وولوا الأدبار، وتركوا خيامهم وأحمالهم واثقالهم، وطفق الجنود المنهزمون ينهبون ماخف عليهم من أمتعة رؤسائهم، والقوى منهم يأخذ متاع رفيقه الضعيف. ويأخذ دابته ليركبها، وربما قتله فى سبيل ذلك .. وسار بعضهم إلى ساحل البريكة، لأنهم كانوا قد أعدوا بها عدداً من المراكب من باب الاحتياط، ووقع الرعب فى قلوبهم، واعتقدوا أن القوم ـ أى القوات السعودية ـ فى اثرهم، والحال أنه لم يتبعهم أحد، لأنهم لايذهبون خلف الدُبْر (أى المنهزم للنجاة، وهو مبدأ إسلامى معروف: لاترفع السيف على مَنْ لاسيف له، ولاتتبع المنهزم) ويواصل الجبرتى وصفه فيقول: .. ولو تبعوهم لما أبقوا منهم شخصاً واحداً .. وحدث هرج وفزع عند ركوب السفن فى البريكة، حتى أنهم

كـانوا يتقـاتلون علـى الأسـراع فـى ركوبهـا، وبعضهـم يخـوض فـى البحـر إلى رقابـه، وكأنمـا العفـاريت فـى آثـارهم تريـد أن تتخطفهـم. وكثير مـن العسـاكر والخدم، لمـا شـاهدوا الازدحـام فـى البريكـة علـى السـفن، ذهبـوا مشـاة إلى ينبـع البحـر، وسـار بعـض الخيالـة إلى المويلـح راجعين لمصـر، وعـاد طوسـون إلى ينبـع البحـر بعـد أن تغيـب يومـاً عـن معسـكره، حتـى أنهـم ظنـوه قـد مـات. ورجـع ابـن المحروقـي وغـيره مـن كبـار الحملـة ولم ينتظـروا إذن الباشـا (أى محمـد علـى) فـى رجوعهـم إلى مصـر، وبعضهـم رجـع عـن طريـق القصـير.. ولمـا عادوا طفـق بعضهـم يتهـم البعـض الآخـر فـى أسـباب الانهـزام، ويكيلـون التهـم لبعضهـم البعـض، وقـال لى بعـض أكـابرهم، مـن الذيـن علـى شـئ مـن الصـلاح والتورع: أين لنـا النصـر؟ وأكثر عسـاكرنا علـى غـير الملـة، وفيهـم مـن لايتديـن بديـن، ولاينتحـل مذهبـاً، وبصحبتنـا صنـاديق المسـكرات، ولايسـمع فـى معسـكرنا آذان، ولا تقـام فيـه فريضـة، ولايخطـر فـى بـالهم شـعائر الديـن، أمـا القـوم (السـعوديون) فتقـام فـى معسـكرهم الفريضـة، فـإذا دخـل الوقـت أذن المؤذنـون، وينتظمـون صفوفـاً خلـف إمـام واحـد، بخشـوع وخضـوع، وإذا حـان وقـت الصـلاة والحـرب قـائم، أذن المـؤذن، وصلـوا صـلاة الخـوف .. وعسكرنا يتعجبون مـن ذلـك لأنهـم لم يسـمعوا بـه فضـلاً عـن رؤيتـه[1].

ولاريـب أن الجـبرتى أعطـى وصفـاً دقيقـاً ومحـايداً عـن معركـة الصفـراء، كمـا أعطـى بعـض اللمحـات عـن اتبـاع الدعـوة الإصلاحيـة، والـتزامهم بـآداء

---

[1] محمد أديب غالب، المصدر السابق، ص١٣٠-١٣٥، فيما نقله عن الجبرتى، ج٤، ص١٣٧،١٣٨.

الفريضة التى شرعها الله، وعلى الوجه الذى بيّن سبحانه وتعالى كيفية آدائها فيه، أثناء الحرب، فى القرآن الكريم[1] أعطانا الجبرتى لمحة يسيرة عن اتباع الدعوة، وأخرى عن خصومها "الذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس .." [2] وعقب تلك الهزيمة التى مُنِىَ بها طوسون سارع فى الكتابة إلى أبيه يصف له الموقف، ويطلب نجدة، فبعث له القائد أحمد بن نابرت الخازندار على رأس قوة ضخمة، مجهزة بالأسلحة والمعدات والتموينات، اتجهت إلى المنطقة عن طريق البر فى صفر١٢٢٧هـ (١٨١٢م).

ويبدو أن الأمير عبد الله بن سعود، توقع عند انهزام قوات طوسون، وسرعة عودتها إلى الساحل فى ينبع والبريكة، أنها ربما تركب السفن وتتجه إلى جدة، ولو تتبعها لعرف الحقيقة، وأنها من أثر الفزع والرعب، وكان بمقدوره أن يقضى عليهم، ولايبقى منهم شخصاً واحداً، كما يقول الجبرتى، لكن جنده انشغلوا بجمع الغنائم والأسلاب ولأن هذه المعركة كانت أواخر ذى القعدة، وكان من المقرر أن يذهب والده الإمام سعود إلى آداء الفريضة موسم عام ١٢٢٦هـ، فخشى الأمير عبد الله أن يركبوا السفن، وينطلقوا إلى جدة، ويذهبوا إلى مكة المكرمة وقت الحج، ووالده يقود الحجيج لهذا الموسم، لذا سارع بالتوجه إلى مكة، ومعه معظم القوات والقيادات، فأدوا الفريضة وبعدها عسكر بموضعه السابق ـ وادى فاطمة ـ لبعض الوقت فى انتظار المغيريين، لكن المغيرين لم يغيروا خطتهم،

---

[1] فى سورة النساء، آية ١٠٢.

[2] سورة الانفال، آية ٤٧.

من حيث الزحف نحو المدينة المنورة عندما وصلت إليهم الامدادات، ومحاصرة القوات التى كانت فيها، والتى دافعت عنها ببسالة قبل استسلامها فى ذى القعدة ١٢٢٧هـ[١] فأقبل الأمير عبد الله بقواته إلى شرق المدينة المنورة، بغرض استدراج طوسون إلى هذه المنطقة، واستنزاف قواته فى صحرائها، ثم الاجهاز عليها، لكن قوات طوسون لم تتقدم شرق المدينة المنورة.

وعقب انسحاب قوات الأمير عبد الله من معسكره بوادى فاطمة، كتب طوسون إلى الشريف غالب طالباً منه المساعدة فى استيلاء بعض قواته على مرفأ جدة، فاستجاب، فدخلت بعض القوات البحرية، والبرية جدة يوم ١٢محرم ١٢٢٨هـ (١٥يناير ١٨١٣م) وتيسر لها الزحف نحو مكة والاستيلاء عليها أواخر محرم[٢]. بمساعدة بعض قبائل البادية التى أغراها بريق المال، وترتب على ذلك أن قامت القيادة السعودية باجراء تعديل على خطتها، تهدف إلى استدراج قوات طوسون إلى الداخل، حيث الصحارى والوديان، التى تعتبر جديدة عليهم، لم يتعودوا الحرب فيها، بالاضافة إلى إبعادهم عن مراكز تموينهم وامداداتهم، ثم طول ووعورة خطوط مواصلاتهم، مما يسهل الايقاع بهم، والقضاء عليهم،

---

(١) وقبضوا على أمير المدينة المنورة من قبل الإمام سعود وهو الشيخ حسن قلعى، وعلى مسعود بن بلوى بن مضيان رئيس قبيلة حرب، أرسلوها إلى مصر ثم إلى استانبول، ابن بشر ج١، ص٣٢٩، ومحمد أديب غالب، المصدر السابق، ص١٥٠،١٦٣.

(٢) د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣١٠،٣١١.

وقاد الامام سعود القوة الرئيسية واتجه صوب الحناكية في شهر ربيع ١٢٢٨هـ، لمهاجمة القوة التي تود التحرك نحو نجد، كما قاد ابنه الأمير فيصل جانباً آخر من القوات اتجه به إلى جنوب تربة، لوضع القوة الزاحفة بين شقي الرحى، لكن فيصل أسرع واشتبك مع القوة الزاحفةنحو نجد، وكانت تحت قيادة كل من مصطفى بك رئيس الفرسان والشريف راجح ابن مساعد، وأنزل بها هزيمة ساحقة، أما الامام سعود فلما وصل إلى الحناكية، كانت مجموعة من قوات طوسون بقيادة عثمان الكاشف قد استولت على حصنها، فحاصرهم الامام سعود حتى طلبوا الأمان، فأمنهم الامام سعود، وشرط عليهم أن يخرجوا ويسيروا نحو العراق حتى لاينضموا مرة أخرى إلى طوسون، ثم عهد إلى محمد بن على أمير حائل أن يصحبهم حتى يبلغوا مأمنهم في طريقهم إلى العراق، وواصل الامام سعود سيره نحو المدينة المنورة، وماحولها حتى الصفراء، وقام بتأديب بعض القبائل التي تعاونت مع طوسون، ثم عاد إلى المنطقة فيما بين مكة ونجد[1] وقد ترتب على هزيمة قوات طوسون في الجبهتين أن سارع بارسال خطاب إلى أبيه يخبره فيه بموقفه الصعب، والهزائم التي لحقت بقواته عند تربة، وأنه لايعرف مصير الحامية التي كانت في الحناكية بقيادة عثمان الكاشف، وانه يخشى أن ينقلب العربان عليه، وطلب سرعة ارسال نجدة، وعلى إثر ذلك قرر محمد على الحضور بنفسه إلى الحجاز، وعهد بادارة مصر إلى ولديه

---

[1] ابن بشر، ج١، ص٣٣٢-٣٣٣.

ابراهيم واسماعيل في ٢٨شعبان ١٢٢٨هـ (١٨١٣/٨/٢٥م) [١] وكان طوسون عندما رأى أن موقفه صار مهدداً، فكر في عقد صلح ينقذ به موقفه واعتبر نفسه أنه قد حقق نسبة كبيرة من مهمة الحملة ـ والمتمثلة في إعادة نفوذ الدولة العثمانية على أرض الحرمين الشريفين ـ وكاتب الأمير عبد الله بن سعود بهذا الشأن، لكن وصول أبيه إلى الحجاز جعله يعرض عن إتمام هذا المشروع [٢] ثم عاد طوسون وطرحه بعد عامين تقريباً، وبالغ هو وأبوه في وضع شروط الصلح، مما جعل الامام عبد الله ـ الذى كان قد آل إليه الأمر بعد وفات أبيه ـ يرفضه [٣].

كان الإمام سعود الكبير مع علمه وورعه رجل حرب، متمرساً عليها منذ صغره، ولديه الموهبة لإدارة حرب الصحراء بكفاءة عالية، لذا وضع في مخططه من البداية استدراج قوات طوسون إلى قلب الصحراء، لاستنزافها ومن ثم القضاء عليها، وعهد إلى ولديه عبد الله وفيصل بقيادة جناحي الجيش السعودى، عبد الله في شرق المدينة المنورة فيما بينها وبين القصيم، وفيصل شرق مكة والطائف، ومع كل منهما بعض رجالات آل سعود ومجموعة من القواد السعوديين بجنودهم من كافة البلدان والمناطق، وكان هو على رأس قوة لمساندة أحد الجناحين فيما لو احتاج إلى مدد، والقضاء على أى تقدم لقوات طوسون نحو نجد، ولذا فإنه سارع إلى

---

[١] د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣١٢-٣١٣.

[٢] د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣١٣.

[٣] د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣٢٣.

الحناكية عندما سقطت فى أيدى عثمان الكاشف، واستخلصها وبعث به وبمن معه إلى جهة العراق، كما سبق أن ذكرنا.

وعقب معركة الصفراء التى حلت فيها هزيمة ساحقة بقوات طوسون، وقتل فيها ضمن من قتل اثنان من أكبر قواد عسير: هادى بن قرملة رئيس قحطان، ومانع بن كرم أحد رؤساء عبيدة[1] ونظراً لتحول معظم قوات طوسون إلى منطقة مكة المكرمة فإن قوات عسير وجازان تحولت بالتالى للانضمام إلى الجناح السعودى الذى يقوده الأمير فيصل بن سعود فى الطائف وتربة. وقاموا بدور كبير فى إلحاق الهزيمة بقوات مصطفى بك والشريف راجح عند تربة فى شعبان ١٢٢٨هـ[2] بالتعاون مع بقية إخوانهم تحت قيادة الأمير فيصل، مما صعب من مهمة طوسون فبعث إلى أبيه مستنجداً. ويبدو أنه كان قد تشكلت فى هذا الجناح السعودى، كتيبة من الفرسان سريعى الحركة، بقيادة عثمان المضايفى، وطامى بن شعيب وحاولوا استرداد الطائف، ونجحوا فى الاستيلاء على بعض نواحيها، ونزلوا قصر بسل[3] غير أن طوسون دفع بقوات كثيرة إلى الطائف منعت تقدمهم، واضطرتهم إلى الانسحاب، وفى حال انسحابهم قبضوا على القائد عثمان المضايفى فى ١٠رمضان ١٢٢٨هـ وأرسل إلى

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٣٢٦، وأمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ص١٠٠.

(٢) ابن بشر، ج١، ص٣٣٤.

(٣) قصر كان قد بناه الامام سعود فى وادى بسل شرقى الطائف.

مصر، ومن هناك إلى استانبول، فقتل هناك، وكان الامام سعود أرسل من يفتديه بالمال فرفضوا فداءه وفك أسره(١).

ونتيجة لاستنجادات طوسون بأبيه، قرر محمد على الحضور إلى الميدان بنفسه لادارة المعركة، لأنه أحس بأن خصمه ليس سهلاً، بالرغم من كثرة الرجال وضخامة المعدات التى دفع بها إلى المنطقة، فخرج من القاهرة إلى الحجاز عن طريق السويس فى ١٤شوال سنة ١٢٢٨هـ (١٠/١٠/١٨١٣م) وأخذ فى وضع الخطط، لاستمالة شيوخ القبائل(٢) وجعل مدينة جدة المستودع الرئيسى لعتاد الحملة، ورتب الوسائل الكفيلة بنقل هذا العتاد إلى الميدان، واستأجر عشرين سفينة لمدة عام من سلطان مسقط للعمل على نقل المعدات والتموينات والرجال من مصر إلى المنطقة، وغير ذلك من ترتيبات، وفى ذى الحجه سنة ١٢٢٨هـ قبض على الشريف غالب حليفه بالأمس لخشيته من نواياه، وعلى والى جدة، وبعثهما إلى مصر، ثم إلى استانبول(٣) وعيّن خلفاً له ابن أخيه الشريف

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٣٣٤-٣٣٦. وهامش تلك الصفحات ومحمد أديب غالب، المصدر السابق، ص١٤٨-١٥٠،١٦٣.

(٢) محمد أديب غالب، المصدر السابق، ص١٤١،١٤٢،١٤٧، ويقول د.عبد الرحيم، ص٣١٤، أنه وصل إلى جدة أول رمضان ١٢٢٨هـ.

(٣) وظل الشريف غالب مقيماً فى سلانيك، هو وأولاده إلى أن توفى بها عام ١٢٣٢هـ (١٨١٦م) د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣١٥،٣١٦، ومحمد أديب غالب، المصدر السابق، ص١٥١-١٥٤،١٥٧، واسماعيل حقى، المصدر السابق، ص١٥٥-١٥٧،١٦٠، وفيه أن عزل الشريف غالب كان فى ذى القعدة ١٢٢٨هـ، وأورد المعلق روايات عن وفاته: قيل عام ١٢٣٠هـ، وقيل: ١٢٣١هـ، وقيل: ١٢٣٢هـ، حسب الرواية--

يحيى بن سرور بن مساعد، لأنه رأى فيه الانقياد والإفادة له أكثر من أخيه عبد الله بن سرور ذى المطامح الواسعة، وأيضاً الشريف راجح الذى كانت مطامحه أكبر وأوسع، وكان من نتيجة هذا العزل والاختيار أن دخل الشك فى نفوس الأشراف من نوايا محمد على تجاههم، وبات معظمهم لايأمنه، لأنهم توقعوا أن يحدث لهم مثلما حدث للشريف غالب، فهرب يحي بن مساعد إلى تهامه، ثم تمرد الشريف راجح ضده، وانضم إلى القوات السعودية، بأتباعه ورجاله، مما كان له الأثر السئ على محمد على[(1)] وزاد موقفه سوءاً عندما أراد أن يوسع منطقة نفوذه على الساحل جنوباً، بغرض تفتيت جهود الجبهة السعودية الصامدة أمامه، والتى تمنع تقدمه تجاه تربة، فبعث قوة بحرية عام ١٢٢٩هـ للاستيلاء على القنفذة، ومنها تتقدم جنوباً وشرقاً نحو جازان وعسير. فتصدت لها قوات من قبائل عسير وجازان تحت قيادة طامى بن شعيب، وألحقت بقواته هزيمة كبيرة، واستولت على أسلحتها وتمويناتها التى كانت قد أنزلتها إلى البر فى

=عاليه، وان الدولة العثمانية كانت قد فوضت محمد على فى اختيار وتعيين من يراه من الأشراف، فعين أخاه الشريف يحي بن سرور بن مساعد، واستمر فى هذا المنصب إلى أن وقعت خصومه بينه وبين الشريف شنبر بن مبارك تصاعدت إلى أن دفع بعض خدمه لقتل الشريف شنبر عند الصفا، عقب صلاة العصر يوم ٢٨شعبان ١٢٤٢هـ، فتم عزله من منصبه، وعين بدلاً منه الشريف محمد بن عون، وهو من فرع العبادلة، وذاك من ذوى زيد، واستمرت بعد ذلك فى العبادلة، الذين كان آخرهم الشريف على بن الحسين، الذى غادر الحجاز على يد الملك عبد العزيز.

(1) اسماعيل حقى، المصدر السابق، ص١٥٨،١٥٩، وابن بشر، ج١، ص٣٣٨،٣٣٩، ومحمد أديب غالب، المصدر السابق، ص١٦٠، ود.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص١٥٠،٣١٦، وفيه أن محمد على عين الشريف راجح بدلاً من الشريف غالب، وليس ذلك صحيحاً.

القنفذة، وهرب من نجا منهم في السفن عائداً إلى جدة[1] مما حدا بمحمد علي إلى إعادة النظر في خططه، بالعمل على جذب أكبر عدد ممكن من قبائل الحجاز إلى جانبه، وعقد تحالفات مع بعضها، وبعث يطلب إمدادات ومؤناً من مصر ومن ثم التركيز بشكل أكبر على المنطقة الجنوبية[2] وفي تلك الأثناء تصدع جانب كبير من الجبهة السعودية، بوفاة القائد الفذ الإمام سعود الكبير، بعد مرض لازمه عدة أشهر، وذلك في ١١ جمادى الأولى ١٢٢٩هـ (أبريل ١٨١٤م) الذي يعد أقوى قادة الدولة السعودية الأولى، وخلفه وليّ عهده، وأكبر أبنائه الإمام عبد الله[3] ولم تكن له خبرة أبيه الحربية أو الإدارية.

---

(1) ابن بشر، ج١، ص٣٤٠،٣٤١،٣٦٧، ود.عبد الرحيم، ج١، ص٣١٦، ومحمد أديب غالب، المصدر السابق، ص١٦٢، ١٦٣.

(2) د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣١٧،٣١٨، ومحمد غالب، المصدر السابق، ص١٥٨.

(3) ولد الامام سعود بن عبد العزيز في الدرعية عام ١١٦٥هـ، وتولى بعد أبيه عام ١٢١٨هـ، وانجب من الأبناء اثنى عشر ولداً، أكبرهم عبد الله الذي تولى الحكم بعده، ثم فيصل، وابراهيم، وتركي ـ ماتوا في الدفاع عن الدرعية عام ١٢٣٣هـ ـ وناصر، مات في حياة أبيه، ومشاري الذي فر من حرّاسه بالقرب من وادي الصفراء، وعاد إلى نجد عام ١٢٣٥هـ، وحكم الدرعية، لكن عبوش أغا القائد التركي قبض عليه، وسجنه في عنيزه حتى مات في سجنه، ثم سعد، وفهد، وعمر، وعبد الرحمن، وحسن، وخالد، وهؤلاء نقلوا إلى مصر بأولادهم وماتوا بها، فيما عدا خالد الذي دفع به محمد علي مع اسماعيل أغا من مصر، وعززهما بخورشيد باشا، ليتولى في نجد باسم محمد علي، فرفضه أهل نجد، وثاروا عليه وعلى من معه عام ١٢٥٧هـ، فهرب إلى الأحساء، ثم إلى جدة فمات بها حوالي عام ١٢٦٥هـ. انظر: عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، آل سعود، ص١٥،١٦، وليس صحيحاً ماذكره أحمد عسة في كتابه " معجزة فوق الرمال" ص١٦ من أن الأمير عبد الله ابن محمد بن سعود، والد الامام تركي، والذي يعتبر بمثابة جد الامام عبد الله بن سعود لأنه عم أبيه سعود بن عبد العزيز، من أنه نازع الامام عبد الله بن سعود في الحكم عقب وفاة أبيه، ذلك لأن الحرب القائمة بينهم--

رأى محمد على أهمية المنطقة الجنوبية المحيطة بمكة المكرمة بالنسبة لموقفه الحربى فى منطقة مكة، لاحتمال أن تقوم القوات السعودية الموجودة فى تلك المنطقة بتطويق قواته فيما لو تقدمت شرقاً نحو نجد، فعمل على تطهير بلاد زهران وغامد من القوات التى تهدده. وبعث لهذا الغرض قوات يقودها عابدين بك إلى وادى زهران فى جمادى الآخرة ١٢٢٩هـ، استطاعت تطويق حصن "بحروش علاش"[١] لكن القوات السعودية بقيادة طامى بن شعيب استطاعت فك الحصار، واتخذت موقف الهجوم وألحقت الهزيمة بقوات عابدين بك التى انسحبت عائدة إلى الطائف، تاركة خلفها الكثير من المعدات والذخائر، ثم طاردت قوات عابدين حتى الطائف، وسارعت فى عمل حصار حول الطائف، وكان بالطائف ذاك الوقت طوسون الذى أصبح محاصراً، ولما سمع والده بحصاره وهو فى جدة، أقبل مسرعاً، وفك الحصار بحيلة انطلت على بعض القوات السعودية، ففكوا الحصار، وتراجعوا عن الطائف[٢].

تأكد محمد على من أهمية المنطقة الجنوبية، وخطورتها على قواته بصفة عامة، لاسيما وانه وصلته أوامر من الباب العالى فى ٣ربيع

--وبين محمد على باشا، لاتجعله يفكر فى هذا الأمر، و لم يشر أحد من المؤرخين إلى هذا حتى أن مؤلف كتاب "لمع الشهاب" وهو كتاب مناوئ للدعوة والدولة السعودية، وكان معاصراً لتلك الأحداث، يقول، ص١٢٠: إن ولده الكبير عبد الله، ولى عهده، لم يكن حاضراً فى الدرعية وقت وفاة أبيه، ولما سمع حضر بعجلة، وقد استمر أمره فى الحكومة من غير مخالفة أحد له من أهل مملكته.

(١) حصن كان يقع فى بلاد زهران أطلق عليه اسم شيخ قبيلة زهران.

(٢) د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣١٨، وابن بشر، ج١، ص٣٦٨،٣٦٩.

١٢٣٠هـ تحثه على ماكان يفكر فيه من حيث تصفية تلك المنطقة من القوات السعودية، ليسهل عليه بعد ذلك التقدم لمهاجمة الدرعية، وهو مأمون الظهر، خشية أن تقوم القوات السعودية الموجودة بتلك المنطقة من تطويق قواته الزاحفة، والحيلولة بينها وبين اتخاذ خط الرجعة فيما لو تأزم موقفها، ومحاصرتها، ومنع الامدادات عنها، ومن ثم القضاء عليها[١] ويبدو أن محمد على كان يفكر جدياً فى هذا الموضوع، لأن عقب انتهائه من موسم حج عام ١٢٢٩هـ[٢] قام بتعديل خطته على هذا الأساس، وقرر أن يقود بنفسه هذه الجبهة بداية عام ١٢٣٠هـ، للاستحواذ على المنطقة الجنوبية بكاملها ـ جازان وعسير ونجران ـ فبعث ابنه طوسون فى ١٣ذو الحجة ١٢٢٩هـ، ليتولى القيادة فى الجبهة الشمالية، ومقرها المدينة المنورة، لمواجهة القوات السعودية من أهل نجد والقصيم وحائل والمنطقة الشرقية، التى كان يقودها بنفسه الامام عبد الله[٣] كما أرسل حسن باشا وأخاه عابدين بك كطلائع له، فى الجبهة الجنوبية، فتقدما وعسكرا فى "الكلخ" فيما بين الطائف وتربة، فى مواجهة الجبهة التى يقودها الأمير فيصل بن سعود أخو الامام عبد الله. ومعه بعض قبائل وبلدان نجد، وكافة قوات الجنوب التى يقودها طامى بن شعيب، وخلال هذه الفترة كان محمد على

---

(١) د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣٢٠، ومحمد أديب غالب، المصدر السابق، ص١٧١.

(٢) وفد هذا الموسم كما يقول ابن بشر ج١، ص٣٧٠ الحاج الشامى والمصرى، وكما يقول الجبرتى حجت هذا العام زوجة محمد على أم أبنائه، ووفد حجاج كثيرون من استانبول وبقية ولاياتها، بعد أن بلغهم عودة الحرمين إلى نفوذ الدولة العثمانية.

(٣) ابن بشر، ج١، ص٣٦٩.

قد استطاع استمالة الشريف راجح، فانحاز إليه، فبعثه مع حسن باشا إلى الكُلْخ على أساس أن له دراية بمنافذ ومسالك المنطقة الجنوبية (عسير وحازان) وأيضاً الاستفادة منه في العمل على كسب ولاء القبائل عن طريق بذل الأموال[1].

تقدم محمد علي على رأس قواته من الطائف، واحتل وادى ومرتفعات "بسل" بالقرب من الطائف شرقاً[2] يوم ٢٦محرم ١٢٣٠هـ (١٨ يناير ١٨١٥م) في بداية زحفه إلى تربة، إلا أن الأمير فيصل بن سعود، القائد السعودى لتلك الجبهة، لم يمهل محمد على للمسير إلى تربة، فسارع والتقى به في وادى بسل ودارت بينهما عدة معارك عنيفة، استمرت يومين، كانت نتيجتها النهائية تفوق قوات محمد على بما لديهم من أسلحة حديثة وبالحيل والمناورات، فأنهزمت القبائل أمام فاعلية تلك الأسلحة، وبدلاً من أن تتراجع إلى معسكرها في تربة، الذى كانت رابضة فيه قبل المعركة، إذا بها تنسحب إلى مواطنها، وعندما رجع الأمير فيصل بمن ثبت معه إلى مقره في تربة، لم يجد بها إلا القليل من قواته، فانسحب إلى رنية ليتخذ منها خط دفاعه الأول، إلا أن معظم قواده رأوا انسحاب

---

(١) محمد أديب غالب، المصدر السابق، ص١٦٩،١٧١،١٧٤، وفيه أنه تم القبض على الشريف راجح وارسل إلى مصر في ١٧رمضان ١٢٣٠هـ. وأمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ص١١٦، ونفح العود، ص٢٩٠،٢٩١، وفيه: كُلاخ، بدل: كُلخ.

(٢) كان عثمان المضايفى - قبل القبض عليه - قد أقام حصناً على مرتفعات وادى بسل، ومنه كان يشن هجماته على قوات طوسون، عندما تقدمت واحتلت الطائف.

كل منهم إلى موطنه ليجمع قواته، متوقعين أن محمد على سيتوقف مكانه طالما أنه لايجد أمامه قوات تحاربه، وبذلك خلا الطريق أمام محمد على، فأنتهزها فرصة وواصل زحفه إلى تربة فأحتلها بعد مقاومة يسيرة من أهلها، وقرر مواصلة زحفه إلى عسير[1] فاستولى فى طريقه على رنية وبلاد زهران وغامد، ثم بيشة، وتبالة، وبلاد شهران وغيرها من بلدان عسير الشمالية ـ الشرقية منها والغربية ـ متغلباً على المقاومة التى واجهته وهى مجزأة ومفتتة، حتى وصل إلى قلب عسير فقابله طامى بن شعيب بمن استطاع جمعهم من قبائل عسير، مقسماً قواته إلى ثلاثة أقسام، قسم يقوده ابن عمه عوان المتحمى ويحي بن شعيب ومقره قرية الطلحة ببلاد ربيعة رفيدة، وقسم يقوده محمد بن احمد الرفيدى، للدفاع عن حصون طبب، والقسم الثالث تولى هو قيادته ومعه كل من: سعيد بن مسلّط، وعلى بن مجثّل، ويحي بن مرعى، ومحمد بن دهمان وغيرهم، وقد اتخذوا مواقعهم فى رؤوس الجبال، ومضايق الأودية، وعندما تقدمت قوات محمد على انزلوا بها هزائم متتالية، إلا أنها ماتلبث عقب كل هزيمة أن تستتر خلف أسلحتها التى كان لها الأثر الفعال فى الميدان، والصمود فى أغلب المعارك، وشارك محمد على جنوده النصب والتعب كى يبعث فيهم العزيمة والصمود، حتى استطاعوا فى النهاية أن يتغلبوا على الطلحة، ويستولوا على حصون طبب، ويوقعوا الهزيمة بمن نزل إليهم من رؤوس الجبال،

---

[1] لقد بعث محمد على رسالة إلى السلطان بتاريخ ٧صفر ١٢٣٠هـ يصف له فيها معركة تربة، ويوضح له اعتزامه الزحف إلى عسير، وان ولده طوسون الموجود فى المدينة المنورة، سيزحف إلى الحناكية، ثم القصيم وحيل شمر.

وعندها فرّ طامى بن شعيب إلى تهامة بقرية "مسلية" فى أعلى وادى بيش بجازان، وكان بها حصن له وبها بعض أتباعه، ثم قُبِض عليه بجيلة فى ربيع الأول ١٢٣٠هـ، وسُلّم إلى محمد على، فبعث به إلى مصر ومنها إلى استانبول[١] فتولى قيادة المقاومة بعده فى عسير ابن عمه محمد بن أحمد المتحمى، الذى هادن محمد على فترة إلى أن تمكن فقاد ثورة ضد حكمه[٢].

وكان محمد على أثناء تحركه من تربة إلى عسير، قد بعث قوة بحرية استولت على القنفذة وما حولها، واصبحت الميناء الرئيسى الذى يمد قواته بالتموين والمعدات خلال حربه فى عسير، ومنه أركب طامى بن شعيب ليسافر بحراً إلى مصر[٣] وبذلك هدأت المقاومة فى عسير وألمع، وكان الشريف حمود ونائبه الحسن بن خالد مازال يهيمن على معظم جازان من أبو عريش جنوباً حتى الحديدة وبيت الفقيه، ودخل فى عدة حروب مع

---

[١] انظر فيما سبق: ابن بشر، ج١، ص٣٧٠-٣٧٥، والجبرتى، ج٤، ص٢٣٢-٢٣٥، ود. أبو داهش، المصدر السابق، ص٢٦،٢٧، ود.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣١٩،٣٢٠، ونفح العود، ص٢٩١،٢٩٢، ود.منير العجلانى، تاريخ البلاد العربية السعودية، ص٣٩-٤٩، والدكتور عبد المنعم ابراهيم الجميعى، عسير خلال قرنين، ص٥٨-٦١، وفى المصادر المحلية أن الذى قبض على طامى بن شعيب، بجيله هو الشيخ حسن بن خالد الحازمى، وسلمه لمحمد على، بينما يقول الجبرتى فيما نقله عنه محمد أديب غالب، ص١٧٢، إن الشريف راجح هو الذى أوقع به، وسلمه إلى محمد على.

[٢] د.أبو داهش، المصدر السابق، ص٢٧، ود.العجلانى، المصدر السابق، ص٢٩-٥٢.

[٣] عبد الله بن مسفر، السراج المنير فى سيرة أمراء عسير، ص٧٠،٧١، ود.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣٢٠.

إمام صنعاء خلال هذه الفترة[1] و لم يستطع إمام صنعاء استعادتها، ولما قدم محمد على إلى المنطقة بعث إليه حمود يهادنه ويظهر ولاءه للدولة العثمانية، لذا اعتبره محمد على موالياً للدولة العثمانية و لم يتقدم بجيوشه نحو أبو عريش أو غيرها مما يبسط عليها الشريف نفوذه جنوباً حتى الحديدة، ثم عين محمد على باشا أحد رجاله أميراً على عسير، وجعل مركزه مدينة "طبب" وسار بمعظم قواته إلى عقبة "تيّه" قرب حدود عسير الجنوبية، ثم إلى القنفذة عائداً إلى جدة بالبحر، وعين حسن باشا أميراً على جدة، وقائداً للجبهة الجنوبية التى تقابل منطقة مكة، وكان ابنه طوسون قائداً للمنطقة الشمالية التى تقابل منطقة المدينة المنورة، ثم بلغ محمد على نبأ مؤامرة تحاك ضده فى مصر للاستيلاء على الحكم، وقيل: بلغه خبر هروب نابليون بونابرت من منفاه بجزيرة "ألبا" فخشى أن تكون مصر هدفاً لحملة فرنسية جديدة يقوم بها نابليون، لذا أسرع بالعودة إلى مصر من طريق جدة فى ٥ جمادى الأولى ١٢٣٠هـ (٢٠ مايو ١٨١٥م)[2].

وقيل إن محمد على قبل عودته إلى مصر أوصى ابنه طوسون، بأن يظل فى الحناكية ولايتقدم نحو نجد، إلا أن طوسون شعر بأن والده

---

[1] من بينها وقعة قرية مختارة عام ١٢٢٩هـ، وهى قرية سبق أن بناها حمود بجهة بلاد بنى قيس، للاقامة فيها، نفح العود، ص٢٨٢،٢٨٣، وهامش ص٢٩٣.

[2] ابن بشر، ج١، ص٣٧٦، ومحمد غالب، المصدر السابق، ص١٧٣، ود.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣٢١، وابن مسفر، المصدر السابق، ص٧١، وقد سافر محمد على من جدة إلى القصير، ثم منها إلى القاهرة فوصلها فى ١٥ رجب ١٢٣٠هـ (٢٣يونيو ١٨١٥م)

يشكك في مقدرته العسكرية، فأراد أن يثبت كفاءته، فتقدم واحتل بلدتي "الرّس" و"الخبرا" بممالأة من بعض أهلهما وبعض القبائل المجاوره لهما[1] فسارع الإمام عبد الله يقود جموعاً من أهل نجد والقصيم وحائل والحسا ووادي الدواسر وغيرهم، وقاتل طلائع طوسون والقبائل الموالية له، ووقعت بين الطرفين عدة معارك فيما حول الرّس، ويبدو أن طوسون أحس بصعوبة موقفه وبخطئه في تقدمه نحو نجد، فأخذ في مراسلة الإمام عبد الله لإمكانية عقد صلح، ودارت بينهما مفاوضات حول مشروع الصلح، وذهب وفد سعودي إلى مصر في شوال ١٢٣٠هـ (سبتمبر ١٨١٥م) يضم كلاً من: عبد الله بن محمد بن بنيان، والقاضي عبد العزيز ابن حمد بن ابراهيم[2] ليتفاوض مع محمد على مباشرة، وتوقف القتال على الجبهات في شعبان ١٢٣٠هـ، انتظاراً لنتيجة تلك المفاوضات، التي تعثرت بسبب تعنّت محمد على في شروط الصلح، وكان طوسون قد اضطر إلى سحب قواته من الرس وعاد إلى المدينة عند سفر الوفد إلى القاهرة، ومن المدينة كتب إلى والده يأذن له في العودة إلى مصر لمرضه فأذن له[3] وتولى المهمة بعده أخوه ابراهيم باشا، ويبدو أن طوسون كانت

---

(1) ابن بشر، ج١، ص٣٧٦، ود. العجلاني، المصدر السابق، ص٥٤-٥٦.

(2) ويذكر الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، محقق كتاب ابن بشر عند ذكر هذا الوفد (ص٣٧٨-٣٧٩) أن الشيخ عبد العزيز بن حمد بن ابراهيم هو سبط الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أي ابن بنته، وهو من بني عمومة الشيخ، توفي في سوق الشيوخ بالعراق التي رحل إليها بعد تخريب الدرعية.

(3) ابن بشر، ج١، ص٣٧٨،٣٧٩، والجبرتي، المصدر السابق، ج٤، ص٢٤٤، ود.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣٢٣،٣٢٤، د.العجلاني، المصدر السابق، ص٥٧-٥٨.

لديه الرغبة فى وضع حدّ لهذه الحروب، مكتفياً بما حققه خلالها، ولذا انسحب من الرّس إلى المدينة المنورة، وغالب الظن أن الامام عبد ا لله كانت له أيضاً النية الصادقة فى إكمال هذا الصلح ووضع حدّ لهذه الحروب، لكن محمد على كانت له نويا أخرى، اكتشفها ابنه طوسون بعد عودته إلى مصر، وكان الوفد السعودى مازال فيها[1].

وعلى كل فإن مقتضيات منهج البحث لهذه الدراسة تلزمنا بتتبع الأحداث التى أعقبت وجود قوات محمد على باشا فى المنطقة المعنية بالدراسة لنتعرف على مدى ثبات أو تغير الولاء فى المنطقة خلال هذا الوجود الأجنبى، بالرغم من أنه كان وجوداً اسمياً فى معظم الأحيان، وان هناك مناطق فى عسير ظلت بمنأى عن نفوذ محمد على إبان هذا الوجود.

يبدو أن محمد على عندما قرر غزو عسير، بعث إلى الشريف حمود ـ الذى يتظاهر بالمودة لمحمد على إتقاءً لشره ـ مندوباً اسمه "يوسف أغا" يطلب من حمود المؤزارة ضد العسيريين، والدولة السعودية بصفة عامة، فتعلل حمود بقلة إمكاناته، فواصل المندوب سيره إلى صنعاء، فأحسن الإمام استقباله، لكنه اعتذر بلطف عن المشاركة فى محاربة نجد، أو عسير، وأمر بتوجيه بعض السفن الصغيرة التى كانت بحوزته، إلى محمد على

---

(1) ابن بشر، ج١، ص٣٨٣،٣٨٤، ود.العجلانى، المصدر السابق، ص٥٧-٦٨، ومحمد غالب، المصدر السابق، ص١٧٤،١٧٧، ود.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج١، ص٣٢٤-٣٢٦.

لتساعد فى نقل الجنود والمعدات فى البحر الأحمر[1] ثم كانت واقعة تسليم طامى بن شعيب لمحمد على لإزالة أى شك فى نواياه من جهة حمود، وتأكيداً لطاعته للدولة العثمانية، وأردف ذلك بمكاتبات وهدايا إلى محمد على، من بينها مكاتبة يطلب منه أن يرد بعض المناطق والأراضى إلى نفوذه، منها جزيرة فرسان، ودرب بنى شعبة، ورجال ألمع، فبعث إليه محمد على يطمئنه، ويطلب منه عدم الاتصال برجالات الدولة السعودية، وعدم الاستبداد فى الحكم[2].

وبذلك سلمت المنطقة الممتدة من أبو عريش وما بحوزتها ثم جنوباً حتى الحديدة، من دخول قوات محمد على باشا إليها، خلال هذه الفترة، على اعتبار أن حاكمها موالٍ للدولة العثمانية ولو إسمياً، واستمر الوضع كذلك حتى أوائل عام ١٢٣٣هـ، حين أعلن حمود تمرده على الدولة، ودخل معها فى حروب أصيب أثناءها بجروح، ثم توفى يوم ١٤/٣/١٢٣٣هـ (١٨١٨م)[3] فبعث وزيره الحسن بن خالد خطاباً إلى الامام عبد الله بن سعود، يفيده فيه بوفاته، وان قبائل المنطقة بتهامة وعسير مازالت على ولائها وطاعتها للامام عبد الله، وإلى جانبه فى العسر واليسر، مؤكداً على استمرارية الولاء بالرسائل المتبادلة بينه وبين القيادة

---

[1] د.العجلانى، المصدر السابق، ص٣٥. ويقال إن محمد على استأجر تلك السفن.

[2] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٧٢،٤٧٣.

[3] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٧٦، ومحمد غالب، ص١٨٤، وبعض الوثائق بدار الوثائق القومية بالقاهرة بالمحفظة بر بحرا، منها الوثيقة رقم ١٣،٦٣،٦٦،٨١،١٢١،١٤١.

في الدرعيـة[1] ومما يلاحظ أن هذه المكاتبة كانت قبيل حصار ابراهيم باشا للدرعية بحوالى شهرين. ومنه يستفاد بأن الولاء ظل مستمراً، وإن خفتت جذوته أحياناً بسبب الجفاء والخلاف الذى وقع بين حمود وبين بعض قادة عسير، والتى كانت تعتبر خلافات شخصية بدليل التغاضى عنها، والتجمع لمواجهة الغزو الخارجى، حين تاكدوا أنه يهدف إلى استئصالهم جميعاً.

تولى أحمد بن حمود الأمر بعد أبيه، وسار على نهجه فى معاداته للدولة العثمانية، فزحف إليه خليل باشا الذى قاد حملة إلى عسير فى صفر ١٣٣٤هـ (١٨١٨م) بعد فراغه من عسير، واستطاع انتزاع المنطقة التى يهيمن عليها أحمد بن حمود ـ وهى أبو عريش وما بحوزتها وجنوباً حتى الحديدة[2] ـ وكان يرافقه فى حملته الشريف على بن حيدر[3] فولاه على أبو عريش وما بحوزتها ثم جنوباً حتى الزيدية[4]، على أن يخضع لحاكم عام الحجاز، أما المنطقة جنوب الزيدية حتى الحديدة فقد فاوض بشأنها

---

(1) العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٤٧٨-٤٧٩، وقد اورد نص الخطاب الذى يعتبر وثيقة تاريخية هامة، حيث ذكر فيه اسماء كثير من البلدان والقبائل التى مازالت على عهدها وطاعتها بالرغم من الاضطهاد والدمار الذى لحقها على أيدى قوات محمد على.

(2) أسير أحمد بن حمود أثناء هذه الحملة، وأرسل إلى مصر فمات فيها عام ١٢٣٥هـ (١٢٠م).

(3) الشريف على بن حيدر الذى كان يتولى حكم المخلاف قبل الشريف حمود، ابتداء من عام ١٢٠٥هـ ثم تنازل عنه لصالح عمه حمود عقب معركة الحجرين عام ١٢١٦هـ، ثم وقع خلاف بينهما، فارقه على إثره على بن حيدر، ثم هادن محمد على حتى ولاه تلك المنطقة، وظل يحكمها حتى وفاته عام ١٢٥٤هـ، فتولاها ابنه من بعده.

(4) الزيدية: ناحية المنيرة من قراها بلدة المهجم الخرية حالياً، والتى كان قتل فيها الصليحى حوالى عام ٤٧٣هـ، وهى تسقى من وادى سردد، وكانت فى بداية الاسلام تعتبر من توابع ولاية مكة المكرمة.

إمام صنعاء، بأن يسلمها إليه مقابل دفع جباية سنوية للباب العالى، فقبل الإمام ذلك، فسلمها إلى مندوبيه ليديرونها، ثم عاد خليل باشا إلى جدة فى ذى القعدة ١٣٣٤هـ (١٨١٩م) [1] واستمر الوضع فى المنطقة هكذا حتى حركة " تركجة بيلمز" [2] التى استولى فيها على المنطقة التى سُلِّمت من قبل إلى إمام صنعاء ـ وهى من الزيدية إلى الحديدة بالاضافة إلى المخا ـ فأعيدت إلى إدارة على بن حيدر، الخاضع لحاكم عام الحجاز [3] واستمر يديرها ثم من بعده ابنه حسين بن على بن حيدر إلى عام ١٢٦٤هـ الذى ناوأ الدولة، ثم زهد فى الحكم بعد وقوع حروب بينه وبين إمام صنعاء، فزحف توفيق باشا ومعه الشريف محمد بن عون وتسلم تهامة اليمن [4] من الأمير حسين بن حيدر فى ذلك العام. ثم تسرب النفوذ العثمانى بعد ذلك إلى أرض اليمن فى فترات متلاحقة.

---

[1] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٥٠٤-٥٠٦، ود. عبد الرحيم، المصدر السابق، ص٥٥،٥٦،١٩٨،١٩٩.

[2] تركجة بيلمز، كان أحد رؤساء الجند غير النظاميين بقوات محمد على فى الحجاز وكانوا من الألبان، فأعلن تمرده على القيادة هو ومن معه ـ يقال بتحريض من الانجليز ـ ثم استولى على بعض السفن من ميناء جدة واتجه بها إلى الحديدة فى ٣٠ ربيع الثانى عام ١٢٤٨هـ، واستولى عليها وعلى ماحولها شمالاً حتى حدود ولاية على ابن حيدر، ثم لما بعثت إليه الدولة حملة للقضاء عليه عليه استطاع الهرب باحدى السفن البريطانية من ميناء المخا.

[3] د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ص١٧١-١٨٦،٢٠٥، والعقيلى، ج١، ص٤٨٢.

[4] أى جنوب الزيدية حتى الحديدة.

أما عسير فقام زعماؤها: محمد بن أحمد الرفيدى المتحمى[1] وسعيد ابن مسلّط[2] وعلي بن مجثّل[3] وعائض بن مرعى[4] بالتوالى بقيادة ثورات متوالية ومتصلة الحلقات ضد قوات محمد على باشا، والتف حولهم زعماء قبائل وبلدان عسير، حتى صارت عسير مصدر قلق وازعاج لمحمد على منذ أن نزلت قواته إليها عام ١٢٣٠هـ، وظل يرسل إليها الحملات المتتابعة فى محاولة للقضاء على الثورات المتأججة ضده[5] واستعمال أساليب العنف والقسوة حيناً واللين أحياناً أخرى، حتى اضطر أحمد باشا يكن حاكم عام الحجاز إلى عقد صلح عام ١٢٥٦هـ، مع الأمير الذى آل إليه الأمر أخيراً فى عسير، وهو عائض بن مرعى، الذى عاصر قيام الدولة السعودية فى دورها الثانى[6] وذلك الصلح كان الطرف الآخر فيه هو

---

[1] محمد بن أحمد، هو ابن عم طامى بن شعيب، تولى القيادة فى عسير بعد القبض على طامى عام ١٢٣٠هـ، حتى أواخر عام ١٢٣٤هـ، حين قبض عليه وأرسل إلى مصر.

[2] سعيد بن مسلط، تولى القيادة بعد محمد بن أحمد عام ١٢٣٤هـ، ثم شاركه فيها على بن مجثل، حتى وفاته الطبيعية فى صفر ١٢٤٢هـ.

[3] على بن مجثل هو ابن عم سعيد بن مسلط، وأخوه لأمه، شارك سعيد فى قيادة الثورات فى عسير ضد قوات محمد على، واستطاع التوسع بالاستيلاء على تهامة اليمن حتى الحديدة عام ١٢٤٨هـ، توفى فى محرم، وقيل ١٢ شوال ١٢٤٩هـ (٢٢ فبراير ١٨٣٤م).

[4] عائض بن مرعى المغيدى، من بنى عمومة على بن مجثل، تولى القيادة بعده بوصية منه عام ١٢٤٩هـ حتى وفاته الطبيعية عام ١٢٧٣هـ، وهو المؤسس الأول لإمارة آل عائض فى عسير.

[5] عن هذه الثورات تفصيلاً انظر: د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ص١٣٣-١٦٧.

[6] توجد بدار الوثائق القومية بالقاهرة مجموعة كبيرة من الوثائق تناولت الفترة السابقة التى تحدثنا عنها، أورد بعضها الدكتور عبد الرحيم فى كتابه "محمد على وشبه الجزيرة العربية" ج١، الذى رجعنا إليه.

الشريف محمد بن عون شريف مكة، حسب ماكانت تقتضيه الظروف الدولية وقتها.

والواضح من وقع الأحداث أن قيام أهل عسير برفض حكم محمد علي باشا، واشعالهم ثورات متوالية ضده، إنما يعود إلى عدة أسباب يأتي في مقدمتها تشبعهم بمبادئ الدعوة السلفية، ووفائهم وولائهم لأئمة آل سعود، والأنفة من الخضوع للأجنبي.

خلال هذه الفترة كانت الدولة السعودية في دورها الثاني قد عادت إلى سابق عهدها على يد تركي بن عبد الله (١٢٤٠هـ — ١٢٤٩هـ)[1] فوصل زعماء عسير صلاتهم بالدرعية، وفاء منهم، وتأكيداً لولاء غير معلن رسمياً، تجنباً لمزيد من الاستعداء والبطش من عدوهم بل إن ذلك الولاء المعلن إسمياً للدولة العثمانية ممثلة في شخص محمد علي، لم يكن في كل الأوقات، ولافي جميع المناطق المعنية بهذه الدراسة، ولاتلهج به ألسنة كافة المواطنين، وإنما الغالب هو السخط وعدم الرضا تجاهه.

---

[1] الامام تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود (الذى ينسب إليه آل سعود) ابن محمد بن مقرن بن مرخان المريدى، والامام تركى هو جد الأسرة السعودية الحاكمة حالياً، وهو مؤسس الدولة السعودية فى دورها الثانى، تولى الحكم عام ١٢٣٩هـ حتى آخر عام ١٢٤٩هـ (١٨٢٤م - ١٨٣٤م) فتولى الحكم بعده ابنه الامام فيصل بن تركى جد الملك عبد العزيز.

الفصل الرابع

علاقة المناطق بالدولة السعودية الثانية

لقد عمت الفتن والاضطرابات بلدان نجد عقب الانهيار السياسى الذى لحق بالدرعية على يد ابراهيم باشا فى ٨ذى القعدة ١٢٣٣هـ (٩سبتمبر ١٨١٨م) و لم يقدر لهذا الانهيار أن يدوم طويلاً، لأن مقومات نهوض الدولة مرة ثانية كانت متوفرة بصورة فعالة وواضحة، إذ أن الأسس التى بنيت عليها فى المرة الأولى مازالت فى معظمها قائمة، ويأتى فى مقدمتها الإيمان الراسخ بمبادئ الدعوة السلفية، التى غيرت المجتمع النجدى، إلى مجتمع مُتوحد ومُتّحد، قلباً وقالباً، يُكنُّ الولاء ويحفظ الوفاء لحكامه من آل سعود الذين تبنوا نشر تلك الدعوة، والجهاد فى سبيلها، ولمس الجميع من قبل نعمة الرخاء التى أفاءها الله عليهم، بسبب مناصرتهم لدين الله، والسير فى ركاب من يناصرونه، لذا لم يستجب معظمهم لاغراءات محمد على، و لم يخضعوا للعسف الذى مارسه جنوده، بل قاوموا وطالت أنفاسهم فى ميادين المجالدة والمقاومة، حتى حولوا الأرض إلى نار مستعرة، لايقر لغزاتهم فيها قرار[1] وتمكن تركى بن عبد

---

[1] كتب التاريخ مليئة بألوان من تلك المقاومة، مثل تاريخ ابن بشر، والجبرتى، ود.عبد الرحيم عبد الرحمن، وغيره، وكذا كثير من الوثائق العثمانية، بدار الوثائق القومية بالقاهرة، واستانبول.

الله من تملك زمام تلك المقاومة، حتى استطاع بعد جهاد طويل من إعادة الكيان السياسى للدولة السعودية فى دورها الثانى، متخذاً من الرياض عاصمة لها بدلاً من الدرعية، وبايعه أهلها بالإمامة عام ١٢٤٠هـ (١٨٢٤م) [1] ودخلت بقية بلدان نجد بعد ذلك فى طاعته، واعاد نفوذ الدولة السعودية إلى الأحساء، والبحرين، وساحل الخليج جنوباً حتى عُمان، وأعاد علاقته وصلته بزعماء وأمراء كل من منطقتى عسير وجازان، تلك العلاقة التى تنم عن الوفاء والولاء للدولة السعودية الثانية فى كافة أطوارها.

تلاحقت الحوادث والوقائع فى كل من عسير السراة وتهامة عسير خلال الفترة من عام ١٢٣٠هـ (١٨١٤م) الذى حلت فيه قوات محمد على بالمنطقة، حتى عام ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م) وهو العام الذى انسحبت فيه قوات محمد على من شبه الجزيرة العربية تنفيذاً لقرارات مؤتمر لندن التى أصدرتها الدول الأوربية، بشأن تحجيم قوة محمد على. وشهدت المنطقة ثورات متتابعة ضد قوات محمد على، كما شهدت صراعاً بين زعمائها فى بعض الأحيان، بغرض دعم مركز كل منهم، لكن الحقيقة المستخلصة من استقراء تلك الوقائع تشير إلى أن الولاء إن لم يكن يهدف

---

[1] بدأ الامام تركى تزعم المقاومة لقوات محمد على، وأيضاً لبعض القوى المحلية، كمحمد بن مشارى بن معمر، عام ١٢٣٧هـ، كما يقول ابن بشر، ج٢، ص٢٤، حتى استطاع التغلب على خصومه، وبايعه الناس بالإمامة عام ١٢٤٠هـ، وتوجد تفاصيل عديدة فى كتب التاريخ لهذه الفترة حتى استشهاده يوم الجمعة آخر ذى الحجة عام ١٢٤٩هـ (١٨٣٤م).

إلى الاستقلال الذاتى، فإنه كان يتجه فى معظمه صوب الرياض عاصمة الدولة السعودية الثانية، وهو وإن لم يكن معلناً فى بعض الأحيان مخافة المزيد من استعداء الخصوم، فإنه كان ولاء خفياً فى معظم الأحوال، لايجهر به إلا عند اللزوم، أما ماكان يعطى من ولاء لمحمد على فى بعض الأحيان، فإنه كان من باب المداراة وسد الذرائع، أو لكسب منفعة مؤقته اقتضتها الظروف.

فإمارة كل من: عبد الوهاب بن عامر المتحمى (١٢١٧هـ — ١٢٢٤هـ) وطامى بن شعيب (١٢٢٥هـ — ١٢٣٠هـ) ومحمد بن أحمد المتحمى (١٢٣٠هـ ـ ١٢٣٣هـ) على عسير كانت بتعليمات مباشرة من الدرعية، وإمارة سعيد بن مسلط (١٢٣٩هـ ـ ١٢٤٢هـ) وعلى بن مجثل (١٢٤٣هـ ـ ١٢٤٩هـ) كانت بالتزكية من ذوى الرأى، والتوصية من الأمير السابق، وقد أظهر كل منهما الموالاة لآل سعود، وإمارة عائض بن مرعى المغيدى (١٢٥٠هـ ـ ١٢٧٣هـ) كانت بعهد من سالفه الأمير على ابن مجثّل. ثم رشح الأمير عائض للإمارة أحد رَجُلَيْن أحدهما ابنه محمد.

وإذا كان من مصداقية الدعوى إثبات البيّنة لدعم حجيتها، واستعراض الأدلة المؤيدة لصحتها، فى ساحة الادعاء أو المناظرة، فمن المناسب قياساً على هذا تصفح بعض الشواهد التاريخية والوثائقية التى تشير إلى هذا الولاء، بشكل مباشر أو غير مباشر. بغرض تنبيه الباحث فحسب إلى هذه الحقيقة.

فمن هذا القبيل في عهد الدولة السعودية الثانية:

- وثيقة عثمانية[1] عبارة عن رسالة بتاريخ ٧ربيع الأول ١٢٤٠هـ من أحمد باشا يكن - محافظة مكة المكرمة وحاكم عام الحجاز - إلى محمد على باشا، يصف فيها الوضع في عسير، ويتهم فيها سعيد بن مسلّط بأنه يراسل تركى بن عبد الله، لتنسيق جهودهما، والتعاون فيما بينهما لإنزال الهزيمة بعدوهم المشترك (أى قوات محمد على) وأن كثيراً من قبائل عسير تؤازر سعيد ابن مسلّط في هذا. وأن تركى بن عبد الله أرسل من قبله شيخاً مرعى الجانب للتفاهم مع سعيد حول وسائل التعاون بينهما.

- الأمير على بن مجثّل عاصر معظم عهد الإمام تركى بن عبد الله، وتوفيا في عام واحد[2] وكان ابن مجثل مُشْبَعاً بمبادئ الدعوة السلفية[3] واستمر على عهد سلفه في الصلة بالإمام تركى من أجل التنسيق في مواجهة العدو المشترك، واستطاع أن يمد نفوذه خارج حدود عسير في بعض الأحيان، فاستولى على تهامة اليمن حتى الحديدة والمخا أوائل عام ١٢٤٩هـ، ونلحظ أن المؤرخ النجدى ابن بشر يورد هذا الخبر بشئ من الاعتزاز

---

[1] الوثيقة محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٩) بحر برا، برقم (٦٦) وتاريخ ٧ربيع الأول ١٢٤٠هـ، ٣٠ أكتوبر ١٨٢٤م.

[2] توفى ابن مجثل في ١٢شوال ١٢٤٩هـ، والامام تركى في الجمعة الأخيرة من ذى الحجة نفس العام.

[3] العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٥٣٥.

والمباهاة، نظراً لانتصار اتباع ابن مجثل على الترك، ويعني بهم قوات محمد علي باشا[1] كما يورد تاريخ وفاة ابن مجثل[2] على أنه من الأبطال والشخصيات المرموقة.

- الأمير عائض بن مرعي المغيدي، الذي عهد إليه سلفه علي بن مجثل بالإمارة، استمر أيضاً على عهد سلفه في الصلة بأئمة آل سعود. وعقب انتصاره في إحدى المعارك على قوات محمد علي باشا عام ١٢٥١هـ، بعث مندوبيه إلى الرياض، يحملون بشائر النصر والهدايا إلى الإمام فيصل بن تركي، كما بعث خمس الغنائم التي غنمها في حروبه، ومعها قصيدة للشيخ علي بن الحسين الحفظي يذكر فيها مفاخر قومه، وما حققوه من انتصارات[3] وفعل ذلك أيضاً عندما انتصر على القوات العثمانية عام ١٢٦٩هـ[4] ثم صفا له الوضع في عسير بانسحاب قوات محمد علي من شبه الجزيرة العربية عام

---

(1) ابن بشر، ج٢، ص٩٢،٩٣.

(2) ابن بشر، ج٢، ص٩٥.

(3) علي عبد الله عسيري، المصدر السابق، ص٨٥،٨٦.

(4) ابراهيم بن صالح بن عيسى، عقد الدرر، ص١٠، وانظر أيضاً بدار الوثائق القومية بالقاهرة: محفظة (٢٥١) عابدين، وثيقة (١٣٣) بتايخ ٢٥ صفر ١٢٥١هـ (٢٢يونيه ١٨٣٥م)عبارة عن رسالة من ابراهيم توفيق باشا إلى محمد علي.

١٢٥٦هـ (١٨٤٠م) تنفيذاً لقرارات مؤتمر لندن[١] وعُقِد صلح بينه وبين الشريف محمد بن عون أمير مكة، على إيقاف الحرب وإبقاء الوضع على ماهو عليه فى عسير.

- تشير بعض الوثائق إلى أنه خلال حروب محمد على فى عسير، كان قد عيّن فى إحدى الفترات الشريف محمد بن عون أميراً عليها عام ١٢٣٧هـ[٢] فأساء التصرف فى إدارته، فذهب البعض من أهل عسير ونجران يشكونه إلى محمد علي، ويطلبون منه عزله عنهم، وتعيين حسين المكرمى اليامى[٣] بدلاً منه، وجاءفى مبررات ترشيحهم له لتولى هذا الأمر: هو أنه غير خاضع ولامطيع لإمام اليمن[٤].

ولاريب أن هذا المطلب كان من بعض الزعماء الذين هادنوا محمد على فى بعض الأحيان، دون الذين استمروا فى ممالأته ومعاداته، سواء فى عسير أو نجران، لكنه يعطى فى الوقت نفسه مؤشراً بعدم الموالاة فى

---

[١] وقعت معاهدة لندن فى ١٥جمادى الأولى عام ١٢٥٦هـ/١٥يوليه ١٨٤٠م، من جانب كل من بريطانيا، روسيا، النمسا، بروسيا والدولة العثمانية، ضد محمد على.

[٢] الشريف محمد بن عبد المعين بن عون، بعد أن عزله محمد عن إمارة عسير، استدعاه للاقامة فى القاهرة، ثم استصدر مرسوماً من الباب العالى بتعينه بإمارة مكة المكرمة فى ذى القعدة ١٢٤٢هـ، وهو من فرع العبادل المنافسين لذوى زيد، واستمر حتى عام ١٢٦٧هـ ثم عين مرة أخرى عام ١٢٧٢هـ حتى وفاته عام ١٢٧٤هـ.

[٣] حسين بن حسين بن على المكرمى اليامى، أحد زعماء اليامين فى ذاك الوقت توفى عام ١٢٤١هـ.

[٤] دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١٠) معية تركى، وثيقة رقم (٨٠) بتاريخ غرة ربيع الثانى ١٢٣٧هـ/٢٦ ديسمبر ١٨٢١م. والوثيقة رقم (٣٦٨) بتاريخ ٢٣ ذى الحجة ١٢٣٧هـ/١٠ سبتمبر ١٨٢٢م.

المنطقتين لإمام صنعاء خلال هذه الفترة، وانه عندما قامت الدولة السعودية في دورها الثاني، وأستتب الأمر فيها، وخفت وطأة وسطوة محمد علي عن المنطقة، وبخاصة بعد عام ١٢٥٦هـ[1] أقبلت وفود من أهل نجران إلى الامام فيصل بن تركي مطالبة إياه بتجديد عهد الامام سعود (الكبير) إليهم، وتأكيده لهم، معلنين طاعتهم وولاءهم، فحرر لهم عهداً هذا نصه[2]:

بسم ا لله الرحمن الرحيم

من فيصل بن تركي إلى من يرى هذا الكتاب.

بعد السلام عليكم ورحمة ا لله وبركاته. أما بعد: ألفا (أى قدم) علينا حسن بن أحمد بن منيف، وحسين بن مانع بن جابر، وبأيديهم خط (كتاب) من مانع بن على بن جابر، وعزان بن حسين بن بنيان، وانهم مفوضيهم عن أنفسهم، وعن رفاقهم أهل نجران، إلى حالهم، وطلبوا منا يكون الحال منا ومنهم واحد على طاعة ا لله ورسوله، وإن حنا (نحن) مانصافى لهم عدّو، ومن بغى (اعتدى) عليهم، وطلبوا منا النفعة (المساعدة) ماندخرها عنهم بجنود المسلمين، وصار العدو واحد، والصديق واحد، وأعطيناهم على هذا عهد ا لله وأمانه، وا لله على ذلك كفيل، ولهم

---

[1] وهو العام الذى انسحبت فيه قوات محمد على من شبه الجزيرة العربية، تنفيذاً لقرارات مؤتمر لندن.

[2] صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية فى ماضيها وحاضرها، ج٢، ص٣٩٧. نقلنا نصه، وشرح المؤلف لبعض العبارات كما هى.

علينا إن شاء الله الإكرام والإعزاز، والقيام بواجبهم، ومن حاله حالهم، وطوارفهم (توابعهم) آمنة في بلدان المسلمين، لهم مالهم، وعليهم ماعليهم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

الخاتم: فيصل بن تركي

١٢ شعبان ١٢٧٩هـ.

ومن خلال استقراء الوثائق العثمانية[١] أثناء فترة وجود قوات محمد علي في شبه الجزيرة العربية، وحتى فيما بعد ذلك، فإنها تؤكد أن الدولة العثمانية ـ ممثلة في شخص محمد علي ـ كانت تعتبر كلا من منطقة عسير وجازان امتداداً طبيعياً وسياسياً لإمارة مكة المكرمة، وكانت تتعامل معهما على هذا الأساس، وأن نجران كانت أحياناً تعتبر امتداداً لعسير عندما يصل نفوذ الدولة إليها، مع أن امتداد ذلك النفوذ كان في حالات نادرة.

وأن الامتداد الإدارى في تهامة امتد إلى ماهو جنوب جازان، فشمل الحديدة والمخا وتعز والعُدَين في معظم الأوقات التى وجدت فيها

[١] الوثائق العثمانية للعهد الذى نتناوله بالدراسة، توجد فى كل دار الوثائق القومية بالقاهرة تحت مسمى "محافظ الحجاز" وهى عديدة، وكذا بالارشيف العثمانى باستانبول، تحت مسمى أوراق يلدز، وهمايون (أى أرشيف الباب العالى) وغيرها.

قوات محمد على فى المنطقة، وعند انسحابها[1] سلمت البلاد التى كانت بحوزتها من تهامة اليمن – أى جنوب الزيدية حتى الحديدة والمخا وتعز – إلى أمير أبو عريش الشريف حسين بن على بن حيدر، الذى كان موالياً لها فى البداية ثم انقلب عليها قبيل الانسحاب، لكنها لم تجد مفراً من تسليمها إليه بدلاً من إمام صنعاء، وأيدته استانبول وشرطت عليه أن يدفع مبلغا من المال سنوياً، وأن يقيم الخطبة للخليفة، ويرتبط بأمير مكه ووالى جدة، كما سلمت ماكان بحوزتها من بلدان عسير إلى أمير مكة المكرمة الشريف محمد بن عون، وقد وقع هذا صلحاً مع ابن عائض على وقف الحرب بينهما، ويقر كل منهما الآخر على ماتحت يده[2].

ومن المؤشرات على مانحن بصدده، مما وقع قبيل نهاية الدولة السعودية الثانية، إبان الخلاف الذى حدث بين الامام عبد الله بن فيصل، وأخيه الامام سعود بن فيصل، عندما خرج مغاضياً لأخيه، فذهب إلى محمد بن عايض أمير عسير، يستعديه على أخيه الامام عبد الله، فلم يستجب له، لأن آل عايض كانوا موالين لآل سعود ذاك الوقت[3]، ولذا فإن ابن عايض وقف موقف الناصح الأمين، ونصح سعود بلزوم الجماعة،

---

(1) أصدر محمد على قرار انسحاب قواته من شبه الجزيرة العربية، ومن كافة أملاك الدولة العثمانية، تحت ضغط الدول الأوربية فى ١٣ذى الحجة ١٣٥٥هـ/١٧فبراير ١٨٤٠م، و لم يبدأ الانسحاب الفعلى إلا فى شهر صفر ١٢٥٦هـ نظراً لأهمية عمل الترتيبات والحماية اللازمة للقوات عند انسحابها.

(2) د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ص٢١٨–٢٢٠، ود.أباظة، الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢–١٩١٨م، ص٤٢، ٤٣.

(3) أمين الريحانى، نجد وملحقاته، ص٩٨.

وحثه على عدم النزاع والشقاق. ولو لم يكن لديه وفاء وولاء لما وقف هذا الموقف.

ولما اشتدت حدة الصراع بين الأخوين، توزعت القبائل فى المنطقة بينهما، فكانت قبائل يام بنجران تكن الوفاء والطاعة للإمام عبد الرحمن ابن فيصل[1].

وتفيد بعض الروايات أنه بعد احتلال الانجليز لعدن عام ١٢٥٥هـ (١٨٣٩م) خرج إلى اليمن أحد أشراف الحجاز ويدعى السيد اسماعيل، وكان من أنصار الدعوة السلفية، ومتأثر بها إلى درجة بعيدة، فاستنهض همم الناس فى عسير وماحولها، للجهاد فى سبيل الله، واستخلاص عدن من قبضة الانجليز، وانضم إليه كثير من أهالى لحج، ثم هجموا على الانجليز فى عدن، فقابلهم الانجليز باطلاق المدافع والبنادق حتى انهزموا وتفرقوا، وأن ذلك الرجل توجه بعد ذلك ومعه بعض أصحابه إلى أبين[2].

من جانب آخر كان إمام صنعاء قد خشي من تقدم قوات ابراهيم يكن باشا إلى صنعاء، بعد استيلائها على تعز والعُدين عام ١٢٥٣هـ، فبعث إلى أخيه أحمد يكن باشا حاكم عام الحجاز، يعرض عليه الصلح، ويعلن ولاءه، فلم يستجب له، وعند انسحابها عام ١٢٥٦هـ لم يطالب

---

[1] راشد بن على الحنبلى، مثير الوجد فى أنساب ملوك نجد، ص٥٣.

[2] أباظة، المصدر السابق، ص٤٠.

إلا بعودة كل من تعز والعُدين[1] اللتين استولى عليهما مؤخراً ابراهيم باشا، أما الحديدة شمالاً إلى بداية إمارة أبو عريش، فقد كانت بعيدة عن سلطة ونفوذ الأئمة منذ عهد الدولة السعودية الأولى، ولذا لجأ الامام إلى بريطانيا - التى كان لها وجود من قبل فى عدن - يطلب منها مساعدته فى استرداد هاتين المنطقتين - تعز والعدين - من الشريف الحسين بن حيدر، فلم تساعده فى ذلك[2] لأن من سياستها ذاك الوقت عدم اقحام نفسها فى النزاعات المحلية بوسط شبه الجزيرة العربية.

وتشير بعض التقارير[3] حول حادث "المخا"[4] الذى استغلته بريطانيا للحصول على مزيد من النفوذ فى المنطقة، حين حاصرت ميناء المخا، بأسطولها، وضربت المدينة بالمدافع عام ١٢٣٥هـ، (١٨١٩/١٢/٢٦م) وفاوضت إمام صنعاء لفرض شروطها عليه، فأجابهم الامام: بأن هذا الاقليم يقع تحت هيمنة سلطان آل عثمان، وانه والٍ معيّن عليه من قبل السلطان، وذلك منذ أن سلمه إليه خليل باشا عام ١٢٣٤هـ،

---

(١) د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ص٢١٦-٢١٨.

(٢) د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ص٢٣٩.

(٣) الأرشيف العثمانى، بحث رقم ٣٩٥٢، أوراق يلدز، قسم١٨، أوراق ١٤١-٥٥٣. ظرف ٣٤/٩٣. غير مؤرخ. -(٥)

(٤) يتلخص حادث المخا، من أن شركة الهند الشرقية البريطانية كانت قد سعت إلى اقامة وكالة لها فى بندر المخا، ليشرف على الأعمال التجارية الخاصة بها، وحدث فى عام ١٢٣٣هـ (يوليو ١٨١٧م) أن رفض أحد التجار العرب المتعاملين مع الوكالة الخروج منها لحين الحصول على مستحقاته، فأبعده حراسها الهنود التابعين لها، بالقوة من المبنى، مما آثار ذلك بعض الأهالى فتجمهروا وأهانوا ضباطها البريطانيين، ثم قام حاكم المخا العربى باستدعاء رئيسهم وأهانه، فاستغلت الحكومة البريطانية هذا الحادث بعد عامين من وقوعه.

لكنهم لم يسمعوا لقوله، وفرضوا عليه شروطهم، والتى من بينها تخفيض الرسوم الجمركية على البضائع البريطانية. وكانت بريطانيا قد أجرت قبل ذلك اتصالات بمحمد على تستأذنه، وتوضح له هدفها من حصار ميناء المخا، وأنه ليس غرضها احتلال البلدة، وإنما اجبار الحاكم على تقديم ترضية مناسبة للضابط الذى أهين، وعلمت من محمد علي أن تلك المنطقة سلمت إلى الامام ليديرها مقابل كمية معينة من محصول البن كخراج يدفع سنوياً للباب العالى.

فى ثنايا تداعيات النزاع على منصب الإمامة فى صنعاء، حدث أن خرج محمد بن يحي[1] على الامام المنصور على بن المهدى[2] لكنه لم يفلح فهرب إلى مصر يستعدى حاكمها على الإمام المنصور، غير أنه لم يستجب له، فأقبل إلى الشريف الحسين بن على بن حيدر أمير أبو عريش، الذى كان نفوذه يمتد من أبو عريش وجنوباً حتى تعز وباجل، فأكرمه ووعده بالوقوف معه، ثم ساعده فى الاستيلاء على صنعاء وتقلّد منصب الإمامة عام ١٢٦١هـ، ثم مالبثت العلاقات أن توترت بينهما، وتصاعدت حتى أدت إلى نشوب الحرب، حين زحف ابن يحي إلى تهامة اليمن لاستخلاصها من ابن حيدر، ناقضاً الاتفاق الذى كان قد تم بينهما من قبل بأن يكتفى ابن يحي بالقسم الجبلى من اليمن، وتظل تهامة اليمن بيد

---

(١) هو: محمد بن يحي ابن المنصور با لله على ابن المهدى عباس بن الحسين بن القاسم (١٢٦١هـ - ١٢٦٥هـ)

(٢) هو: المنصور على ابن المهدى عبد الله ابن المتوكل، تولى الإمامة أكثر من مرة إحداها عام ١٢٥٩هـ حتى عام ١٢٦١هـ.

ابن حيدر، فنزل ابن يحي واستولى على "باجل" بمساعدة على بن حميدة رئيس قبيلة القحرى والتقيا فى قرية "القُطَيع" بالقرب من باجل فى ١١محرم ١٢٦٤هـ (١٨٤٨م) فى معركة ساخنة، كانت نتيجتها هزيمة ابن حيدر، ووقوعه فى الأسر، حيث وضعه ابن يحي تحت الحراسة فى إحدى قرى زبيد (البشيشة) وتقدم فاستولى على بعض البلاد التهامية اليمنية التى كانت تحت نفوذ ابن حيدر، كالمخا، وبيت الفقيه، وزبيد، والضمى، والزيدية وحيس، وعاد إلى صنعاء لأنه علم أن خصمه على بن المهدى قد استولى على صنعا، ثم استطاع محمد بن الحسين وابناء عمومته، من فك أسر أبيه الأمير الحسين بن على بن حيدر، بالاستعانة بقبائل يام فى ٨جمادى الأولى ١٢٦٤هـ (١٨٤٨م)[1].

ولقد تناهى خبر تلك الحروب وأسر الأمير الحسين إلى اسماع الادارة فى مكة المكرمة، وهى تعتبر الأمير الحيدرى بما يحكمه من بلدان تابعاً لها، وأن إمام صنعاء تجاوز حدوده، وأنها لايمكن أن تصمت أمام هذه التجاوزات، فرفعت الأمر إلى الباب العالى فى استانبول، فصدر أمر من السلطان فى ١٧ رجب ١٢٦٤هـ (١٨٤٨م)[2] إلى كل من: شريف مكة، ووالى جدة، وقاضى مكة، جاء فيه: لقد سبق أن فوضت إدارة إقليم (قضاء) المخا وتوابعه من تهامة إلى الشريف حسين بن على بن حيدر،

---

(1) العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٣٥٨-٣٦٠،٥١٣-٥٢١، والواسعى، المصدر السابق، ص٢٣٤-٢٣٨، الجرافى، ص٢٦٧،٢٦٨، ود.فاروق عثمان أباظة، الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢-١٩١٨م، ص٤٣-٤٧.

(2) الأرشيف العثمانى، دفتر نامة، همايون١٢، صفحة ٥١٠٥٠، بحث ٣٩٠١، بتاريخ ١٧رجب ١٢٦٤هـ.

أمير أبو عريش، وأنه سبق الانعام عليه برتبة ميرميران (أمير الأمراء = الباشوية) وانه بلغ مسامع السلطان أن المتوكل محمد بن يحي حاكم صنعاء، قد سوّلت له نفسه الاستيلاء على البلاد المذكورة، بالاتفاق مع شخص من عربان تلك المنطقة، يقال له: على الحميدى (بن حميدة) واشتبكا مع الشريف حسين حاكم المخا وتهامة، وتغلبا عليه، واخذاه أسيراً، وحيث أن البلاد المذكورة هى من ممالكنا الموروثة لسلطنتنا، وهما: الشريف، وحاكم صنعاء من رعايا دولتنا، وقد صارا بما فعلاه سبباً لسلب راحة الأهالى، وسفك دماء البشر بلاموجب معتبر، لذا صار من الواجب اجراء تأديب ذلك الحاكم (أى حاكم صنعاء) وإعادة العيشة الرضية إلى تلك البلاد .. ثم يطلب من شريف مكة، ومن معاون إمارة مكة توفيق باشا، بذل الهمة واتخاذ التدابير اللازمة لاستعادة تلك الأراضى وفك أسر الشريف حسين الحيدرى، والعمل على تبديل حاكم (إمام) صنعاء بآخر.

كما أصدر السلطان أمراً (فرماناً) رفق هذا[1] خالى الاسم ممن يتم اختياره حاكما (إماماً) على صنعاء، جاء فيه: إن حسن سياسة إقليم صنعاء، الذى هو من جملة ممالكنا الموروثة، وراحة أهاليه، وقبائل العرب الذين فيه، مشمولين بحمايتنا ورعايتنا، لذا نبعث به إليك معلنين تنصيبك حاكما على الإقليم المذكور معتمداً مايبلغك إياه أمير مكة المكرمة.

---

[1] الفرمان السلطانى بنفس الدفتر السابق، ودون تاريخ.

وكما سبق فإن الشريف حسين بن علي بن حيدر كان قد تم فك أسره، قبل وصول حملة توفيق باشا والشريف محمد بن عون إلى تهامة اليمن، عن طريق ميناء اللحية عام ١٢٦٤هـ، وتسلم توفيق باشا تهامة اليمن من الشريف حسين الذى زهد فى الحكم، ولما بلغ الامام محمد بن يحي خبر وصول توفيق باشا إلى تهامة سارع إليه ودعاه للذهاب إلى صنعاء، هو وجيشه، ورافقه فى دخولها عام ١٢٦٥هـ (١٨٤٩م) لكن أهل اليمن ثاروا عليه وعلى الجند المصاحبين له، وطردوهم من صنعاء، فعاد توفيق باشا إلى الحديدة واتخذها مركزاً لتوطيد نفوذه وهيمنته على الساحل اليمنى، كما ثار الأهالى على الامام ابن يحيى لاستقدامه الأتراك، وخلعوه وأعادوا الامام السابق على بن المهدى، وبايعوه بالامامة، و لم يعاود العثمانيون الكرة على صنعاء والمنطقة الجبلية عامة إلا فى عام ١٢٨٩هـ (١٨٧٢م) وهم أكثر قوة، فاستطاعوا أن يقيموا فيها حكما عثمانيا استمر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى[١].

شهدت صنعاء، والمنطقة الجبلية عامة خلال الفترة من عام ١٢٦٧هـ (١٨٥٠م) حتى عام ١٢٨٩هـ (١٨٧٢م) اضطراباً وحروباً متواصلة، بسبب النزاع بين الأئمة على منصب الإمامة[٢] فانفرط عقد

---

(١) د.أباظة، المصدر السابق، ص٤٥-٤٦، والجرافى، المصدر السابق، ص٢٦٩، والواسعى، المصدر السابق، ص٢٣٩.

(٢) كان هناك أكثر من داع لنفسه بالإمامة فى الوقت نفسه، وتغلب كل منهم على بعض الجهات بالمنطقة الجبلية، وأعلن نفسه إماماً، وهم: على بن المهدى، الامام السابق الذى تولاها خمس مرات، كان بمدينةيريم، وغالب--

الأمن في البلاد، وثارت القبائل، وهاجمت صنعاء، وأحاطت بها من كل جانب، كما هاجمت بعض البلدان والمناطق الأخرى، وقاد المكرمي اليامين من نجران وانطلق من حراز التي كان يهيمن عليها من قبل، فاستولى على الحيمة عام ١٢٧٧هـ وعلى بلدة المناخة عام ١٢٦٨هـ بعد تغلبه على الإمام الهادي غالب بن محمد بن يحي[1] وسئم بعض الأئمة من كثرة الحروب[2] فاجتمعوا ومعهم بعض الأشراف، والعلماء، واستقر رأيهم على أن يرفعوا إلى السلطان العثماني يطلبون تدخله بارسال بعض الجند لإعادة الاستقرار إلى المناطق الجبلية، وأوضحوا للسلطان "أن القبائل فيما حول صنعاء قد شقّوا عصا الطاعة، واستبدوا بالبلاد، بالعتو والفساد، فنرجوا أن تمدونا ببعض العساكر لانقاذ اليمن من الفوضى والانهيار والاضطراب"[3] كما أبلغوه باستيلاء الباطنية (المكارمة) على بعض بلدان اليمن. لكي يحفزوه على ضرورة وسرعة الاستجابة.

ومع أنه كان هناك حاكم عثماني في الحديدة لإدارة المنطقة التهامية، التي تخضع مباشرة لحكم العثمانيين، فلم يكتبوا إليه، وإنما كتبوا

--ابن محمد بن يحي، ابن الامام الذى وقعت بينه وبين الشريف حسين الحيدرى حروب فى تهامة اليمن، وكان بجبل خفاش، وأحمد بن هاشم الذى كان إماماً فى صنعاء، والعباس بن عبد الرحمن، فى قرية ضلاع همدان، والعباس بن المتوكل أحمد فى ضوران، ثم محمد بن عبد الله بن الوزير، فى عام ١٢٧٠هـ.

[1] الواسعى، المصدر السابق، ص٢٢٥، ٢٤٤-٢٥٠وصفحات بجهولة من تاريخ اليمن،لمؤلف مجهول،ص١١٤،ص١٢٤وابن زبارة، أئمة اليمن،ص٥٠.

[2] منهم على بن المهدى، وغالب بن محمد، والحسين بن المتوكل.

[3] الواسعى، المصدر السابق، ص٢٥٨، ود.أباظة، المصدر السابق، ص٦٧، ٨٨، ٨٩.

إلى السلطان مباشرة، لحثه على سرعة الاستجابة، وللإيحاء بتبعيتهم وولائهم للدولة العثمانية.

وخلال ذلك كان أمير عسير محمد بن عائض يقوم بإحدى هجماته على القوات العثمانية فى تهامة، وزحف حتى حاصر الحديدة، ووقعت حروب بينه وبين الحاكم العثمانى فيها على باشا الحلبى ١٢٨٨هـ (١٨٧١م) وشعرت الدولة أن وجودها فى تهامة مهدد طالما بقى ابن عائض، فجندت حملة كبيرة وصلت إلى ميناء القنفذة من نفس العام بقيادة كل من رديف باشا، ونائبه مختار باشا، لتولى المهمتين، فى عسير وصنعاء، وبالفعل نجحت فى المهمتين، بقتلها ابن عائض غدراً، واستيلائها على صنعاء وماحولها.

فيما عدا عسير ونجران اللتين ظلتا بمنأى عن النفوذ المباشر للعثمانيين خلال الفترة السابقة، إلى أن قام محمد بن عائض أمير عسير بقيادة حملة على القوات العثمانية لطردهم من تهامة بقسميها، فاستولى على أبو عريش وتوابعها، وزحف على بلدان تهامة اليمن حتى الحديدة، مركز العثمانيين فى المنطقة الجنوبية، وذلك عام ١٢٨٨هـ (١٨٧١م) فجردت الدولة عليه حملة بقيادة كل من محمد رديف باشا ونائبه أحمد مختار باشا ـ كما سبق أن ذكرنا ـ فتمكنا بعد حروب قاسية من التغلب على ابن عائض، والقبض عليه بأمان من مختار باشا، لكن رديف باشا لم يف له

بعهد الأمان وقتله غدراً في صفر ١٢٨٩هـ (ابريل ١٨٧٢م)[1] ودخلت عسير هي الأخرى في الحكم المباشر للعثمانيين، بمساعدة بعض الأمراء المحليين على البلدان، والقبائل. واتخذت عسير وأبو عريش بعد ذلك صبغة جديدة في التنظيمات الادارية العثمانية التي شهدتها المنطقة.

---

(1) العقيلي، المصدر السابق، ص٥٤٦-٥٥٠، والجرافي، المصدر السابق، ص٢٧٤، ويقول: إن السلطان العثماني عبد العزيز لم يرتض قتل ابن عائض غدراً، وعزل رديف باشا، ونقل القيادة إلى مختار باشا، الذي كان والياً على صنعاء، فتولى عسير.

الباب الثاني

عودة النفوذ العثماني المباشر

- الفصل الأول: متصرفية عسير.

- الفصل الثاني: إمارة الادريسي.

- الفصل الثالث: إمارة آل عائض.

الفصل الأول

متصرفية عسير

الترتيبات الأدارية

على إثر امتداد نفوذ الدولة العثمانية فى عهد السلطان سليم الأول[1] فقدت بعض الدول التى كانت مستقلة استقلالها[2] وصارت ولايات خاضعة سياسياً وإدارياً للدولة العثمانية، لكنها ظلت داخلياً على وضعها السابق، من حيث تقسيماتها الإدارية إلى أقاليم أو مناطق أو أقضية، دون أن تلحقها تعديلات تذكر. بالرغم من حرص الدولة على تحسين الإدارة فيها، إلا أن بعض الصعوبات حالت بين الإصلاح الإدارى المنشود، بسبب السلوكيات الشخصية للولاة والقادة، والحكم الاستبدادى المطلق لإدارة الولاية، حتى أصبحت جباية الأموال الأميرية تفوض إلى الأشخاص عن طريق المزايدة، ثم تعطى لمن يتعهد ويلتزم بتحصيل المبالغ

---

(1) حكم خلال الفترة من عام ٩١٨هـ حتى عام ٩٢٦هـ (١٥١٢م - ١٥٢٠م).

(2) من بينها مصر، والعراق، والجزائر، وتونس.

المقررة، في الوقت المحدد[1] ونتيجة لتفشي ظاهرة الفساد في أركان الدولة، فيما بعد السلطان مراد الثالث[2] فقد شرعت الدولة في عمل ترتيبات إدارية، عرفت باسم "التنظيمات" لتشمل الدولة وولاياتها، بهدف إصلاح الوضع المتدني في كافة شئون الدولة، وبدأ ذلك عام ١٢٥٥هـ (١٨٣٩م) في بداية عهد السلطان عبد المجيد[3] وأطلق على الولايات مسمى "الإيالات" لكنها لم تأت بالثمرة المرجوة من النهوض بالدولة، والقضاء على الفساد، ووضع حد للحكم المطلق، سواء داخل الدولة نفسها، أو على مستوى الولايات، فأنشأت قانوناً ووضعت تنظيمات جديدة عرفت باسم "المشروطية"[4] وذلك على نسق ماكان معمولاً به في الدول الأوربية ذاك الوقت. ثم وضعت القانون الأساسي العثماني عام ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) لضبط مختلف شئون الدولة من إدارية، ومالية،

---

(١) سموا "ملتزمين" لأن الواحد منهم كان متعهداً وملتزماً بدفع الجباية المحددة على الإقليم، أو البلدة، يجمعها بالأسلوب الذي يراه ويناسبه. فيقومون بالتسلط على السكان، واستعمال العنف ضدهم، وكثيراً مايصادرون أملاكهم وأموالهم، وربما يقتلونهم في سبيل الحصول على الأموال المطلوبة، وكان الملتزم يجمع أضعاف المبلغ المطلوب المقرر، ليضع الزيادة في حوزته.

(٢) حكم خلال الفترة من عام ٩٨٢هـ حتى عام ١٠٠٣هـ (١٥٧٤م - ١٥٩٥م).

(٣) حكم خلال الفترة من عام ١٢٥٥هـ حتى عام ١٢٧٧هـ (١٨٣٩م - ١٨٦١م).

(٤) سميت بذلك لأنها حاولت أن تحد من أسلوب الحكم المطلق، لكافة المستويات الادارية، ابتداء من السلطان نفسه حتى أقل مسئول إداري، وجعلت حكم السلطان مشروطا بمراعاة القيود المقررة في القانون الأساسي انظر في ذلك، وفيما سبقه، ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ص٣٩-٦٢.

وقضائية وتعليمية وغيرها، بقصد جعل الدولة دولة عصرية، وبدأ ذلك فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى[1] باسم الاصلاح الدستورى[2].

كان من بين تلك التنظيمات والترتيبات الإدارية تقسيم كل إيالة (ولاية) إلى عدة سناجق[3]، أو متصرفيات، والسنجق يتكون من عدة أقضية حسب ظروف كل أقليم، أو إيالة من تلك الإيالات.

ظلت إمارة مكة المكرمة بتوابعها بعيدة إلى حد ما عن تلك الترتيبات، نظراً لظروفها ومكانتها الدينية، فلم تلحقها إلا ترتيبات يسيرة تتناسب مع المكانة الدينية التى تحتلها فى نفوس المسلمين فى شتى بقاع الأرض. كما ظلت اليمن ــ وبخاصة المنطقة الجبلية ــ بمنأى عن تلك الترتيبات، نظراً لصعوبة إختراق أرضها للهيمنة عليها، وظروفها القبلية والمذهبية، غير أنه إزاء صحوة الاصلاحات للنهوض بالدولة، رأت أن تعيد نفوذها بصورة فعالة على جميع إيالاتها، وبخاصة تلك التى فى الأطراف، وتتصدى للنفوذ الأجنبى المحدق بتلك الايالات، وكان هذا النفوذ قد نشط

---

(1) حكم خلال الفترة من عام ١٢٩٣هـ حتى عام ١٣٢٧هـ (١٨٧٦م - ١٩٠٩م) الذى عطل الدستور، فقامت ضده ثورة عام ١٩٠٩م أطاحت به، وأتت بالسلطان محمد رشاد، ثم بعض السلاطين الضعاف حتى ثورة كمال أتاتورك، واعلان الجمهورية عام ١٩٢٢م.

(2) الحصرى، المصدر السابق ص٦٣،٧٨، ود.أباظة، المصدر السابق، ص٤٤٨.

(3) السنجق: كلمة تركية معناها: العلم، أو اللواء، أو الراية، ثم أطلقت على المقاطعة، أو الاقليم، أو المديرية، أو المحافظة، كما كانت تطلق على حاكم ذلك الأقليم أيضاً، كرتبة ممتازة، تكسب حاملها أن تُدق له الطبول والآلات الموسيقية عند قدومه للأماكن الرسمية.

بشكل ملحوظ عقب حملة نابليون على مصر، وقد حفزها إلى ذلك افتتاح قناة السويس عام ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م) مما سهل مهمتها فى سرعة وصول قواتها باعداد كبيرة مع ما تحتاجه من معدات وتموينات إلى جنوب البحر الأحمر فى زمن يسير، بالقياس لما كان عليه الوضع فى السابق، وربما كان هذا من أسباب نجاح الحملة التى قادها محمد رديف باشا ونائبه أحمد مختار باشا على كل من عسير واليمن، فقد أقبلت وهى مهيأة بكافة الإمكانات بشكل جيد لتوطيد نفوذ الدولة فى المنطقة.

عندما شرعت الدولة العثمانية فى تطبيق قانون الولايات عام ١٢٨٢هـ (١٨٦٥م) [1] استبعدت ولاية مكة المكرمة وتوابعها من تطبيق هذا القانون عليها، نظراً لوضعها الخاص، مع ضبط توابعها إلى حد ما بما يتوافق مع قانون الولايات، وكان من توابعها عسير، وأبو عريش، وبادية الحجاز، فيما كان يطلق عليه عالية نجد. وعند انسحاب قوات محمد على من شبه الجزيرة العربية، كان الحسين بن على بن حيدر حاكما على أبو عريش، فصدرت الأوامر إلى أحمد يكن باشا حاكم عام الحجاز، بتسليم المنطقة فيما هو جنوب حرض حتى الحديدة والمخا وبيت الفقيه إلى عهدته، على أساس أن يحكمها باسم الدولة العثمانية، مقابل مبلغ يدفع كخراج سنوياً، ويكون خاضعاً لإدارة مكة المكرمة. وأطلق على كل من:

---

[1] كان قد أصدره السلطان عبد العزيز ابن السلطان محمود (١٨٦١-١٨٧٦م) وهو أخو السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١م) الذى صدر فى عهده نظام "المشرطية" وكان قانون الولايات يقسم الولاية إلى عدة سناحق أو متصرفيات، وكل متصرفية إلى عدة أقضية، وكل قضاء إلى عدة بنادر أو بلدان.

أبو عريش، والمخا، والحديدة "مسمى قضاء" كما مُنح الشريف حسين بن حيدر لقب "ميراميران" أى "باشا" وهو يعادل لقب حاكم المتصرفية[(١)] وظل الأمر كذلك حتى عودة النفوذ العثمانى إلى المنطقة على إثر حملة محمد رديف باشا، ومختار باشا عام ١٢٨٨هـ (١٨٧١م) فأقاموا فى الحديدة مركزاً لهم، وجعلوها لواء، ثم متصرفية، تتبعها عدة أقضية من تهامة اليمن، وأضيف إليها فى بعض الفترات قضاء أبو عريش، غير أنه فى معظم الفترات كان تابعاً لمتصرفية عسير.

أما عسير فكانت الدولة تعتبرها تابعة أيضاً لإمارة مكة المكرمة، مع أن حكمها المباشر كان بيد أبنائها فى الغالب، وبخاصة فى عهد الأمير محمد بن عائض الذى كان يحكم معظمها حكماً شبه مستقل، وبالنظر للظروف الحربية والثورات التى قادها ضد قوات الدولة فى عسير فإن سلطته كانت تتسع أو تضيق حسب تلك الحروب، وأحياناً كان يمتد نفوذ الإدارة فى مكة إلى بعض المناطق فى عسير فيحكمونها حكما مباشراً، وكانوا أحياناً يخاطبون ابن عائض بـ "شيخ عربان" عسير، أو "قائمقام" عسير[(٢)] وعند انسحاب قوات محمد على من عسير، صدرت إليها الأوامر بتسليم مافى حوزتها من مناطق عسير إلى أمير مكة، على أساس أن عسير

[(١)] الوثائق العثمانية بالأرشيف العثمانى باستانبول تدل على ذلك، ومن ذلك الوثيقة رقم (٣٨٩٩) دفتر همايون١٢، بتاريخ اوائل رجب١٢٦٤هـ، وأخرى برقم (٣٩٠١) بالدفتر نفسه بتاريخ ١٧رجب ١٢٦٤هـ، وثالثه برقم (٣٨٩٨) ونفس الدفتر، وتاريخ أوائل ربيع الأول ١٢٦٣هـ.

[(٢)] الوثيقة رقم ٢/٦/٢٥ بتاريخ محرم١٢٨٢هـ، ٢/٦/٢٠،٢١ بتاريخ ربيع الثانى ١٢٨٢هـ.

من توابعها، فسلمت إلى الشريف محمد بن عون، فسعى هذا لعقد صلح بينه وبين الأمير عائض بن مرعى، لابقاء الوضع على ماهو عليه، ثم نقضه ابن مرعى بعد عامين لتوسيع منطقة نفوذه، وعقب مقتل محمد بن عائض غدراً على يد رديف باشا فى صفر ١٢٨٩هـ (ابريل ١٨٧٢م) أخذ رديف باشا فى العمل على إحكام قبضته على مختلف أنحاء عسير، لدعم سلطة الدولة عليها، وبدأ ينظم الإدارة فى جهاتها وبلدانها، وربطها بعضها ببعض، متخذاً مدينة "أبها" قاعدة لها، بدلاً من السقا، أو طبب، لكنه لم يستمر فى ولايته سوى تسعة أشهر، فأبدل بأحمد مختار باشا، نائبه السابق[1] الذى كان قد زحف نحو اليمن بعد الاستيلاء على عسير، واستولى على صنعاء تلبية لدعوة إمامها وبعض العلماء، التى رفعوها إلى الباب العالى، لنجدتهم من الفتن والاضطرابات التى حاقت بصنعاء، فأخضعها مختار باشا لنفوذ الدولة، واستمر حاكما عليها إلى أن نقل إلى عسير، محاولاً دعم سلطة الدولة واستكمال الترتيبات والتنظيمات الإدارية فى كافة أنحاء عسير.

ثم تتابع الولاة على حكم متصرفية عسير على النحو التالى:

- أحمد مختار باشا ١٢٨٩هـ ـ ١٢٩١هـ (١٨٧٢ ـ ١٨٧٥م)

[1] العقيلى، المصدر السابق، ص٥٦٣،٥٦٤، والوثيقة رقم ١٨/٦/٢، دفتر همايون١٢، بالارشيف العثمانى. ورقم (٤٢٣٩) إرادة داخلية برقم ٤٤٠٥٦، وتاريخ ٢٢رجب ١٢٨٨هـ (١٨٧١م).

- عثمان بك ١٢٩١هـ ـ ١٢٩١هـ (١٨٧٥ ـ ١٨٧٥م) لأقل من عام.

- حيدر بك ١٢٩٢هـ ـ ١٢٩٤هـ (١٨٧٦ ـ ١٨٧٧م)

- أحمد فيضى باشا ١٢٩٤هـ ـ ١٢٩٧هـ (١٨٧٧ ـ ١٨٨٠م) فى عهده جعلت عسير متصرفية مستقلة.

- تحسين باشا ١٢٩٨هـ ـ ١٣٠٠هـ (١٨٨١ ـ ١٨٨٣م)

- رفعت باشا ١٣٠٠هـ ـ ١٣٠٥هـ (١٨٨٣ ـ ١٨٨٨م)

- محمد أمين باشا ١٣٠٥هـ ـ ١٣١٠هـ (١٨٨٨ ـ ١٨٩٣م)

- يوسف باشا ١٣٠١هـ ـ ١٣١٦هـ (١٨٩٣ ـ ١٨٩٨م)

- موسى كاظم باشا ١٣١٨هـ ـ ١٣١٩هـ (١٩٠٠ ـ ١٩٠١م) يبدو أنه تسلمها بالنيابة لعامين قبل أن يتولاها رسمياً.

- اسماعيل باشا حقى ١٣١٩هـ ـ ١٣٢٤هـ (١٩٠١ ـ ١٩٠٦م)

- كاظم باشا ١٣٢٥هـ ـ ١٣٢٦هـ (١٩٠٧ ـ ١٩٠٨م)

- سليمان شفيق كمالي باشا ١٣٢٦هـ ـ ١٣٣٠هـ (١٩٠٨ ـ ١٩١٢م)[١] وقد استمر أربع سنوات ونصف.

- حيدر بك ١٣٣٠هـ ـ ١٣٣٢هـ (١٩١٣ ـ ١٩١٤م)

- محي الدين باشا ١٣٣٢هـ ـ ١٣٣٦هـ (١٩١٤ ـ ١٩١٨م) وهو آخر متصرف عثماني على عسير، وقد سلمها إلى وكيله الحسن بن عائض، عند رحيل العثمانيين عن بلاد العرب، عقب هزيمة دولتهم في الحرب العالمية الأولى[٢].

---

[١] ورد قرار تعينه فى الوثيقة رقم (٥٣٨٤) إرادة داخلية [أى قرار وزارة الداخلية] باستانبول برقم وتاريخ ٢٩ ربيع الثانى ١٣٢٧هـ/١٩ (الموافق ١٧/٥/١٩٠٩م) وهى تتعلق بتعيين "الميرلواء" سعادة شفيق كمالى باشا، قائد لواء المدفعية الثالثة، متصرفاً على لواء عسير، وهو تاريخ سابق مدة عامين عن التاريخ الذى أورده استاذنا العقيلى، وهو التاريخ العثمانى لسنوات الهجرة.

[٢] العقيلى، المصدر السابق، ص٥٦٣-٥٦٦، نقلنا الاسماء بتواريخ حكمهم، وبذلك يبلغ عددهم خمسة عشر والياً بما فيهم محمد رديف باشا، بينما يقول الاستاذ هاشم بن سعيد النعمى، عضو نادى أبها الأدبى، فى تقريظه لكتاب "أضواء على مذكرات سليمان شفيق كمالى باشا" ليوسف العارف: إن عددهم واحد وعشرون والياً، تعاقبوا الحكم المباشر فى عسير على مدى ٤٧عاماً (مابين ١٢٨٩هـ ـ ١٣٣٦هـ) وأورد ابن مسفر، المصدر السابق، ص١٠٧ اسماء سبعة عشر والياً، ابتداء من احمد فيضى باشا، من بينهم من تولاها بالنيابة أو الوكالة، دون تحديد تواريخ لحكم كل منهم، لكن بعضهم ورد اسمه فى الوثائق العثمانية، مثل الفريق عمر باشا الذى عين متصرفاً على عسير بتاريخ ٣صفر ١٣٠٥هـ، وسليمان بك الذى رفع إلى رتبة "ميراميران" باشا، وعين فى ٢٢ذى الحجة ١٣٠٦هـ، وهو المكنى بسليمان باشا أبو غنم، وعزل فى ١٦ صفر عام ١٣٠٨هـ، كما أنه وردت تعيينات لبعضهم لم يرد لهم ذكر فى القائمتين مثل تعيين آصف باشا متصرفاً بتاريخ ٤ربيع الأول ١٣١٢هـ.

ومع أن معظم هؤلاء الولاة كان يتسم بالكبرياء والغطرسة، والقسوة والعنف، إلا أنهم كانوا يسعون إلى إيجاد نوع من الترتيبات تساعد على استقرار الأوضاع، وتوطيد نفوذ الدولة، وقد تمخضت هذه الترتيبات عن جعل عسير متصرفية مستقلة عن تدخل أشراف مكة المكرمة في إدارتها، وكذا تدخل الوالى العثمانى فى اليمن، سواء كان فى صنعاء، أو الحديدة، وتم ذلك فى بداية عهد الوالى أحمد فيضى باشا[١] بينما كانت قبل ذلك مرتبطة بولاية مكة[٢] وكانت هناك بعض المتصرفيات التى نُص عليها فى القانون الأساسى بأن تكون مستقلة وتابعة رأساً إلى الباب العالى، وهى: جبل لبنان، والقدس، ودير الزور، وبنغازى (ليبيا) أما عسير فلم يُنص عليها، لكن ولاتها سعوا حتى جعلوها مرتبطة رأساً بنظارة (وزارة) الداخلية بالأستانة، وكانوا يكاتبون نظارة الداخلية أو الحربية رأساً، والنظارة ترد عليهم مباشرة، دون مرور تلك المكاتبات على الإدارة العثمانية فى مكة أو صنعاء.

ومذكرات الوالى العثمانى فى عسير، سليمان شفيق كمالى باشا، تعطينا صورة واضحة عن الأوضاع التى كانت تعيشها عسير، وسط التيارات المتصارعة لتسريب النفوذ إليها، من الشمال أو الجنوب، وكذا

---

[١] ابن مسفر، المصدر السابق، ص١٠٦.

[٢] اسماعيل حقى، المصدر السابق، ص١٧٨، حيث قال: إن الشريف عبد الله بن محمد بن عون (١٢٧٤هـ - ١٢٩٤هـ) نجح فى ان يجعل من عسير سنجقاً مرتبطاً بالدولة بشكل جيد، عن طريق الإمارة بمكة المكرمة.

الثورة الإدريسية ضد الأتراك فى عسير، وما أحاط ذلك من مؤثرات على الساحة المحلية، أو الدولية، قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى.

فالمذكرات[1] تؤكد أن عسير كانت متصرفية مستقلة، من خلال ماعرضه المتصرف سليمان كمالى باشا من وقائع وأحداث عايشها، وشارك فى صنعها، أو أحداث فرضت عليه، محليه أو دولية، ومن دلائل استقلاليتها فيما يرويه فى تلك المذكرات الآتى:

١- أن مكاتبته رأساً إلى كل من وزير الداخلية، والحربية فى الأستانة، دون وسيط، أو دون الرجوع إلى رئاسة عثمانية مباشرة له فى المنطقة، ثم مكاتباتهما إليه، دون وسيط أيضاً يؤكد أنه مستقل عن أية رئاسة فى المنطقة، والمتصرفية التى يديرها هى أيضاً مستقلة[2].

٢- انتقاداته للشريف حسين بن على، ملك الحجاز السابق فى محاولاته مد عينيه إلى عسير منذ عام ١٩٠٨م[3] والتدخل فى شئونها، وفى إحدى حواراتهما معاً قال له: تعلمون أننى هنا

---

[1] اعتمدنا على نسخة مطبوعة من هذه المذكرات، بتعليق أستاذنا محمد بن أحمد العقيلى، طباعة نادى أبها الأدبى، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

[2] انظر المذكرات الصفحات :٣٧،٣٨،٦٠،١٠٨،١٠٩،١٣٥،١٥٦،١٥٧،١٥٩، وغيرها

[3] أى منذ تعيينه أميراً على مكة ١٣٢٦هـ، وكان فى السادسة والخمسين من عمره، وكان مقيماً فى الاستانه، عضو بمجلس شورى الدولة، وهو حفيد الشريف محمد بن عون، وهو آخر من حكم من الأشراف فى الحجاز، فقد صعد عداوته مع الحكام العرب فى المنطقة، وبخاصة الملك عبد العزيز، توفى يوم ٤يونيو عام ١٩٣١م.

أمثل الحكومة (يقصد الحكومة العثمانية) والقوة العسكرية على استقلال، وأنا المسئول عن كل خير أو شر يقع فى هذه البلاد. ثم كتب إلى كل من وزارة الداخلية والحربية بأن يعملوا على كف يد الشريف حسين عن عسير[1].

٣- كما يشير إلى أنه لم تكن له علاقة رئاسية مع قائد عام القوات العسكرية فى اليمن عزت باشا، وأن ظروف الثورة الإدريسية هى التى جعلته يتدخل إلى حد ما فى شئون عسير لقمع تلك الثورة بناء على تكليف من الرئاسة فى الاستانة، ومع ذلك فإن عزت باشا كان يتصرف دون ايجاد تنسيق مسبق مع المسئول عن عسير، ولذا هزمت حملته فى المرة الأولى، وكذلك لم يحدث تنسيق بين عزت باشا والشريف حسين،ويقول عقب هزيمة الحملة التى أرسلها عزت باشا إلى جيزان، كتبت "تلغرافاً" فى الحال شديد اللهجة إلى محمود شوكت باشا وزير الحربية، ذكرت فيه الغلطات التى ارتكبت فى التحركات العسكرية التى أرسلها عزت باشا، ورجوته أن يأمر القيادة العامة العثمانية فى اليمن بأن تطلعنى على مثل ذلك فى المستقبل. ومع ذلك أرسل عزت باشا حملة أخرى من الحديدة إلى جيزان دون أن يشعرنى بها مسبقاً، بصفة رسمية، فأدهشنى هذا الإهمال[2] ومنه يتضح

---

[1] انظر المذكرات: ص٢٦،٣١،٣٢،٥١،٧٦،٧٧،٨٣،٨٥.

[2] انظر: ص١٠٩،١٢٨،١٧٤.

أن العلاقة بينهما يعتريها الجفاء، و لم تكن علاقة رئيس بمرؤوسيه إن توهم أحد ذلك.

كما أن صاحب المذكرات انتقد صلح دعّان الذى وقعه عزت باشا مع إمام صنعاء عام ١٣٢٩هـ (١٩١١م) لأنها أعطت الامام سلطة لبسط نفوذه على جميع الأراضى التى يقطنها زيديون، و لم تفرق بين أنصاره والمناوئين له، الخارجين عن سلطته ذاك الوقت. كبنى جماعة اليمنيين، برئاسة السيد الحسن بن يحي القاسمى المنافس للامام يحي على منصب الإمامة، وأقام إمارة صغيرة على أرض بنى جماعة بأرض باقم من القسم الجبلى، فيما بين صعدة شمالاً والحرجة جنوباً، ولقب نفسه بالهادى لدين الله، وكان يوالى العثمانيين[1].

أقضية ونواحي المتصرفية

كان من أثر الترتيبات الإدارية المتتالية، والتى كانت تهدف إلى ايجاد نوع من الاستقرار، وتوطيد النفوذ، هو تقسيم المتصرفية إلى عدة أقضية، أو نواح، وكل قضاء إلى عدة بلدان وبنادر، روعى فيها الأصول العشائرية، والقبلية، والتوافق بين سكان كل ناحية، وقرب المواطن بعضها من بعض، وغير ذلك من اعتبارات. وتكونت المتصرفية من الأقضية الآتية:

---

[1] انظر المذكرات، ص١٧٧.

١- قضاء القنفذة، يضم ماحولها من بلدان، وقاعدته: القنفذة.

٢- قضاء محايل، وبارق، وقنا، وقاعدته: محايل.

٣- قضاء رجال ألمع، وقاعدته: الشعبين.

٤- قضاء رجال الحجر، وقاعدته: النماص.

٥- قضاء غامد وزهران، وقاعدته، أولاً: الظفير، التى تقع جنوب شرقى الباحة بحوالى كيلو متر، وبعد فترة أتخذت بلدة "رغدان" ثم أعيدت إلى الظفير فى ٢٨ذو الحجة ١٣٠٦هـ.

٦- قضاء جازان، وصبيا، وأبو عريش، وقاعدته: صبيا[1]، وبعض الوثائق أطلقت عليه "قضاء أبو عريش" فى بعض الفترات.

٧- ثم أُنشئ قضاء فى بنى شهر، وضُمت له بيشة[2].

---

(1) المسفر، المصدر السابق، ص١٠٦، وبعض الوثائق العثمانية.

(2) المذكرات، ص٥١،٥٢،١٧٩، وذكرت الوثائق العثمانية اسماء بعض من عينوا حكاماً على تلك الأقضية منهم من هو من أهل البلاد، ومنهم من هو من خارجها. وذلك عند تعيينهم عليها، وكان تعينهم يصدر بقرار من وزارة الداخلية فى الأستانة بناء على ترشيح وتزكية متصرف عسير.

وممـا يلاحـظ أن ناحيــة ميــدى، وقبــائل بنــى مــروان الجنــوب، ظلــت تابعـة إلى قضـاء أبـو عريـش، ثـم أضيفـت إلى قضـاء اللحيـة فـى أول ذى الحجـة عـام ١٣٢٨هـ[١].

ونظـراً للاهتمـام بـالثغور السـاحلية للمتصرفيـة، وإحكـام السـيطرة علـى الموانئ، فقــد تم تأسيس دائـرة جمركيـة فـى ثغـر "الوسـم" القحمـة فـى ١٧صفـر ١٣٠٥هـ، لتحصيـل الرسـوم الجمركيــة علــى البضــائع الــواردة إليهــا، ومنــع دخــول المــواد الممنــوع اســتيرادها[٢] وذلــك بالاضافــة إلى الموانــئ الأخـــرى للمتصرفيـة مثـل القنفـذة، والشـقيق، والـبرك، قـوز الجعــافرة، المضايــا، تعـث، القرنيـة، العربـة، الموسـم، وهـى علــى الحــدود الجنوبيــة مــع اليمــن، وكــانت تعـرف قديمـاً باسـم "الشـرجة" غـير أن معظـم هـذه المرافـئ لاتعمـل، ولاتســتقبل إلا السـفن أو المراكـب الصغـيرة.

وكـانت الحـدود الجنوبيــة للمتصرفيـة قـد تراجعـت شمــالاً فــى بعـض الأمـاكن، بالنسبة لمـا كـان عليـه الوضـع فيمـا مضـى، خــلال عهـد الدولـة السـعودية الأولى، وأيضـاً خـلال إدارة على بـن حيـدر، وابنــه حســين[٣] وربمـا

---

[١] ورد ذلك فى وثيقة، تحمل أمراً مـن وزارة الداخلية بالأستانة برقـم وبتـاريخ ١ذى الحجة ١٣٢٨هـ/١، إرادة داخلية.

[٢] وثيقة بالارشيف العثمانى، بالملف رقم (٤٦٦٢) إرادة مجلس شورى الدولة، رقـم (٥٢٣٥) بتـاريخ ١٧صفـر ١٣٠٥هـ، وأوردها الزركلى فى كتابه "شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز" ج٢،ص٣٤٠ "الوشم" بالشين بدل السين.

[٣] أوضحنا ذلك خلال السرد التاريخى للمنطقة.

يعود ذلك إلى الترتيبات الادارية للولاة العثمانيين فى المنطقة، أثناء حكمهم المباشر لها، مماكان يستدعى أحياناً إضافة بلدان إلى إدارة معينة لإحكام السيطرة عليها، ولا أدلّ على ذلك من أن بلدان الواعظات، وميدى، وحرض ظلت عدة قرون مرتبطة بأبو عريش كناحية من نواحيها، ثم أضيفت عام ١٣٢٨هـ إلى قضاء اللحية، كما سبق أن ذكرنا. وكذا بعض المناطق الأخرى كوعار، وعقبة نهوقة وغيرها، وكما يقول البركاتي فى الرحلة اليمانيةعن عسير: يحده من جهة الجبل (أى السراة) جنوباً، حدود صعدة[1] وفى عهد الادريسى امتدت الحدود جنوباً إلى الحديدة وغيرها، كما سنعرفه فيما بعد.

ومما يلاحظ أن المتصرف سليمان كمالى باشا أبدى وجهة نظره بالنسبة لسوء الإدارة فى الدولة العثمانية، سواء فى السلطة العليا للدولة، أو على مستوى الولاة عند إدارتهم للولايات والمتصرفيات، فيقول: إن العواقب الأليمة التى وصلت إليها الدولة العثمانية، كان سببها التمسك الشديد بطريقة الحكم المركزى، والإعراض عن طريقة الحكم اللامركزى، فلم تدرس الدولة يوما ما شيئاً من أسباب وعوامل الثورات الداخلية (فى الولايات والمتصرفيات) ولا استعملت للداء دواء، وكانت تعمد فى كل وقت إلى قمع كل حركة بالقوة القاهرة، وإذا حدث حادث فى إحدى الولايات، ووردت البلاغات به إلى العاصمة، كانت العاصمة تماطل الأمر

---

[1] نقله عنه الزركلى فى كتابه "شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز" ج٢، ص٥٣٢.

باستعلامات لالزوم لها، وتعرض عن آراء الموظفين المحليين، وترسم من عندها الخطط المحكوم عليها بالعقم، والمؤدية إلى الخسران في أكثر الأحوال[1] ويقول: إن الدولة العثمانية التى احتلت عسير منذ أربعين عاماً، اكتفت بأن اتخذت لنفسها بضعة مراكز عسكرية، وكانت صلتها بالأهالى مقصورة على قيامها ببعض الحركات العسكرية، بين حين وآخر لجباية الزكاة، أما اختلافات الأهالى فيما بينهم فكانت الحكومة فى معزل عنها، وياللأسف!. فكان الناس يرون أنهم لاحكومة لهم، وأنهم مسلوبو الراحة، والأمن العام، وهم ينتظرون الفرج بظهور رجل مصلح يتولى فيهم أمر الحكم[2].

ويقول: إن الدولة لم تصنع فى بلاد عسير شيئاً غير تحصيل الزكاة من الأهالى، بين حين وآخر، و لم تفكر قط فى إيجاد أسباب العمران لإحياء هذه الجهات، و لم تتذرع بشئ من ورائه نفع للأهالى، وليس لها برنامج معين يسير عليه رجالها وموظفوها الذين يأتون إلى هذه البلاد، وهم لم يستطيعوا أن يفهموا الأمور التى يحتاج الشعب إليها، و لم يدرسوا أسباب ثورة الأهالى وتمردهم على الدولة، وهم لم يستطيعوا أن يقرروا

---

(1) المذكرات، ص١٨٢، وهذه المذكرات كانت قد نشرتها جريدة الأهرام القاهرية، خلال الفترة من ربيع الثانى ١٣٤٣هـ حتى جمادى الآخرة ١٣٤٣هـ (فبراير ١٩٢٤م/يناير ١٩٢٥م) ثم أعاد نشرها شيخنا حمد الجاسر فى مجلة العرب خلال الفترة من ربيع الأول ١٣٩١هـ حتى ربيع الثانى ١٣٩٣هـ (مايو ١٩٧١م/مايو ١٩٧٢م) ثم طبعها أخيراً نادى أبها الأدبى، بتعليق أستاذنا محمد بن أحمد العقيلى.

(2) المذكرات، ص٣٤.

الأمن، بل تركوا الناس وشأنهم يحارب بعضهم بعضاً، والحكومة واقفة تتفرج عليهم[1].

ويبرر نجاح الإدريسى بأنه أكتشف حاجة الناس لمن يصلح فيما بينهم، فانتهز هذه الفرصة، مرتدياً رداء الزهد والتقوى، ونجح فى استمالة القبائل، واكتسب شهرة وتأييداً واسعاً من الأهالى، ونال ماكان ينشده من نفوذ سياسى، استغله فى تكوين إمارة، على حساب النفوذ العثمانى فى المنطقة.

ولاريب أن هذا هو رأيه الشخصى فى الادريسى، وهو رأى مشوب بعدم الإنصاف والنزاهة، نظراً لما كان بينهما من تنافس وعداوة سياسية.

---

[1] المذكرات، ص١١٩.

الفصل الثانى

إمارة الأدارسة فى تهامة

نسب الأدارسة

يعود أدارسة تهامة فى نسبهم إلى جدهم أحمد بن إدريس، المولود عام ١١٧٣هـ (١٧٥٩م) ببلدة "العرائش" من أعمال فاس بالمغرب[١] والذى يرتقى بنسبه إلى إدريس بن عبد الله (المحض) ابن الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم[٢] وكان إدريس بن عبد الله

---

(١) العقيلى، المصدر السابق، ج٢،ص٦٢٠، وقال: "بلدة العرائش من أعمال القيروان". غير أن بلدة القيروان المشهورة تاريخياً، والتى بناها الصحابى عقبة بن نافع عام ٦٧٠م (٥٠هـ) تقع فى تونس، وليس فى المغرب، وقد اتخذها الفاطميون عاصمة لهم عام ٩٠٩م، قبل القاهرة، أما فاس فهى إحدى المدن الشهيرة بالمغرب، واتخذها بعض الأسر التى حكمت المغرب عاصمة لهم من القرن الثامن الميلادى حتى التاسع عشر، وبلغت أوج عظمتها فى عهد بنى مرين خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلادى، وبها جامعة القرويين التى تعد من أقدم الجامعات الاسلامية. وظلت فترة طويلة مقراً لأدارسة المغرب، ومنها توزعوا فى كثير من الأقطار. ويقول الزركلى "شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز، ص٥٢٩ إنه ولد بقرية "ميسور" بفاس.

(٢) أرجع الزركلى، المصدر السابق، ص٥٢٩ نسبه إلى عبد الله المحض، ثم قال: ... من نسل الحسين، والصواب أن عبد الله المحض من نسل الحسن بن على بن أبى طالب، انظر ابن حزم، الجمهرة، ص٤٥.

(المحض) قد فرّ إلى المغرب فى عهد أبى جعفر المنصور، وأقام بها وكثرت ذريته فيها، وأقاموا لهم حكماً بها.

درس أحمد بن إدريس على أيدى متصوفة المغرب، فتأثر بهم، ونهج منهجهم فى الصوفية[1] ثم قدم إلى مكة المكرمة للحج عام ١٢١٤هـ فجاور بها[2] ثم جلس للوعظ والتدريس، فهو شافعى المذهب، ويبدو أنه كان بارعاً فى التأثير على سامعيه، فالتف حوله الكثيرون وكان ممن أعجبوا به عبد الرحمن بن سليمان الأهدل، من علماء "زبيد" والذى تولى القضاء فيها ثم فى الحديدة[3] فدعاه لزيارة زبيد، فخرج من مكة المكرمة قاصداً زبيد والحديدة، فركب من مرفأ "الليث" مسافراً عن طريق البحر، ثم عرّج على "جازان" ومنها واصل سيره إلى "زبيد" فوصلها عام ١٢٤٣هـ (١٨٢٧م) فتلقاه تلميذه عبد الرحمن الأهدل بالترحيب والاكرام، فأقام بها حوالى عامين، قضاهما فى التدريس والوعظ

---

[1] كان من بين مشايخه فى الصوفية: الشيخ عبد الوهاب التازى، والشيخ أحمد المجيدرى، وغيرهما ممن كانوا على منهج الشاذلية، أما هو فسمى طريقته "الأحمدية" على اسمه، وهى على نمط الشاذلية، كما كان من تلاميذته فيما بعد الشيخ أحمد السنوسى من المغرب، وطريقته "السنوسية" والسيد على المرغنى من السودان.

[2] لوحظ أن هناك ارتباكا فى أقوال من ترجموا له، فالبعض قال: إنه خرج من وطنه إلى مكة المكرمة رأساً، والبعض قال: إنه ذهب إلى صعيد مصر فأقام فترة ثم قدم إلى مكة، وبالنسبة لمدة اقامته فى مكة المكرمة: البعض قال: أقام بها ثلاثين عاماً، ثم ذهب إلى مصر فأقام بها خمس سنين، ثم عاد إلى مكة فأقام بها اثنى عشر عاماً، ثم توجه إلى زبيد عام ١٢٤٣هـ (١٨٢٧م). وهو أمر غير صحيح حسابياً. فبين خروجه من وطنه، ووصوله إلى زبيد هو ٢٩عاماً، وهى مجموع الفترة الزمنية التى قضاها فى مكة المكرمة، ومصر.

[3] آل الأهدال من أعيان وعلماء زبيد والحديدة وماحولهما، توفى عبد الرحمن الأهدل عام ١٢٥٠هـ، من مؤلفاته:النفس اليمانى والروح الريحانى فى إجازة القضاة بنى الشوكانى.

والإرشاد، وكان يخرج إلى بوادى ونواحى زبيد، وإلى المخا، وموْزع، وأقبل إليه الطلاب من الحديدة، وبيت الفقيه، وتعز، ووصاب. ثم زار الحديدة، ومراوغه، وباجل، ثم ارتحل إلى مدينة "صبيا" فوصلها فى شهر رمضان عام ١٢٤٥هـ (١٨٢٩م) فأقام بها إلى أن توفى ليلة السبت ٢١رجب ١٢٥٣هـ (١٨٣٧م) فقُبر بها. ويقول الريحانى: شيع إلى قبره، ولم يبغ السيادة على أحد من الناس، ولم يكن على ما أظن يحلم بمُلْك إدريسى فى البلاد العربية أو خارجها[1].

هذا هو الجانب التاريخى من حياة جد الأدارسة، الذى قدم إلى المنطقة ليبث فيها فكره، ويدع على أرضها ذريته، التى سطع نجمها فى سمائها، أما الجانب المنهجى فى فكره، المتمثل فى نزعته الصوفية فله موضع آخر لمناقشته كفكر عقائدى جنح بمريديه عن جوهر الدين الاسلامى الحق، الذى حُدِّد إطاره بين الأديان الأخرى بالوسطية، وانعدام الواسطة بين العبد وخالقه.

وأيّاً ماكان فإن وقع الأحداث كان سريعاً ومتلاحقاً، إبّان الفترة التى قدم فيها الشيخ إلى مكة المكرمة لآداء الفريضة عام ١٢١٤هـ، فقد كان نفوذ الدولة السعودية الأولى قد امتد إلى الحجاز، مع ماصاحبه من

---

[1] ملوك العرب، ص٢٩٣-٣٠٣، وانظر فيما سبق، العقيلى، المصدر السابق، ج٢،ص٦٢٠-٦٢٤، والزركلى، المصدر السابق، ص٥٢٩، والواسعى، ص١٢٤،١٢٥، وقال: إنه توفى وعمره ينوف على ٧٠عاماً، والصواب: ٨٠عاماً. فقد ولد عام ١١٧٣، وتوفى عام ١٢٥٣هـ، وانظر أيضاً، د.أباظة، المصدر السابق، ص١٩٣-١٩٥.

إنكار لما درج عليه الناس، من بدع وخرافات، والمناداة بالعودة لما كان عليه السلف، مما كان له مردود متباين في العالم الاسلامي، بين مؤيد ورافض، وتوافق أن قدم القائد السعودي الكبير، سعود ابن الامام عبد العزيز، لآداء فريضة الحج موسم ذاك العام (١٢١٤هـ) وبرفقته جمع غفير من أهل نجد والأحساء والبوادي وغيرهم، وكانت حجته حافلة بالشوكة[١] وإظهار المنعة والعزة الإسلامية.

ولاشك أن الإدريسي قد شاهد بعينيه ـ ذاك الموسم ـ هذه الشوكة، واطلع على ماخلف هذا المد الاشعاعي الجديد، وأنه حرب على الصوفية والمتصوفة، وكان حريّ به أن يدع مكة لأهلها ويعود إلى موطنه في نهاية الموسم، لو كان يخشى على نفسه أو مبادئه، لكنه استمر فيها فترة طويلة، ويبدو أنه خفف من مبادئه، وشغل نفسه بعلوم التفسير والسيرة النبوية[٢] وتجنب الإنخراط في التيارات الساسية، ولم يثبت عليه أنه أبدى رأياً، أو فتوى، أو شارك في شئ معاد للدعوة السلفية، كبعض علماء مكة، أمثال ابن عبد الشكور، وأحمد زيني دحلان[٣] بالرغم من أنه ظل بمكة المكرمة حتى شاهد قوات محمد على باشا وهي تحارب قوات الدولة السعودية الأولى. بل نراه عندما ذهب إلى تهامة، واستقر به المطاف في "صبيا" وكانت يومئذ ضمن إمارة عسير، تحت رئاسة الأمير على بن مجثّل، وهو

---

[١] ابن بشر، ج١،ص٢٥٥.

[٢] العقيلي، المصدر السابق، ج٢، ص٦٢، نقلاً عما كتبه تلميذ الادريسي، الشيخ حسن بن أحمد بن عاكش.

[٣] وما ذكره الواسعي، ص١٢٥ فيبدو أنه مجرد تخمين، حيث لم يعط دليلاً على ذلك. ولاسنداً له.

موالٍ للسعوديين ومناصر للدعوة السلفية[1] فقابله ابن مجثل بالترحيب، وأعطاه قدره من التكريم، وخصص له راتباً[2] إلى أن توفى بها بعد سبع سنين تقريباً.وهذا يدل على إعتداله، وتجنبه الانخراط فى السياسة.

ثم خلفه فى طريقته ابنه محمد، ولم يتسم بالنشاط والحيوية، فقد كان خاملاً، ذهب إلى الحديدة وأقام بها، ولم يعد إلى صبيا إلا قبل وفاته بثمانية أيام، حيث توفى بها يوم ٢٣ رجب ١٣٠٦هـ (١٨٧٧م) تاركاً ولدين: على وعبد المتعال[3].

فخلفه ابنه على بن محمد بن أحمد، الذى كان قليل الاختلاط بالناس، كثير العزلة، حتى توفى يوم ١٧ الحجة ١٣٢٤هـ (١٩٠٥م) تاركاً أربعة أبناء: محمد، الحسن، أحمد، الحسين. وقد توفى الأخيران فى أول حركة أخيهما[4].

---

(١) العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٥٣٥.

(٢) ابن مسفر، المصدر السابق، ص١٠٩.

(٣) ذهب عبد المتعال بن محد ابن الشيخ أحمد، إلى الزينية بالأقصر بمصر، فتزوج من أقربائه فيها، وانجب عدة أولاد، سافر بعضهم إلى المغرب فتزوجوا من بيت السنوسى هناك، وأقاموا فى القيروان، وعاد بعضهم إلى عسير فى عهد إمارة ابن عمهم محمد، منهم: مصطفى، والسيد السنوسى، والسيد العربى أبناء عبد المتعال. انظر: الريحانى، المصدر السابق، ص٣١٤.

(٤) العقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٦٢٤،٦٢٥

الأمير محمد بن علي الإدريسي

الأمير محمد بن علي الإدريسي، هو أول من أسس إمارة للأدارسة في تهامة، ولد في صبيا عام ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) ونشأ بها،وتلقى تعليمه الأولى فيها، وفي أبو عريش، ثم رغب في السفر إلى القاهرة ليستكمل دراسته في الأزهر فأنتقل من صبيا إلى مصوع بأرتيريا، ومنها ركب البحر إلى جدة فأدى فريضة الحج عام ١٣١٣هـ (١٨٩٥م) وبعد الموسم واصل سفره إلى القاهرة، فدرس في الأزهر، وبعد ذلك رحل إلى بلدة "كفرة" بالمغرب فقرأ على السيد السنوسي، ومنها انتقل إلى السوان فأقام في "أرجو" بدنقلة، وتزوج بابنة هارون الطويل، فأنجبت له ابنه علي، ولما عزم على العودة من رحلته العلمية إلى موطنه صبيا، مرّ بالقاهرة، والتقى فيها بمحمد على علوى، المترجم بالسفارة الإيطالية، وكان يعرفه من قبل، فأغراه للقيام بدور سياسي في المنطقة ضد العثمانيين، لصالح إيطاليا، ولصالح نفسه أولاً وأخيراً، ويبدو أن هذا العرض قد وقع من نفسه الطموحة موقعاً جميلاً[1].

---

[1] الريحاني، المصدر السابق، ص٣١٥،٣١٦، والعقيلي، المصدر السابق، ج٢، ص٦٢٦،٦٢٧، والواسعي، المصدر السابق، ص١٢٦، ود. أباظة، المصدر السابق، ص١٩٦،١٩٧، ود.سالم، المصدر السابق، ص١٧١،١٧٢، منتقداً الرواية التي أوردها الواسعي عن كيفية اتصال الادريسي بالايطاليين، ومحبذاً أن الاتصال تم عن طريق بعض التجار أو الاتباع المخلصين لكلا الطرفين، وعلى كل فيجوز أن يكون أول اتصال قد تم بين الطرفين في القاهرة عن طريق محمد على علوى المترجم، ثم سافر الإدريسي إلى صبيا ليقوم بدوره، على أن يتم الاتصال بصفة مستمرة بعد ذلك عن طريق بعض هؤلاء التجار.

كان ذلك الاتصال السياسي عام ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م) والإدريسي في طريقه إلى صبيا، بعد رحلة استغرقت حوالى أحد عشر عاماً، اكتسب خلالها علماً، وحنكة بأمور الحياة ومتطلباتها، ووسعت مداركه لاستيعاب القضايا والسياسة الدولية، ولذا استغل الفرص التي أتيحت له سياسياً أفضل استغلال، فوطد أقدامه.

كانت الدولة العثمانية قد بلغت أقصى تدهور لها، عقب الهزائم التي منيت بها في شرق أوربا، وأمام روسيا القيصرية، وفقدت أملاكها في البلقان، بالإضافة إلى القلاقل الداخلية، خلال العهد الاستبدادي للسلطان عبد الحميد الثاني، والذي انتهى بأسقاطه عام ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م) وبقرب أفول نجمها، وقد واكب ذلك قيام ثورات في البلاد العربية ضد الحكم العثماني، وخططت إيطاليا — التي كانت تحتل أثيوبيا في ذاك الوقت - للاستيلاء على آخر أملاك الدولة العثمانية في غرب أفريقيا، وهي "طرابلس الغرب" ليبيا حالياً.

وكان العثمانيون في المنطقة يحكمون حيثما يستطيعون، ويستغوون رؤساء القبائل والعشائر بمشاهرات لايدفعون منها غير اليسير، فيزيد ذلك ثائرة القبائل، وانقلب عليهم الطامعون عندما لمسوا عجزهم، وانتقل الصراع بين القبائل نفسها، وشاهد الادريسي هؤلاء واؤلئك فاستفاد

منهم جميعاً. واستعان بزعيم على الآخر حتى ساد أكثرهم، فأصبحوا أنصاره[1].

وبادئ ذي بدء ففي طريقه إلى موطنه صبيا نزل بالحديدة، ويقال إن الحكومة العثمانية قد خامرها الشك حول اتصالاته بايطاليا، فجعلت ترصده، لكنه كان على جانب كبير من حصافة الرأى، وبُعد النظر بحيث استطاع أن يضلل عيونها، ويبدد ماحوله من شكوك، فنزل في مسجد جده في أطراف الحديدة، وانصرف لشئون العبادة حتى فتر حماسهم في ترصدهم لحركاته، وبعد أن اطمأن لعدم ترصده، وطمأنهم على حسن مسلكه انطلق إلى صبيا، إلى أهله وذويه[2] ثم كانت الاتصالات بينه وبين الحكومة الايطالية بواسطة كل من: محمد سالم المصوعى، وطاهر الشنيتى، التاجران الشهيران فى المنطقة[3] حيث تتردد تجارتهما على موانئ تهامة، وخاصة بين قوز الجعافرة ومصوع الأريتيرى، وكان لايطاليا أسطول بحرى جاثم فى مينائه، ولديهم دراية ومعرفة كاملة بأحوال المناطق الساحلية فى بلاد العرب.

---

(1) الريحانى، المصدر السابق، ص٣١٦.

(2) كان قد ترك زوجته عند أبيها فى السودان، وعاد بمفرده، وبعد أن استقر به المقام فى صبيا بعث من أحضرها هى وولده علي.

(3) العقيلى، المصدر السابق، ص٦٢٩، والواسعى، المصدر السابق، ١٢٦.

استقر به المقام في صبيا بداية عام ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م) وكانت المنطقة بما فيها اليمن تموج بالفتن والاضطرابات، لعوامل عدة يرتبط بعضها ببعض، منها الداخلي والخارجي، التي أشرنا إلى بعضها فيما سبق.

كان الوضع الإداري والسياسي في المنطقة حين قدوم الإدريسي على الوجه الآتي:

- متصرفية عسير، مستقلة إداريا، يديرها والي عثماني "متصرف" خاضع مباشرة لوزارة الداخلية في الأستانة، وتضم كافة بلدان ومناطق عسير، وتهامة عسير، وقضاء أبو عريش بتوابعه، جنوباً حتى جنوب ميدي وحرض، وفي الجنوب الشرقي وُعار، وعقبة نهوقة، بما فيه جبال رازح، ومنبه والعرو، وبني جماعة، وسحار وغيرها.

- تهامة اليمن وقسم من المنطقة الجبلية بما فيه صنعاء، تحت الحكم المباشر للدولة العثمانية، يديره والي عثماني خاضع لوزارة الداخلية في الاستانة، وأحياناً لوزارة الحربية، ويطلق عليه والي اليمن، وأحياناً أخرى كان يطلق عليه "حاكم عام اليمن" وكانت أرض اليمن مقسمة إلى عدة ألوية وأقضية، أقربها إلى منطقتنا المعنية بالدارسة قضاء اللحية، التابع للواء الحديدة، وكان لواء الحديدة يتميز بوضع خاص.

- قسم من المنطقة الجبلية، في الشمال والشرق، وبالأخص التي تقطنها غالبية زيدية، تخضع لنفوذ الإمام وإدارته المباشرة، وكثير من الأئمة كان يعترف رسمياً بسلطة الدولة الإسمية، دون قبول التدخل منها في إدارة المناطق الخاضعة لنفوذه في بعض الجبال، والمفاوضات التي كانت تدور بين الطرفين في بعض الأحيان، ومنها اتفاق "دعان" عام ١٩١١م، كان يدور حول هذا المبدأ، وتحديد نفوذ كل طرف في المنطقة الجبلية[1].

كان متصرف عسير حين قدم الادريسي إلى صبيا عام ١٣٢٥هـ، هو كاظم باشا الذى عُيّن متصرفاً لعسير في بداية العام نفسه بدلاً من تحسين باشا، ولما بدأ الإدريسي يتصل بالقبائل، ويعمل على الإصلاح فيما بينها، ويبث من خلال ذلك نزعة العداء للدولة العثمانية، ويُعِدّهم للقيام بالثورة عليها، والعمل على طردهم من بلاد العرب، أحست الدولة بخطورته، واتهمت كاظم باشا بالتهاون معه منذ البداية، وعزلته، وعينت سليمان كمالي باشا بدلاً منه، ويبدو أن كاظم باشا إستاء من قرار عزله واتهامه بالتقصير، فقرر ترك مقر عمله في المتصرفية وغادرها قبل حضور

---

(1) بعض الوثائق في الأرشيف العثماني تشير إلى هذه التنظيمات الادارية، وتوضيح حدود المتصرفيات والألوية، منها: إرادة داخلية، برقم ٦٤٥٥٣ وتاريخ ١٨ الحجة ١٢٩٦هـ، وإرادة مجلس شورى الدولة، رقم ٢٩٢٤ بتاريخ ٢٨ الحجة ١٢٩٧هـ، وإرادة داخلية برقم ٤٩١٥ بتاريخ ٢٩ شوال ١٣١١هـ، وإرادة داخلية رقم ٥٢٧٣ بتاريخ ١٣٢٣هـ، ورقم ٥٢٧٤ بتاريخ ٣صفر ١٣٢٣هـ، ورقم ٥٤١٦ بتاريخ ٢٦شعبان ١٣٢٨هـ وغيرها.

سليمان كمالى، ليقوم رسمياً بتسليمها إليه كما هو متبع. ويبدو أنه استشار أمير مكة قبل مغادرته مقر عمله، فأشار عليه الشريف حسين باصدار أمر داخلى منه بتعيين عبد الله بن عايض وكيلاً له، وتسليم الشئون الادارية فى المتصرفية إليه والشئون العسكرية لحيدر بك، وإخلاء مسئوليته بذلك، ووعده بالتدخل لدى الباب العالى، ووزارة الداخلية بالأستانة، لاستصدار الموافقة اللازمة على تعيين ابن عايض فى هذا المنصب .. ولذا نلحظ أن المتصرف الجديد سليمان كمالى، كان قد سعى قبل حضوره فى إحداث هذا المنصب، وفاتح فى ذلك الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) ووزير الداخلية وغيرهما، حتى وافقوا على إحداث هذا المنصب فى المتصرفية، فلما قدم فوجئ بابن عايض يشغله، حتى قبل إحداثه، وتقرير راتب واعتمادات له، فسأل حتى عرف الحقيقة، فعجب من تدخل الشريف حسين فى شئون عسير[1].

إن الظروف التى كانت تمر بها المنطقة، والدولة العثمانية بصفة عامة، قد ساعدت الإدريسى على فرض شخصيته على المنطقة، والتفت حوله القبائل والبلدان على أمل أن يخلصها من قبضة الدولة العثمانية، وظلم ولاتها، وسوء معاملتهم لأهل البلاد، ولم تكن الظروف وحدها هى التى خدمته، بل إنه هو الذى طوعها لخدمته، فقد كان ذكياً داهية،

---

[1] المذكرات، ص٣١.

استعان علـى عـدوه بكـل ماحولـه مـن خلافـات، وزعامـات، وصراعـات دولية، ووظـف كـل ذلـك لخدمـة أهدافـه[1].

إستمر مـايقرب مـن عـامين يمهـد لـدوره حتـى تمكـن، فـأعلن دعوتـه فـى ٣٠ذو القعـدة ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) فوفـد إليـه جمع غفير مـن رؤسـاء القبـائل والبلـدان فـى المخـلاف لمبايعتـه، وإعـلان الـولاء لـه[2] فـأصبح بذلـك ذو سـلطان شـرعي.

وكـان قـد تمكـن مـن تـأمين خـط مواصـلات إمـداده بـالمؤن والعتـاد الحربـى مـن حليفتـه ايطاليـا عـن طريـق مينـائى "مصـوع" علـى السـاحل الأرتـيرى و "قـوز الجعـافرة" علـى سـاحل جـازان، ثـم إلى صبيـا لتوزيعـه علـى أتباعـه بشـكل دقيـق، ورأى أن السـهل السـاحلى لتهامـة عسـير وجـازان سـهل الاكتسـاح مـن قبـل القـوات العثمانيـة، فيمـا لـو نشـبت الحـرب بينهمـا، فعمـل علـى ايجـاد خـط دفاعـات لـه فـى الجبـال الشـمالية الشـرقية التـى يصعـب علـى القـوات العثمانيـة اقتحامهـا بسـهولة، لـذا بـث دعاتـه إلى تلـك المنـاطق، فـأقبل إليـه أهـل الجبـال الجنوبيـة الشـرقية، فدخلـوا فـى طاعتـه عـام ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م) وقدمـوا لـه الرهـائن كمـا هـى عـادة القسـم الجبلـى فـى اليمـن، ودفعوا لـه الزكـاة[3].

---

[1] الريحانى، المصدر السابق، ص٣١٧.

[2] العقيلى، المصدر السابق، ص٦٤٢-٦٤٥، وسليمان كمالى، المصدر السابق، ص٤٣.

[3] العقيلى، المصدر السابق، ص٦٥٨، ود.أباظة، المصدر السابق، ص٢٠٥،٢٠٦.

ولما أدركت الدولة مقدار خطورته على مصالحها في المنطقة، بدأت تبعث له الوفود للوقوف على مقاصده بالإضافة إلى ماكان يبذله متصرف عسير في هذا المجال، للحد من نفوذ الادريسي بالتفاهم والوسائل السلمية. وكان من بينها وفد قدم من الأستانة برئاسة سعيد باشا، وبرفقته توفيق الأرناؤوطي، شيخ الطريقة الأحمدية بالأستانة، فوصل إلى جازان في بداية عام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) وتمكن الادريسي بلباقته من اقناع الوفد بحسن نواياه، وانتهت المفاوضات التي جرت بالحفائر قرب جازان. بابرام عهد واتفاق نص على الآتي:

١- أن يعترف الإدريسي بالتبعية العثمانية، وشرعيتها على المخلاف السليماني.

٢- أن يُمنح رتبة "قائمقام" ويقوم كموظف عثماني بشئون صبيا، وما يتبعها (أي من صامطه والموسّم جنوباً إلى حليّ بن يعقوب شمالاً).

٣- يتعهد بتسهيل إجراءات مدّ سلك البرق "التلغراف" عبر المخلاف السليماني، لربط اليمن بالحجاز برقياً.

٤- أن يسمح للدولة باقامة مراكز جمركية في موانئ المخلاف، وبعث مأمورين لها من قبلها.

٥- تتعهد الدولة بالغاء الضرائب، وتكتفي بما تحصله من زكاة شرعية على الحاصلات الزراعية، والمواشي، وأن ينوب

الإدريسي عنها في تحصيل الزكاة المقررة شرعاً، مقابل حصوله على ثلث مايقوم بتحصيله، لتغطية نفقاته، ونفقات إقامة جيش وطني من أهل البلاد، لإقرار الأمن والأوضاع في البلاد التي أصبح مسئولاً رسمياً عنها[1].

وهي اتفاقية في صالح الإدريسي بكل المعايير، فقد اعترفت به الدولة كشخصية قيادية في المنطقة، وخولته السلطات، وأكدت شرعية سلطته في المنطقة، ومنحته رتبة "قائمقام" اعترافاً منها بشخصيته وفوضته باقامة جيش وطني من أهل البلاد. كما فوضته بتحصيل الزكاة، وأضافت إلى نفوذه قضاء رجال ألمع، وكان قبل ذلك تابعاً لمتصرفية عسير أما من جهته فقد اعتبرها مكسباً ومغنماً، والخطوة الأولى على طريق تحقيق الطموحات. فقد سارع باسال نوابه على الجهات والبلاد التي تخضع لنفوذه بموجب هذه الاتفاقية. ولم يمكن الدولة من الإشراف على الجمارك بموانئ المخلاف. وكان قد مدّ نفوذه قبلها إلى الجبال الجنوبية الشرقية، من بني مالك حتى الظاهر، كما ذكرنا ذلك. وبعد هذا الاتفاق مدّ نفوذه إلى الجبال الشرقية أيضاً، بني جماعة وسحار، وشذا، والعرو، والنظير. متغلغلاً إلى "هجرة فللة" كما امتدّ نفوذه إلى رازح من خولان السافلة، وأقبل إليه أهل هذه المواطن يعلنون له الولاء والطاعة دون إراقة نقطة دماء. وقام بزيارة معظم تلك المناطق في شهر جمادى الأولى ١٣٢٨هـ (١٩١٠م)

---

[1] العقيلي، المصدر السابق، ج٢، ص٦٦٤-٦٦٧، ود.أباظة، المصدر السابق، ص٢٠٧، ٢٠٨، وسليمان كمالي، المصدر السابق، ص٣٨.

وبذلـك بلـغ نفـوذ الادريسـي شـرقاً إلى حـدود "فللـة عـذر" وجنوبـاً إلى الظـاهر، والشـمال الشـرقي إلى بـلاد سـحار.

كـانت هـذه المنـاطق تعتـبر خاضعـة اسمياً لنفـوذ الدولـة العثمانيـة، فيمـا عدا "هجـرة فللـة" التـي كـان يعتبرهـا إمـام صنعـاء خاضعـة لنفـوذه، لقربهـا مـن صعـدة مركـز الأئمـة الزيديـة، لـذا عمـل علـى استعادتها، بقـوات تحـت قيـادة محمـد أبـو نيـب، ونكـل بـالذين أعطـوا الـولاء للإدريسـي. وعمـل ترتيبـات لايقـاف زحـف الادريسـي إلى تلـك الجهـات.

واسـتمر نفـوذ الادريسي فـي تلـك الجهـات شـاملاً جبـال ومنـاطق: منبـه، والعـرو، فيفـا، بنـي مـالك، رازح السـفلى. وفـي عـام ١٣٣٢هـ (١٩١٣م) حـاولت قـوات الإمـام احتـلال جبـل "حُـرم" كخطـوة أولى للتقـدم إلى رازح، غير أن قـوات الادريسـي ردتهـا علـى أعقابهـا، واسـتمر الوضـع هكـذا حتـى عـام ١٣٤١هـ (١٩٢٢م) حـين تمكـن الجيـش المتوكلـي مـن احتـلال جبـل "القطـير" و لم يفلـح الادريسـي فـي اسـتعادته[1].

أما فـي الجبهـة الأخـرى العثمانيـة، فبعـد اتفاقيـة الحفـاير مـع سـعيد باشـا، ظلـت الدولـة تتحين الفـرص للإيقـاع بـه، لاسيما وأنـه قـام بتحريـض قبـائل المخلاف وعسـير للقيـام بثـورة ضـد القـوات العثمانيـة فـى المتصرفيـة، ثـم أصـدر أوامـره إليهـا أواخـر شـهر ذى القعـدة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) بـالتحرك لحصـار

[1] العقيلي، المصدر السابق، ج٢، ص٦٥٨-٦٦٢.

"أبها" قاعدة المتصرفية واستمر الحصار اكثر من سبعة أشهر، وقاد الشريف حسين حملة بتكليف من الدولة شاركت في فك حصار أبها، وكان الثوار قد حاصروا أيضاً الحامية العثمانية التي كانت تقيم في "عقبة شعار" واضطرتها إلى الاستسلام، واستحوذت على ماكان لديها من مون وذخائر[1]، وأثناء ذلك تمكن أحمد شريف الخواجي، أكبر واخطر معارضي الإدريسي[2] من الهرب من صبيا إلى الأستانة، وعرض قضيته على رجال الدولة، وما أصابه نتيجة إخلاصه لها، مما أثار عاطفتهم لمؤازرته، وصدرت أوامر الدولة بطلب حضور الإدريسي إلى العاصمة العثمانية بصفته أحد موظفيها للتحقيق معه، لكن الإدريسي امتنع عن السفر، لأنه يعرف الهدف من ورائها، فاعتبرته الدولة متمرداً رسمياً على تنفيذ أوامرها، وجردت عليه حملة بقيادة محمد راغب بك، لاحتلال صبيا والقبض على الادريسي، وكانت هذه أول مصادمة عسكرية حقيقية بينه وبين الدولة، وقد علم الادريسي بأمر هذه الحملة قبل تحركها، فأعد للأمر عدته، وانزل بها هزيمة مروعة يوم ١٠ جمادى الأولى ١٣٢٩هـ (١٩١١م)

---

[1] د.أباظة، المصدر السابق، ص٢١٣.

[2] كان أحمد شريف الخواجي، من الخواجيين أمراء المخلاف السابقين، وكان من أبرز شخصيات صبيا قبل عودة الإدريسي إليها من رحلته العلمية، وقد وقع عليه اختيار الدولة العثمانية ليمثل صبيا في مجلس المبعوثان ضمن ثلاثة اشخاص كانوا يمثلون المخلاف. ومكث في الاستانة حوالي عام إلى أنفضاض المجلس، في بداية العهد الدستوري، فلما قدم الإدريسي كان من أشد المعارضين له، حتى ارتكب ما جعله يقع تحت طائلة المحاكمة، فحكم عليه تعزيزاً بقطع يديه، والبعض يقول إنه لم يرتكب مايوجب قطع اليد، وحتى لو استوجب ذلك، فإن حكم الشرع واضح في شأن المفسدين في الأرض، بأن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، بنص القرآن الكريم في الآية رقم ٣٣ من سورة المائدة، لذا استحوذت قضيته على عطف من علم بها وقتذاك.

عند "الحفاير" بالقرب من جازان، التى كانت لهم بها قبل ذلك بعض القوات، فانسحبوا جميعهم إلى القنفذة، وأخلوا جازان فاستولى عليها الإدريسى ودخلت ضمن نفوذه، ومن دلائل التنسيق الحربى بين الإدريسى وإيطاليا، أن الأسطول الايطالى فى البحر الأحمر قدم إلى جازان للاشتباك مع القطع الحربية العثمانية التى تساعد القوات المهاجمة براً، ولما قدم عرف برحيل جميع القوات العثمانية إلى القنفذة، فأنطلق إليها وضربها وحطم ثلاثة طرادات تركية[1].

أما علاقة الإدريسى بالامام يحي إمام اليمن فقد اتسمت فى البداية بعدم الثقة، بالرغم من أن كلاً منهما تظاهر بمد يده للآخر للوقوف أمام العدو المشترك، المتمثل فى الدولة العثمانية، بينما الغاية المستترة لكل منهما هى بسط نفوذه على أكبر مساحة مما هو فى حوزة النفوذ العثمانى، بالوسيلة التى يراها كل منهما ملائمة له. ثم مالبث أن تحول عدم الثقة إلى تنافس وعداء مستحكم بينهما، وبخاصة بعد اتفاقية "دعان".

وبالنسبة للدولة العثمانية، وتغيير السلطة فيها، فقد استبشر العرب خيراً باعلان الدستور الجديد، وإنهاء عهد الاستبداد الحميدى عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) وكان أمل العرب كبيراً فى أن تشهد بلادهم شيئاً من الاصلاح والعمران فى مختلف المجالات، وكان الاتجاه السائد فى

---

(١) د. أباظة، المصدر السابق، ص٢١٠-٢١٢، والعقيلى، ج٢، ص٦٧٠-٦٧٤، وسليمان كمالى، المصدر السابق، ص١٠٧.

الأوساط الحكومية الرسمية بالاستانة، أن تعمل على الوصول إلى حل لقضية اليمن، المتمثلة فى ايجاد نوع من الاستقرار بها، بعد الثورات السابقة التى كانت شبه مستمرة، وبالفعل تشكلت لجنة من مجلس المبعوثان واجتمعت باليمن عدة اجتماعات مع مندوبى الإمام يحي، وفى يوم ٢١رجب (٧ أغسطس ١٩٠٩م) أقرت مشروعاً للاصلاحات من ست مواد، تضمنت تقسيم اليمن إلى ولايتين: ساحلية وجبلية، يتم تفويض إدارة الولاية الجبلية إلى الإمام يحي، والولاية الساحلية إلى ذوى الكفاية والاقتدار، وخولت الإمام بعض السلطات والصلاحيات. ووافق الإمام على هذا المشروع، ورفع إلى الأستانة، فعرض على مجلس المبعوثان فوافق عليه، وأثناء ذلك آلت السلطة إلى حكومة الاتحاديين، التى تبنت إحياء النزعة الطورانية، وتمييز العرقية التركية، وإهمال ماعداها من عرقيات، بل العمل على ادماجها فى التركية إلى غير ذلك من قرارات أصابت العالم العربى بالدهشة والذهول، وكان من بين ذلك سحب المشروع الذى ووفق عليه من قبل بشأن الاصلاحات فى اليمن، وتبنوا فكرة أخذ اليمنيين بالشدة مخافة أن تنتقل عدوى الثورة إلى البلدان المجاورة وبخاصة الحجاز، وارسلوا لهذا الغرض محمد على باشا والياً على اليمن فوصل صنعاء يوم ١٢جمادى الأولى ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) وحدثت ثورات فى سوريا، ولبنان والبانيا، وتبعتها ثورة فى اليمن حاصروا خلالها الوالى المذكور فى صنعاء[1] وقبيل هذه الثورة اليمنية راسل الإمام يحي، زميله

---

[1] د.أباظة، المصدر السابق، ص١٨٠، ٢٢٠-٢٢٢، ٢٥٦-٢٥٨، والواسعى، المصدر السابق، ص٣١٤-٣١٧، --

الإدريسى كى يثور هو الآخر على الأتراك، فكان الإدريسى أسبق فى حصاره لأبها، فى ذى القعدة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م)[1] وكانت الدولة العثمانية - تحت ضغط الثورة العارمة فى اليمن وعسير - قد قامت بسحب بعض قواتها الموجودة فى طرابلس الغرب لمواجهة الثورة فى اليمن وعسير، مما أضعف حاميتها التى استمرت فيها، وهذا ما كانت تخطط له إيطاليا، فبدأت فى تنفيذ خطتها للاستيلاء على طرابلس الغرب، فضربتها بالقنابل من البحر مساء آخر يوم من شهر سبتمبر ١٩١١م (٧شوال ١٣٢٩هـ) ونزل جنودها إلى الشاطئ صباح أول أكتوبر ١٩١١م (٨شوال) و لم يجدوا مقاومة تذكر[2] وكان ذلك إعلاناً رسمياً للحرب بين الدولتين، فنشط أسطولها فى البحر الأحمر، فى ضرب قطع الأسطول العثمانى، ومراكز التحصينات والتجمعات للقوات العثمانية على ساحل تهامة اليمن، مما حفز الادريسى وسهل له مهمته فى الزحف جنوباً للاستيلاء على بعض البلدان والمناطق الجنوبية من تهامة اليمن، واستخلاصها من أيدى العثمانيين.

-- ود.سيد سالم، المصدر السابق، ص٩٦-١٠٠.

(1) سليمان كمالى، المذكرات، ص٦٧، حيث يقول: دامت المحاصرة سبعة أشهر وبضعة أيام، وفى طول تلك المدة لم يأتنى خبر من الأستانة مباشرة، غير أن قائمقام القنفذة أرسل إلى يخبرنى بأن الامام يحي أيضاً ثار على الدولة فى اليمن. ويقول ابن مسفر، المصدر السابق، ص١١١ إن الحصار استمر تسعة أشهر.

(2) د.سيد سالم، المصدر السابق، ص١٣٣، ود.أباظة، المصدر السابق، ص٢٧٨، وكانت طرابلس الغرب (لبيا) آخر ولاية عثمانية بشمال أفريقيا، محصورة بين مصر المحتلة من الانجليز، وتونس المحتلة من الفرنسيين.

وقبيل نشوب الحرب في طرابلس الغرب، أرادت الدولة أن تحل قضية الثورة في اليمن وعسير، لتوفر على نفسها عبء المواجهة في تلك الجبهة، وتتفرغ لمواجهة إيطاليا في طرابلس الغرب، لاسيما وأن قواها الحربية أصبحت ضعيفة للغاية أواخر عهدها. مقتنعة بأن أسلوب العنف والشدة غير مجدٍ، ومن الأفضل لها أن تلتقي مع رغبات اليمنيين في تهدئة الأوضاع وعقد صلح برضى الطرفين، فبعثت لهذا الغرض أحمد عزت باشا، والياً وقائداً عاماً للقوات العثمانية في اليمن[1] وما أن وصل الوالى الجديد إلى صنعاء في شهر ربيع الأول ١٣٢٩هـ (أوائل مايو ١٩١١م) حتى بادر بالكتابة إلى الامام يحي، وكان مقيماً "بشهارة" يعرض عليه رغبته في عقد صلح يريح به الجانبين من الفتن والحروب. ويطلب الاجتماع في أى مكان يراه. فجاءه الرد بالموافقة وعلى أن يكون الاجتماع في "دعان" وهي قرية غربي مدينة عمران. وانتهت المفاوضات

---

[1] قالت عنه جريدة المؤيد المصرية: إن عزت باشا كان من أعلى بيوت المجد والشرف في ألبانيا، وتربى تربية عسكرية عالية في ألمانيا، حتى أن الأمبراطور غليوم، أمبراطور ألمانيا، كان يفتخر بأن المدارس الألمانية انجبت مثل عزت باشا من العثمانيين، وكان السلطان عبد الحميد قد نفاه إلى سوريا في أثناء حكمه لمدة طويلة، لأنه كان يخشى من الشخصيات القوية ذات النفوذ، ولما زار غليوم إمبراطور ألمانيا، سوريا، وعرف بوجود عزت باشا بها، قال لوالى بيروت: إذا كان الجيش العثمانى مستغنيا عن عزت باشا، فإن الجيش الألمانى في حاجة إليه، ونقل هذا الحوار إلى السلطان عبد الحميد، فأعاده إلى الخدمة مضطراً، ومنحه رتبه عالية، ثم بعثه بعد فترة قائداً لاحدى الفرق المتجة إلى الحديدة، فأقام بها فترة أحبه الناس، واشتهر بسمعته الطيبة، ولما أعلنت الدولة الدستور، عين رئيساً عاماً لأركان الجيش العثمانى، بالإجماع، كما اشتهر بكرم الأخلاق والحنكة والفصاحة التى استمال بها إمام صنعاء، ووقع معه اتفاق دعان. انظر د.أباظة، المصدر السابق، ص٢٥٩، والواسعى، المصدر السابق،ص٣١٧-٣٢٠.

بعقد اتفاقية "دعان" الموقعة فى أول شهر ذى القعدة ١٣٢٩هـ (١٩١١م) والتى تكونت من عشرين بنداً، تتضمن تخويل الامام الاشراف على شئون القضاء، والاوقاف، وأن تكون جبايات الأموال بالطريقة الشرعية، وأن يكون من حق الامام تنصيب الحكام على المناطق الزيدية، والدولة من حقها التنصيب على مناطق الشافعية والحنفية، وله إدارة بعض المناطق الجبلية، وللدولة بعض المناطق الأخرى، بالاضافة إلى تهامة اليمن، وغير ذلك من تفصيلات، مضمونها اعتراف العثمانيين للامام ببعض النفوذ الدينى والادارى، مقابل اعترافه بالسلطة العثمانية[١] وكان مما عجل بتوقيعها إندلاع الحرب فى طرابلس الغرب.

عقب توقيع اتفاقية "دعان" شعر الإدريسى بأنه أصبح فى الميدان وحده لمواجهة العثمانيين، وأن حليف الأمس تخلى عنه، ووضع يده فى يد العدو الذى طالما حثّ مواطنيه على قتاله، ومن هنا أشعل حماس الناس ضد الأتراك والامام يحي معاً. وبادر أتباع الإدريسى بقطع أسلاك البرق (التلغراف) لكى يعزلوا صنعاء عن الاتصال بالعالم الخارجى. وشدد الحصار على أبها، وانسلخت بعض القبائل كقبيلة حاشد، عن طاعة الإمام، وأعلنت ولاءها للإدريسى[٢] وحاول عزت باشا احتواء الإدريسى

---

[١] الواسعى، ص٣٢٠، ٣٨٠-٣٨٢، ود.أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص٢٦٣-٢٦٦، ود.سيد سالم، المصدر السابق، ١٣٦-١٥٢، ٤٩٥، ود.أباظة، المصدر السابق، ص٢٦٩، ٢٨١-٢٨٤، والريحانى، المصدر السابق، ص١٤٧.

[٢] د.سالم، المصدر السابق، ص١٤٤، ود.أباظه، المصدر السابق، ص٢٩٦-٣٠٣، ٣٢٢-٣٢٦.

سلمياً فلم يفلح، فطلب من الإمام أن يكتب إلى الإدريسي ينصحه بعدم معاداة الدولة، فكتب له الامام للدخول في الصلح، فلم يستجب الادريسي[١] لذا تعاون الحليفان: عزت باشا ممثلاً للدولة، والامام يحي في القضاء على الإدريسي، حتى أضحى موقفه صعباً، خاصة بعد أن انضم إليهما الشريف حسين من الشمال. فلم يجد الادريسي مفراً من الاعتماد بشكل أساسي على إيطاليا، بالرغم مما كان يشاع حوله من كونه وضع يده في يد غير المسلمين ضد المسلمين[٢] وعندما يئس عزت باشا من استجابة الادريسي جهز عليه حملة قادها محمد علي باشا الوالي السابق لليمن، والذي استمر قائداً للقوات العثمانية في اليمن، وحملت قواته ومعداته بحراً من ميناء الحديدة، ونزلت ميناء جازان، وبدأوا في ترتيب أمر زحفهم إلى الداخل آواخر عام ١٣٢٩هـ (١٩١١م) ثم علم أن الأسطول الإيطالي في طريقه إلى جازان، فحمل ماخف حمله من المعدات وانتقل إلى القنفذة، وترك كثيراً من معداته بعد أن أشعل في بعضها النار، واستولى اتباع الادريسي على مابقي سليماً منها، وبذلك فشلت أيضاً هذه الحملة[٣].

وعاودت الدولة إتصالها بالادريسي بشأن إجراء مفاوضات لعقد صلح وحسم الخلافات بينه وبين الدولة، وذلك في عهد الوالي محمود

---

(١) د.أباظة، المصدر السابق، ص٣٠٣-٣٠٥،٣٢٠، وسليمان كمالي، المصدر السابق، ص١٣٧.

(٢) د.أباظة، المصدر السابق، ص٣١٠-٣١٤، العقيلي، المصدر السابق، ج٢، ص٧٠٣-٧٠٦.

(٣) العقيلي، المصدر السابق، ج٢، ص٧٠٦،٧٠٧، د.أباظة، المصدر السابق، ص٣٢١.

نديم بك[1] فقد سعى قائمقام اللحية ابراهيم بك خليل بالاتصال بالادريسى بتاريخ ٤ربيع الأول ١٣٣١هـ (١٠مارس ١٩١٣م) ومهد لهذا اللقاء، حيث طلب من الوالى العثمانى الحضور من صنعاء الى اللحية، كما طلب من الإدريسىأن يأتى إلى مدينة "مَيْدى" ليكون على مقربة. وكانت ميدى ذاك الوقت خاضعة للإدريسى. وطرحت بعض النقاط للتفاوض غير أن الادريسى رفضها، فقد أصبح فى مركز قوة، وصاحب نفوذ فى منطقة فقدت الدولة نفوذها عليها، وانفرد هو بذلك النفوذ وكانت هذه آخر مفاوضات تجرى بينهما لعقد صلح، بينما استمرت المناوشات والحروب بين الإدريسى من جهة، والأتراك يساندهم الامام من جهة أخرى، فقد اصطدم رجال الادريسى بأتباع الامام يحي فى بلاد "حجور" و"خولان الشام" و"رازح" وغيرها[2]. وكانت كفة الإدريسى هى الراجحة، حيث استولى على جميع جبال رازح حتى قرب مدينة صعدة اليمنية، وظلت تحت حكم الإدريسى حتى توفى، فاغتنم الامام يحي الفرصة وأخذ فى الزحف التدريجى على جبال رازح، الجبل تلو الجبل، وأخيراً تمكن من الاستيلاء على قاعدة تلك الجبال "جبل النظير" وفى عام ١٣٤٤هـ استولى على جبل "شدا"[3].

---

[1] تولى ولاية اليمن فى جمادى الأولى ١٣٣٠هـ (مايو ١٩١٢م) وكانت الدولة العثمانية على وشك الدخول فى الحرب البلقانية (١٩١٢م/١٩١٣م).

[2] د.أباظة، المصدر السابق، ص٣٣٠.

[3] انظر المخلاف السليمانى، للعقيلى، ج٢، ص٧٤٩،٨٩٣ ومابعدها.

وكان من نتيجة التنسيق مع إيطاليا أن قام الأسطول الإيطالى بضرب ميناء "مَيْدى" التى كان قد استعادها العثمانيون من الادريسى فتقدم الإدريسى وحاصر الحامية التركية الموجودة بها حتى استسلمت، فاستولى على المدينة، ثم تقدم واحتل "حرض" وبعث بعض قواته تحت قيادة محمد طاهر رضوان، يساعده ابراهيم بن فتح الدين، فاستوليا على "جزيرة فرسان" وطردا الحامية التركية منها. ثم تقدمت قواته واحتلت جزءاً من بلاد عبس، إلا أن الأتراك استطاعوا إيقاف تقدم قواته جنوباً، فظل كل فريق محتفظاً بمواقعه من منتصف عام ١٣٣١هـ (١٩١٣م) حتى عام ١٣٣٤هـ (١٩١٥م) تقريباً[١] وخلال ذلك كانت إيطاليا قد استنفذت أغراضها من الإدريسى فتخلت عنه، لكن انشغال الدولة العثمانية بحروب البلقان (١٩١٢-١٩١٣م)[٢] إضطرها إلى توزيع قواها الحربية، فأبقت الوضع على ماهو عليه فى بلاد العرب، إلى أن بدأت الحرب العالمية الأولى[٣] وسعت بريطانيا لكسب الزعماء العرب إلى

---

[١] العقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٧٢٥-٧٢٧.

[٢] أعقبت حرب طرابلس الغرب، حين تعاقدت كل من صربيا وبلغاريا عام ١٩١٢م، على زيادة أراضيهما على حساب الدولة العثمانية، ثم انضمت إليهما اليونان، والجبل الأسود، وأرادوا فى بعض المراحل الاستيلاء على جزء من أرض ألبانيا، فتصدت لهم النمسا، والمجر، وإيطاليا، وامتلأت الأجواء العالمية بنذر حرب عالمية، وبدأت بريطانيا تعمل حساباتها مسبقاً، لتوطيد نفوذها على حساب الدولة العثمانية، وكان هذا من مصلحة الادريسى.

[٣] بدأت فى ظل الأجواء المعتمة التى خلفتها الحرب البلقانية. باغتيال "فرديناند" ولى عهد النمسا فى سرايفو، بأيدى الصربيين، وهددت النمسا باحتلال قسم من صربيا يوم ٢٨يونيو١٩١٤م، وبدأت المناوشات من جانب النمسا وانضمت لها المجر، ضد صربيا، وسلوفيا، والجبل الأسود، ثم تطور الوضع فى نهاية صيف ١٩١٤م،--

جانبهـا، فكـان الادريسـى أول مـن لبـى نداءهـا، فعقـدت معـه معـاهدة بتـاريخ ١٥جمـادى الآخـرة ١٣٣٣هـ (٣٠ابريـل ١٩١٥م) تكونــت مــن ثمــان مــواد، وتضمنـت الوقـوف معــاً ضـد الدولـة العثمانيـة، وشـن الحـرب عليهـا، وأن يعمل الادريسـى على محاولـة طـرد الأتـراك مـن قواعدهـم فـى اليمـن، ومـن ثـم يوسـع رقعـة إمارتـه علـى حسـاب الأتـراك، ولا يمس مايثـير الخصومـة والعـداء مـع الامـام يحـي. وتلـتزم بريطانيـا بحمايـة إمـارة الادريسـى ضـد أى هجـوم بحـرى، وضمـان اسـتقلاله بإمارتـه وأن تمـده بالمـال والمعـدات الحربيـة والعـون اللازم طيلة مـدة الحـرب، وتمنحـه الحريـة الكاملـة فـى الملاحـة البحريـة.

ومما يلاحـظ على هـذه المعـاهدة: فمـع كونهـا تعتـبر بمثابـة معـاهدة حمايـة، إلا أنهـا اعـترفت باسـتقلال إمـارة الادريسـى، وضمنـت اسـتقلالها وقـت الحـرب، وأبـاحت لـه العمـل علـى توسـعتها علـى حسـاب الدولـة العثمانيـة، أى مـن الأراضـى الخاضعـة لنفـوذ الدولـة العثمانيـة، وشـرطت عليـه ألا يثـير أى عـداء أو خصومـة مـع الامـام يحـي، بـأن يمـد نفـوذه إلى الأراضـى الخاضعـة لنفـوذ الامـام يحـي. وهـى التـى يقطنهـا الزيديـون بمقتضـى ماحددتـه معـاهدة "دعـان" وذلـك خشـية أن يدفـع ذلـك الامـام إلى التحـالف مـع العثمـانيين، ولهـذا نلحـظ أن الإدريسـى حـاول فعـلاً أن يمـد نفـوذه جنوبـاً فـى

== فانضمت ألمانيا إلى النمسا والمجر، ثم تبعتها الامبراطورية العثمانيـة فى ١١نوفمبر ١٩١٤م (٢٢ذو الحجـة ١٣٣٢هـ) وسمو دول الائتلاف وكانت انجلترا وفرنسا وروسيا، قد انضموا إلى جـانب صربيـا، وأطلقـوا علـى أنفسهم دول الوفاق ثم الحلفاء. وانضمت اليهم كثير من دول العالم، واشتعلت نار الحـرب العالميـة الأولى، ولم تخمد إلا فى ١١نوفمبر ١٩١٨ بتوقيع الهدنة، والاستسلام وانتصار الحلفاء.

تهامة اليمن، وكانت وقتها خاضعة لنفوذ الدولة العثمانية، و لم يتجه نحو المناطق الجبلية التى تخضع لنفوذ الامام، بالرغم من أن الامام لم يكن محايداً تماماً فى الحرب العالمية الأولى، فقد كان يتعاون مع العثمانيين بوسائل مختلفة. وكان يأمل أن يتمكن العثمانيون من القضاء على الادريسى، ويخلو له الجو فى المنطقة، وبالاضافة لما سبق فإن المعاهدة ضمنت للادريسى أن تظل موانيه مفتوحة للتجارة، فى الوقت الذى حوصرت فيه بقية موانئ الساحل، ولذا استفاد كثيراً، وأصبح هو المحتكر فى المنطقة لمعظم أنواع التجارة. والمتحكم فى أسعارها[1].

ونتيجة لهذه الاتفاقية فقد تقدمت قوات الادريسى فى شهر جمادى الآخرة ١٣٣٣هـ (مايو ١٩١٥م) واستولت على مدينة "اللحية" من أيدى العثمانيين وذلك بمساعدة الأسطول البريطانى الذى قام بقصفها من البحر أكثر من مرة، ويبدو أن قذائف الأسطول كانت مؤثرة، وضاع بسببها الكثير من أرواح سكانها العرب، مما حزّ فى نفس الإدريسى فكتب إلى القيادة الانجليزية فى عدن يعبر عن أسفه لما ألمّ بالسكان من جراء هذا

---

[1] العقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٧٣٣،٧٣٤، ود. أباظة، المصدر السابق، ص٣٦١-٣٦٤، ود.سيد سالم، المصدر السابق، ص٢١١-٢١٤، وجون بولدرى، العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن، إبان الحكم التركى، ١٩١٤-١٩١٩م، ترجمة وتقديم، د.سيد سالم،ص٣٣.

القصف، ويطلب تلافى ذلك مستقبلاً، وأن يكون التركيز على القوات العثمانية فى نقاط تمركزها على الساحل[1].

وبالتنسيق مع الخطة العامة للحلفاء، أثناء زحفهم على فلسطين والشام والعراق، قام الأسطول البريطانى فى البحر الأحمر بضرب الموانئ والمدن الساحلية التى تمركزت فيها قوات عثمانية، كالحديدة، والمخا، والصليف، واللحية التى كانت قد استعادتها القوات العثمانية من الادريسى. وفى نفس الوقت طلبت القيادة البريطانية فى عدن من الادريسى أن يتقدم بقواته براً لاحتلال تلك الموانئ. لكن قواته كانت بطيئة فى زحفها خلال عام ١٩١٨م، فلم تتمكن من الاستيلاء إلا على اللحية وبعض المناطق الأخرى جنوبها، أما الحديدة فقد كان فيها بريطانيون مدنيون قبل الحرب، وعند إعلانها قام الحاكم العثمانى للحديدة بالقبض عليهم واعتبرهم أسرى حرب،ووضعهم فى معسكر خاص بهم خارج مدينة الحديدة، ولذا وضعت القيادة البريطانية فى عدن خطة لاحتلال الحديدة أثناء قصفها، ومن ثم تخليص هؤلاء الرعايا البريطانيين من الأسر، كما أسهمت القوات البريطانية فى احتلال الصليف وسلمتها للإدريسى فى ١٤نوفمبر ١٩٢١/١٤ ربيع الأول ١٣٤٠هـ، وبقيت الحديدة التى تسلمتها من الأتراك عقب الهدنة تحت يدها تستعملها فى الضغط على الامام فى مفاوضاتها معه بعد الحرب بشأن المحميات ثم

---

(1) العقيلى، المصدر السابق، ص٧٢٨،٧٢٩، ود.سيد سالم، المصدر السابق، ص٢١٥،٢١٦، ود.اباظة، المصدر السابق، ص٣٦٤.

قـامت بريطانيـا بتسـليمها إلى الادريسـى فـى ٢٠جمـادى الأولى ١٣٣٩هـ/٢٩ينـاير ١٩٢١م، بعـد أن قـامت باسـتفتاء أهلهـا بـابداء رغبتهـم فـى الحكـم الـذى يرونـه، فـأبدى بعضهـم الاسـتقلال وانشـاء إمـارة مسـتقلة تنضم إليهـا بعض البلـدان والنواحـى المجـاورة فـى تهامـة اليمـن، فرفـض الانجليز هـذه الفكـرة، فـأبدى البعـض التمسـك ببقـاء الحكـم العثمـانى، أو الانضمـام إلى الحكـم المصـرى. فرفـض الانجليز ذلـك، ثـم أوعـزوا إلى القـوات الإدريسـية بـالتقدم لدخـول المدينـة وتسـلمها، وضمهـا إلى الإمـارة الادريسـية[١].

وكـانت بريطانيـا قـد عقـدت معـاهدة ثانيـة مـع الإدريسـى فـى ٢٨ربيـع الأول ١٣٣٥هـ/ ٢٢ينـاير ١٩١٧م، تعتـبر مكملـة للمعـاهدة الأولى، وتضمنـت سـت مـواد، اعـترفت فيهـا بتبعيـة جـزر فرسـان للامـارة الادريسـية، وامتـداد مفعـول المعـاهدة إلى ذريتـه مـن بعـده، بعـد أن كـانت الأولى محـددة بعشر سـنين فقـط[٢].

انهـارت جيـوش دول الائتـلاف (الدولـة العثمانيـة، ألمانيـا، النمسـا، المجـر) أمـام ضربـات الحلفـاء (انجلـترا، فرنسـا، ايطاليـا، وغيرهـا مـن الـدول التـى انضمـت إلى الحلفـاء) ورضخـت الدولـة العثمانيـة لشـروط الصلـح، التـى

---

[١] جون بولدرى، المصدر السابق، ص١٣١-١٣٤، ود.سيد سـالم، المصـدر السـابق، ص٢٤٨-٢٦٣، ود.أباظة، المصدر السابق، ص٤٠٨، ٤١١، والريحانى، المصدر السابق، ص٢٧٣، ٢٧٤.

[٢] جون بولـدرى، المصدر السـابق، ص٣٣، ٣٤، زد.عصـام ضيـاء الدين السـيد، عسـير فـى العلاقـات السياسية السعودية اليمنية، ص٢١-٢٣، وايضاً الوثـائق الانجليزيـة ـ وثـائق وزارة الخارجيـة ـ ملـف ١١٢ **(f.o.112) 371/3060** بتاريخ ٢٠أكتوبر ١٩١٧م، وتاريخ ١مايو ١٩١٨م.

سلبت منها أملاكها، ووقعتها مرغمة في ٧صفر ١٣٣٧هـ (١١ نوفمبر ١٩١٨م) وكان هذا إيذاناً بغروب شمس الامبراطورية التي حققت أروع الانتصارات وانتهت بأقسى الانهزامات في العصر الحديث.

كان من بين شروط الهدنة (مادة ١٦)، أن يقوم قادة وجنود القوات العثمانية في بلاد العرب (اليمن والمدينة المنورة، وعسير) بتسليم أنفسهم، مع معداتهم وأسلحتهم، للقادة البريطانيين الذين يتم تحديدهم في تلك المناطق، أو من ينوبون عنهم، وان يتم تسليم البلاد إلى أهلها الأصليين، وعهدت بريطانيا إلى الادريسي مهمة ابلاغ أمر التسليم إلى القائد العثماني في متصرفية عسير، محي الدين باشا، آخر الولاة العثمانيين على عسير، الذي قام في ربيع الأول ١٣٣٧هـ (يناير ١٩١٩م) بتسليم أمور المتصرفية إلى وكيله الحسن بن علي بن عايض، وهو حفيد محمد بن عايض الذي قتله غدراً رديف باشا في صفر ١٢٨٩هـ (١٨٧٢م) كما سبق أن علمنا. بينما كان الادريسي ينتظر أن يقوم المتصرف العثماني بتسليمها إليه مستفيداً من تفويض الانجليز له بالتبليغ ومن ثم التسليم، ومن هنا اعتبر أن ابن عايض استولى على ماليس له ونشأت بينهما حساسية، ومفاوضات.

أما الامام يحي فقد قام الوالي العثماني في صنعاء، محمود نديم بك، بتسليم صنعاء إليه، كما قام قائد القوات العثمانية في اليمن أحمد توفيق باشا بتسليم المعدات والأسلحة إليه، وطلب سعيد باشا الذي كان قد استولى على لحج، من الامام أن يبعث إليه من يتسلم محمية لحج وغيرها مما

استولى عليه أثناء الحرب،لكن الامام أو الوالى العثمانى فى صنعاء، لم يرسلا إليه أحداً، فتركها للانجليز، وسلم نفسه وجنده اليهم فى عدن[1].

بانسحاب العثمانيين من اليمن، اشتدت حدة الصراع بين الامام يحي والادريسى، وقد فرغ الميدان لهما، فالإمام مهيمن على المنطقة الجبلية فى الوقت الذى يهيمن الادريسى على معظم تهامة وموانئها[2]، وبالأخص "الحديدة" ولايمكن أن يستمر هذا الوضع فى نظر الإمام، لاسيما وأن الادريسى لم يستحوز على الحديدة من أيدى العثمانيين، وإنما الانجليز هم الذين سلموها له، مع أنهم يعلمون أنها الميناء الطبيعى المهم لصنعاء، ومن ناحية أخرى فإن تهامة اليمن بما فيها "الحديدة" يعتبرها الادريسى إمتداداً طبيعياً وحيوياً بالنسبة لإمارته[3] ودخلت المنطقة فى دوامة من الصراعات، لم يظهر لها فى الأفق القريب إنقشاع.

نظر الإدريسى فوجد إمارته محاطه بخصوم يتربصون بها، فالإمام يحي فى الجنوب يتهيأ فعلاً للاستيلاء على "الحديدة" ومن المؤكد أن أطماعه لن تقف عندها، وفى الشمال الملك حسين المزهوّ بخمرة الانتصار

---

(1) د.أباظة، المصدر السابق، ص٤٠٩، ود.سيد سالم، المصدر السابق، ص٢٢٢-٢٢٨.

(2) كانت الحدود الجنوبية الشرقية، للإمارة الإدريسية ذاك الوقت، تمتد فى القسم الأعلى الجنوبى الشرقى من جبل كحلان ومايسامية جنوباً إلى جبل ريمة، وجبال عبال، وجبال بنى سعد المجاورة لجبل صعفان، انظر العقيلى، المخلاف السليمانى، ج٢، ص٨١٩.

(3) د.سيد سالم، المصدر السابق، ص٢٦٤،٢٦٥.

على العثمانيين، والتى ساعدته الظروف على اقتناصها[1] وفى الشرق آل عايض الذين يحرضهم الشريف ويقف خلفهم، فهو الذى حرضهم على التنصل من اتفاقهم مع الإدريسى، مما اضطره إلى إرسال قوة من جنده لتأديبهم واحتلال عسير، لكنها هزمت عند سطح جبل "تهلل" فتراجع إلى مركزه فى الشعبين، عندها شعر الادريسى بالقوة المحركة والمساندة لهم[2] وإذاً فلا بد له أيضاً من عضد يساعده فى دفع غائلة هؤلاء، لاسيما وأنهم بدأوا يوجهون الدعايات ضده بأنه دخيل وغريب عن المنطقة[3]، فأجال النظر فيمن حوله، فلم يجد غير عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود سلطان نجد وملحقاتها، الذى يمكن الركون إليه، فهو على صلة ودّ

---

[1] ولد الشريف الحسين بن على عام ١٢٧٠هـ (١٨٥٣م) وعين أميراً على مكة المكرمة عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) وهو فى السادسة والخمسين من العمر. عقب وفاة الشريف عبد الاله بن محمد بن عون، وقد استجاب لاغراءات بريطانيا فى الوقوف معهم ضد الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى، وجرت بينه وبين المندوب السامى البريطانى فى مصر "السير هنرى مكماهون" رسائل سرية فى ١٣٣٤هـ-١٣٣٥هـ (١٩١٥/ ١٩١٦) وعده فيها البريطانيون بتحقيق حلمه فى انشاء دولة عربية موحدة فى الحجاز والعراق والشام وفلسطين عقب انتهاء الحرب، وان تكون تحت رئاسته، لذا أعلن الثورة ضد الدولة العثمانية فى ١٠ يونيو ١٩١٦م، وبعد انتهاء الحرب تبخرت أحلامه، وتقلصت طموحاته، فاتجه إلى جيرانه يوسع سلطته على حسابهم. توفى فى عمان ليلة ٤ يونيو ١٩٣١م.

[2] العقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٧٥٧.

[3] أسهم الامام يحي بدور كبير فى بث تلك الدعاية، أولاً: لأنه زاحم نفوذه الروحى، ولأنه سنى العقيدة لازيدي، وثانياً: لأنه أول أمير عربى عقد معاهدة حلف وصداقة مع سلطان نجد، فى ذلك التاريخ، وثالثاً: لأنه أوصى عبد العزيز على إمارته وأسرته من بعده، والعربى عربى أينما حلّ حلّ فى وطنه الكبير وأمته العربية، والإمام يحيى إذا ماطبقنا هذه القاعدة التى ينبذ بها الادريسى، لوجدناه هو نفسه، قد وفد جده الأول يحيى بن الحسين من بلدة الرّس فى نجد إلى اليمن، فينطبق عليه ماينبذ به الآخرين.

ومجاملة معه منذ زمن بعيد، لكنه يريد أن يوطد الصداقة بينهما، ويرتبط معه بمواثيق للتعاون فى درء الأخطار، وقد سعد الإدريسى وهنّأ ابن سعود بنتيجة معركة تربة التى ألحق فيها هزيمة مروعة بجيش الشريف، فى ٢٥ شعبان ١٣٣٧هـ (٢٥يونيو ١٩١٩م) وهو فى عنفوان زهوه ونشوته[١].

اتجه الادريسى بنظره الثاقب صوب الرياض، وكتب رسالة إلى السلطان عبد العزيز يقول له فيها:

".. إنى أَجَلْتُ النظر فى أنحاء أرجاء الجزيرة، فلم أجد أهلاً للثقة، ورعاية عهود الاخاء سواكم، وأعلموا أن ابن آدم رهن المنون، فإذا توفانى ا لله فأنتم المقلدين بالوصاية على عائلتى وأهل بيتى ..الخ" وتاريخ هذه الرسالة ١٣٣٨هـ (١٩١٩م)[٢] وهو تاريخ يتوافق مع الفترة التى بدأ كل من خصميه فى الشمال والجنوب يكشر فيها عن أنيابه، بحثاً عن غنيمة يبسط عليها نفوذه، عقب خلو المنطقة من العثمانيين.

ومما يلاحظ أن السلطان عبد العزيز كان هو الآخر يكنّ للإدريسى الودّ والإخلاص، وليس أدل على ذلك من أن الدولة العثمانية قد كتبت له فى بداية الحرب العالمية الأولى تطلب منه الوقوف معها ضد أعدائها ـ الانجليز والادريسى الذى انحاز إليهم ـ وطلبوا منه محاربة الإدريسى، فكتب

---

[١] كانت معركة تربة عقب قيام القوات العثمانية بتسليم المدينة المنورة لقوات الشريف حسين بحوالى خمسة أشهر، وكانت تعتبر آخر قوات غادرت الحجاز فى ١٣٣٧/٤/١١هـ (١٥يناير ١٩١٩م).

[٢] العقيلى، المصدر السابق، ج٢، ٧٥٧.

إلى الأستانة يقول: ..إنه عربى ولايحارب العرب من أجل الدولة، وأنه هو والادريسى على ولاء .. ثم عاد والى البصرة العثمانى، يسأله رأيه فى أمراء العرب، وفى انشقاقهم، وخروج بعضهم على الدولة، فكتب له ابن سعود:

"إنكم لمسئولون عما فى العرب من انشقاق، فقد اكتفيتم بأن تحكموا، وماتمكنتم حتى من ذلك، قد فاتكم أن الراعى مسئول عن رعيته، وفاتكم أن صاحب السيادة لايستقيم أمره إلا بالعدل والاحسان، وفاتكم أن العرب لاينامون على الضيم، ولايبالون إذا خسروا كل مالديهم وسلمت كرامتهم، أردتم أن تحكموا العرب فتقضوا إربكم منهم، فلم تُوفّقوا إلى شئ من هذا أو ذاك. لم تنفعوهم ولانفعتم أنفسكم ..الخ"[1]

المهم أنه انتهى هذا التقارب بين السلطان عبد العزيز والادريسى بعقد أول معاهدة بينهما وقعت فى ١٠صفر ١٣٣٩هـ (٢٣اكتوبر ١٩٢٠م) بعد اجراء مفاوضات، أعقبها إعلان بيان سعودى/إدريسى بتاريخ ١٦ذو الحجة ١٣٣٨هـ (٣٠ أغسطس ١٩٢٠م) وتضمنت المعاهدة تحديد الحدود بين عسير والامارة الإدريسية، والقبائل التابعة لكل منها[2] وكان ذلك عقب امتداد نفوذ الملك عبد العزيز على عسير، وتلاقى الحدود بينهما. ثم كانت وفاة محمد بن على الإدريسى، فى

---

[1] الريحانى، نجد وملحقاته، ص٢٠٢.

[2] امين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ج٢، ص٩٧،٩٨.

٣شعبان ١٣٤١هـ (٢٠مارس ١٩٢٣م) بداية إنهيار الادارسة، فقد خلفه ابنه علي وعمره تسعة عشر عاماً، وكان ينقصه الكثير من سمات القيادة، وخواصها، فوقع التنازع والشقاق في البيت الإدريسي، واستغل الإمام يحي ذلك واستولى على ماكان بحوزتهم من مدن تهامة الجنوبية، وهددهم في جازان، مما جعلهم يلجأون إلى الملك عبد العزيز طالبين الحماية، مما سنوضحه فيما بعد نظراً لتشابك وقع الأحداث في كل من عسير وجازان خلال هذه الفترة.

الفصل الثالث

إمارة آل عايض

عرفنا فيما سبق أن عسير ظلت فى عزلة عما يجرى حولها من أحداث، سياسية فيما مضى وكانت مجهولة نوعاً ما بالنسبة للرحالة والمؤرخين العرب والأجانب على حدّ سواء[1] ولم تنشأ بها سلطة استطاعت توحيد قبائلها ومناطقها إلا فى ظل الدولة السعودية الأولى بداية القرن الثالث عشر الهجرى.

حيث لم تقم فيها قُبيل الدعوة السلفية سلطة مركزية، أتيح لها الهيمنة على جميع قبائلها، لتكوين إمارة موحدة، بل كان الحكم فيها عشائرياً، يقوم على التحالفات القبلية.

(1) جاكلين بيرين، المصدر السابق، ص٢٥٢،٢٥٣، حيث تقول: إن على بك (الذى صحب جيوش محمد على باشا فى حملتها على البلاد) كان يجهل إمارة إبى نقطة، وكان بوركهارت ـ الذى عرف اسم عسير ـ يظن أنها مدينة، أما نيبور فقد جهل حتى اسمها، ولم يكن الجغرافيون العرب أحسن إطلاعاً من هؤلاء، فلا مؤلف "جيهان تامة" جومار الفارسى، ولا أبا الفدا، ولاغيرهما كالبغدادى، وابن بطوطة، والمسعودى، ذكر شيئاً عنها، ولم يأت على ذكرها إلا الادريسى، وقد ترك الجغرافي الألمانى هنرى برغوس، موقعها أبيض على الخارطة الأسيوية التى وضعها عام ١٨٣٥م.

ففـي ظـل الدولـــة السـعودية الأولى توحـدت أجزاؤهـا وقبائلهـا تحـت قيـادات محلية تسـتمد سـلطتها الشـرعية، وتوجيهاتهـا مـن أئمـة الدرعيـة، وعندئذ بـدأ التـاريخ يسـجل مـايقع فيهـا مـن وقـائع وأحـداث بشـكل تفصيلـى، ونشـط المؤرخـون مـن أبنـاء المنطقـة وغـيرهم فـى تسـجيل تلـك الوقـائع ضمـن وقـائع وأحـداث الدولـة السـعودية. وشـارك أبناؤهـا وأيضـاً أبنـاء المخـلاف السـليمانى (جـازان) متضـامنين مـع أبنـاء المنـاطق الأخـرى، فـى الحـروب باسـم الدولـة السـعودية. وقـام علماؤهـا بـدور ملحـوظ فـى نشـر مبـادئ الدعـوة الاصلاحيـة فـى المنـاطق المجـاورة مـن أرض اليمـن، وبخاصـة تهامـة اليمـن، التـى تسـكنها غالبيـة مـن أهـل السـنة، حتـى بذلـوا الطاعـة للدولـة السـعودية دون إراقة دمـاء[1].

وتـوالى الأمـراء مـن أبنـاء المنطقـة علـى حكمهـا، ابتـداء مـن محمـد بـن عـامر الرفيـدى (أبـو نقطـة) وأخيـه عبـد الوهـاب، حتـى عـايض بـن مرعـى[2] وذلك باسـم الدولـة السـعودية، ودخلتهـا جيـوش محمـد علـى محاربـة، علـى أنهـا جـزء مـن الدولـة السـعودية، وأبناؤهـا رعايـا للدولـة السـعودية، ومـن بعـده استمرت الحمـلات العثمانيـة تحـارب أبناءهـا علـى أسـاس أنهـم (وهـابيون)[3]

---

[1] انظر ص١٠٧-١٠٩ من هذا البحث.

[2] من بنى مفيد، من آل يزيد، ويصلون نسبهم إلى يزيد بـن معاويـة،وبعـض المؤرخـين يشـكون فـى تسلسـل هـذا النسب.

[3] حسبما كانت الوثائق العثمانية يحلو لها أن تطلق عليهم هذا المسمى، وهو فـى الوقـت نفسـه دليـل علـى التبعيـة، والطاعة، والولاء، حتى فى أحلك الظروف السياسية التى مرت بها المنطقة.

يرفضون الإذعان للدولة، ويكنون الولاء لآل سعود، حتى بعد الفترة اليسيرة التى تلاشى فيها النفوذ السياسى للدرعية عام ١٢٣٣هـ.

ونظراً للحروب المتواصلة التى كان يقودها أمراء عسير، والتى طالما كانت تعرض حياتهم للاستشهاد فى ميادينها، وبالتالى شغور القيادة، والحاجة الماسة لمن يتولى الأمر فى أحلك الظروف الميدانية، لحين إبلاغ القيادة العامة فى الدرعية بما حدث، فقد دأبوا على أن يجتمع أولو الرأى لترشيح من يتوسم فيه الصلاح والكفاءة، ثم يرفعون الأمر إلى الدرعية لابداء الرأى، ومن ثم إصدار العهد إليه بالامارة على عسير، والأمر إلى كافة الرؤساء والقادة والمواطنين فى عسير بالانقياد له، وعدم مخالفته.

وعندما حالت الظروف السياسية عن الاتصال المباشر بالدرعية عام ١٢٣٣هـ، ومابعده فى نهاية الدولة السعودية الأولى، وكان ذلك فى إمارة كل من: محمد بن أحمد المتحمى (١٢٣٠-١٢٣٣هـ) وسعيد بن مسلط المغيدى (١٢٣٩هـ - ١٢٤٢هـ) أعطيت القيادة فى عسير التفويض بأن تعمل ماتراه مناسباً، فأصبحت شبيهة بقائد فى الميدان حالت ظروف الحرب بينه وبين الاتصال بمقر قيادته. فعليه أن يتصرف بما يراه مناسباً دون الرجوع لرئاسته، يشمل ذلك القتال حتى الرمق الأخير، والاستسلام للعدو أسيراً، دون التنصل من ولائه لرئاسته، وبلده تحت أيّ ضغط كان، لذا ظل هذان الأميران ومن جاء بعدهما يقاتلون القوات العثمانية عن عقيدة آمنوا بها، و لم يقاتلوهم كمحتلين فحسب، لأنهم يضمرون الولاء والوفاء لآل سعود أصحاب هذه الدعوة، ثم عاد الاتصال بينهم وبين قادة

وحكام الدولة السعودية الثانية في عهد كل من الامام تركي، وابنه الامام فيصل[1] بأسلوب آخر لعدم إثارة العدو للظروف التي تقتضي ذلك.

عهد محمد بن أحمد المتحمي إلى سعيد بن مسلط بالقيادة بعده، كما عهد ابن مسلط بها لابن عمه علي بن مجثل، وابن مجثل عهد بها إلى عايض بن مرعي. وليس من المستبعد أن يكون قد تم ذلك كله بما رآه ذوو الرأي والمشورة، فهو منهج قد ساروا عليه منذ البداية، لاختيار الأكفأ والأجدر من قادة أبناء المنطقة.

ونلحظ أن عايض بن مرعي عند وفاته يوم ٢٣ شعبان ١٢٧٣هـ، لم يوص بها لأحد بعده، فاجتمعت عشيرته وأقرباؤه وبايعوا ابنه محمد بن عايض[2] وقيل: إن الأمير عايض كان قد أصيب بمرض قبيل وفاته، وفي الوقت نفسه أصيب ابنه محمد بمرض، فقال عايض: إن عوفي محمد تسلّم الأمر، وإلا قام به ابن مفرح[3] حتى يجتمع أهل الحل والعقد على رجل منهم[4] ثم توفي، ومن هذا نستنتج أن الأمير عايض ملتزم بالمنهج الذي سار عليه سابقوه في تولية الاكفأ والأجدر، وربما يكون قد رأى في ابنه محمد أكفأ من يتولاها بعده مؤقتاً، فرشحه لها، وترك أمر الفصل النهائي في ولايتها بيد أهل الحل والعقد، لتولية من يرونه، و لم يقصد أن تكون

---

[1] انظر ص١٦٢-١٦٥ من هذا البحث.

[2] العقيلي، ج١، ص٥٧٠.

[3] محمد بن مفرح أحد قواده المشهورين.

[4] المسفر، المصدر السابق، ص٩٢.

وراثية فى ذريته من بعده، ولذا رشح ابن مفرح بديلاً لابنه محمد فى حال وفاة محمد، ولم يجعل البديل أحداً من أولاده الآخرين، وكان عنده ثمانية أبناء[1] ولعل هذا هو الرأى المقبول لمن أمعن النظر فى سير الحوادث ذاك الوقت، لاسيما وأن موضوع توريث الحكم، أو الإمارة فى منطقة عسير بالذات، لم تكن قد ترسخت فى الأذهان عند أمراء وقواد عسير، مثلما ترسخت من قبل فى منطقة جازان، فتوريث الحكم إنما كان على رئاسة القبيلة، أو البلدة، أو على عدة قبائل متحالفة، أما أن تخضع جميع قبائل عسير، أو بلدانها تحت رئاسة مركزية فلم يكن معروفاً فى عسير قبل انضوائها للدولة السعودية الأولى، ويؤكد هذا عدم ظهور إمارات سابقة بسطت نفوذها على كافة مناطق عسير، كما كان الشأن فى جازان من قديم، وربما يعلل هذا بطبيعة أرضها، وأنفة قبائلها من الخضوع لغير رئاستها، ولذا ظلت فى عزلة عما يدور حولها من أحداث. فلما توحدت قبائلها وبلدانها فى عهد الدولة السعودية كان الأنسب لها اختيار الاكفأ من بين أبنائها، بموافقة وإقرار القيادة فى الدرعية.

كان عائض بن مرعى من أنبل واشجع رجال عسير، وله مواقف بطولية مع الحملات العثمانية التى أرسلت إلى عسير، وبخاصة حملة خليل باشا عام ١٢٤٩هـ (١٨٣٤م) فى عهد عمه على بن مجثل، ولذا أوصى له

---

[1] المسفر، المصدر السابق، ص٧٨ أورد شجرة نسب لآل عايض، يبدو أنه سقط منها بعض الاسماء، التى ورد لها ذكر فى الوثائق العثمانية. وأورد المسفر فيها ثمانية أولاد لعايض بن مرعى، بينما أوردهم فؤاد حمزة، فى بلاد عسير، ص١٠٢: خمسة أبناء فقط.

بالامارة بعده[1] ثم توفى ابن مجثل فى شوال ١٢٤٩هـ، فتولاها عايض، واستمر يحارب العثمانيين، وحليفهم ابن حيدر إلى أن توفى يوم ٢٣شعبان ١٢٧٣هـ (١٨٥٧م) فتولاها ابنه محمد، وواصل الحرب مع العثمانيين، وبلغت الإمارة أوجها فى عهده، فقد بسط نفوذه على سائر عسير السراة، وقسم من تهامة عسير، وتهامة اليمن حتى المخا، وحاول الاستيلاء على الحديدة، وحاصرها فترة لكن الحامية العثمانية استطاعت أن تصده عنها، وفى طريق عودته إلى عسير خرب بعض المدن، وارتكب جنده أعمالاً لاتليق مع الأهالى، مما دفع القيادة العثمانية فى الحجاز إلى تجريد حملة إليه قادها كل من رديف باشا وأحمد مختار باشا، تصدى لها فى البداية بشجاعة، لكنها فى النهاية ختمت حياته بمأساة، إذ غدر به رديف باشا، بعد أن أُعطى الأمان من قبل مختار باشا. وقتله مع ٣٥ من رجاله غدراً فى صفر ١٢٨٩هـ (١٨٧٢م)[2].

---

(١) الزركلى، المصدر السابق، ص٢٤٧، وقال: كان صاحب إبل، ونقل قول كل من الريحانى وحافظ وهبه، بأنه كان راعى إبل، وعلق هو على ذلك قائلاً: بأن هذا لايتفق مع إمارة عمه، ثم توليته الامارة من بعده.

(٢) العقيلى، المصدر السابق، ج١، ص٥٤٦-٥٥٠، والزركلى، المصدر السابق، ص٢٤٨، وفؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص٣٦٠-٣٦٢، الذى نقل رواية أخرى عن خبر مقتل محمد بن عايض، خلاصتها: أن الشريف محمد ابن عون توسط لدى الدولة على أن يسلم ماتحت يده من بلدان للدولة، مقابل أن تحفظ له الدولة أمواله، وخيوله وقصوره، وكافة أملاكه الشخصية، وأن تعين له ولعائلته ولبعض الرؤساء من اتباعه مرتبات ومشاهرات. وأن الباب العالى وافق على هذا، وأصدر به فرماناً، لكن رديف باشا تجاهل الفرمان، وقتل ابن عايض. وفى إحدى الوثائق العثمانية تشير إلى أن الذين قتلوا مع ابن عايض كان عددهم خمسين رجلاً، وأن الاستانة عزلت رديف باشا بسبب هذه الفعلة، واستدعته للتحقيق معه لتجاهله الفرمان.

وبعد مقتل محمد تفرق بعض آل عايض فى أطراف عسير السراة[1] وظلوا مطاردين من قبل الولاة الذين تولوا متصرفية عسير، حيث تحولت إلى متصرفية، ونظمت لها ترتيبات إدارية بغرض إحكام القبضة عليها، وأصبحت خاضعة للادارة المباشرة من قبل الدولة العثمانية، وإلى هنا ويتضح الموقف بأنه لم تكن هناك إمارة وراثية لآل عايض فى عسير، فلا الأمير عايض تقلدها وراثة، ولاابنه محمد آلت إليه بالوراثة!. ثم ظلت عسير حوالى ثلاثين عاماً (١٢٨٩-١٣١٩هـ) متصرفية تحت الحكم المباشر للدولة العثمانية، حتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

وبتصفح الوثائق العثمانية لهذه الفترة، تتضح بعض الحقائق منها:

أنه كان قد تم القبض على بعض الزعماء من أهل عسير، أثناء حملة رديف باشا، ورحلوا مع من تم القبض عليهم من آل عايض، وتم نفيهم إلى "روم إيلى" وبعد فترة تم العفو عنهم واعيدوا إلى عسير عام ١٢٩٤هـ نظراً لاستقامتهم وإعلان طاعتهم للدولة العليّه.

وكان من بينهم عبد الرحمن بن عايض، وأخوه سعيد، وهما شقيقا الأمير محمد الذى قتله رديف باشا غدراً[2] واستمرا فى خدمة الدولة وطاعتها حتى أُنعم عليهما — مع بعض زعماء عسير — بنياشين عام

---

[1] الزركلى، المصدر السابق، ص٢٤٨.

[2] الأرشيف العثمانى، وثيقة رقم ٤٣٧٨، إرادة داخلية، رقم ٦٠٧٠٨ وتاريخ ٢١ربيع الأول ١٣٩٤هـ، ووثيقة رقم٤٣٨٢، إرادة داخلية بتاريخ ٢١ذوالحجة ١٢٩٤هـ.

١٣٠٢هـ نظراً لاخلاصهما[١] وكان سعيد بن عايض قد عُيّن "قائمقام" على قضاء غامد وزهران، ويبدو أنه بعد فترة رغب فى أن يقضى بقية حياته فى هدوء وتعبد، واختار الاقامة بمكة المكرمة مجاوراً لبيت الله الحرام، ورفع بذلك إلى المتصرف، الذى قام بدوره بالرفع إلى وزارة الداخلية بالأستانة، فصدرت الموافقة فى ٢٥جمادى الآخرة ١٣٠٨هـ، تتضمن تخصيص معاش شهرى له ثم منح نيشان من الرتبة الرابعة لخدماته، وحسن قيامه بأعباء وظيفته[٢]وعند وفاة أخيهما ناصر بن عايض، قامت الدولة العثمانية بتخصيص مرتبات شهرية لأبنائه فى ٤ربيع الثانى ١٣٠٢هـ[٣] وبالنسبة لعلى بن محمد بن عايض، فقد ظل هارباً، وبذل محاولات فى تأليب القبائل على الولاة العثمانين فى المتصرفية، ثم لما يئس من عدم نجاح محاولاته، قدم للمتصرف وعرض طاعته، وانقياده للدولة، وبالتالى رفع المتصرف الأمر إلى الأستانة، فصدر فى ٧جمادى الأولى ١٣٠١هـ، أمر بالعفو عنه، وإعطائه الأمان، وتخصيص راتب له[٤].

---

[١] وثيقة رقم ٤٥٣٦، إرادة داخلية، رقم ٧٥٤٦٢ بتاريخ ٢١رمضان ١٣٠٢هـ.

[٢] وثيقة رقم ٤٧٩٤، إرادة داخلية، رقم ٩٤٨٩٧، وتاريخ ٢٥جمادىالآخرة ١٣٠٨هـ ورقم ٤٨٥٢ إرادة داخلية رقم ٩٩٤٦٧ بتاريخ ٨شعبان ١٣٠٩هـ، وجاء فى وثيقة تالية لذلك تعين حمدى بك بدلاً منه فى قضاء غامد وزهران.

[٣] وثيقة رقم ٤٥٥٦، إرادة مجلس شورى الدولة، رقم ٤٢٥٢ وتاريخ ٤ربيعالثانى ١٣٠٢هـ وجاء فى الوثيقة ذكر اسماء ابناء المتوفى وهم: محمد، سعيد، عايض، عبد الرحمن، و لم يورد ابن مسفر اسم الابن الرابع "عبد الرحمن" ضمن الشجرة التى صممها لآل عايض. وأورد سعد بدل سعيد، وكذا فؤاد حمزة، فى بلاد عسير، ص١٠٢.

[٤] وثيقة رقم ٤٤٨٠، إرادة داخلية، رقم ٧٢٢٣٧ وتاريخ ٧جمادىالأولى ١٣٠١هـ.

وقال سليمان شفيق كمالى باشا، فى مذكراته: كنت قبل سفرى من الأستانة استأذنت الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) فى استمالة من أجدهم أهلاً للعمل من آل عايض، لاستخدامه فى خدمات الحكومة، ونجحت فى نيل موافقة الصدر الأعظم على ذلك[1] وعند وصولى إلى عسير وجدت فى كرسيّ وكالة المتصرفية: عبد الله بن محمد بن عايض ـ ابن الأمير المقتول غدراً ـ ولم أعلم كيف تولى هذا المنصب، فأخذت أحقق فى كيفية تعيينه، والوقت الذى تولى فيه هذا العمل، فعرفت أن أمير مكة له دخل فى ذلك[2] لكنه لم يرد إحداث شقاق وخلافات فى بداية تسلمه عمله فى المتصرفية، فرفع إلى وزارة الداخلية طالباً تعيين عبدالله بن عايض، فصدرت الموافقة على تعيينه رسمياً فى ١١ذوالقعدة ١٣٢٦هـ[3] ويبدو أنه لم يستمر كثيراً، فقد شك المتصرف فى مدى ولائه فعُزل وعُيِّن بدلاً منه ابن أخيه الحسن بن على بن محمد بن عايض عام ١٣٣٠هـ (١٩١٢م)، الذى كان موجوداً فى هذا المنصب عند رحيل العثمانيين عن عسير.

---

[1] وتصديقاً لقوله فهناك وثيقة بالأرشيف العثمانى، رقم ٥٣٨٥ إرادة داخلية بتاريخ ١٦جمادىالأولى ١٣٢٧هـ/١٣ [وهى تحمل التاريخ العثمانى] أى ١٣٢٦هـ التاريخ الهجرى. تتعلق باحداث منصب مساعد متصرف عسير، وتخصيص مبلغ ١٥٠٠قرش معاشاً شهرياً، لمن يشغل هذا المنصب، وجاء فى مبررات اصدار هذا القرار: بناء علىاقتراح الحكومة، وموافقة مجلس الأعيان، ذلك لأن المتصرف لم يكن قد باشر عمله حينذاك. مع أنه كان قد عين فى ٢٩ربيع الثانى ١٣٢٦هـ.

[2] انظر المذكرات ص٣١ فقد عدها المتصرف ضمن مآخذه على تدخل الشريف فى شئون عسير.

[3] وثيقة رقم ٥٣٩٩، إرادة داخلية، بتاريخ ١١ذوالقعدة ١٣٢٦هـ، بناء على إشعار من متصرف عسير.

لانقصد بهذا الاستطراد أن نقول إنهم كانوا موالين للدولة، وبمثابة موظفين عاديين فى خدمتها، بغرض الإقلال من شأنهم أو قدرهم، فهم بلا شك من وجهاء وأعيان وزعماء عسير، ولهم دور فى قيادتها فى أصعب الفترات، فلا يمكن بأى حال إنكار دور كل من الأمير عايض وابنه محمد فى تاريخ عسير، كما أن كثيراً منهم كان على مستوى المسئولية فى خدمة بلاده، وأتسم بعضهم بالزهد والتقوى، لكن العيب تجسم فى الحسن بن على بن محمد بن عايض، الذى وصلت إلى يده السلطة اعتباطاً عند رحيل العثمانيين، فتقلدها بحكم منصبه الذى كان يشغله "مساعد متصرف"[1] ولو كان هناك أحد من مواطنى عسير يشغله خلاف الحسن ابن عايض، فغالب الظن أنه كان سيتسلمها بحكم منصبه هذا.

انتشرت فى العالم العربى أنباء هزيمة الدولة العثمانية أمام الحلفاء، الذين أملوا عليها شروط هدنة "مندريوس" فى ٢٥محرم ١٣٣٧هـ (٣٠اكتوبر ١٩١٨م) والتى من بينها توقف القتال فى كافة الميادين الحربية، واستسلام حامياتها فى الحجاز، وعسير، واليمن، وسوريا، والعراق، وتسليم الموانئ فى تلك المناطق، وفى شمال أفريقيا إلى أقرب قائد من قادة الحلفاء (مادة ١٦) وسارعت بريطانيا فى إشاعة هذا النبأ، وابلاغه رسمياً لقياداتها فى تلك البلاد، ولأصدقائها أيضاً. وظلت معظم القيادات العثمانية فى تلك البلاد فى حالة قلق واضطراب لعدم وصول

---

[1] كان هذا هو مسمى الوظيفة التى سعى سليمان كمالى باشا لإحداثها، وذكرت فى قرار وزارة الداخلية بالاستانة عند احداث الوظيفة.

أنباء مؤكدة إليهم من مرجعهم الأصلي في الأستانة. بالرغم من أن القيادات البريطانية حاولت إبلاغهم ذلك وامدادهم بصور من هدنة "مندريوس" لكنهم ظلوا عدة أشهر في انتظار تعليمات من حكومتهم، توضح لهم كيفية الاستسلام والتسليم، فقد كان الحلفاء يجرون مباحثات أخرى بين تركيا وحلفائها في لوزان لاقرار تسوية نهائية، بشأن أملاك وحدود الدولة العثمانية، عرفت بمعاهدة لوزان، والتي جاء في المادة السادسة عشرة منها "تتنازل تركيا عن جميع حقوقها في الأراضي الواقعة خارج حدودها المحددة في المعاهدة (بالمادة الستين) وكانت البلاد العربية بكاملها خارج نطاق هذه الحدود[1] وعندئذ جاءت تعليمات من الأستانة إلى قياداتها بتسليم ماتحت أيديهم من البلاد إلى أهلها باشراف بريطانيا، ونقلهم بواسطتها إلى الأستانة، وكان ذلك في شهر ربيع الثاني ١٣٣٧هـ (يناير ١٩١٩م).

نظر متصرف عسير، محي الدين باشا، فيمن حوله، فرأى الإدريسي عدوه اللدود، وعدو دولته، الذى فوضه الانجليز بابلاغ أمر الاستسلام وما يتعلق به، من إخلاء عسير والرحيل بحراً هو وحاميته التي كانت تتكون من ثلاثة ألاف جندى، على السفن البريطانية التي أعدت لهذا الغرض في ميناء الشقيق، وأرسل الادريسي أمر الاستسلام مع مندوبين من قبله إلى المتصرف في أبها، وأحس المتصرف بأن في هذا إيعازاً بتسليمها

[1] د.أباظة، المصدر السابق، ص٤٠٩،٤١٤.

للإدريسي، وبذلك تتحقق الأمنية التي طالما سعى لها الادريسي منذ زمن بعيد[1] فأراد ألا يحقق له هذه الأمنية، ثم رأى الشريف حسين في الشمال وكانت له أيضاً أطماع في عسير، لكنه اتخذ أخيراً موقفاً معادياً للدولة، باغراء من بريطانيا التي منته بالأماني العراض، فأراد ألا يحقق له أطماعه، أما إمام اليمن في الجنوب، فمع كونه وقف بجانب الدولة ولو بصورة شكلية، فليس له أدنى حق في عسير، و لم يبد أية رغبة في ذلك من قبل، وكانت كل آماله تتركز في بسط نفوذه على المناطق الجبلية من أرض اليمن، والتي كانت بحوزة العثمانيين خلال الحرب وقبلها، بما فيها صنعاء، ألا ترى أنه لم يستجب لنداء وصرخات القائد العثماني سعيد باشا بإرسال من يتسلم منه محمية لحج، قبل أن يضطر لتسليمها إلى الانجليز عند الاستسلام والرحيل[2] ولم يطالب بالحديدة إلا بعد أن سلمها الانجليز للادريسي[3] لذا أبعد هذه الفكرة عن ذهنه تماماً، مخافة ثورة أهل عسير فيما لو علموا بتردد هذه الفكرة حتى في خاطره، ولما مكنه الادريسي من تنفيذها، وحال بينه وبين العودة إلى بلاده معافاً. وإذاً فلم يبق أمامه إلا أسهل الطرق وآمنها، وهو تسليمها إلى مساعده، مثلما كان يفعل بعض المتصرفين المعزولين، أو المنقولين إلى جهة أخرى، ولاينتظرون قدوم

---

[1] العقيلي، المصدر السابق، ج٢، ص٧٣٦.

[2] د.أباظه، المصدر السابق، ص٤٠٠-٤٠٤، وأمين الريحاني، المصدر السابق، ص٤٢٩-٤٣٢، ود.سالم، المصدر السابق، ص٢٢٢،٢٢٣.

[3] د.أباظة، المصدر السابق، ص٤١٠،٤١١، دحلت قوات الادريسي الحديدة وتسلمتها من القوات البريطانية في ٢٢جمادى الأولى ١٣٣٩هـ (٣١يناير ١٩٢١م)

المتصرف الجديد لتسليمها إليه .. فقام بتسليمها إلى مساعده الحسن بن عايض.

ومن هذا نعرف أنها لم تصل إليه لاعن طريق عهد وراثى، ولابمبايعة أهل الحل والعقد مثلما كان يحدث فى السابق، فربما لو اجتمع أهل الحل والعقد لكان لهم رأى آخر. وإنما آلت إليه بحكم وظيفته.

اجتمع آل عايض حول الحسن يشدون من أزره، ويديرون أوجه الرأى حول المستقبل المجهول، وهم يرون المطامع تحوم حولهم، فاستقر رأيهم على مهادنة أخطر جهتين تهددانهما ذاك الوقت، وهما الادريسى، والشريف حسين، واتفقوا على:

- أن يتوجه محمد بن عبد الرحمن بن عايض إلى الشريف حسين للتفاوض حول عقد اتفاقية تتضمن ربط عسير بمعاهدة حماية معه، كى يطمئنوه بأن عسير من توابع الحجاز، ولذا فقد أتوه قبل أن يأتى إليهم.

- أن يستمر الأمير الحسن بن على بن عايض فى الاتصال بالادريسى بنوع من المودة انتظاراً لما تسفر عنه مباحثات وفدهم فى مكة المكرمة.

وعرف الادريسى بسفر محمد بن عبد الرحمن، فاهتم باستمالة الحسن إليه، وتحت تأثير المغريات ذهب الحسن إلى صبيا للتفاهم مع الادريسى، دون انتظار عودة ابن عمه من مكة. وعقد اتفاقية مع

الادريسى دخل بمقتضاها تحت نفوذه، وقبل بموجبها أن يحكم عسير نائباً عن الإمارة الإدريسية، مقابل الحصول على خمسة آلاف جنيه شهرياً. وأن يكون بجانبه مندوب للادريسى، للاستيلاء على مخلفات العثمانيين من العتاد والسلاح، واستلام الزكوات المقررة، وعاد الحسن إلى مقره فى أبها، وبرفقته مندوب الادريسى ابراهيم الشوكانى، الذى بادر بالعمل على انجاز المهام المنوطة به من جمع السلاح والزكوات، وأحس بأن ابن عايض أخذ يتبرم وبدأت مؤشرات التنصل من الاتفاق تظهر، وبخاصة عندما عاد ابن عمه محمد بن عبد الرحمن بن عايض من الحجاز، يحمل اتفاقاً آخر مع الشريف حسين[1] فبعث الحسن وفداً إلى الإدريسى يثير بعض المشاكل لتكون ذريعة لالغاء الاتفاق. فأدرك الإدريسى نوايا الحسن فاحتجز الوفد لديه، وقام بقطع المواصلات مع عسير، لمنع البضائع عنها، ظناً منه أنه سيضيّق عليهم الخناق، فيعودون إلى صوابهم، لكن هذه الخطوة لم تؤثر فيهم فلديهم منافذ أخرى، كالقنفذة أتت إليهم البضائع منها، فضلاً عن زيادة اتصالاتهم بالحجاز، التى تدفق عليهم منها المال والسلاح، كما سعوا فى إثارة القبائل الخاضعة لنفوذ الادريسى، بالثورة عليه، فبعضهم استجاب وبعضهم رفض، عندئذ قرر الادريسى إخضاعهم بالقوة فبعث جيشاً يقوده حمود سرداب تحرك من "الشعبين" عن طريق وادى "العوص" والعقبة "الصماء" مرتقياً سطح جبل "تهلل" ففوجئ بالقوات العسيرية فى انتظاره على أهبة الاستعداد، فألحقت به هزيمة ارتد على إثرها إلى مركزه

---

[1] انظر فيما سبق العقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٧٣٧،٧٣

فـى "الشـعبين"[1] ومـن هنـا ارتـدى الحسـن ثـوب الغـرور والكبريــاء، والغــرور يعمى صاحبه عـن سـلوك الطريـق القويـم، ومـن ثـمّ يقـوده إلى الهاويـة!.

ومـن هنـا أيضـاً تتـابعت الأحـداث وتفـاعلت بصـورة جذبـت الملـك عبـد العزيـز إلى تيارهـا، وقـد كـان فـى شـغل شـاغل، أمـا وقـد اسـتدعته، وأثـارت مشاعر النخوة المتأججـة أصـلاً فيـه، فـلا بـأس .. ونِعمَّـا هـيَ!.

وأيـاً ماكـان فإنـه ممـا تجـدر الإشـارة إليـه أن منطقـة عسـير- منــذ عــودة النفـوذ العثمـانى المباشـر إليهـا عـام ١٢٨٨هـ (١٨٧٢م) حتـى رحيلهـم عنهـا عـام ١٣٣٧هـ (١٩١٩م) - كـانت قـد بـدأت فـى شـكلها الاسـتقلالى الإدارى، حـين صـارت "صنجقـاً" مسـتقلاً عـام ١٢٧٨هـ، ثـم متصرفيـة متميزة ترتبـط مباشـرة بالسـلطة العليـا فـى الأسـتانة، وقـام المتصرفـون الذيـن تقلـدوا منصـب المتصرفـة علـى التـوالى بـدور أساسـى فـى مجـال اسـتقلالها، حتـى أن حكـام الأقضيـة فيهـا، كـانوا يعينـون هـم أيضـاً مـن قبـل نظـارة (وزارة) الداخليـة بالأسـتانة، وبعضهـم كـان يتـم اختيـاره مـن بـين مواطنيهـا، حسـبما تشـير إلى ذلـك الوثـائق العثمانيـة.

كمـا كـان لهـا أعضـاء يمثلونهـا فـى مجلـس المبعوثـان (البرلمـان) بالأسـتانة، بلـغ عددهـم فـى بعـض الأوقـات إلى سـتة أعضـاء، عضـو عـن كـل قضـاء مـن أقضية المتصرفيـة السـت، وكـان هـذا يعتـبر أكـبر تمثيـل فـى مجلـس المبعوثـان عـن

[1] العقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٧٣٩،٧٤٠.

أيـة متصرفيـة أو إيالـة مـن الإيـالات العثمانيـة، وهـذا دليـل علـى اهتمـام الدولــة بهـا، والعمـل علـى تحسـين وإحكـام الإدارة فيهـا، وهـو دليـل أيضــاً علــى نمــو الوعـى الدينـى والثقـافى والفكـرى، الـذى يدفعهـم لرفـض أسـلوب ابـن عــايض فى ظلمه لهــم.

الباب الثالث

الملك عبد العزيز وانضمام عسير وجازان إلى كيان المملكة العربية السعودية، وتماس الحدود السعودية اليمنية.

- الفصل الأول: مراحل عودة النفوذ السعودى إلى كل من عسير وجازان حتى انضمامهما.
- الفصل الثانى: مؤتمر أبها، اندلاع الحرب، الوساطة العربية، معاهدة الطائف، ودراسة لبعض محتوياتها.
- الملاحق.

الفصل الأول

مراحل عودة النفوذ السعودى إلى كل من عسير وجازان حتى انضمامهما

ليس من نافلة القول بل من متطلباته أن نعرض للوضع السياسى الذى كانت تعيشه وسط شبه الجزيرة العربية قبيل عودة النفوذ السعودى إلى عسير، ومن ثمَّ إلى جازان.

فمنذ عزم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود(1) على استرداد ملك آبائه، ووضع يده على مدينة الرياض صباح ٥شوال ١٣١٩هـ (١٤يناير ١٩٠٢م) ودائرة نفوذه تتدرج فى الاتساع شيئاً فشيئاً نحو الاكتمال، لاحتواء البلدان والمناطق التى كانت تتكون منها دولة آبائه، رافعاً هذا الشعار فى وجه القوى المحلية والأجنبية على حد سواء، وعرفت عنه بريطانيا أنه مطالب عنيد لايعرف اليأس، ولايبالى بالمخاطر، لكنه صادق فى تعامله، وكانت تربطها ببعض القوى المحلية اتفاقيات حماية لهم، ولما تحت أيديهم، بينما مابحوزتهم، وماتحت أيديهم كله أو جزء منه

---

(1) عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود، الذى تنسب له الأسرة الحاكمة السعودية، والامام محمد بن سعود هو مؤسس الدولة السعودية الأولى عام ١١٥٧هـ، التى تناولنا طرفاً من تاريخها خلال السرد التاريخى لهذا البحث، أما الملك عبد العزيز فهو أشهر من أن يعرف، ولد ليلة ١٩ذى الحجة ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) وتوفى يوم ٢ربيع الأول ١٣٧٣هـ (٩نوفمبر ١٩٥٣م) وسبق أن أوردنا نسب آل سعود، انظر هامش (١) ص٢٦.

مـن مطالبـات عبـد العزيـز، وهـو يسـعى للاسـتحواز عليـه، إن عـاجلاً أو آجـلاً، حسـبما تسـنح الظـروف، فكـانت معادلـة صعبـة فـى حسـابات الإنجليز، أن يبقـوا على صداقتـه، وفـى الوقـت نفسـه هـم مطـالبون بحمايـة حلفـائهم مـن طموحاتـه، وبـالأحرى مـن مطالباتـه، ولـذا فطالمـا وضعـوا العراقيـل أمـام طموحاتـه، لاسـتمرارية المعادلـة الصعبـة، خشـية الاخفـاق، وتداعـى التوازنـات.

اسـترعى انتبـاه العـالم بعـد أن وحّـد نجـداً، وانـتزع الأحسـاء مـن العثمـانيين فـى ٥جمـادى الأولى ١٣٣١هــ (١٠مـايو ١٩١٣م) أى قبـل نشـوب الحـرب العالميـة الأولى بحـوالى عـام. و لم يكـن أمـام العثمـانيين مفـر مـن التسـليم بـالأمر الواقـع، واعـترفوا بـه حاكمـا على نجـد والأحسـاء، ولقبـوه بـ "صـاحب الدولـة".

ثـم نشـبت الحـرب العالميـة الأولى، وكـان نفـوذ عبـد العزيـز قـد امتـد وقتهـا مـن جنـوب الكويـت إلى شمـال قطـر علـى الخليـج العربـى، ومـن قطـر جنوبـاً فشـمل وادى الدواسـر، والربـع الخـالى، وغربـاً إلى أطـراف الحجـاز، ثـم جنوبـاً بمحـازاة الحـدود الشـرقية لعسـير (المتصرفيـة) ونجـران الموالية[1] ونذكـر ذلـك لأن عبـد العزيـز، الـذى كـان مسـتقلاً بإمارتـه ذاك الوقـت، لم يسـتفد مـن الحـرب العالميـة، ولا مـن رحيـل العثمـانيين عـن بـلاد العـرب، مثلمـا اسـتفاد غـيره، مـن الأمـراء المحليـين، فقـد ظـل حياديـاً، صادقـاً فـى تعهداتـه لكـلا

---

[1] الزركلى، المصدر السابق، ص٢١٥.

الأطـراف المتصارعـة، و لم يسـتغل المواقـف مثـل غـيره، وكـان بمقـدوره أن يفعـل الأعـاجيب، لـو كـان نهـازاً للفـرص، مسـتجيباً لدواعـى الإغـراء التـى طرحـت أمامـه.

خشى عبـد العزيـز أن يصـل لهيـب الحـرب العالميـة إلى بـلاد العـرب، فتحـترق بنـار غيرهـا، حـين يـزج أمراؤهـا أنفسـهم فـى أتونهـا، فكتـب إلى جيرانـه الأقربـين الثلاثـة ـ على الرغـم مـن العـداء أو التنـافس ـ ابـن رشـيد، الشـريف حسـين، مبـارك الصبـاح، مقترحـاً عليهـم الاجتمـاع لاتخـاذ موقـف موحّد يضمن تجنـب العـرب أهـوال تلـك الحـرب، لكـن دعوتـه لم تجـد لهـا آذانـا صاغيـة، لأن كـلاً منهـم قـد رتـب أمـوره علـى الاسـتفادة بـأقص مايسـتطيع، فكـان ابـن رشـيد مـع الدولـة العثمانيـة، والشـريف حسـين مـع بريطانيـا، ومبارك معها أيضـاً، فقـرر هـو أن يظـل حياديـاً[1].

بـادر الانجليز بتقديـم الاغـراءات لـه على أن يهـاجم ابـن رشـيد المـوالى للدولـة العثمانيـة[2]، أو أن يبعـث قـوات تحـاربهم فـى المدينـة المنـورة، أو الطـائف، أو عسـير. وبعثـت لـه الدولـة العثمانيـة وفديـن، أحدهمـا عـن طريـق البصـرة برئاسـة طـالب النقيـب، والثـانى عـن طريـق المدينـة المنـورة كـان مـن

---

[1] الزركلى، المصدر السابق، ص١١٥،١١٦.

[2] كانت لهم قوات فى المدينة المنورة يقودها صبرى باشا، ثم عمر فخر الدين باشا، وكانت لهم حاميـة فـى جـدة، وفى قلعة أجياد بمكة المكرمة، تحت قيادة الوالى العثمانى غالب باشا، وعند إعلان الشريف حسين الثورة على الأتراك، قاوموا فترة ثم انسحبوا إلى الطائف بعيداً عن الأماكن المقدسة، وعن مرمى الاسطول البريطانى. كمـا كانت قواتهم فى عسير تحت قيادة محي الدين باشا، كما مر بنا.

أعضائه المؤرخ العراقي محمود شكري الألوسي، المناصر للسلفيين، فلم يستجب لهؤلاء، ولا لؤلئك[1] وكتب له فيصل بن الحسين في ١٢ محرم ١٣٣٥هـ (١٠نوفمبر ١٩١٦) يشكو من استمرار التجارة بين القصيم والمدينة المنورة لتزويد القوات العثمانية بما تحتاجه، وكتب له الشريف حسين في ٤ جمادى الآخرة ١٣٣٥هـ (٢٧مارس ١٩١٧م) يطلب منه إرسال حملة على ابن الرشيد في حائل، كما بعث له فخر الدين باشا من المدينة المنورة في شوال ١٣٣٦هـ (يوليو ١٩١٨م) يعرض عليه تزويده ببعض الأسلحة لمحاربة حسين بن عون، (هكذا) وإزاحته عن الحجاز، وفتح طريق الحج للمسلمين[2] كما بعث إليه الوالي العثماني غالب باشا، قائد حامية الحجاز، طالباً إمداده ببعض القوات والعتاد لتخليص البلاد من الشريف حسين وتسليمها له، وفي الوقت نفسه أرسل الشريف حسين ثلاث صرر (أكياس) من الذهب على فترات كي يغريه بالانضمام إلى صفوف المحاربين للدولة العثمانية في بلاد العرب[3] لكنه ظل على حياده، صادقاً فيه، طوال الحرب العالمية الأولى، وتفرغ لتوطيد الأمن داخل بلاده، ولم يحارب أيّاً من خصومه فيما عدا ابن رشيد، عندما استفزه إلى ذلك، في ٧ربيع الأول ١٣٣٣هـ (٢٤/١/١٩١٥م) في موقعة جراب، التي قتل

---

(١) الزركلي، المصدر السابق، ص٢١٥-٢٢٠، وأمين سعيد، المصدر السابق، ج١، ص٧٢،٧٣.

(٢) مشيراً بذلك إلى أن الشريف كان قد منع حجاج نجد، وحجاج الولايات التابعة للدولة العثمانية من آداء الفريضة، وانظر فيما سبق، الزركلي، المصدر السابق، ص٢٤٣-٢٤٦. وقد أتى بنصوص تلك المكاتبات.

(٣) الزركلي، المصدر السابق، ص٣٠٨،٣٠٩.

فيهـا الكـابتن شكسـبير، المنـدوب البريطـانى الـذى قـدم إلى الريــاض للتفــاوض، عند الزحف لهـذه المعركـة، وأصـر علـى المشـاركة فيهـا[1].

هـذا موقـف واحـد مـن أعمـال عديـدة اتسـمت بالحكمـة والـتروى وبُعـد النظـر، لرجـل ملـك السـيف والعقـل معاً، وعـرف كيـف يسـتعمل كـلاً منهمـا فى موضعه، وحقيقـة لـو لم يكـن عبقريـاً لمـا كـان بمقـدوره أن يصـل فـى النهايـة إلى هـذا البنيـان الشـامخ.

واسـتكمالاً للموقـف السـابق، ففـى المرحلـة الأخـيرة لنهايـة الحـرب العالميـة، وبـالأحرى عقـب انتهـاء الحـرب بـين الشـريف حسـين والعثمـانيين فـى المدينـة المنـورة، وكـان قـد لقـب نفسـه بملـك العـرب، انتابـه نـوع مـن الزهـو والغـرور، فصـوب وجهـه نحـو نجـد، وبـدأ ابنـه الأمـير عبـد الله فـى إرسـال مكاتبـات إلى سـلطان نجـد تحمـل شـيئاً مـن الاسـتفزاز والتحـرش[2] ثـم زحـف عبد الله بـن الحسـين بجيـش مجهـز بـالمعدات الحربيـة الحديثـة التـى اسـتولوا عليهـا مـن العثمـانيين، ومـن مسـتودعاتهم، وكـان يرافقـه مجموعـة كبـيرة مـن الضبـاط والجنـود النظـاميين وبعـض البـدو وبلـغ عددهـم سـبعة آلاف، وعلـم سـلطان نجـد بزحفهـم، فـأعلن النفـير العـام، وعنـد مسـير الأمـير عبـد الله بقواتـه أعلـن

---

[1] جون فيلبى، تاريخ نجد، ص٤٢٥، أمين الريحانى، تـاريخ نجـد وملحقاتـه، ص٢٢٠-٢٢٢، الزركلى، المصدر السابق، ص٢٢١،٢٢٢، أمين سعيد، المصدر السابق، ج٢، ص٨٠.

[2] عن موقعة تربة والمراسلات التى سبقتها، انظر: امين الريحانى، المصدر السابق، ص٢٤٤-٢٥٧، وحـافظ وهبـة، جزيرة العرب فى القرن العشرين، ص٢١٤، والزركلى، المصدر السابق، ص٣١٦-٣٢٣، وأمين سعيد، المصدر السابق، ص٨١-٩٣، حيث أوردها بتفاصيل وافية.

أنه ذاهب لتأديب العصاة ممن خرجوا عن طوعهم، في تربة والخرمة، واجتمع به والده في "عشيرة" وبحثوا في خطة الزحف للاستيلاء على تربة والخرمة، ثم السير إلى نجد، بعدها تقدم عبد الله واستولى على تربة بسهولة ٢٤ شعبان ١٣٣٧هـ (مايو ١٩١٩م) لأن طلائع قوات الملك عبد العزيز كانت تعسكر بالقرب من الخرمة، وعزم عبد الله على أن يتحرك في اليوم التالي بقواته للاستيلاء على الخرمة، فإذا بطلائع قوات عبد العزيز لاتمهله إلى شروق شمس اليوم التالي، وتباغته ليلاً، وتقضي في عدة ساعات على جميع قواته، ولم ينج إلا شارد أو هارب، وكان الأمير عبدالله نفسه من بين من هربوا بأعجوبة. وغنم سلطان نجد الأسلحة والمعدات التي كانوا يتباهون بها، وخسروا جيشهم، وكانت نكبة أخرجتهم من حالة الزهو والنشوة التي كانوا يعيشون فيها، وظنوا أن سلطان نجد سيواصل زحفه إلى الطائف ومكة، فأجروا اتصالاً ببريطانيا للعمل على إيقاف زحفه، لكنه لم يزحف وقرر الأكتفاء بما كان، ورأى أنه ليس من الحكمة التقدم في الوقت الحالي، ثم إذا ببرقية تصله من الحكومة البريطانية في ٥رمضان ١٣٣٧هـ (٤يونيه ١٩١٩م) تطلب منه عدم التقدم، وهو ماتوقعه وقرره مسبقاً، مكتفياً بتأكيد نفوذه الرسمي على تربة والخرمة، وما يقع في نطاقهما من قبائل، وزاد نجمه تألقاً وسطوعاً، واستحوذت هيبته على القلوب.

وكان لهذه الموقعة دويّ هائل في أنحاء الجزيرة العربية لعدة اعتبارات، من بينها: وضع حد لغطرسة ومزاعم الشريف حسين، من

كونه ملكاً على العرب وخليفة المسلمين، وأنه المتحدث باسم العرب، فحجمته فى نظر العرب والأجانب، فبدأوا يعيدون حساباتهم للأهتمام بالكفة الراجحة[1] كما كان لها تأثيرها الفعال وسط القبائل فى المنطقة، فمعظم القبائل تلتف حول القائد المنتصر، أو التى تتوقع أن يكون النصر حليفه، لأغراض متنوعة، وأما وقعها على قبائل عسير وتهامة القريبين من مكان الموقعة، فكان الإعجاب الممتزج بنوع من الاعتزاز لأنها أعادت إلى أذهانهم أمجادهم السابقة فى ظل الدولة السعودية الأولى، والتى كان من مردودها أنهم مايزالون فى توجهاتهم سلفيين، ويكنون لآل سعود المودة والموالاة. ومن هنا كان التلاقى الذى أدى إلى عودة النفوذ.

عسير

قامت صحوة بين بعض قبائل عسير، وبخاصة قبائل قحطان وشهران وزهران وغيرهما، تدعو إلى إحياء مبادىء الدعوة السلفية، وأنتشرت هذه الصحوة بين قبائل عسير. وكان الحسن بن عايض لم يمض عليه فى منصبه سوى عدة أشهر، منذ تسلّم شئون متصرفية عسير من محيى الدين باشا، آخر الولاة العثمانيين عند رحيله، أوائل شهر ربيع الثانى ١٣٣٧هـ (يناير ١٩١٩م) حين شاهد هذه الصحوة تسرى بين القبائل،

[1] فيلبى، المصدر السابق، ص ٤٣٣-٤٣٦.

عقب معركة تربة التى وقعت فى أواخر شعبان ١٣٣٧هـ، فأحس بأن فيها تهديداً لسلطته، فعمل على مقاومتها.

كان ابن عايض يفتقد إلى الحس الدينى والسياسى الواعى، ولو نظر إلى موقف أجداده، والأمراء قبلهم، لكفى نفسه عاقبة ماحدث. ومما قيل فى تحليل شخصيته: شرع فى إدارة بلاده، بعد جلاء الترك، على شكل أحفظ الناس[١] وكان مستبداً ظالماً نفرت منه القبائل، خصوصاً قحطان وزهران، فأرسلت وفودها شاكية إلى ابن سعود[٢] وانصرف عن إدارة الحكومة إلى اشباع شهواته من متع الحياة ولذاتها[٣] وحصلت بينه وبين رعاياه خلافات أدت إلى لجوئهم إلى عبد العزيز شاكين من ظلم "حسن" وعسفه[٤].

وكانت لأسلاف عبد العزيز سيادة على مقاطعة عسير، ودخلت ضمن أملاكهم، وأهلها شوافع، فكتب السلطان عبد العزيز ـ عقب وفود مندوبى تلك القبائل إليه بالرياض ـ إلى الأمير حسن وإلى رؤساء قحطان وزهران ينصحهم بالمسالمة، ويدعوهم إلى الرجوع إلى ماكان عليه أجدادهم، من العمل بكتاب الله وسنة رسوله، وبعث إليهم ستة من علماء نجد لاصلاح ذات البين. لكن الأمير حسن رفض الوساطة، وردّ

---

(١) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ٣٦٢.

(٢) امين الريحانى، تاريخ نجد، ص٣٠٠.

(٣) الزركلى، المصدر السابق، ص٢٤٩، نقلاً عن كتاب "صقر الجزيرة" لعبد الغفور عطار.

(٤) الزركلى، المصدر السابق، ص٢٤٩، نقلاً عن مخطوطة خالد الفرج.

الوفد ردّاً قبيحاً، وقال: إذا كان ابن سعود يتدخل فى شئون قبائل عسير، فسنمشى إلى بيشة النخل ونستولى عليها[1].

وسبق أن عرفنا أن الحسن كان قد عقد تحالفاً مع الشريف حسين، وألغى تحالفه مع الإدريسى، مما استدعى من الإدريسى أن يجهز عليه حملة، فهُزمت عند سطح جبل "تهلل" عندها انتابت الحسن حمَّى الغرور والزهو[2] وكان منه هذا التصرف غير اللائق حيال وفد العلماء، والرد الاستفزازى المثير!. فما أشبهه بموقف الشريف حسين، وابنه عبد الله قبيل معركة "تربة" من حيث الغرور والغطرسة!.

كانت التوقعات ترشح حائل فى مسيرة عبد العزيز لضمها ذاك الوقت، بعد هزيمة الدولة العثمانية حاميتها وراعيتها، وذلك قبل أن يمتد إليها أى نفوذ آخر[3] لكن ابن عايض استفزه واستدعاه للمجاولة، فجهز عليه حملة قادها ابن عمه عبد العزيز بن مساعد بن جلوى فى شعبان ١٣٣٨هـ (مايو ١٩٢٠م) استولى على عسير بعد عدة وقائع، استسلم فى

---

(1) أمين الريحانى، المصدر السابق، ص٣٠٠، والزركلى، المصدر السابق، ص٢٤٩، والعقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٧٤١،٧٤٢، وأمين سعيد، المصدر السابق،ج٢، ص٩٥،٩٦، ولعل فى كلام ابن عايض مايشير إلى مدى نفوذ وسلطة سلطان نجد، وأنه ممتد إلى بيشة وماوازاها جنوباً ذاك الوقت.

(2) العقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٧٣٨-٧٤٠.

(3) كان الشريف حسين يطمع فى مد نفوذه إليها، وكذلك ابنه فيصل فى العراق لمجرد أنها أصبحت وحيدة فى الميدان بينما كان بيت آل رشيد يعيش فى مأساة بداخله، حيث حلت التصفية الجسدية بينهم، محل التفاهم والحوار الهادئ، وهى بداية النهاية. وحايل من مناطق وسط شبه الجزيرة، وامتداد طبيعى وتاريخى لنجد.

نهايتها الحسن بن عايض، وابن عمه محمد بن عبد الرحمن بن عايض[1] ولم يكن مضى سوى عام وثلاثة أشهر تقريباً، منذ تسلم الحسن شئون عسير (المتصرفية) من الوالي العثماني، ثم أرسلهما ابن مساعد إلى السلطان عبد العزيز في الرياض.

وفي لقائهما به، قال لهما عبد العزيز: ماتخلينا أبداً عنكم ياآل عايض، فعندما سأل الترك الشريف عبد الله بن عون[2] أن يهاجمكم وينكّل بكم، أرسل الشريف يستنجد عمي الإمام عبد الله ـ ليساعده عليكم ـ فأجابه: ابن عايض رجل منا، فكيف نساعدك عليه؟! (ويقصد الأمير محمد بن عايض فهو الذي كان معاصراً لكل من الامام عبد الله ابن فيصل، والشريف عبد الله بن محمد بن عون).

ولقيا العفو والأمان فبايعا ابن سعود على السمع والطاعة، وأقاما شهراً في ضيافة السلطان عبد العزيز، ثم عرض على حسن بن عايض العودة إلى إمارته في أبها، مشترطاً أن يكون معه كما كان أسلافه مع آل

---

[1] الزركلي، المصدر السابق، ص٢٥٠، أمين الريحاني، المصدر السابق، ص٣٠٠، وامين سعيد، المصدر السابق، ص٩٦، والعقيلي، المصدر السابق، ج٢، ص٧٤٢، والمصادر تذكر محمد بن عبد الرحمن بن عايض على أنه ابن عم الحسن بن عايض، والصواب أنه بمنزلة عمه، وليس ابن عمه، فهو محمد بن عبد الرحمن بن عايض بن مرعي، والحسن هو ابن علي بن محمد بن عايض بن مرعي، ومحمد هذا هو الذي ذهب إلى مكة المكرمة في بداية حكم الحسن، وعقد معاهدة مع الشريف حسين، وقد توفي بالرياض فيما بعد عام ١٣٥٣هـ، كما يقول فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص١٠٢.

[2] تولى إمارة مكة عام ١٢٧٤هـ (١٨٥٨م) حتى وفاته عام ١٢٩٤هـ (١٨٧٨م).

سعود، فاعتذر قائلاً: عادَيْنا الناس، ونخشى إذا عدنا إلى الإمارة أن يقوموا علينا، ولكننا نكون معاونين لمن تولونه الإمارة أيدكم الله، ولاتقصروا علينا من جهة الدنيا .. فقبل السلطان عذره، وأعاده هو وابن عمه إلى بلادهما، بعد أن منحهما ٦٥ألف ريال (٦٥٠٠جنيه ذهب) وخصهما وأهلهما بمشاهرات مالية[١] ويقال: إنه وردت لابن سعود مكاتبات تحمل عدة توقيعات من بعض زعماء عسير، يطلبون من عبد العزيز ألايسمح لآل عايض بالرجوع اجتناباً للفتن، لكنه تغاضى عن ذلك[٢].

عاد الحسن وابن عمه محمد إلى أبها راضين مغتبطين من حسن المعاملة، وأقاما بجوار الأمير الذى كان قد عينه ابن مساعد حاكماً على عسير بتوجيه من السلطان، وهو: شويش الضويحى المطيرى، ثم مالبث الحسن بن عايض أن كتب للسلطان عبد العزيز يشكو هذا الأمير، فعزله وعين بدلاً منه عبد الله بن سويلم، لكنه لم تمض عليه فترة حتى شكاه أيضاً إلى السلطان، فعزله وعين بدلاً منه فهد العقيلى[٣].

وكان الحسن يتعمد شكاية أمراء عسير من قبل عبد العزيز، لإظهار نفوذه أمام قومه، وإيهامهم بمدى سلطته كخطوة أولى للانقضاض على

---

[١] امين الريحانى، المصدر السابق، ص٣٠١، والزركلى، المصدر السابق، ص٢٥٠، والعقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٧٤٢.

[٢] د.عصام ضياء الدين، عسير فى العلاقات السياسية السعودية اليمنية، ص٤٩.

[٣] الزركلى، المصدر السابق، ص٢٥٠، وليس صواباً ماذكره فؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية، ص٦١، من أن الملك عبد العزيز أعاد الحسن بن عايض أميراً على أبها، وأرسل معه مندوباً يقيم إلى جانبه.

السلطة، وشرع يدس الدسائس على ابن سعود، ويؤلب عليه القبائل، وجرت بينه وبين الشريف حسين اتصالات، تدفقت إليه على إثرها الأموال والعتاد لتأليب القبائل، والاستعداد للانقضاض[1].

استأذن الحسن من فهد العقيلي للذهاب إلى بلدته "حرملة" لإحضار عائلته للاقامة معه فى "أبها" فأذن له، فلما وصلها امتنع عن العودة، وسعى فى تأليب القبائل، وأخذ يوزع عليهم الأموال والسلاح الذى تتابع وصوله إليه من الشريف حسين، ثم سار بمن تجمع حوله إلى "أبها" وحاصر أميرها فهد العقيلي، لمدة عشرة أيام حتى اضطره هو وحاميته القليلة العدد إلى الاستسلام، على أن يعودوا إلى الرياض بأسلحتهم الخفيفة، غير أن العقيلي استطاع بعد خروجه من أبها أن يجمع بعض الموالين من القبائل، وراح يغير على الحسن بن عايض وأنصاره، ثم تمكن الحسن من وضع كمين للعقيلي وقبض عليه فى خميس مشيط، ووضعه فى السجن، وقام بحرق بعض بيوت الزعماء الموالين لآل سعود، ومن بينهم بيت سعيد بن مشيط[2].

---

(1) الزركلي، المصدر السابق، ص٢٥١.

(2) امين الريحاني، المصدر السابق، ص٣٠١، العقيلي، المصدر السابق، ج٢، ص٧٤٣، الزركلي، المصدر السابق، ص٢٥١، د.عصام ضياء الدين، المصدر السابق، ص٥٠، وابن مشيط رئيس أكبر بطون قبيلة شهران وكان يقيم فى بلدة "ذهبان" فؤاد حمزة، فى بلاد عسير،ص٨٠.

ويبدو أن التوقيت لهذه الفتنة كان متوافقاً مع حملة سلطان نجد على حائل لضمها، والتى استغرقت المناوشات والحصار فيها اكثر من عام[1] حيث تم الاستنفار إليها فى شهر جمادى الآخرة ١٣٣٩هـ (فبراير ١٩٢١م) حتى تم ضمها فى ٢٩ صفر ١٣٤١هـ (٢٠اكتوبر ١٩٢٢م) وربما أريد انتهاز فرصة الانشغال بحائل، لتنفيذ مايراد صنعه فى عسير، على حين غفلة من ابن سعود، فاستغلت بعض الأحداث اليسيرة ودفع بها حتى تفاقمت الأوضاع، مثلما يستغل مستصغر الشرر فى إيقاد نيران يرتفع لهيبها[2] غير أن ابن سعود لم ينتظر حتى يفرغ من حائل، فلديه الاستعداد والمقدرة ذاك الوقت، للمجابهة فى أكثر من جبهة على هذا المستوى.

جهز ابنه فيصل (الملك فيما بعد) على رأس حملة مكونة من ستة آلاف رجل، خرجوا من الرياض فى شهر رمضان ١٣٤٠هـ (مايو ١٩٢٢م) [3] وانضم إليه خلال مسيره أربعة ألاف من قحطان وغامد

---

(1) امين الريحانى، المصدر السابق، ص٢٨٤.

(2) فيقال: إن خادما من خدم الأمير فهد العقيلى اشترى من السوق حطباً، فلم يجد من يحمله، فطلب من أحد المارة حمله، فرفض فضربه، فقابله بالمثل، وتجمهر الناس، وتأزم الموقف، وانتقلت الأخبار ـ مشوهة ومبالغ فيها ـ إلى بعض القبائل، فزحفت إلى أبها، واستغل الحسن هذا الزحف وركب الموجة، وقاد هذا الزحف، د.منير العجلانى، فيصل العظيم، ص٦٦.

(3) امين الريحانى، المصدر السابق، ص٣٠٢. وفيه أن المقابل هو شهر (حزيران) يونية، وفى مقابلة التواريخ وجد أن المقابل لشهر رمضان هو مايو. لايونية. والزركلى، المصدر السابق، ص٢٥١.وفيه أنه زحف بحملته هذه أواخر عام ١٣٤٠هـ (١٩٢٢م) والصواب كما قال الريحانى، لأنه خلال هذه الحملة كانت حادثة "تنومة" التى--

وزهـران وغيرهـا[1] وبعـد عـدة وقعـات دخـل الأمـير فيصـل "أبهـا" فـى صفـر ١٣٤١هـ (اكتوبـر ١٩٢٢م) ثـم استولى علـى "حجلـة" التـى كـان قـد فـرّ إليهـا الحسـن بـن عـايض، متحصنـاً فيهـا، فهـرب منهـا أيضـاً هـو وبعـض قومـه إلى القنفـذة، ومنهـا إلى مكـة المكرمـة مسـتنجداً بحليفـه الشـريف حسـين، فبعث معه جيشـاً لمسـاعدته بقيـادة كـل مـن الشـريف عبـد الله بـن حمـزة الفعـر، والملازم حمـدى بـك، قـائد حاميـة ينبـع، لكـن جيـش الشـريف منـى بهزيمـة فادحـة، وغنـم جيـش الأمـير فيصـل مـامعهم مـن أسـلحة وعتـاد حربـى وتموينـات[2].

وقبيل ذلك بقليـل كـان الشريف حسين قـد تعـاهد سـراً مـع إمـام اليمـن علـى التصـدى لابـن سـعود، وتسـرب خـبر هـذا الاتفـاق[3] وأثنـاء مطـاردة فلول المنهزمـين مـن جيـش الشـريف، رأى عبـد العزيـز بـن إبراهيـم ـ أحـد قـادة جيش الأمير فيصـل، الـذى أوكـل إليـه أمـر "أبهـا" وماحولهـا ـ قافلـة قادمـة مـن الجنـوب، وعـرف أمـير أبهـا منهـم أنهـم قـادمون للحـج، وكـان عددهـم كبـيراً، ويحمـل بعضهـم أسـلحة، ويشـهرها علنـاً ممـا يثـير الشـك فـى أمرهـم، فخشـى

-- وقعت أثناء قدوم الحجاج إلى موسم ذاك العام، فى شهر ذى القعدة ١٣٤٠هـ، فضلاً عن أن الريحانى كان فى الرياض عند عودة هذه الحملة، ومن المؤكد أنه كان قد عرف تاريخ خروجها من الرياض إلى عسير

[1] امين الريحانى، المصدر السابق، ص٣٠٢.

[2] الزركلى، المصدر السابق، ص٢٥١، والريحانى، المصدر السابق، ص٣٠٢،٣٠٣، د.عصام ضياء الدين، المصدر السابق، ص٥١، سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، ص١٢١-١٢٣.

[3] نشر أمين الريحانى صورة أومسودة هذه الاتفاقية، فى "ملوك العرب" ص٢١٨-٢٣٣، وانظر، الجرافى، المصدر السابق، ص٢٩٨،٣٠٤.

أن يسلكوا الطريق الذى تدور فيه رحى المعركة، فنصحهم بسلوك طريق آخر، فرفضوا، وحدث ماتوقعه من قبل أمير أبها، حيث ظنهم المقاتلون قوات يمنية قدمت لمساعدة جيش الشريف، بناء على الاتفاق المشار إليه، وكانت حادثة "تنومة" التى استغلها البعض سياسياً، بعد وقوعها بزمن[1].

وبعد أن استتب الأمر فى عسير للأمير فيصل ولّى عليها سعد بن عفيصان أميراً، لكنه مالبث أن توفى، فولى مكانه عبد العزيز بن ابراهيم، السياسى المحنك وترك معه حامية مكونة من ٥٠٠جندى، ورجع الأمير فيصل إلى الرياض فدخلها فى ٢١جمادى الآخرة ١٣٤١هـ (٧فبراير ١٩٢٣م)[2].

وقيل إن الشريف حسين جهز حملة ثانية قادها كل من الشريف عبد الله الفعر والحسن بن عايض عام ١٣٤٢هـ، فتصدى لهما ابن عفيصان وهزمهما، ثم توفى على إثرها، ولما تولى الإمارة عبد العزيز ابن ابراهيم، لم يمكنهم من إرسال حملات، ووطد الأمن فى عسير، واستسلم

---

(1) هامش ص٥٠ من كتابنا، مطالعات فى المؤلفات التاريخية اليمنية، وانظر نفس الصفحة، ومابعدها فقد تعرضنا إلى تداعيات حادثة تنومة بشئ من التفصيل.

(2) الزركلى، المصدر السابق، ص٢٥١،٢٥٢، والريحانى، المصدر السابق، ص٢٠٣، وأمين سعيد، المصدر السابق، ص٩٦، ٩٧، الذى قال بأن الأمير فيصل غادر المنطقة (عسير) قبل وصول الحملة التى أرسلها الشريف حسين لمساعدة آل عايض، والتى منيت بهزيمة، وأنه كان قد ولى على عسير، سعد بن عفيصان، فتوفى، فخلفه ابن حيفان، ثم تسلم منه الامارة عبد العزيز بن ابراهيم، المعروف بالدهاء والمقدرة، فوطد الأمن .. ويبدو أن ابن حيفان خلف ابن عفيصان مؤقتاً لحين تأتى توجيهات السلطان عبد العزيز بمن يتولى الامارة فى عسير. فجاءت بتولية عبد العزيز بن ابراهيم.

إليه الحسن بن عايض، ومن كان يشايعه من آله، فأرسلهم إلى الرياض، فلم يجدوا من ابن سعود غير الرعاية، وظل بعضهم في الرياض معززين مكرمين، مثل الكثيرين من أمثالهم[1] ممن كانت لهم خصومة مع عبد العزيز، فقد كان مبدؤه "عفا الله عما سلف" ولذا تحوّل الخصوم إلى أصدقاء ومناصرين.

ومما تجدر الاشارة إليه هنا أنه منذ انضواء عسير إلى سلطنة نجد وملحقاتها، على إثر الحملة التى قادها ابن مساعد فى شعبان ١٣٣٨هـ (مايو ١٩٢٠م) فقد ترتب على هذا الانضمام أن تماست الحدود بين السعودية واليمن، فيما هو جنوب عسير، و لم تحدث مشاكل حدودية قبلية أو غيرها، كما لم يترتب على ذلك ردود فعل سياسية من الطرفين، وبالأحرى من جهة الأئمة فى صنعاء، التى كانت تخشى تقدم القوات السعودية إلى القسم الجبلى بأرض اليمن فيما هو جنوب عسير، أثناء هذه الحملة فلما توقفت عند حدود عسير، اطمأنت وزال التوتر[2].

وبذلك أكد هذا النفوذ وجوده الشرعى، دينياً، وتاريخياً، وسياسياً، بلا مشاحة، منذ ذلك التاريخ، وكان للوجود السعودى فى عسير الدور

---

[1] الزركلى، المصدر السابق، ص٢٥٢، وفؤاد حمزة، فى بلاد عسير، ص١٠١-١٠٣، وامين سعيد، المصدر السابق، ص٩٧.

[2] انظر الوثيقة الانجليزية (**F.O 118-371-5255-271**) بتاريخ ١٠يونية ١٩٢١م، عبارة عن تقرير من المعتمد البريطانى فى عدن إلى وزير المستعمرات فى لندن يتضمن اخبار تهامة وعسير واستيلاء ابن سعود على أبها، وخشية إمام اليمن من تقدم قوات ابن سعود جنوباً.

البالغ فـي عـدم تـردى الأوضـاع فـى الإمـارة الإدريسـية، والحفـاظ علـى جـازان.

الإمارة الادريسية:

فـى أواخـر عهـد الامـام محمـد بـن علـى الإدريسـى كـانت الحـدود الجنوبيـة للإمـارة الادريسية قـد امتـدت فـى تهامـة اليمـن إلى الحديـدة، وبـاجل، وفـى الشـمال الشـرقى ـ بالقسـم الجبلـى ـ لأطـراف رازح، بمنتهـى جبـل حُـرم، والحـدود الجنوبيـة لبنـى مـالك والحـرّث بمنتهـى جبلـى النظـير، وشـذا، وجبلـى منبه والعـرو.

وبنهايـة الحـرب العالميـة الأولى اتبعـت بريطانيـا سياسـية التقشـف لمعالجـة مشـاكلها الاقتصاديـة، وكـان مـن بينهـا وقـف بعـض المعونـات لكثـير مـن الـدول، أو الاقـلال منهـا، ومحاولـة الأنفكـاك مـن الارتباطـات السـابقة فـى هـذا المجـال، وكـان الإدريسـى مـن أوائـل المتضرريـن، فقـد تركتـه وحـده يواجـه مشـاكله الداخليـة والخارجيـة، وكـانت إمارتـه مطمعـاً للمحيطـين بـه مـن الشمال والجنـوب. وقـد تـأكد لـه ذلـك عندمـا تحـالف آل عـايض مـع الشـريف حسـين، ولاقـت قواتـه هزيمـة عنـد جبـل "تهلـل" وضـاعت آمالـه فـى الاسـتحواذ علـى عسـير، اضافـة إلى أن إمـام اليمـن يمـد بصـره إلى الأرض التـى أخذهـا مـن العثمـانيين، فـى تهامـة اليمـن، والجبـال .. لـذا اتجـه إلى ابـن سـعود يستمد منـه القـوة لوضـع حـدٌ للأطمـاع المحيطـة بـه. فالعلاقـة بينهمـا تتسـم بـالود والمحبـة والمـوالاة، فقـد رفـض ابـن سـعود مـن قبـل طلـب الدولـة العثمانيـة

إرسال قوات لمحاربة الادريسي، عند نشوب الحرب العالمية الأولى[1] مع أن حكومة الاتحاديين في الأستانة تعهدت له بتقديم كل مايحتاجه من السلاح والمال، لكنه رفض، وكتب لهم كتاباً جاء فيه: إنه عربي ولايحارب العرب من أجل الدولة (العثمانية) وأنه هو والإدريسي على ولاء.

وإذاً فلا غرابة أن يتجه إليه الإدريسي يستمد منه المساعدة على مواجهة الأخطار المحدقة به. فبعث إليه وفداً للموالاة والتحالف، منتصف عام ١٣٣٨هـ (١٩١٩م) وكان الوفد يحمل رسالة إلى ابن سعود، جاء فيها:

إني أجلت النظر في أنحاء الجزيرة فلم أجد أهلاً للثقة ورعاية عهود الاخاء سواكم[2]. وعند وصول هذا الوفد إلى الرياض لمقابلة السلطان ابن سعود، تصادف عودة وفد قبائل عسير، الذى كان قد قدم إلى السلطان يشكو ابن عايض .. ثم تداعيات الأحدث التي استدعت إرسال حملة ابن مساعد في ٢٤شعبان ١٣٣٨هـ (مايو ١٩٢٠م) إلى عسير، ورافقها ثلاثة من علماء وأعيان نجد، مندوبين عن ابن سعود للتباحث مع الادريسي بشأن عقد إتفاقية صداقة وموالاة، هم: عبد الله بن محمد بن راشد

---

[1] أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص٢٠١.

[2] العقيلي، المصدر السابق، ج٢، ص٧٥٧.

ابن جلعود[1] وفيصل بن عبد العزيز آل مبارك[2] وناصر بن حمد الجار الله.

وبعد مباحثات استغرقت حوالى ثلاثة أشهر، أعلن ماتم الاتفاق عليه من قبل الطرفين يوم ١٦ذى الحجة ١٣٣٨هـ (٣٠ أغسطس ١٩٢٠م) فى معاهدة تم اعتمادها بالتوقيع عليها فى ١٠صفر ١٣٣٩هـ (٢٣اكتوبر ١٩٢٠م) (الملحق:١)

ومما يلاحظ على هذه المعاهدة أن الإدريسى كان قد سعى لعقد تحالف مع ابن سعود مبكراً، أى قبل امتداد النفوذ السعودى إلى عسير، ثم جرت المباحثات والمفاوضات لعقدها بعد استتباب النفوذ السعودى على عسير، وتجاور الطرفين، لذا فإن المعاهدة تناولت وضعية القبائل وانتماءاتها، بما فيها الأرض التى تقيم عليها، وذلك بالنسبة للطرفين، ثم أشارت إلى نقطة مهمة لم تسبق الإشارة إليها فى أية معاهدة سابقة أو لاحقة، وهى الأحقية التاريخية لآل سعود فى المنطقة، ذلك لأن الأرض التى تمتد عليها الإمارة الادريسية ـ ابتداء من حليّ بن يعقوب شمالاً إلى مابعد الحديدة جنوباً، ومن البحر الأحمر غرباً إلى جبل كحلان شرقاً، وجبال بنى سعد وعُبال ورَيْمة فى الشرق، علماً أنه فى عهد الدولة

---

[1] كان ابن جلعود يعتبر بمثابة رئيس الوفد، وقد ترجم له ابن بسام فى "علماء نجد، ج٢، ص٥٤١، كما أورد العقيلى، تاريخ المخلاف، ج٢، ص٧٥٤، خطاباً موقعاً منه ومن ابن مساعد ـ أثناء الحملة على عسير ـ موجها إلى السيد/مصطفى النعمى، أحد أبرز قادة الادريسى.

[2] ترجم له أيضاً ابن بسام، المصدر السابق، ج٣، ص٧٥٤-٧٥٥.

السعودية الأولى وصلت فتوحاتها إلى جبال حجة، وجبل كوكبان، وباب المندب[1] والحديدة جنوباً ـ كل هذه الأرض تدخل ضمن مطالبات ابن سعود ذاك الوقت في الأحقية التاريخية، لخضوعها فيما سبق لسلطة آل سعود، منذ عهد الدولة السعودية الأولى، وحسماً لأية مطالبة، أو تنازع بشأنها فقد نص على ذلك، نظراً للمكانة والعلاقة الخاصة مع الإدريسي، فقد جاء فيها مايلي: "فحيث كان في مملكة الإمام محمد بن علي الإدريسي من القبائل والبلدان في اليمن، ماهو في ملك آل سعود سابقاً، تركه الإمام عبد العزيز لأجل محبته للخير، ومعاونته عليه، وحسن سيرته"[2] فمن الجائز أنه أثير موضوع الحق التاريخي أثناء المفاوضات، فأراد الإدريسي أن يطمئن من هذه الناحية حتى لايحدث بينهما نزاع بهذا الشأن مستقبلاً، فنص عليه، وأطلق على المعاهدة مسمى "معاهدة صداقة" وهذا يعني أنه طالما بقيت الصداقة، وحسن السيرة، فلن يفسدها هذا الحق التاريخي. وإذا حدث العكس ظهرت المطالبة .. وبصورة أوضح هو تنازل للادريسي وعائلته من بعده، طالما كانت هناك تلك الصداقة، وحسن السيرة.

---

(1) انظر ص٦٠-٦٣ من هذا البحث.

(2) انظر الملحق رقم١ في نهاية هذا البحث. حيث وضعنا ملاحق للمعاهدات التي ورد ذكرها في البحث لأهميتها من حيث الاطلاع على نصوصها، وتم ترتيبها ترتيباً زمنياً من حيث الاسبقية التاريخية.

وفي المقابل فإن الإدريسي كان نفوذه يمتد إلى بعض المناطق والقبائل المتداخلة مع عسير جنوباً، فقد تركها لتدخل ضمن عسير تحت نفوذ ابن سعود[1] ومن بينها يام بنجران.

ونظراً لأهمية هذه المعاهدة، فإنها ظلت سارية المفعول، ونُصّ على استمراريتها في المادة الأولى من معاهدة مكة المكرمة (معاهدة الحماية) الموقعة بين: عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، وبين الحسن الإدريسي إمام جازان بتاريخ ٢٤ربيع الأول ١٣٤٥هـ (٣١اكتوبر ١٩٢٦م).

وعلى أية حال فإن المعاهدة تعطينا دلالة على مدى ماكان يكنه كل من الحاكمين للآخر، من تقدير ومحبة، ولذا تم تحديد الحدود بينهما بهدوء وتفاهم دون إثارة أية مشاكل.

ويبدو أن إمام صنعاء حاول التأثير على الادريسي، وجذبه إليه، عندما عرف باتجاهاته نحو ابن سعود، فبعث إليه وفداً يحمل كتاباً منه بتاريخ ٢٥جمادى الآخرة ١٣٣٩هـ (٥مارس ١٩٢١م) يحثه فيه على التعاون معه للتصدى للانجليز، وإخراجهم من البلاد اليمنية وغيرها، فرد عليه الإدريسي بتاريخ ١٥شعبان ١٣٣٩هـ (٢٣ابريل ١٩٢١م) مبرراً علاقته وارتباطه بالانجليز، ومن قبلهم الإيطاليين، وأن ذلك كان لغرض

[1] الملحق رقم١. وأوردها أيضاً امين سعيد، المصدر السابق، ج٢، ص٩٧،٩٨.

الوقـوف فـى وجـه العثمـانيين، ومنـدداً بـالأهواء المختلفـة لبعـض حكـام العـرب، ونزاعـاتهم.

وقـد أورد الريحـانى نـص الكتـابين[١] وعلـق عليهمـا قـائلاً:

فـى هذيـن الكتـابين يتضـح أمـران، الأول: أن دعـوة الامـام يحيـى دينيـة ظـاهراً، وسياسية ضمنـاً، ودعـوة السـيد الادريسـى دينيـة أساسـاً، وسياسـية قوميـة عمـلاً. الثـانى: فـى كتـاب إمـام صنعـاء غمـوض مقصـود، وعموميـات قلمـا تفيـد، وفـى كتـاب إمـام جـيزان صراحـة مـبرورة، وتخصيـص ليـس فيـه إبهـام[٢].

وممـا تجـدر الإشـارة إليـه هنـا هـو وصـف الريحـانى لكتـاب الامـام "بـأن فيـه غموضـاً مقصـوداً، وعموميـات قلّمـا تفيـد" ويبـدو أن هـذه كـانت سمـة أساسية فـى معظـم مكاتبـات الامـام بصفـة عامـة، والتـى تقـع التبعـة فيهـا علـى مستشـاريه غالبـاً. ثانيـاً: أن الغـرض مـن مكاتبـة الإمـام للإدريسـى فـى هـذا الوقـت بـالذات لم يكـن حثـه علـى التعـاون معـه للوقـوف فـى وجـه الانجلـيز، وإنمـا التـودد إليـه للابتعـاد عـن ابـن سـعود، حتـى لايشـكلا قـوة تسـتطيع التصـدى لأغراضـه التوسـعية[٣] فهـو يعلـم أن الادريسـى حليـف للإنجلـيز، ووقـع معهـم مـن قبـل معـاهدة مـازالت سـارية المفعـول حتـى تـاريخ هذيـن

---

[١] ملوك العرب، ص٣٤٨-٣٥٢، ونقلهما عنه العقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٧٥١-٧٥٣.
[٢] ملوك العرب، ص٣٥٢، وأما الوفد اليمنى الذى حمل الرسالة إلى الإدريسى فكان برئاسة النقيب الشرفى.
[٣] انظر مانقله عنه الريحانى، المصدر السابق، ص١٣٥،٢١٣،٢١٤.

الخطابين، وعلاقة الادريسى بهم مازالت طيبة، حيث أنهم سلموا إليه "الحديدة" فى ٢٢جمادى الأولى ١٣٣٩هـ (٣١يناير ١٩٢١م) أى قبل حوالى شهر من تاريخ خطاب الإمام إليه، فكيف يعاديهم؟!.

كان أخشى مايخشاه الإمام أن يتضمن الاتفاق (المعاهدة الأولى) بين ابن سعود والادريسى على التعاون بينهما فى رد العدوان على أيّ من الطرفين، فلما عرف بخلو المعاهدة من هذا النص اطمأنت نفسه.

وبهذا التحديد الذى أوضحناه لامتداد الإمارة الادريسية جنوباً وشرقاً[1] بعد الحرب العالمية الأولى، وعند توقيع اتفاقية الصداقة بين سلطان نجد، والادريسى فى ١٠ صفر ١٣٣٩هـ (٢٣ أكتوبر ١٩٢٠م) تم التفاهم بينهما على تحديد الحدود، وتبعية القبائل وولاؤها لكل منهم. وكان القائد الإدريسى: طاهر رضوان، قد تقدم فى الجنوب الشرقى وجعل من باحل مقراً لقيادة الجيوش الإدريسية[2].

وكان من المتوقع ألا يصمت الإمام حيال هذا الوضع، وخاصة وضع الحديدة، فلديه طموحات وأطماع عدة، لذا ظل يترقب الفرصة السانحة لانتهازها، لاسيما وأنه أحس ببدء تراخى قبضة الانجليز عن استعمال القوة فى المنطقة، وبالتالى قوة دعمهم للإدريسى.

---

[1] انظر ص١٥٦، ١٥٧ وهامش ص١٧٢ من هذا البحث، وأيضاً ملوك العرب، ص٣١٩.

[2] العقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٧٣٢.

ولعـدة اعتبـارات يـأتى فـى مقدمتهـا كـثرة مشـاكل بريطانيـا التـى خلفتهـا الحـرب العالميـة الأولى، وخاصـة الناحيـة الاقتصاديـة، لـذا اتجهـت لحـل مشاكلها بالوسـائل السياسـية فـى كثـير مـن بقـاع العـالم قـدر المستطاع، وكـان من بينها مسـألة المحميـات بجنـوب اليمـن، مـع الإمـام، الـذى سبق لـه أن هـاجم محميـة الضـالع عـام ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م) فقـد فضلـوا تسـوية مشـاكلهم معـه عـن طريـق المفاوضـات، ورحـب الإمـام بذلـك، وأرسـل القـاضى عبـد الله العرشـى مندوبـاً عنـه إلى عـدن، واسـتمرت المفاوضـات اكـثر مـن عـامين[١] واتجـه الامـام لمراقبـة الإدريسـى فـى انتظـار الفرصـة السـانحة، التـى تتيـح لـه انـتزاع الحديـدة مـن يـده، بعـد أن اطمـأن بـأن الانجلـيز لـن يتدخلـوا لصـالح الإدريسـى، وبعـد قليـل أتيحـت لـه الفرصـة المرتقبـة علـى نطـاق واسـع، وذلـك بوفـاة الادريسـى الفجائيـة، يـوم ٦ شـعبان ١٣٤١هـ (٢٠ مـارس ١٩٢٣م) وبدايـة تصـدع وانهيـار البيـت الادريسـى، بسـبب النزاعـات العائليـة، وسـوء الادارة، فقـد خلفـه فـى الحكـم أكـبر أبنائـه: علـى بـن محمـد بـن علـى الإدريسـى[٢] ونازعـه الحكـم ابـن عـم ابيـه: مصطفـى الادريسـى، ثـم عمـه الحسـن الادريسـى، وحـدث شـقاق بـين أبنـاء الأسـرة، ورجـال الدولـة، وكـان هذا من مصلحـة الإمـام فـى صنعـاء.

---

[١] الريحانى، المصدر السابق، ص٨٤،٨٥،١٧١، ود.سالم، المصدر السابق، ص٢٦٤.

[٢] ولد فى دنقلة بالسودان عام ١٣٢٤هـ (١٩٠٥م) من أم سودانية هى: مريم بنت هـارون الطويـل، فكـان عمره حوالى ١٨ عاماً عندما تولى الامارة. د.عصام ضياء الدين، المصدر السابق، ص٧١،٧٢.

تولى مصطفى الإدريسى إدارة القسم الجنوبى للإمارة ـ من ميدى حتى جنوب الحديدة ـ نيابة عن الأمير على بن محمد الادريسى، ثم مالبث أن أعلن استقلاله بها، ووقعت بينهما حرب انهزم مصطفى على إثرها هارباً، وقام الأمير بالقبض على أنصاره، وكل من يشك فى ولائه من رجال دولة أبيه، ونفاهم إلى عدن، حتى أقفرت البلاد من ذوى الخبرات والحنكة السياسية، واعتمد على رجال تنقصهم الخبرة والكفاءة، فى تسيير أمور البلاد، كما اضطهد بعض زعماء القبائل بالقسم الجنوبى من تهامة، للتفافهم حول مصطفى الإدريسى، ومنع عنهم الصلات والمقررات، فتمنوا زوال دولته[1] وهنا لعبت السياسة المتوكلية دورها فى كسب ودهم، وإغداق الأموال عليهم، فكسبت ولاءهم عن طريق الإحسان بالأموال. وتغلغل النفوذ السياسى المتوكلى، ثم أعقبه النفوذ الفعلى للجيوش فى معظم البلاد التهامية دون إراقة دماء، حتى أن القوات المتوكلية دخلت الحديدة دون قتال، وهرب منها نائب الإدريسى: عبد المطلب بن هارون، خال الأمير، وكان الجيش المتوكلى بقيادة ابن الوزير على مسافة ثلاثين كيلومتر منها، فدخلها ابن الوزير بعد ثلاثة أيام من هروب نائب الأمير يوم ٢٧ مارس ١٩٢٥م، وباستدعاء من بعض أهلها .. وتابع الجيش المتوكلى زحفه شمالاً دون معارك تذكر حتى أصبح على مقربة من

---

[1] وذلك مثل الزعماء: هادى هيج رئيس قبيلة الواعظات، ويحي على تواب رئيس بنى عبس، وأحمد فتينى رئيس الزرانيق، والشيخ عبد القادر الأهدل، صاحب مروة، وذو النفوذ الكبير فى تهامة اليمن، الذى استطاع امام صنعاء استمالته إليه

ميدى[1] وذلك خلال فترة يسيرة، تجاوزت الشهرين بقليل ــ شوال وذو القعدة ١٣٤٣هـ (أواخر مارس وأبريل ومايو ١٩٢٥م) كما استولى على ميدى وحرض فى النصف الثانى من جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ (يناير ١٩٢٦م) وفى القسم الشرقى لم يستطع الاستيلاء إلا على جبل "شذا، وارتد عن بلاد بنى الحرّث، وتقدمت حامية ناحية صامطة، ثم وجدت مقاومة فتراجعت إلى حرض.

وفى مستهل عام ١٣٤٤هـ استطاع الحسن الإدريسى أن يقصى ابن أخيه عن الحكم، لكونه السبب فى انهيار الإمارة وفقدانها نصف أملاكها، لرعونته وطيشه .. وتولى هو الحكم محاولاً انقاذ مايمكن إنقاذه، ولما لم تكن لديه قوات ولا أسلحة يستطيع بها صد القوات المتوكلية، التى أصبحت تهدد بالاستيلاء على البقية الباقية من الإمارة الإدريسية، فإنه سارع إلى ابن سعود طالباً حمايته لتلك البقية الباقية من الإمارة، وأوكل بتلك المهمة إلى المجاهد الليبى أحمد شريف السنوسى، الذى نجح فى أن يعقد مع الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، معاهدة حماية لصالح الإمارة الإدريسية، عرفت باسم "معاهدة مكة المكرمة" وقعت بتاريخ ٢٤ربيع الآخر ١٣٤٥هـ (٣١اكتوبر ١٩٢٦) (الملحق رقم ٢)

عرفنا أن إمام صنعاء انتهز فرصة تصدع البيت الإدريسى، والنزاعات حول الحكم، وتشتيت رحالات الدولة، وتفرق القبائل،

---

[1] العقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص٨٦٤-٨٨٧.

فاستولى على ماستولى عليه من القسم الجنوبى للإمارة الإدريسية بتهامة، وهو الذى كان يسعى قبل ذلك إلى استرداد الحديدة فقط، ويتباحث مع الانجليز بشأن إعادتها إليه[1] أما وقد استردها ومعها غيرها من تهامة الجنوبية حتى حرض، فخير لم يكن فى الحسبان، وعند حرض توقفت قواته ليرى ماذا يصنع الآخرون؟! لأن فى التقدم شمالاً مجازفة حسبما نصحته به إيطاليا.

كان الانجليز فى عدن يراقبون الموقف بشكل دقيق. فتقارير المعتمد البريطانى فى عدن إلى رؤسائه فى الهند و لندن، تفيد أنه كان يتابع الأحداث أولاً بأول، بدءاً من عام ١٣٤١هـ (١٩٢٣م) عند وفاة الإدريسى، ونزاعات العائلة الإدريسية حول الحكم، وتوقعاتهم فى أحد تلك التقارير المرفوع فى ١١نوفمبر ١٩٢٤م بأن استمرار الادارسة فى تلك النزاعات سيمكن إمام اليمن من التغلب عليهم جميعاً، وتقرير بعد ذلك بتاريخ ٣١مارس ١٩٢٥م يشير إلى أن توقعاتهم السابقة، قد حدثت فعلاً وأن كثيراً من مدن ومواقع الإدريسى استسلمت للإمام. ويبدو أن الأمير على بن محمد الإدريسى كان قد طلب منهم التدخل بموجب المعاهدة السابقة مع أبيه، ولكونه لم ينصع لنصائحهم فى أسلوب إدارته للإمارة، فإنهم تخلوا عنه، وأبلغوه فى ٦ابريل ١٩٢٥م، أن المعاهدة مع الأب لاتسرى على الابن. كما أنهم لم يعطوه فرصة لمد يده للإيطاليين

---

[1] الريحانى، ملوك العرب، ص٢١٤-٢١٦، ود.أباظة، المصدر السابق، ص٤١٠-٤١٢

لمساعدته، خشية من أن يمكنهم من أية امتيازات فى ظل المحنة التى يمر بها[1] وفيها إحساس باعطاء الضوء الأخضر لإمام اليمن بأن يفعل مايريده، فى حدود معينة، فهى لن تتدخل، وستظل حيادية.

كما لوحظ على تلك التقارير أنها كانت تطلق مسمى "عسير" على الإمارة الإدريسية (جازان ومايتبعها)، وتطلق مسمى "أبها" على عسير، ويبدو أن هذا الاستعمال كان شائعاً ذاك الوقت، فقد ورد أيضاً فى معاهدة مكة المكرمة، بين الملك عبد العزيز والحسن الإدريسى.

أما بالنسبة لإيطاليا التى كان لها نفوذ محدود فى البحر الأحمر يومذاك، نظراً لوجود مستعمرة لها فى أريتريا والصومال وتطمع فى الحبشة، وكانت تسعى لمد نفوذها إلى شبه الجزيرة العربية، لتنافس بريطانيا فى هذه المنطقة، فقد وجدت استعداداً لدى الإمام يحيى للتحالف معها بهدف تزويده باحتياجاته من الأسلحة وكافة أنواع التجارة، وذلك منذ أن نالت اليمن استقلالها السياسى، واعترفت بها بعض الدول دولة مستقلة رسمياً، فى ١١ذو الحجة ١٣٤١هـ (٢٤ يوليو ١٩٢٣م) أثناء انعقاد الدورة الثانية لمؤتمر الصلح فى لوزان، بموجب نص المادة (١٦) و (٦٠) وأصبح من حقها عقد المعاهدات والتحالفات الدولية مع الدول الأخرى، فسعى الإمام للحصول على احتياجاته من بريطانيا، فلم يتمكن، فتقدمت

---

(١) هذه التقارير محفوظة بالأرشيف البريطانى، وزارة الخارجية، تبدأ من (F.O. 120-371-10007) ومابعده، بتواريخ مختلفة من بينها ماذكرناه أعلاه.

له إيطاليا فكانت فرصة له، حيث عقد معها معاهدة فى ٢٨ صفر ١٣٤٥هـ (٦ سبتمبر ١٩٢٦م) كانت تعتبر أول معاهدة من دولة أوربية تعترف باستقلال اليمن، منذ حصولها على استقلالها فى التاريخ المشار اليه أعلاه وعلى إثرها أمدته باحتياجاته من الأسلحة[1] التى جعلته متفوقاً على خصمه أثناء حربه مع الأدارسة. فى الوقت الذى نضب ماكان لدى الأدارسة من أسلحة غنموها من العثمانيين، كما أنها حفزته للاستيلاء على ماستولى عليه من مدن، وسواحل مطلة على البحر الأحمر، لكى يكون اتصاله به مباشراً وبعيداً عن رقابة بريطانيا، مع أن بريطانيا قد تضايقت من هذا التقارب لكنها لم تستطع منعه، مثلما منعته عن الإدريسى. المهم أن هذا التحالف مع إيطاليا قد أكسب الامام يحيى قوة، وجعله أكثر تحفزاً على تهديد الإمارة الادريسية بكاملها، ورفضه محاولات الصلح معهم، وشجعه على هذا النصر السهل الذى حققه فى فترة يسيرة، ومعظمه دون قتال وإنما بأساليب أخرى، ويقال إن إيطاليا هى التى طلبت من الامام يحيى الوقوف عند حرض، وحذرته من التقدم شمالاً[2] فى الوقت الذى شعرت فيه قواته بأن التقدم شمالاً أصبح عسيراً، نظراً لتصدى قبائل المخلاف لها، فاستقرت فى حرض. اما موقف ابن سعود من هذه الحرب، فقد كان مشغولاً بما هو أهم فى نظر المراقبين، حيث كان يعمل على ضم الحجاز إلى مملكته، وكانت بداية تحرك قواته صوب الحجاز فى

---

[1] د. سالم، المصدر السابق، ص ٢٩١-٢٩٤.

[2] د.عصام ضياء الدين، المصدر السابق، ص ٩٦.

أواخر شهر محرم ١٣٤٣هـ (أغسطس ١٩٢٤م) ونظراً لحساسية البقاع المقدسة، فقد حرص على سلامتها، وسلامة أهلها، ثم سلامة الرعايا الأجانب فى مدينة جدة، التى استغرق حصارها حوالى عام، حتى تم تسليمها يوم ٦ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ (٢٢ ديسمبر ١٩٢٥م) واستغرقت عملية الضم بكاملها حوالى ستة عشر شهراً[1] والواقع أن ابن سعود لم يكن بمنأى عن تلك الأحداث تماماً، وإنما وجدت منه اهتماماً إلى حد ما، فعند بداية تقدم القوات المتوكلية فى تهامة الجنوبية، نتيجة للصراعات العائلية فى البيت الإدريسى، بعث وفداً من قبله برئاسة محمد ابن دليم رئيس قبيلة قحطان، لإصلاح ذات البين بين الأمير علي الإدريسى، وعمه الحسن، إلا أن تزايد التوتر، واشتداد الخلافات أوقف مساعى الوفد، فظل فى جازان يراقب الوضع عن كثب حتى تمكن الحسن فى النهاية من إقصاء ابن أخيه، عندها غادر الوفد جازان عائداً إلى عسير[2] وتوافق ذلك مع وصول أحمد شريف السنوسى للوساطة أيضاً، ثم حثه للحسن الإدريسى على سرعة عقد معاهدة مع ابن سعود، لانقاذ البقية الباقية من الإمارة الإدريسية، ففوضه الحسن بالقيام بهذا الدور، فذهب إلى مكة المكرمة على رأس وفد إدريسى، وقابل الملك عبدالعزيز، وتفاوض معه بشأن تلك المعاهدة التى سبق أن أشرنا إليها، من أنها

---

(١) استولت قوات سلطان نجد على الطائف فى أول صفر ١٣٤٣هـ (سبتمبر ١٩٢٤م) وعلى المدينة المنورة، التى استسلمت فى ١٩جمادى الأولى ١٣٤٤هـ (٤ ديسمبر ١٩٢٤م) وأثناء ذلك توجهت بعض الكتائب والسرايا السعودية فأستولت على الليث، وغيرها فى الجنوب، وعلى رابغ، وينبع، والعلا فى الشمال حتى خليج العقبة.

(٢) العقيلى، المصدر السابق،ج٢، ص٧٦٠،٨٩٨،٩١٠،ومذكرات الماضى، ص٤٢،٤٣.

معاهدة حماية، وعقب توقيعها بعث الملك عبدالعزيز خطاباً بمضمونها إلى الإمام يحيى في صنعاء، بغرض الإفادة بالوضع السياسي الجديد الذي أصبحت فيه الإمارة الإدريسية. وكان ذلك بمثابة تحذير رسمي للقوات المتوكلية من التقدم شمالاً. فقد أصبحت تلك البقاع في حوزة ونفوذ أقوى حاكم في بلاد العرب في رأى المراقبين للأوضاع.

والواقع أن العلاقة بين الملك عبدالعزيز والإمام يحيى — حتى ذاك الوقت — كانت علاقة وّد واحترام متبادل، و لم يشبها مايعكر الصفو ظاهرياً. بالرغم من تماس الحدود بين الدولتين منذ عام ١٣٣٨هـ فيما هو جنوب عسير، فقد بعث الملك عبدالعزيز خطاباً إلى الإمام يحيى، إبان ضمه للحجاز، كى يطمئنه على سلامة الأماكن والبقاع المقدسة[١] وحاول الإمام الوساطة بين الملك عبدالعزيز والملك على بن الحسين[٢] إلا أن توقيع معاهدة الحماية. أوقفت طموحات الإمام يحيى. وبدأ الإحتكاك المباشر بينهما، وبداية توتر العلاقات.

---

[١] نشرت مجلة المنار نص هذا الخطاب بالمجلد ٢٦، ج٧ بتاريخ ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ (٢٤يناير ١٩٢٦م) ص ٥٤٠ للرد على جريدة المقطم التى أنكرت أن يكون ابن سعود قد أرسل خطاباً إلى إمام اليمن بهذا الخصوص، ضمن ما أرسل لحكام العالم الأسلامى.

[٢] د. سالم، المصدر السابق، ص ٣٢٤، ٣٢٧.

المهم أن بعض القبائل قامت بثورات ضد قوات الإمام رافضة حكمه، كالزرانيق، وعبس، وبعض بطون حاشد وبكيل[1] وانشغلت قواته بتهدئة الأوضاع فى تلك المناطق، وغيرها من مناطق داخلية مما صعب عليها مهمة التصدى لأى هجوم يمكن أن يرد إليهم من الشمال لاسترداد تلك المناطق. وذلك بالرغم من حصوله على أسلحة حديثة من إيطاليا عقب توقيعه معها معاهدة عام ١٩٢٦م.

أثر معاهدة الحماية

فى الوقت الذى كانت الوفود غير الرسمية تتنقل بين صنعاء وجازان، بحثاً عن حل سلمى بين الطرفين، والإمام مطمئن إلى انقياد الأدارسة إن طوعاً أو كرهاً إلى طاعته، إذا به يفاجأ بخبر معاهدة الحماية رسمياً، من قبل الملك عبد العزيز، عقب توقيعها وإشعاره بها رسمياً لإبلاغ قواده فى المنطقة بإيقاف تحركاتهم، وأتبع الملك عبد العزيز ذلك بإرسال بعض التعزيزات إلى المنطقة فى عسير، وأمر رؤساء القبائل بأن يكونوا على استعداد. فما كان من الإمام ـ بعد أن درس الموقف جيداً ـ إلا أن أمر

(1) العقيلى، المصدر السابق، ج٢،ص٩٠٢، ود.سالم، المصدر السابق، ص٣٢٨،٣٢٩،، ود.عصام ضياء الدين، ص١٠٩.

قائده في الميدان: عبد الله بن الوزير، إلى السكون والتوقف عن أية حركة، وإبقاء الوضع على ماهو عليه[1].

ولعل ماشد الانتباه، وأدخل الروع حقاً في قلب الكثيرين، هو ماجاء في المادة الأولى من معاهدة الحماية هذه، من حيث الإشارة إلى الاتفاقية التي أبرمت في عام ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م) مع الإمام محمد الإدريسي، وذلك بالقول بأن الحدود القديمة الموضحة في اتفاقية ١٠صفر ١٣٣٩هـ والمنعقدة بين سلطان نجد، وبين الإمام السيد محمد بن علي الإدريسي، والتي كانت خاضعة للأدارسة وقتئذ، هي تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، بموجب هذه المعاهدة[2] فهذا النص يعني بالنسبة للإمام في صنعاء أن القسم الجنوبي للإمارة الادريسية، من ميدى حتى جنوب الحديدة، وباجل وغيرها، تدخل ضمن الحماية، ولن يعترف الملك عبد العزيز للإمام يحيى بالاستيلاء على هذا الجزء ! .

وقد زُوّد أول وفد رسمي سعودي[3] ذهب إلى صنعاء في ١٣ذي الحجة ١٣٤٥هـ (١٤يونيو ١٩٢٧م) بصورة من تلك المعاهدة، ليطلع عليها الجانب اليمنيفتأكدت المفاجأة !.

---

[1] د.سالم، المصدر السابق، ص٣٢٨.

[2] انظر نص المادة الأولى في تلك المعاهدة، بالملحق رقم٢.

[3] كان الوفد يتكون من: سعيد بن مشيط، عبد الوهاب أبو ملحة، تركي الماضي.

وبدأت المباحثات الحدودية للحل السلمى الذى رآه الطرفان من البداية، بديلاً عن المجابهة كما ترتب على تلك المعاهدة اتخاذ بعض الإجراءات الداخلية، التى اقتضتها الظروف والوضع القائم.

ومعاهدة الحماية هذه تتكون من "١١" مادة تضمنت المادة الأولى منها استمرارية العمل بالمعاهدة السابقة الموقعة فى ١٠صفر ١٣٣٩هـ (٢٣اكتوبر ١٩٢٠م) ومن المؤكد أنه قُصِد من وراء ذلك بيان الحدود القديمة للإمارة الإدريسية التى كانت عليها عام ١٣٣٩هـ، والتى تمتد حتى جنوب الحديدة وباجل، وهذا يعنى عدم الاعتراف بما قام به إمام اليمن بالاستيلاء على ماستولى عليه من قبل، وهومن حرض حتى جنوب الحديدة.

المادة الثانية حتى السادسة، حددت صلاحيات الحسن الإدريسى فى إدارة الشئون الداخلية فقط، وفق أحكام الشرع، ودون الارتباط، أو الدخول فى مفاوضات مع أية حكومة، أو جهة أخرى، ولاإشهار الحرب، أو إبرام الصلح، أو التنازل عن أى جزء من أرض الإمارة. كما اعترفت للحسن الادريسى بحاكميته طوال حياته، ثم من بعده لمن يتفق عليه الأدارسة، وأهل الحل والعقد من أعيان البلاد ورؤسائها، وبذلك أشركت أعيان البلاد فى اختيار الحاكم الإدارى التنفيذى.

أما المادة السابعة فقد خولت الملك عبد العزيز حق دفع أيّ تعدٍّ داخلى أو خارجى يقع على الإمارة مستقبلاً، وضمناً مسئولية استرداد

ماغتصب منها، قبيل المعاهدة[1] فالحماية تشملها بحدودها القديمة التي كانت عليها عام ١٣٣٩هـ.

وبذلك أخذ امتداد النفوذ ـ بمقتضى تلك المعاهدة ـ الصبغة الشرعية وفق النظم والمواثيق الدولية المعمول بها، بالإضافة إلى مطالبات ابن سعود التاريخية، في كافة أراضي الإمارة التي كانت تمتد إليها عام ١٣٣٩هـ، عند توقيع الاتفاقية الأولى، والتي اعترف الإدريسي بها في حينها، حسبما ورد في نص المعاهدة الأولى، وابن سعود وإن تنازل عنها وقتها فما ذاك إلا لداعي الصداقة والأخوة مع الإدريسي. ولذا نراه يؤكد على هذا الحق في خطابه إلى محمد بن علي الادريسي بتاريخ ٢٥صفر ١٣٤١هـ (١٦اكتوبر ١٩٢٢م) إبان حركة ابن عايض[2] كما أشار إلى هذا الحق أيضاً الأمير عبد العزيز بن مساعد في خطابه إلى أحد أشهر رجالات الإدريسي، وهو مصطفى النعمي، بتاريخ ٤ذو القعدة ١٣٣٨هـ (١٩يوليو ١٩٢٠م) إبان حملته على عسير[3] كما كان من نتيجة تلك المعاهدة أن قام الحسن الإدريسي بإيقاف كل اتصالات ومفاوضات مع إمام اليمن، بقصد تسوية تلك القضية[4] وقام الملك عبد العزيز في ممارسة حقه بوقف الاجراءات التي أبرمها مصطفى الإدريسي، وابن عمه الحسن، مع إحدى

---

[1] انظر نص المعاهدة بالملحق رقم ٢.

[2] العقيلي، ج٢، ص٧٥٩.

[3] العقيلي، ج٢، ص٧٥٥.

[4] د.عصام ضياء الدين، ص١٠٦،١٠٧.

الشركات الانجليزية لاستغلال جزيرة "زفاف" إحدى جزر فرسان، وذلك لتجاوزاته، وعدم أحقيته في إبرام هذا الاتفاق[1] وبعث الملك عبد العزيز مندوباً سعودياً عام ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م)، للمشاركة في حل بعض المشاكل الداخلية، ومتابعة تنفيذ الأحكام الشرعية[2] وسارع ابن سعود في تنفيذ التزاماته التي نصت عليها المعاهدة، وكان من أهمها التفاهم سلمياً مع إمام اليمن على الأرض التي استولى عليها، وتحديد الحدود، فقد تغيرت الوضعية السياسية للإمارة الادريسية، وأنيطت شئونها الخارجية به.

وبالأحرى أصبحت ضمن الإطار السياسي للملكة العربية السعودية، حتى قبل أن يصدر قرار رسمي بضمها إليها، وهو الأمر الذي حدث بعد ذلك رسمياً عقب فتنة الأدريسي، حيث استوجب الوضع وقتها إصدار هذا القرار.

وعلى ضوء ذلك كانت اتصالات ابن سعود المبكرة بإمام صنعاء لإجراء مفاوضات بحثاً عن حل سلمي لترسيم الحدود بين البلدين.

---

(١) العقيلي، ج٢، ص٩٠٢،٩٠٣.

(٢) كان أول مندوب سعودي، هو:صالح بن عبد الواحد، ثم عبد الله بن خثلان، ثم حمد الشويعر، ثم فهد بن زعير، ثم أعيد الشويعر، الذي استمر حتى شارك في الحرب السعودية اليمنية عام ١٣٥٢هـ.

الفصل الثانى

مؤتمر أبها، اندلاع الحرب، الوساطة العربية، معاهدة الطائف، دراسة

لبعض محتوياتها

مؤتمر أبها

سبق مؤتمر أبها مباحثات حدودية، استغرقت فترة طويلة، اعترتها صعاب، ومنعطفات حادة، لكن الحكمة تغلبت على تلك الصعاب، وذلك منذ قدوم أول وفد رسمى سعودى[1] إلى صنعاء فى ١٣ ذى الحجة ١٣٤٥هـ (١٤يونيو ١٩٢٧م) كما تبادل العاهلان خلال ذلك الكثير من المكاتبات والبرقيات[2] وتم التوصل إلى حل كثير من المسائل والمشاكل وتخطى العقبات، ثم اتفق على حل بقية المسائل المعلقة فى مؤتمر يعقد لهذا الغرض وكانت المسائل المنحصرة لأعمال هذا المؤتمر أهمها، إبرام معاهدة

---

[1] كان أول وفد سعودى قدم إلى صنعاء فى ١٣ذى الحجة ١٣٤٥هـ (١٤يونيو ١٩٢٧م) يتكون من: سعيد بن مشيط، عبد الوهاب أبو ملحة، تركى الماضى. وكان أعضاء الجانب اليمنى يتكون من: عبد الله بن أحمد الوزير، محمد هاشم، محمد حيدر.

[2] تبادل العاهلان خلال تلك الفترة أكثر من مائة مكاتبة وبرقية.

يتم فيها تحديد الحدود بشكل تفصيلي، وسرعة ترسيمها على الطبيعة، وتشكيل لجان لهذا الغرض تقوم بأعمال الترسيم للحدود الفاصلة، ووضع أعلام عليها، كما تشمل أيضاً تنظيم علاقات الجوار بين البلدين الشقيقين، فى بعض المجالات، الأمنية، والاقتصادية، والسياسية وغيرها.

تم الاتفاق على عقد المؤتمر فى مدينة "أبها" لإنهاء المسائل المعلقة[1] ومن ثم إبرام المعاهدة المطلوبة، وعقد المؤتمر فى جو مشحون بالتوتر، والتحرشات والاستعدادات العسكرية، قبيل وصول عبد الله بن الوزير على رأس الوفد اليمنى إلى أبها فى ٢ذى القعدة ١٣٥٢هـ[2] وكان تركى الماضى قد كُلِّف بالذهاب إلى ظهران الجنوب لاستقبال الوفد اليمنى، ومرافقته حتى أبها، فسجل انطباعاته الشخصية عن ابن الوزير قائلاً: كان كعادته يتظاهر بالقوة والشجاعة، ويضع الأمور فى غير موضعها، متغطرساً متكبراً .. ومع ذلك فليس عنده إخلاص للملكين، ويُرشّح نفسه لولاية اليمن، وقد سبقت لى به معرفة، قبل هذه الآونة، حينما انتدبه

---

[1] كانت المسائل المعلقة تتمثل فى: مسألة نجران، وترسيم الحدود بشكل نهائى، العمل على كف التدخل من الجانبين، إبرام معاهدة شاملة ولمدة عشرين عاماً قابلة للتمديد إلى مالانهاية.

[2] حدد الامام رئيس مندوبيه فى مؤتمر أبها بأنه عبد الله الوزير، على رأس مجموعة من المندوبين، كما حدد الملك رئيس مفاوضيه، بصفة مبدئيه، فؤاد حمزة. انظر: بيان عن العلاقات، وثيقة رقم ١٠٧ ص١١٩، ١٢٠، ورقم ١٠٨ ص١٢٠-١٢٢، وكان ذلك فى ٢٩، ٣٠ رمضان، و لم ينعقد المؤتمر إلا فى ذى القعدة ١٣٥٢هـ، أى بعد اكثر من شهر من الموافقة على انعقاده، أما بقية أعضاء الوفد السعودى فهم: الشيخ عبد الله بن زاحم، تركى الماضى، عبد الوهاب أبو ملحة، دليم بن محمد بن دليم.

الإمام لمفاوضتنا فى صنعاء عام ١٣٤٦هـ (١٩٢٨م) ولم يكن انتدابه هذه المرة إلا دليلاً على عدم حسن النية من حكومته[1].

بدأت الجلسة الأولى للمفاوضات يوم الأثنين ٥ذى القعدة ١٣٥٢هـ (١٨فبراير ١٩٣٤م) [2] فأنكر ابن الوزير أن يكون قد تم الاتفاق على أيّ شئ من قبل، لا الحدود ولاغيرها .. وأخذ يجادل فى كل مايطرحه الوفد السعودى مما سبق الاتفاق عليه، سواء من قبل وفود الطرفين، أو عن طريق تبادل البرقيات بين العاهلين، أو اتفاق العرو، أو المعاهدة التى عقدت وقتها وغير ذلك من اتفاقات. ظل يجادل بتصلب وعناد فى كل مايطرحه الوفد السعودى، ويهدد بالانسحاب، واعتراه نوع من الحمق والنزق، والغطرسة البالغة الحد، فى الوقت الذى يحاول الوفد السعودى التلطيف من حدته ونزقه، ومناقشة المواضيع بهدوء، واستمر الاجتماع من الساعة العاشرة صباحاً حتى المغرب، تخللته ساعات راحة يسيرة للصلاة وغيرها، دون الوصول إلى نتيجة، وانفض الاجتماع على أن يعقد يوم الأربعاء ٧ذى القعدة. ورفع الوفد السعودى تقريراً إلى الملك فى اليوم التالى ٦ذى القعدة، فأجاب الملك عليهم ببرقية مؤرخة ٧ذى القعدة ١٣٥٢هـ، جاء فيها: .. إن ماأظهره ابن الوزير من النزق لم يكن فألاً حسناً للمستقبل، وأنتم سيروا معه سيراً حسناً موافقاً، قابلوا اللين بمثله،

---

[1] مذكرات تركى الماضى، ص٢٠٥، والعقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص١٠٩٤،١٠٩٥.

[2] سبقها جلسة كانت لمجرد التعريف والترحيب يوم ٢ذى القعدة، ولم يتم فيها التطرق إلى شئ من المواضيع المحددة، لذا فإن الجلسة الثانية يوم ٥ذى القعدة، تعتبر هى الجلسة الأولى للمفاوضات الرسمية.

والشدة بمثلها لكن بأدب، وأخبروهم بأن الشدة لاتُعزّ يحيى ولا تُذلّنا، وإنما تعرقل المساعى السلمية. فإن كان المقصود من قدومهم الصلاح وحفظ الحقوق، فذلك هو المطلوب، إن كان الأمر غير ذلك فلا يأسف إلا فاعل السوء .. أملي فى إصلاحهم ضعيف، حالاً أمرت جنودى بالاستعداد فإن حصل الصلاح فالاستعداد مابه نقص، وإن كان غير ذلك فلا حول ولاقوة إلا بالله، أما السلم فنحن نحبه، ونقدمه على كل شئ[1].

ثم عقدت بعد ذلك أربع جلسات[2] دار فيها أيضاً نقاش طويل، ولم تسفر عن شئ إلا عن تراجع يسير من ابن الوزير، ثم توقفت المفاوضات على أن يرفع كل وفد إلى مرجعه بما تم خلالها.

وأثناء الاجتماعات بعث الملك إلى وفده برقية فى ١٧ذى القعدة، زوده فيها بكل المعلومات التى يدّعى وفد الإمام، أنه تم الاتفاق عليها من قبل، وخاصة نجران، موضحاً مادار بينه وبين الإمام بشأنها، ومستشهداً بالأدلة التاريخية على تابعية نجران، فى السابق واللاحق لنا (للسعودية) منذ عهد الدولة السعودية الأولى قائلاً فى البرقية: .. ونأخذ منهم الزكاة، وأن الإمام لما قاتل قبائل عبس والزرانيق لم يستفتنا فيهم لأنهم رعاياه، لكنه سألنا عن تأديب يام عندما أراد تأديبهم، لأنهم محسوبون علينا. وقد ظننا

---

[1] يبان عن العلاقات، وثائق أرقام: ١٢٤،١٢٥،١٢٦، ص١٣٤-١٣٨، والعقيلى، المصدر السابق، ص١٠٩٤،١٠٩٦.

[2] عقدت الجلسة الثانية للمفاوضات يوم الأربعاء ٧ذى القعدة، والثالثة يوم السبت ١٠ذى القعدة، والرابعة يوم الاثنين ١٢ذو القعدة، والأخيرة يوم الأحد ١٨ذى القعدة (٣مارس ١٩٣٤م).

وقتها أنه استفتاء أخ لأخيه، و لم نظن أن وراء الغطاء شيئاً مخبوءاً، وأن هناك أمراً دُبر بليل، و لم نسكت وإنما أرسلنا وفداً إلى صنعاء لحل المشكل، فقوبل بالإهمال والاضطهاد ..الخ[1].

اتصف تبادل البرقيات بين العاهلين، عقب توقف مفاوضات أبها، بنوع من الحزم والحسم من جانب الملك، والكثير من الليونة الممتزجة بالمراوغة من جانب الإمام، ولمدة شهر تقريباً، وقد حدد الملك النقاط التى ينبغى على الإمام البتّ فيها عاجلاً: (١) إخلاء الجبال (فيفا والعبادل وغيرها) وإطلاق رهائنهم، وتحديد الحدود بمعاهدة شاملة، حسبما تم الاتفاق عليه من قبل. (٢) تسليم الأدراسة، أو إبعادهم بالمحل الذى اتفق عليه سابقاً "زبيد" (٣) عدم المساومة فى نجران، بأى حال. فإما أن يكون محايداً، وإما أن يعود الوضع فيها على ماكان عليه سابقاً، ماتحت أيديكم لكم، وماتحت أيدينا لنا. فأهل وادى نجران تحت أيدينا، وكذا "هدادة" و"بدر" و"حبونة" وغيرها، وفى برقية من الملك للإمام بتاريخ ١٦ذو الحجة ١٣٥٢هـ، جاء فيها: .. نحن قد لُدغنا من قِبلكم، فلا نحب أن نلدغ زيادة على ماتقدم، وقد مضى عليّ أكثر من سنة، وأنا أجادل أهل نجد دونكم إلى أن نفد صبرى وصبرهم، وتعدياتكم متكررة لم تقف عند حدّ[2]. وكانت آخر برقية من الملك إلى الإمام بتاريخ ١٧ذى الحجة ١٣٥٢هـ (أول أبريل ١٩٣٤م) وآخر برقية من الإمام بتاريخ ١٩ ذى

---

[1] بيان عن العلاقات، ص١٤٧-١٤٩، والعقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص١٠٩٨-١١٠٠.

[2] بيان عن العلاقات، وثيقة ١٤٦ ص١٦٦،١٦٧.

الحجة ١٣٥٢هـ طلب في نهايتها عودة ابن الوزير إلى صنعاء[١] وكان رئيس الوفد السعودي قد تبادل مع رئيس الوفد اليمني بعض المكاتبات أثناء توقف المفاوضات، لعل أهمها ماكان من رئيس الوفد اليمني بتاريخ ٢٣ذي القعدة ذ٣٥٢هـ، والإجابة عليه من رئيس الوفد السعودي، حيث فنّد فيه جميع مزاعم ابن الوزير، تاريخياً، ومنطقياً، وعرفياً، بصورة جيدة[٢].

أراد ابن الوزير والوفد المرافق له العودة من أبها إلى اليمن عن طريق البر، فأخبره الوفد السعودي بأن الطريق محفوف بالمخاطر، نظراً لانتشار الجنود به، فأصر على رأيه، فأبلغوا الملك، فكتب إليهم أن يمنعوه عن السفر براً خوفاً على حياته، وأن يعرضوا عليه السفر عن طريق البحر من جدة، فرضخ بعد مجادلة، وذهب مع الوفد من أبها إلى مكة المكرمة، هو ومن معه، وقابلوا الملك هناك، ثم أقاموا في ضيافته بمكة المكرمة، ولم يفكر في السفر، لأن الحرب كانت قد اندلعت[٣].

---

[١] بيان عن العلاقات، وثيقة رقم ١٤٨،١٤٩ ص١٦٧-١٧٠.

[٢] بيان عن العلاقات، وثيقة رقم ١٦٢،١٦٣، ص١٩٠-١٩٩.

[٣] مذكرات الماضي، ص٢٢٦،٢٢٧، وبيان العلاقات، ص١٧٠.

وقبل أن نترك مرحلة المفاوضات، التي تجاوز مداها سبع سنين[1] ووقعت خلالها أحداث ووقائع متعددة، كانت إحداها كفيلة باندلاع الحرب في حينها، لكن حكمة الملك عبد العزيز، وسعة صدره، ثم أسلوب الليونة من الإمام، دفع الملك إلى عدم اليأس من الحل السلمي، وحال بينه وبين الرد على العدوان بمثله، في وقته .. قبل أن نترك هذه المرحلة المليئة بالأحداث، نود أن نشير إلى نقطة تعتبر في رأي الشخصي مهمة بالنسبة لوصول المفاوضات إلى طريق مغلق، وإلى بداية النهاية لفترة التوترات.

إذا كان الإمام يحيى قد لعب الدور الأساسي، بصورة ظاهرية، في فشل هذه المفاوضات، نظراً لأساليبه الملتوية، ومخالفة القول للفعل، فإن هناك أيدٍ خفية مختلفة، كان لها أثر فعال في دفع الإمام للقيام بهذا الدور، من بينها:

- ابنه، وليّ عهده، سيف الإسلام أحمد، الشاب المتحمس لدرجة التهور، فقد أراد إثبات كفاءته مبكراً في خلافته لأبيه، وأنه الأجدر بها من بين إخوته، خاصة بعد أن خلت له الساحة بوفاة أخيه، الذي كان ينافسه الحماس، بل كان يفوقه فيه، محمد البدر، الذي استُشهد غريقاً أمام

---

[1] بدأت بسفر أول وفد سعودي إلى صنعاء أواخر ذي القعدة ١٣٤٥هـ، وتوقفت بعد تبادل آخر برقيتين بين الملك والامام في ١٧، ١٩ذي الحجة ١٣٥٢هـ، عقب فشل مؤتمر أبها. فتكون المدة التي استغرقتها تلك المفاوضات بما فيها تبادل البرقيات، هي سبع سنين، وسبعة عشر يوماً.

الحديدة عام ١٣٥٠هـ، وهو ينقذ أحد الغرقى. وكان ولي العهد قد أحس بأن حماسه هذا قد أعجب أباه، فتمادى فيه إلى الدرجة التى أصبح فيها يملى بعض آرائه فى شئون الدولة على أبيه، ومن بينها إثارة المشاكل على الحدود، واقتناص أجزاء من أرض الخصم، وتولى القيادة فى "صعدة" لهذا الغرض، بينما أخوه الذى يليه مرتبة ـ بعد وفاة محمد البدر ـ وهو ابراهيم ابن يحيى، كان متزناً ورزيناً، ولم تعجبه بعض تصرفات أبيه وأخيه وليّ العهد، وأبدى نوعاً من التمرد على تصرفاتهما، فما كان من والده إلا أن أودعه السجن، مخافة أن يجاريه بعض الرعية فى معارضته، لكنه بعد فترة استطاع الهرب من سجنه، وذهب إلى عدن وانضم إلى جبهة المعارضة ضد أبيه وأخيه[1].

- بعض حاشية الإمام وكبار رجال دولته، ممن لهم مآرب خاصة، فى استمرارية هذا الوضع، بل السعى فى توسعة شقة الخلاف بين الدولتين، للمزيد من الاستفادة، وذلك أمثال: عبد الله بن الوزير، وغيره، حيث أظهرت الأيام مدى العداوة التى كان يكنها للإمام، حين تزعم مؤامرة للقضاء على الإمام، وقدر لها أن تنجح يوم ١٣٦٧/٤/٧ هـ (١٩٤٨/٢/١٧م) ونصّب نفسه إماماً على اليمن، وطالب الدول العربية تأييده ومؤازرته، لكن وليّ العهد أحمد بن يحيى تدارك الموقف بسرعة، والتفت حوله القبائل، واستطاع القضاء على المؤامرة[2] وكان للملك عبد

---

[1] د. سالم، المصدر السابق، ص٤٧٥.

[2] الجرافى، المصدر السابق، ص٣٣٣-٣٤٠.

العزيز موقف مشرف، فلم يعترف بابن الوزير إماماً على اليمن، وقدم إلى الرياض وفد أرسله ابن الوزير للملك يطلب دعمه، فقال الملك للوفد: .. أنتم أيها الناس قَتَلةً .. اتركوا بلادى!.[1] وهذا منتهى الوفاء .. فالخصومة بينهما كانت قد زالت، وحلّ محلها الإخاء والصداقة والمحبة .. فكان التأثر لمفارقته الحياة فى وضع غير طبيعى .. وكان الوفاء له حيّاً وميتاً.

بعض هؤلاء الملتفين حول الإمام حسنوا له فكرة إحياء اليمن الكبرى، التى استوحوها مما تقوم به حليفتهم ايطاليا ذاك الوقت، من إحياء أمجاد الدولة الرومانية، فالإمام لم تكن لديه فكرة واضحة عنها، بدليل ماذكره أمين الريحانى، حين سأله عن حدود اليمن، فقال: إنه لايعرف منها غير الحدود القديمة، التى كانت تشمل حضرموت، وعمان[2] وكان قد زاره عام ١٣٤٠هـ (١٩٢٢م) وهى فكرة لايسعفها السند التاريخى، أو الجغرافى، وتتنافى مع استقرار الأوضاع السياسية للدول فى العصر الحديث[3] وماأوردناه من شواهد تاريخية وسياسية وغيرها فى هذه الدراسة، يفنّد هذه الفكرة.

---

[1] د.سالم، المصدر السابق، ص٤٧٩.

[2] ملوك العرب، ص١٣٤،١٣٥.

[3] فى ثنايا هذا الكتاب الأدلة المناقضة لهذه الفكرة، وانظر أيضاً كتابنا "مطالعات فى المؤلفات التاريخية اليمنية، ص١٦٩-١٨٧ وغيرها.

لقد أقر المجتمع الدولى، عقب الحرب العالمية الأولى، تسليم أملاك الدولة العثمانية فى شبه الجزيرة العربية، إلى أهل البلاد، وعلى هذا الأساس قام العثمانيون بتسليم الإمام ماكان بحوزتهم من المناطق الجبلية فقط، بما فيها صنعاء، لأن أحقيته لاتتجاوز منطقة الجبال، وقد كان ذاك الوقت حليفهم وصديقهم، فلو كانوا واثقين من أحقيته لغيرها لَسلّموها له، أو ساعدوه فى تسلُّمها، لاسيما وأن آخر الولاة العثمانيين، محمود نديم باشا، فضّل البقاء للعمل فى خدمته، على العودة إلى بلاده، غير أن الإمام تفتحت شهيته بعد ذلك للاستحواذ على أكبر مساحة من الأرض رافعاً شعار "اليمن الكبرى" الذى لاأساس له تاريخياً وجغرافياً، ووفق المعايير الدولية لإنشاء الدول فى العصر الحديث .. هذا بالإضافة إلى قيام هؤلاء من ذوى الأغراض بمحاولات اقناع الإمام بأن الملك ليست لديه القدرة على الدخول فى الحرب، ولا الاستمرار فيها، وأن حالته هذه هى التى دعته لعدم الرد على تحركاتهم فى الجبال.

– قامت إيطاليا بدور بارز فى تشجيع الإمام يحيى على التصدى للملك عبد العزيز، وسعت فى إشعال العداء بينهما، بما كانت تشيعه من أكاذيب واختلاقات عن نوايا الملك، وأمدت الإمام باحتياجاته العسكرية وغيرها، بهدف انتزاع تهامة (جازان) بأية وسيلة، فقد كانت تطمع فى جزيرة فرسان مقابل وقوفها بجانب الإمام، وتبنت وجهة نظر الإمام فى مفاوضاتها مع بريطانيا بروما عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٧م) وفى كثير من المواقف.

- كما كان للأدارسة والنازحين ـ لأى سبب كان ـ إلى صنعاء من تهامة (حازان) الدور الذى لايقل أهمية عن غيره، من حيث توسعة شقة الخلافات بين الملك والإمام، ويكفى أن أحد هؤلاء كان ضمن أعضاء الوفد اليمنى، خلال الجولة الثانية من المفاوضات فى صنعاء عام ١٣٤٦هـ[1] ثم إن دور الأدارسة فى تأليب القبائل، وإحداث الاضطرابات، وتهريب الأسلحة إلى أيدى تلك القبائل، وحثهم على الثورة، كل هذا وغيره معروف، وذكر بعضه فى مكاتبات الملك للإمام.هؤلاء جميعا وغيرهم، ممن لايهمهم إراقة دماء المسلمين هنا أو هناك، بقدر مايهمهم تحقيق مصالحهم الشخصية، نشطوا لتبديد الحل السلمى وتوسيع الخلافات، حتى حلّت الفاجعة التى روّع المسلمون فى الأقطار العربية من أحلها ذاك الوقت .. وعندها اختفى هؤلاء، وأصبح الإمام هو المسئول أولاً وأخيراً، وتبددت نداءاته للعالم العربى، مع دويّ صوت البنادق والمدافع على إثر إندلاع الحرب، لأنه لم يتخذ القرار المناسب فى الوقت المناسب، وظن أن المراوغة تجدى إلى مالانهاية!!.

[1] وهو محمد حيدر النعمى، من أهل الملحا، ومن علماء الزيدية، وكان هو وأحمد الأهدل وغيرهما لايكفان عن تحريض الامام، انظر: مذكرات الماضى، ص٥٤،٥٥.

سبق تعبئة وحشد قوات كلا الطرفين على الحدود، وتركزت المواجهة فى جبهتين، إحداهما: الجبهة الشرقية بنجران وعسير فى مواجهة صعدة والقوات المتوكلية التى تحتل الجبال بجنوب عسير (فيفا وبنى مالك والعبادل) وأجزاء من نجران، وتولى قيادة القوات السعودية فى هذه المنطقة الأمير (الملك) سعود بن عبد العزيز، وليّ العهد، وتحت رئاسته كل من: الأمير فيصل وأخيه فهد بن سعد بن عبد الرحمن، والأمير خالد بن محمد عبد الرحمن، وبعض القواد الآخرين، واتخذ "أبها" مقراً لقيادته، وفى المقابل بالجبهة اليمنية، فإن وليّ العهد، سيف الاسلام أحمد بن يحيى، كان يقود هذه الجبهة، متخذاً من "صعدة" مقراً له، أما الجبهة الثانية، فكانت بمنطقة تهامة (جازان) والساحل، وتولى القيادة فيها الأمير (الملك) فيصل ابن عبد العزيز، نائب الملك فى الحجاز، وتحت رئاسته قواد الجيوش فى المنطقة، كحمد الشويعر، وابن سلطان، وابن السبهان، وعبد الله الخثلان وغيرهم. وكان مركز القيادة فى "صامطة" ثم انتقل إلى بلاد "بنى حُمّد" قرب الحدود مباشرة، وفى المقابل على الجبهة اليمنية، كانت القيادة قد اتخذت من بلاد "عبس" مقراً لها، ومعها قوات كثيرة، تتقدمها قوات تعسكر بالقرب من الحدود، فى ميدى، وحرض، والمناطق التى استولت عليها من قبل فى جبال بنى مالك وغيرها. وكان القائد للقوات المتوكلية فى هذه الجبهة هو عبد الله بن الوزير، فلما استدعى للمفاوضات فى

أبهـا، تـولى القيـادة مكانـه شـخص آخـر، ثـم القـاضى عبـد الله العرشـى، هـذا بالاضافة إلى كـل مـن الحسـن وعبـد الوهـاب الإدريسـى.

وكـان هـدف الملـك عبـد العزيـز مـن إعـلان الحـرب، هـو الدفـاع[1] بمعنى استعادة الأراضى التى استولت عليها قوات الإمام، فى الجبال (فيفا وغير) ونجران. وجَعْل الإمام فى موقف يقبل فيه التسليم بالمسائل التى قتلت بحثاً من قبل، ودون مراوغة هذه المرة، ولذا فإن استرداد الأراضى من القوات المتوكلية كان الهدف الأول، وأما الثانى فهو جعل الإمام فى موقف يرضخ فيه للاعتراف والتوقيع على ماتم بحثه من قبل، وهذا لايتم إلا باحتلال جزء من أرض اليمن، لالضمها إلى مملكته، وإنما لترجيح كفته بها، وإرغام الإمام على ترك المراوغة والمماطلة، والبتّ فى المواضيع المعلقة فوراً دون إبطاء أو تسويف.

ولما كان هدفه هو الاستيلاء على جزء يرجح به كفته، ويدفع الإمام إلى القبول والتسليم، وليس الاستيلاء بغرض الضم إلى مملكته، فليكن هذا الجزء فى أرض تهامة الجنوبية، المنبسطة السهلة، التى تعوّد أهل المخلاف وعسير وأهل نجد الانطلاق إليها من قبل، فى عهد الدولة السعودية الأولى، أما المناطق الجبلية من اليمن فى مقابلة نجران وعسير،

---

[1] حدد الملك فى اكثر من مكاتبة للإمام، بأنه إذا فشل الحل السلمى، سنضطر إلى الدفاع عن بلادنا، وكرامتنا، ومن ذلك آخر برقية بعثها الملك إلى الامام بتاريخ ١٧ذى الحجة ١٣٥٢هـ (١أبريل ١٩٣٤م) وثيقة ١٤٨، بيان عن العلاقات، ص١٦٧، وقد جاء فيها: .. مضى علينا عدة أشهر، والعدوان يتمادى علينا، ولم تجدنا جميع المراجعات فائدة، ولم يكن لنا مندوحة عن الدفاع الذى أمرنا به.. ألخ.. وكانت بمثابة الأنذار الأخير.

فستكون مكلفة من حيث الأرواح والمعدات، وطالما أنه سيتركها، ويعيدها للإمام بعد توقيع الاتفاقات إذاً فلاداعى لتلك التكلفة، ولذا كانت تعليماته إلى ولى عهده سعود، قائد هذه الجبهة :العمل على طرد قوات الإمام من نجران، وعدم التوغل فى المنطقة الجبلية، إلا بالقدر الذى يحمى القوات السعودية فى نجران ــ أما جبهة تهامة والساحل، فتتقدم حيث شاءت، ووفق الظروف، مالم يصدر لها أمر بالتوقف وعلى ألاتتجاوز الحديدة.

أصدر الملك عبد العزيز ـ قبل الموعد المحدد بخمسة أيام ــ أمره إلى ولديه: سعود، وفيصل، باتخاذ الأهبة ورفع درجة الاستعداد القتالى إلى أقصى درجة، محدداً لهم ساعة الصفر لبدء الزحف عقب صلاة فجر الثلاثاء ١٨ذى الحجة ١٣٥٢هـ (٢أبريل ١٩٣٤م) مالم يُصدر لهما قبل ذلك أمراً بالتوقف، وعليهما إبلاغ القواد تحت رئاستهما بابلاغ الأمر فى الوقت الملائم للاستعداد للزحف .. وتصادف أن قامت عاصفة جوية ترابية، لمدة ثلاثة أيام، عطلت الاتصال بين الملك والقيادة فى الجبهات، وحان الموعد المحدد لبدء الزحف، فانطلقت القوات كل منها فى الجبهة المحددة لها. وقاد الأمير محمد بن عبد العزيز قوة احتياطية لدعم ماتحتاجه الجبهتان من قوات أو معدات.

كانت مهمة الجناح الشرقى للجيش السعودى، الذى يقوده الأمير سعود، تتركز فى: (١) العمل على الاستيلاء على مابحوزة القوات المتوكلية من أراضى نجران. (٢) تطويق القوات المتوكلية الموجودة فى

الجبال (فيفا، وبنى مالك والعبادل) والتحكم فيها، ومنع الامدادات عنها، ومن ثم مهاجمتها حين يشتد عليها الحصار بغرض الاستسلام. (٣) التحكم فى المنطقة التى بين صعدة ونجران، وبينها وبين جبال فيفا، وتهديد صعدة نفسها.

عند حلول ساعة الصفر تحرك القسم الأكبر من قوات الأمير سعود فاستولى على ماكان بيد القوات المتوكلية من أرض يام بنجران فى ٦محرم/٢١أبريل، وطاردت القوات المنهزمة إلى ماوراء بلدة الحضن[1] آخر حدود نجران من جهة اليمن، ولم يبق إلا قاعدة واحدة فى الجنوب الشرقى فى يد القوات المتوكلية. وتقدمت مجموعة من الجيش يقودها الأمير فيصل ابن سعد، وأخوه فهد، فاحتلت بلدة "باقم" وبلاد بنى جماعة، وقطعت بذلك خط الرجعة عن القوات المتوكلية فى نجران، كما تقدمت مجموعة أخرى يقودها الأمير خالد بن محمد فطوّق القوات الموجودة بالجبال (فيفا والعبادل وغيرها) من جهة الشرق والجنوب، وظلت فى مناوشات معها. ومنعتها صعوبة الجبال ووعورتها من التقدم. فأحكمت الحصار عليها. ونقل الأمير سعود مقر قيادته العليا من أبها إلى داخل أرض اليمن مما يلى الحماد بين "بقعة ونشور" جنوب "باقم" وشمال صعدة[2].

---

[1] أوردها د.عصام، المصدر السابق، ص٨٢٥ باسم "المحض" وأوردتها د.الخترش، المصدر السابق، ص٢٣٥ باسم "المحصن" ونقلناها هكذا، عن فؤاد حمزة، فى بلاد عسير، ص١٩٠ كما وردت هكذا فى نص معاهدة الطائف.

[2] د.الخترش، المصدر السابق، ص٢٣٤،٢٣٥، ومجلة الفتح العدد ٣٨٩ بتاريخ ١٣٥٢/١٢/٢١هـ، والعدد ٣٩١ بتاريخ ٥محرم ١٣٥٣هـ، والعدد ٣٩٣ بتاريخ ١٩محرم ١٣٥٣هـ، ومذكرات الماضى، ص٢٢٦.

أما جبهة الساحل وتهامة، فقد تقدمت فيها القوات فى زحف متواصل، ولم تجد مقاومة إلا فى "حرض" وعندما استولت عليها، إنهارت بقية القواعد والتجمعات المتوكلية بتهامة اليمن، وأُسر عامل ميدى القاضى عبد الله العرشى، واستسلمت البلدان واحدة بعد الأخرى حتى بلدة الطائف جنوب الحديدة بمسافة ١٢ ميلاً، وباجل بالشرق، وأقبل مشايخ تهامة الجنوبية، ورؤساء قبائلها يعلنون الطاعة والولاء، ويطلبون الأمان، من الأمير فيصل بن عبد العزيز، فقد كانوا يظنون أن بسط النفوذ السعودى سيستمر عليهم، وهم شوافع عانوا الكثير من الحكم الزيدى خلال السنوات التسع الماضية، منذ اقتطع الإمام هذا الجزء من المقاطعة الإدريسية، وكان الحكم الزيدى وقتها مازال متعصباً فى إدارته، وإن كانت قد خفت تلك العصبية شيئاً فشيئاً فيما بعد، لكى يقبله جميع طوائف الشعب اليمنى، بمختلف مذاهبهم واتجاهاتهم العقدية والسياسية.

وتحت الضغط العسكرى توالى انسحاب أو استسلام عمال الإمام وقواده فى تهامة، وكان من بينهم سيف الإسلام الحسين[1] أحد أبناء الإمام يحيى، حيث غادرها إلى صنعاء فى ١٤ محرم ١٣٥٣هـ (٢٩أبريل ١٩٣٤م) قبل أن تصلها القوات السعودية. كما غادرها قائد الحامية العسكرية سليم بك إلى جزيرة كمران، وتفرق جنود الحامية النظامية البالغ عددهم ٦٠٠ فرد فى الجبال، وخشى العديد من الأهالى من سطوة الجيش

---

[1] فى بعض المصادر أورد أن اسمه "عبد الله" لكن الصواب "الحسين" قتل بيد المتآمرين يوم مقتل والده فى ٧ربيع الثانى ١٣٦٧هـ (١٦فبراير ١٩٤٨م).

القادم ففر كثير منهم إلى الجبال، وبعضهم إلى جزيرة كمران، وعمت الفوضى المدينة، فاندفعت بعض القبائل المجاورة لتزاول مهنتها في السلب والنهب، فاقتحموا مستودعات الحكومة وسلبوا مافيها من بضائع، وأسلحة وذخيرة، وتعرض قصر الحكم للنهب، وقام بعض وجهاء البلد بمحاولات السيطرة على الموقف، ومنع امتداد أعمال السلب إلى متاجر الأهالى وبيوتهم، وأرسلوا إلى الأمير فيصل بن عبد العزيز، وكان مايزال فى اللحية، يطلعونه على الموقف، ويطلبون سرعة حضوره لتأمين البلد والأهالى، فبعث كتيبة محمولة على السيارات، لتصل بسرعة، كطليعة للجيش الزاحف، بغرض تأمين البلد والأهالى.

كانت بريطانيا وايطاليا وفرنسا، تراقب الصراع الدائر على حذر، وأرسلت كل منها قوة بحرية ربضت فى ميناء الحديدة، وكانت بريطانيا أسرعهم فى الوصول إلى الميناء ببعض قواتها البحرية، وقامت طائراتها بعدة طلعات جوية استكشافية صباح ١٨محرم ١٣٥٣هـ (٣مايو ١٩٣٤م) واستطاعت إنزال بعض قواتها صباح اليوم الثانى إلى المدينة بحجة تأمين رعاياها. قبل وصول طلائع القوات السعودية، وفور وصول تلك الطلائع السعودية، قامت بضرب حصار حول المدينة لتأمينها من المتسللين، واتصلت بكبار الموظفين والأهالى وطمأنتهم، وأبلغت الأمير فيصل بالوضع، وكان يتحرك وقتها من اللحية فى طريقه إلى الحديدة، كما أبلغته بوجود السفن للدول الثلاث فى ميناء الحديدة، ونزول بعض القوات البريطانية إلى الشاطئ، فأبرق إلى جدة، لتقديم احتجاج إلى ممثلى هذه

الدول، لتسحب قواتها. ثم وصل الأمير فيصل إلى الحديدة يوم ٢٢محرم/٥مايو. فطمأن الأهالى، وأمنهم على أرواحهم وأموالهم، وطلب من الموظفين مزاولة عملهم اليومى دون توقف.

وفى اليوم التالى لوصوله ٢٣محرم/٦مايو، علم بأن إيطاليا تحاول إنزال بعض جنودها على الشاطئ فأمر باطلاق النار كنوع من التحذير، فتوقفوا، ثم اتصل بقادة هذه القوات الثلاث، وطلب منهم سحب قواتهم من الميناء، وأن تأمين رعاياهم ومصالحهم أصبحت من مسئولية السعودية، كما أن مايدور هو خلاف بين العرب بعضهم وبعض وسوف يقومون بتسويته بأنفسهم دون تدخل من أية دولة أجنبية[1] وعلى هذا سحبت بريطانيا قواتها من المدينة، وبعث الأمير فيصل إلى النازحين من أهل المدينة إلى جزيرة كمران بالعودة لمباشرة عملهم وممارسة حياتهم اليومية فى أمان، كما بعث الملك عبد العزيز وزير المالية عبد الله السليمان، ومعه

---

[1] مالخصناه بايجاز عن وقائع هذه الحرب، انظره مفصلاً فى: العقيلى، المصدر السابق، ج٢،ص١١١٤-١١٣٨، ود.عصام ضياء الدين، المصدر السابق، ص٢٧١-٢٨٦، ود.فتوح الخترش، المصدر السابق، ص٢٢٩-٢٣٣، وأمين سعيد، المصدر السابق، ص٣٧٤-٣٧٩، ود.سالم، المصدر السابق، ص٣٧٩-٣٨٢، والزركلى، المصدر السابق، ص٦٠٣، وجريدة الأهرام العدد ١٧٧١٧ بتاريخ ٢محرم ١٣٥٣هـ، والعدد ١٧٧٤٣ بتاريخ ١٩محرم ١٣٥٣هـ (١٩٣٤/٥/٣م) وصحيفة أم القرى الأعداد الصادرة فى ذى الحجة ١٣٥٢إلى صفر١٣٥٣هـ، وغيرها من وثائق عربية، وأجنبية.

ولوحظ أن كثيراً من المؤلفات اليمنية، وبالأخص تاريخ كل من الواسعى، والجرافى، لم تتعرض لوقائع هذه الحرب، ومانتج عنها.

مجموعة من الموظفين، ورجال الشرطة، لتنظيم الأجهزة الإدارية والمالية في المدينة.

وإزاء تدهور الموقف العسكرى للقوات المتوكلية فى الأيام العشر الأولى من بداية الحرب، لم يجد الإمام مفراً من الاستسلام وطلب الصلح، فبعث برقية إلى الملك بتاريخ ٢٨ذى الحجة ١٣٥٢هـ (١٢أبريل ١٩٣٤م) جاء فيها: .. كفى ماقد كان، ونعوذ بالله من شرور المتربصين بالإسلام الدوائر، لتحقيق مطامعهم، وبلاد يام تحت حكمكم، وقد أمرنا برفع جندنا من بلاد نجران، وتفضلوا بطلب السيد/عبد الله بن الوزير إلى حضرتكم لإكمال المعاهدة الأخوية[1] .. لكن الملك لم يستجب مباشرة لوقف الحرب، خشية من أساليب المراوغة التى عانى منها، فركز على ضرورة الهيمنة على جزء من الأرض، تكون وسيلة ضغط لتنفيذ الأمور المعلقة، والتى كانت مجال مراوغة. لذا واصلت قواته زحفها بعد تلقى هذه البرقية، دون أن يعطيها أمراً بالتوقف، ووطدت أقدامها فى المناطق التى استولت عليها .. وخشى الإمام أن تواصل القوات السعودية زحفها إلى صنعاء، فأبرق إلى الملك مبدياً استعداده لقبول شروطه، ومطالباً

---

[1] د.فتوح الخترش، المصدر السابق، ص٢٣٣، والعقيلى، المصدر السابق، ج٢،ص١١١٥، ومجلة الفتح، العدد٥٩١، ٥محرم ١٣٥٣هـ (٢٠ابريل ١٩٣٤م).

بايقـاف الحـرب فـى الحـال، وراجيـاً مـن الملـك طلـب عبـد الله بـن الوزيـر لتوقيـع معـاهدة سـلام وصداقـة بينهمـا[1].

استدعى الملـك عبـد العزيـز إلى مجلسـه بقصـره فـى الطـائف عبـد الله بـن الوزيـر، وكـان هـو وكافـة أعضـاء الوفـد اليمنـى يـنزلون فـى ضيافتـه بمكـة المكرمـة، وعنـد حضـوره، أطلعـه على برقيـة الإمـام، ثـم تنـاول ورقـة وكتـب بخـط يـده الشـروط المطلوبـة، وهـى: (١) تسـليم الأدارسـة. (٢) الانسـحاب مـن نجـران (بمعنـى لامطالبـة إلا بمـا ينـص عليـه فـى المعـاهدة). (٣) الاعـتراف بـالحدود التـى سـبق بحثهـا، وإبـرام معـاهدة بذلـك. ثـم سـلمها إلى عبـد الله بـن الوزيـر، فاسـتأذن مـن الملـك للإبـراق إلى الإمـام، فـأذن لـه، وبعـد سـاعات وصلـت موافقـة الإمـام، فـأصدر الملـك أمـره إلى القـواد فـى الميـدان بـالتوقف عن الحـرب، وأن يظـل كـل فـى مكانـه لحـين إصـدار تعليمـات أخـرى، وأصـدر أمره بتشـكيل وفـد المملكـة للمفاوضـات برئاسـة الأمـير (الملـك) خـالد بـن عبـد العزيـز، وبـدأت فـوراً فـى اجتماعاتهـا، لوضـع نصـوص "معـاهدة الطـائف"[2] التى نص فيهـا علـى أنهـا معـاهدة صداقـة إسـلاميةوأخوة عربيـة بـين الدولتـين.

---

[1] د. فتوح الخترش، المصدر السابق، ص٢٤٥، وجريدة الفتح، العدد ٣٩٥، بتاريخ ٤صفر ١٣٥٣هـ (١٧مايو ١٩٣٤م).

[2] لوحظ أن د.سالم، المصدر السابق، وضع هامشاً عند كلمة "الطائف" وقال إن الطائف التى جرت فيها مفاوضات الصلح والمعاهدة هى الطائف الواقعة جنوب الحديدة، وليست الطائف الشهيرة التى بالحجاز؟!. ولاندرى كيف فاته ذلك؟!.

أعلنت الهدنة فى ٣٠محرم ١٣٥٣هـ (١٣مايو ١٩٣٤م) وأصدرت الخارجية السعودية بلاغاً جاء فيه: بناء على قبول الإمام تسليم الأدارسة، وإخلاء الجبال، وتسليم رهائنها، بدأت مفاوضات الهدنة، وقد أمر الملك عبد العزيز جيوشه بالتوقف فى الأماكن التى احتلتها، وتوقف القتال فى سائر الجبهات، للدخول فى مفاوضات الصلح[1] التى عقدت أولى جلساتها يوم ١صفر ١٣٥٤هـ، (١٥مايو ١٩٣٤م)[2].

وقبل أن ننتقل إلى استعراض بعض نصوص المعاهدة، لنا وقفة مع بعض المؤرخين الذين يحاولون تحليل نتائج هذه الحرب، ومايطرحونه من فروض، ويبنون عليها استنتاجات، أو يصلون منها إلى نتائج بعيدة عن الواقع، والحقيقة!.

من بين ذلك: هل كان فى حسبان الملك عبد العزيز ضم اليمن إلى مملكته؟! أم كان يريد مجرد تقليم مخالب الإمام؟[3] أو هل كان بمقدور الملك أن يسيّر جيوشه حتى صنعاء للقضاء على الحكم الزيدى فى اليمن،

---

[1] امين سعيد، المصدر السابق، ص٣٧٩، ود.الخترش، المصدر السابق، ص٢٤٥.

[2] لوحظ أن الزركلى، المصدر السابق، ص٦٠٤، أورد أن الملك عبد العزيز أمر بوقف الزحف على الجبهات يوم ١١محرم/٢٧أبريل، وليس هذا صواباً، ففى هذا التاريخ لم يكن الأمير فيصل قد دخل بعد الحديدة وغيرها من المدن التهامية اليمنية. وهو مخالف أيضاً للتاريخ الذى أعلنته وزارة الخارجية السعودية عن توقف القتال والمذكور أعلاه.

[3] د.عصام ضياء الدين، المصدر السابق، ص٢٨٦.

ويضمها إلى مملكته؟! [1] وما الذى كان يحدث لو أن الإمام رفض شروط الملك؟ [2] وغير ذلك من طرح وتساؤل.

والواقع أنها فروض فى غير موضعها، فهم يؤرخون لحوادث وقعت فعلاً، واتخذت مساراً معروفاً، ووصلت إلى نهايات معلومة تاريخياً، ولن تحوّل تلك الفروض مسارها ولانتائجها، فضلاً عما تحييه تلك الفروض من بواعث فى النفس الحاضرة!.

لقد تناسى الجميع ماكان يردده الملك فى برقياته للإمام من أنه لايرغب فى شئ من بلاده .. فى معظم مكاتباته .. وعلى مدار سبع سنين من المفاوضات، وتبادل البرقيات .. والآن قدم الدليل القاطع على صدقه فى كل ماقاله، وماكرره، وأكده .. عندما أمر قواته بالانسحاب من الأراضى التى استولت عليها داخل اليمن. عقب توقيع المعاهدة، ولو لم يكن عند كلمته، ملتزماً بها، لأبقى فى يديه جزءاً مما استولى عليه: ولن يلومه أحد فى ذلك، وله الحق شرعاً وقانوناً أن يفرض على خصمه مايشاء. شأن أيّ منتصر فى الدنيا بأسرها .. لكنه ملتزم بكلمته، فلم يطلب فى شروطه سوى الأمور المعلقة، والتى قتلت بحثاً قبل الحرب .. ولذا فإن القنصل البريطانى فى جدة يوم أن عرف شروط الملك للصلح

---

[1] د.الخترش، المصدر السابق، ص٢٤١.

[2] د.سالم، المصدر السابق، ص٣٨٣.

قـال: إن مطـالب ابـن سـعود أكـثر اعتـدالاً عمـا كـان متوقعـاً[1].
ويقـول سلفاتور أبونتـى: كـان يبدو للعـالم أنـه ليس هنـاك مـايمنع ابـن سـعود مـن ضـم بـلاد اليمـن كلهـا إلى بـلاده .. و لم يفـرض ابـن سـعود علـى الإمـام يحيى أيـة تعويضـات ماليـة، و لم يرغمـه علـى التنـازل عـن أىّ مـن الأراضـى اليمنيـة[1] وقـال جـون،س، ولينكسـون: بعـد انهيـار المفاوضـات اندلعـت الحـرب، وبعـد وقـت قصـير دخـل فيصـل بـن عبدالعزيـز الحديـدة، وصـار الطريـق إلى صنعـاء مفتوحـاً، واستسـلم الإمـام بعـد ستة أسـابيع .. وكـان ابـن سعود كريمـاً مـع الإمـام[2]

فـالدول الأجنبيـة كـانت تتوقـع مـن الملـك أن يكـون أكـثر تشـدداً، ويزيد فـى مطالباتـه، ولديـه الحـق فيمـا يطلبـه. لكنـه لم يفعـل، لأنـه يريـد اليمـن لأهلهـا.. يريدهـا دولـة مسـتقلة، يضـع يـده فـى يدهـا لمواجهـة الأخطـار المحدقـة بهما معـاً.

ونقطـة أخـرى، وهـو أن الملـك لم يكـن يقصـد مـن الحـرب كسـب أرض جديـدة حتـى لووصلـت جيوشـه إلى صنعـاء، وإنمـا كـان هدفـه منهـا هـو إرغـام الإمـام على الإقـرار والاعـتراف بـالوضع الحـالى قبـل الحـرب، ولـو كـان سلّم بهـا قبـل ذلـك لمـا وقعـت الحـرب، ولـذا كـانت تعليماتـه واضحـة لقـواد

---

[1] وثيقة عبارة عن تقرير رفعه سير أندرو ريان إلى وزارة الخارجية بلندن **371/17928-131.**

[1] فى كتابه، مملكة الإمام يحيى، ص ٩٦.

[2] فى كتابه، حدود الجزيرة العربية، ترجمة مجدى عبدالكريم، ص٣٣.

جيشه بعدم التوغل أكثر من اللازم في الأرض اليمنية لأنه سيعيدها ثانية لأهلها .. فهذا ضمن تخطيطه المسبق، و لم يتحول عنه بعد فوزه في الحرب.

ثم إن هذه الحرب لم تكن هزيمة للجندى اليمنى بأى حال من الأحوال، فهو جندى مقاتل وشجاع دون شك، لكنها هزيمة لقياداته التى ملكها الغرور. وغاب عنها تقدير الموقف تقديراً سليماً، من كافة النواحى. السياسية، والعسكرية، والإدارية وغيرها. فالقيادات بمختلف مستوياتها لم تكن على مستوى المسئولية، ومثال واحد للدليل على هذا، وهو هروب قائد حامية الحديدة من موقعه الميدانى إلى جزيرة كمران، قبل وصول طلائع القوات السعودية!. وغيره كثيرون[1].

وكما أدار الملك عبد العزيز دفة المفاوضات السلمية ببراعة الرّبان الماهر، فإنه أيضاً أدار رحى الحرب بكفاءة القائد الخبير بالشئون العسكرية، فهى تختلف فى أسلوبها، عن الحروب العديدة التى خاضها من قبل، لأنها تشبه إلى حد كبير أساليب الحروب العصرية الحديثة، من حيث الاستعداد، والتجهيز والتحضير، ودرجة التعبئة القتالية الميدانية فى كل

---

[1] وكان اسمه: سليم بك، عثمانى الأصل، فكثير من قيادات الجيش كانوا من الضباط العثمانيين الذين استمروا للعمل فى اليمن، لتنظيم الجيش، وعلى رأسهم آخر الولاة العثمانيين محمود نديم باشا، ومعظمهم لم يكونوا على مستوى المسئولية.

جبهة، وساعة الصفر لكافة الجبهات وأسلوب الهجوم، والتطويق، وغير ذلك مما يدخل فى إطار الاستراتيجية العسكرية للحروب الحديثة[1].

الوساطة العربية.

وقد أثار اندلاع الحرب بين الدولتين جزعاً بالغاً فى العالم العربى، وظهر التباين واضحاً فى الموقف الشعبى عنه فى الموقف الرسمى للحكومات العربية، فبينما كان الشعور الشعبى الممثل فى الهيئات والجمعيات والطوائف الشعبية طاغياً، ومتفاعلاً مع خطورة هذا الحدث، مطالباً بضرورة السعى لايقاف الحرب بين الدولتين المسلمتين، وأهمية الوصول إلى حلٍ سلمي، إذا بالحكومات لاتظهر القدر نفسه من التفاعل، فربما يعود ذلك إلى أن الحكومات، والدول العربية نفسها كانت تخضع إلى الهيمنة والنفوذ الاستعمارى ـ فيما عدا الدولتين المتحاربتين اللتين كانتا مستقلتين استقلالاً كاملاً ـ فأرادت الدول العربية مجاراة الدول الاستعمارية في الوقوف على الحياد من هذه الحرب.

أما الهيئات الشعبية فقد عقدت عدة اجتماعات، وتوافد إلى تلك الاجتماعات كبار الشخصيات فى المحافل العربية، مطالبين بايفاد مبعوثين

---

[1] وليس أدل على إسهاماته فى وضع الخطة الحربية، وإشرافه على تنفيذها، من أن الأمير فيصل إتصل به، عندما عرف الوضع فى الحديدة، وأن الموقف يستدعيه للذهاب فوراً إليها لتأمينها فما اتفقا عليه مسبقاً اقتضى نوعاً من التعديل، نظراً لوضع الحديدة، لذا اتصل به يفيده ادخال بعض التعديل على الخطة المتفق عليها بينهما.

للوساطة بين الدولتين، لإيقاف الحرب، والسعى لإنجاز الصلح والحل السلمى[1] وكان من أبرز تلك الاجتماعات ماعقد بمقر كل من: جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة، والمؤتمر الإسلامى بالقدس، شاركت فيهما العديد من الهيئات والطوائف والجمعيات، وتم الاتصال بينهما، والاتفاق على إرسال وفد مشترك للوساطة يمثل الدول العربية، وتكوّن الوفد من: الحاج أمين الحسينى رئيس المجلس الإسلامى بفلسطين (عن فلسطين) الأمير شكيب أرسلان (سوريا) [2] ومحمد على علوبة باشا والدكتور عبد الحميد سعيد (مصر) وهاشم الأتاسى (سوريَا) [3] كما انضم إلى الوفد فيما بعد كل من: جميل مردم بك، وعفيف الصلح، وشكرى القوتلى (سوريا) ومحمد رفعت (مصر).

وصل وفد الوساطة العربية إلى جدة يوم ٢محرم ١٣٥٣هـ (١٦أبريل ١٩٣٤م) قبل صدور قرار الهدنة، وقبول الإمام شروط الصلح، وتوقف القتال على الجبهات، وقد قوبل الوفد بنظرة عتاب أخوية .. أين كنتم قبل تأزم الموقف، بل منذ سبع سنين؟! لكنه لقى الترحيب والتكريم من الملك عبد العزيز كعادته فى إكرام ضيوفه. واستمر بعض أعضاء وفد الوساطة

---

[1] كان من بين الشخصيات المصرية الذين سعوا بصفتهم الشخصية: حمد الباسل باشا، زميل عرابى باشا فى الثورة ضد الانجليز، وعمر طوسون باشا، من الأسرة الحاكمة فى مصر وقتها، ومصطفى النحاس باشا، رئيس حزب الوفد، والشيخ محمد رشيد رضا، صاحب مجلة المنار، الداعية الاسلامى المعروف.

[2] كان الأمير شكيب ارسلان مبعداً عن سوريا، ومقيماً فى سويسرا، بسبب معارضته للاحتلال الفرنسى، وتم الاتصال به، فقدم للمشاركة فى وفد الوساطة.

[3] أوردته بعض المصادر على أنه كان يمثل العراق، بينما هو سورى، وصار فيما بعد رئيساً للجمهورية السورية.

بمكة المكرمة، يجرى اتصالات بالإمام يحيى، ثم انتقل إلى الطائف حين بدأت المفاوضات لصياغة المعاهدة، وتوقيعها مبدئياً من رئيسي وفدى البلدين، ثم سافر وفد الوساطة مع الوفد اليمنى لاعتمادها والتصديق عليها بالتوقيع النهائى من الإمام يحيى[1] بعد اعتمادها والتصديق عليها بالتوقيع النهائى من قبل الملك عبد العزيز. وقيل : شارك بعض أعضاء وفد الوساطة حضور بعض جلسات المفاوضات وصياغة المعاهدة[2] بغرض تقريب وجهات النظر، والإسهام بدور فى إنهاء حالة الحرب، وإحلال حالة السلم بين البلدين المسلمين. وعاد الوفد بحراً عن طريق جدة إلى السويس منتصف شهر صفر ١٣٥٣هـ (أواخر يونية ١٩٣٤م).

معاهدة الطائف، ودراسة لبعض محتوياتها.

بدأت المفاوضات لإبرام المعاهدة المطلوبة، فى شكل ودّي للغاية، فقد ظهر ابن الوزير رئيس الوفد اليمنى فى صورة مغايرة تماماً عما كان عليه فى مؤتمر أبها، الذى سبق اندلاع الحرب، وأبدى الكثير من المرونة

---

[1] انظر فيما سبق: د.سالم، المصدر السابق، ص٣٨٤-٣٨٩، ود.عصام ضياء الدين، المصدر السابق ص٢٨٩،٢٩٠، ود.الخترش، المصدر السابق ص٢٦٦-٢٧٨، والعقيلى، المصدر السابق، ج٢،ص١١١٥،١١١٦، وعبد المنعم الغلامى، الملك الراشد، ص٨٧،٨٨، وجون فيلبى، تاريخ نجد، ص٥٠٤، وفؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية ص١٣٧، وقد أهمل فؤاد حمزة ذكر وفد الوساطة العربية، فيما عدا الوفد السورى، والحبشى.

[2] كان من بينهم محمد على علوبة باشا، وشكرى القويتلى، د.سالم، المصدر السابق، ص٤٠٤.

والتفاهم، مع أنه كـان يرجـع فـي كـل كبـيرة وصغـيرة إلى الإمـام قبـل إقـرار أيـة نقطـة. وقـابل الملـك عبـد العزيـز هـذا الموقـف برحابـة صـدر، وأصـدر أمـره إلى وفـد المملكـة بالتسـاهل وعـدم التشـدد. ولا أدل علـى ذلـك مـن أن الملـك تراجـع عـن تنفيـذ كـامل شـروطه التـى قبلهـا الإمـام، وتوقفـت الحـرب علـى إثرهـا، والتـى منهـا إخـلاء نجـران بكاملهـا، وبعـد أن تم إخلاؤهـا، حكـم بـأن يكـون الوضـع فيهـا علـى ماكـانت عليـه قبـل أن تدخلهـا القـوات المتوكليـة، وأن يكـون الفـاصل الحـدودى بـين الدولتـين هـو حـدود وائلـة، حسـبما ورد ذلك في المعاهدة، وكـذا حكـم بـأن يكـون الفـاصل فـى جميـع الحـدود يبـدأ مـن النقطـة الفاصلـة بـين الموسـم وميـدى، وليـس غيرهـا جنوبـاً، كمـا كـان عليـه الوضـع قبـل تأزمـه، وأن يراعـى وضعيـة القبـائل علـى الحـدود، بحيـث لاتـوزع أو تقسـم فـى مواطـن إقامتهـا، وإنمـا تعـدل الحـدود لتلافـى تقسـيمها أو تشـتيتها. كمـا عـزف عـن المطالبـة بتعويـض مـادى لنفقـات الحـرب، عندمـا أحـس بـأن الإمـام يعـانى عسـراً ماديـاً[1] وقبـل الملـك أن تكـون مـدة المعـاهدة عشـرين عامـاً، مثلمـا اقترحهـا الإمـام مـن قبـل، وكـان بمقـدوره أن يجعلهـا غـير محـددة المـدة، لكـن نظرتـه ذاك الوقـت أن إحـلال السـلام وترسـيخ أواصـر الأخـوة الإسـلامية بـين الدولتـين، سيحـل الكثـير مـن المشـاكل وسـوء التفـاهم وأن المعـاهدة سـتكون تحصيـل حـاصل للواقـع الفعلـى، والصداقـة بـين البلديـن

[1] الزركلي، المصدر السابق، ص٦١٢، وقلبي، المصدر السابق، ص٥٠٤، ويلاحظ أن الزركلي يحاول الاقلال من دور وفد الوساطة العربية، لكنه مهما كان دوره، فيكفى أنه كان تعبيراً عن شعور الشعوب العربية، وجزعها من هذه الحرب، واستنكارها أن تقع ين دولتين مسلمتين.

ستجعل كلاً منهما حريصاً على كيان الآخر من كل المخاطر، وبصفة عامة أظهر قدراً بالغاً من السماحة، فتنازل عن مكاسبه في الحرب، وجعل نتيجتها لامهزوم فيها ولامنتصر، ولاغالب ولامغلوب، وإنما عِدْلان متساويان في كفتي ميزان!.

حملت المعاهدة اسم "معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية" واختصاراً "معاهدة الطائف لعام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م وذلك إشارة إلى دخول الدولتين في عهد جديد من الأخوة الإسلامية والعربية. تكونت المعاهدة من مقدمة ثم ثلاث وعشرين مادة[1] وعهد تحكيم[2] وست رسائل متبادلة بين رئيسي الوفدين جميعها بتاريخ ٦صفر ١٣٥٣هـ.

– المادة الأولى: تضمنت التأكيد على إنهاء حالة الحرب بمجرد التوقيع على المعاهدة، وإحلال حالة السلم، وإنهاء المنازعات بروح الودّ والوفاق، وأن يلتزم العاهلان بالسير على هذه الخطة، وكذا مَنْ يرثهما، أو يخلفهما.

– المادة الثانية: تضمنت اعتراف كل منهما باستقلال الآخر، استقلالاً تاماً مطلقاً، ويتنازل كل منهما عن أيّ حق يدعيه في بلاد الآخر، فيتنازل الإمام يحيى عن أيّ حق يدعيه باسم الوحدة اليمنية أو غيرها، في البلاد التي بموجب هذه المعاهدة أصبحت تابعة للسعودية،

---

(1) انظر الملحق رقم (٤).

(2) انظر الملحق رقم (٥).

سـواء منهـا ماكـان بيـد الأدارسـة، أو آل عـايض، أو نجـران وبـلاد يـام، كمـا أن الملـك عبـد العزيـز يتنـازل عــن أيّ حــق يدعيـه مــن حمايـة أو احتـلال أو غيرهـا، فـى بـلاد الأدارسـة التـى أصبحـت بمقتضـى هــذه المعـاهدة جـزءاً مــن أرض اليمــن، وبذلــك اعــترف كــل مــن الطرفــين بممارسـة الطـرف الآخـر للسـيادة الفعليـة على مـاتحت يـده مـن أراضـى، وهـذا الاعـتراف بالسـيادة أقوى مـن أى حجـج تاريخيـة.

ولاريـب أن هـذه المـادة وضعـت حـداً للدعـاوى التـى كـانت تثـار أثنـاء المفاوضـات، على مـدى سـبع سـنين، كمـا أوقفـت كـل الحجـج التاريخيـة والجغرافيـة والسياسـية وغيرهـا، مهمـا كـانت قوتهـا ومصداقيتهـا، ومـا يـترتب عليها مــن آثـار، حيـث أصبحـت تلـك الدعـاوى لاقيمـة لهـا، ولاجـدوى منهـا، سـواء فـى الحـال أو المستقبل، بالقيـاس إلى مـاتم عليـه الاتفـاق بنـص هـذه المـادة حتى أنه يمكـن أن يقـال فـى شـأن هـذه المـادة، مـاقيل فـى المثـل: قطعـت جهـيزة قـول كـل خطيـب[1] مـن حيـث البـتّ فـى موقـف تبـارى فيـه الخطبـاء، كـل يظهر فيـه حجتـه ودعـواه.

---

[1] وأصل هذا المثل أن قوماً اجتمعوا للصلح بين حيين من أحياء العـرب، قتـل أحدهمـا مـن الآخـر قتيـلاً، وأخـذوا يتكلمون ويخطب بعضهم فى استرضاء أهل القتيل لأخذ الدية، وبينما هم كذلك إذ دخلت عليهم امرأة تسـمى "جهيزة" فقالت: إن القاتل ظفر به بعض أولياء المقتول فقتلوه، وعند ذلك قالوا هذا المثل.

- المادة الثالثة: حددت إطار التعامل بين الطرفين، بما يحفظ مصلحتهما، ومصلحة بلديهما، بلا ضرر ولاضرار على أيهما، بمعنى أن يسود العدل في التعامل بينهما.

- المادة الرابعة: خاصة بتحديد وتعيين الحد الفاصل للحدود بين الدولتين، وهذا الحد الفاصل يبدأ من النقطة الفاصلة بين "ميدى" و"الموسّم" على ساحل البحر الأحمر، ثم يتجه إلى الشرق بجبال تهامة .. إلى آخر ماتم إيراده مفصلاً، وبشكل دقيق لكيفية مسار الخط الفاصل، حيث روعى فى مساره الانتماءات القبلية، وتفروعات القبيلة، وتحاشى تقسيم بطونها بين الدولتين، إلا إذا ارتضت القبيلة ذلك، وبالنظر لكون القبائل متداخلة فى مواطن إقامتها على الحدود، فقد كانت مهمة لجان ترسيم الحدود على الطبيعة صعبة للغاية، من حيث تحديد الفواصل بين مواطن القبائل ووضع العلامات الحدودية.

وهذه المادة تعتبر العصب الرئيسى للمعاهدة، وإيرادها بهذا التفصيل الدقيق، يدل على مدى خبرة المشاركين فى وضع صيغة المعاهدة، ودرايتهم الكاملة بالوضع الحدودى أنذاك، ووضعية القبائل بالجهتين، ومسمياتها ومواطن إقامتها وانتماءاتها وتفرعاتها وغير ذلك، مما روعى فيه مصلحة القبائل بالدرجة الأولى، وبالتالى الاستقرار الحدودى بين الدولتين، وتحاشى أية منازعات مستقبلية.

- المادة الخامسة: اختصت بتحديد منطقة حظر حدودية، بمسافة خمسة كيلومترات، على جانبي الخط الحدودى، يحظر فيها إقامة تحصينات، أو قلاع أو مايشبه ذلك من التدابير العسكرية.

- المادة السادسة: اختصت بسحب الجنود من البلاد التى أصبحت بموجب هذه المعاهدة، تابعة للطرف الآخر، فلا مكاسب للمنتصر، ولارادع للمتسبب، طالما حلت الأخوة والصداقة بينهما محل التنازع.

- المادة السابعة: اختصت بتعهد الطرفين لمنع أى عدوان، أو ضرر يقع من أهل دولته على أهل دولة الآخر، وليس هذا مختصاً بالمنطقة الحدودية فقط، وإنما منع العدوان والضرر فى أى موقع أو مكان آخر.

- المادة الثامنة: تعهد فيها الطرفان على عدم استخدام القوة لحل المشكلات التى تحدث بينهما، وأن يتم التوفيق لحل تلك المشاكل، فإن تعذر فيلجأ إلى التحكيم، وأرفق بالمعاهدة ملحق تضمن أسلوب وشروط التحكيم، له نفس قوة المعاهدة.

- المادة التاسعة: تعهد فيها الطرفان، بمنع استخدام أيّ منهما أرضه وبلاده قاعدة لأى عمل عدوانى، أو لمجرد الشروع فيه ضد الآخر، وتسليم الأفراد الهاربين، الذين أقدموا على ارتكاب مايعاقب عليه.

ثم استطردت المعاهدة فى إيراد البنود التى تؤكد على أهمية الترابط والتفاهم بين البلدين، وتنظيم العلاقات بينهما سواء فى المجال السياسى، أو الاقتصادى أو غيره، فى صورة أخوية يراعى فيها مصلحة الطرفين،

والتعاون فى رد العدوان الخارجى على أيّ منهما، وغير ذلك من دعم لروابط الأخوة والصداقة، حتى وصفها الكاتب الايطالى "سلفاتورأبو نتى" بقوله: .. وعلى حين بغتة هب الصلح، وهو فى الحقيقة صلح كان أغرب من الحرب.. وكانت معاهدة الصلح ماهى إلا أنشودة من أناشيد الوحدة العربية، وسرعان ماأدهشت هذه المعاهدة العالم بأسره للكرم والتسامح اللذين أظهرهما ابن سعود، واللذين زادا فى رفعة مقامه، وعلوّ مركزه فى نظر العالم، وبتوقيع المعاهدة انتهت حالة الحرب، وتوطّد بين البلدين والشعبين صلح دائم، وصداقة أكيدة، وأخوة إسلامية عربية [1]

ويلاحظ أن المعاهدة شاملة لأمور ومواضيع متنوعة، منها:

١- أمور عسكرية، وأمنية، تتمثل فى: إنهاء حالة الحرب، وإحلال حالة السلم، وسحب القوات العسكرية التابعة لأيّ من الطرفين، من الأراضى التى حددتها المعاهدة للطرف الآخر، وجعل هناك منطقة محظورة (محرمة) على جانبى خط الحدود الفاصل بين الدولتين، بمسافة خمسة كيلومترات.

٢- أمور لها صفة الدوام والاستمرارية، وتشمل:

أ- تعيين الحدود، وتثبيتها، وترسيمها، على الوجه الذى يكفل الاستقرار، وتحاشى النزاع مستقبلاً.

---

[1] فى كتابه السابق الإشارة إليه، ص٩٦-٩٨ د.سالم، المصدر السابق، ص٤٠٧، ود.الخترش، المصدر السابق، ص٢٦٠.

ب- إيقاف دعاوى أيّ طرف ـ تاريخي أو غيره ـ فيما أصبح بموجب المعاهدة تحت نفوذ وسيادة الطرف الآخر.

جـ- اعتراف كل من الطرفين باستقلال دولة الآخر، استقلالاً تاماً، وسيادتها على أرضها التي حددتها الحدود بموجب المعاهدة.

٣- أمور خاضعة لمدى نمو وتطور العلاقات بين الدول، مثل:

أ- ارتقاء وتطور التمثيل السياسي، والدبلوماسي بين الدولتين. سواء فيما بينهما أو بين طرف ثالث، أو اتفاقهما على اتخاذ موقف موحد في المحافل الدولية.

ب- أسلوب تبادل الهاربين من إحدى الدولتين، ممن استحق العقاب شرعاً.

جـ- أسلوب نمو التبادل التجاري والاقتصادي، ومن ثم المزيد من البحث في مجالات أخرى للترابط والتعاون، مثل النواحي التعليمية، والثقافية، والإعلامية، والعمرانية، والعسكرية وغيرها. مما تقتضيه الظروف المستقبلية.

ولاريب أن كل واحد من هذه المواضيع كان بحاجة إلى معاهدة منفردة به، وقائمة بذاته، أما وقد جمعت كلها في معاهدة واحدة فأمر يستدعي النظر، خاصة مع ماورد في المادة (٢٢) التي نصت على سريان مفعول المعاهدة لمدة عشرين عاماً هجرياً، مع جواز تجديدها، أو تعديلها،

خلال الستة أشهر التى تسبق تاريخ انتهاء مفعولها. فإن لم تجدد أو تعدل تظل سارية المفعول[1].

ومن المعتقد أن نص هذه المادة لايسرى على الفقرتين الأوليين، وهما: الأمور العسكرية والأمنية والأمور التى لها صفة الدوام، وإلا فما معنى إدخال تعديل على إنهاء حالة الحرب، وإحلال حالة السلم، أو إدخال تعديل على الحدود، بعد أن تم تثبيتها، وترسيمها، ووضع علامات على الخط الحدودى، وتم ممارسة السيادة الفعلية على الأراضى، وقد كانت قبل خاضعة لنفس السيادة؟! وهل سيسحب كل طرف اعترافه، وتنازله عما تحت يد الآخر، وتعود الدعاوى مرة أخرى؟! وهل ستعود القوات العسكرية إلى مواقعها التى كانت عليها قبل إبرام المعاهدة؟! أو هل ستسحب كل منهما اعترافها باستقلال الدولة الأخرى؟!وإلى غير ذلك من استفهامات، وطروحات غير مقبولة عقلاً ومنطقاً، وقانوناً، فضلاً عن أن يقرها المجتمع الدولى الذى نعايشه.

فالقانون الدولى الذى تخضع له جميع الدول المستقلة فى العالم، نص فى اتفاقية قانون المعاهدات الدولية (مادة ٦٢) على أنه لايجوز إلغاء المعاهدات المنشئة للحدود بين دولتين، بحجة الاستناد لتغير الظروف[2] ولهذا فإن المعاهدات الدولية الخاصة بالحدود بين الدول غير محدده المدة

---

[1] انظر نص المادة (٢٢) فى الملحق رقم ٤.

[2] د.عبد العزيز محمد سرحان، العودة لممارسة القانون الدولى الأوربى، ص١١٨،١١٩.

نظرا لدوامها واستمراريتها. وإذا كانت الحرب قد اندلعت نتيجة لهذه الحدود، ثم أبرمت معاهدة الطائف لتعيينها وترسيمها، ووضع علامات فاصلة، بل جُعل هناك منطقة محظورة على طول الحدود، فلا معنى مطلقاً لادخال تعديل عليها، فضلاً عن إلغائها بعدم تجديدها. وهو مضمون مايؤكده القانون الدولى، وماتسعى كافة المنظمات الدولية على تأكيده وعلى رأسها هيئة الأمم المتحدة، حتى لاتحدث نزاعات بين الدول المتجاورة، ولذا فإن المادة المذكورة لم تشر إلى عملية الإلغاء لأنها ليست فى الحسبان عند أي من الطرفين إبان إبرام المعاهدة.

من كل هذا يتضح أن المقصود بهذه المادة (٢٢) هى الأمور القابلة لنمو وتطور العلاقات بين الدولتين، والتى يدخلها فعلاً التعديل والتطوير، وإنشاء مجالات جديدة لنمو العلاقات بين البلدين، بموافقة الطرفين.

وربما يقال: فلمَ ذكرت هذه المادة فى المعاهدة، ونُص فيها على هذا التحديد؟ يجاب: بأن تحديد هذه المدة كان بداية اقتراحاً من الإمام، أثناء تبادل البرقيات، وعند إبرام المعاهدة كانت مجاملة من الملك للإمام أن يلبى رغباته، حتى لايشعره بأنه فى موقف المنهزم الذى تُملى عليه الشروط، ويقبلها رغماً عنه، وكان بمقدور الملك ألا يذكرها كما سبق أن قلنا، وذكرت مجاملة للإمام، ولكى تتناول الأمور المستجدة والمتطورة نتيجة لنمو العلاقات بين الدولتين.

تمت صياغة نصوص المعاهدة، وعهد التحكيم في زمن قياسي[1] وأجرى التوقيع عليها من قبل رئيسي وفدى البلدين يوم ٦صفر ١٣٥٣هـ (٢٠مايو ١٩٣٤م) وكذا عهد التحكيم، ثم تبادل رئيسا الوفدين: الأمير (الملك) خالد بن عبد العزيز، والسيد/ عبد الله الوزير، ست رسائل، حملت تاريخ اليوم نفسه، تتعلق باجراءات تنفيذ المعاهدة، من حيث تسليم الأدارسة، وإخلاء جبال تهامة وتسليم رهائنها، وأن تظل بنود المعاهدة في طيّ الكتمان، وبخاصة مايتعلق منها بتحديد الحدود حتى يتم انسحاب القوات السعودية، بكامل معداتها، من المناطق التي استولت عليها بأرض اليمن، مع توفير الأمن والسلامة لها حتى إكمال انسحابها. وغير ذلك من إجراءات ضرورية تسبق نفاذ مقتضى المعاهدة.

وصدق عليها الملك عبد العزيز بالتوقيع بتاريخ ٢٩صفر ١٣٥٣هـ (١٢يونية ١٩٣٤م)[2] ثم حملها الوفد اليمني وبرفقته وفد الوساطة العربية، إلى صنعاء للتصديق عليها بالتوقيع من الإمام يحيى، فوقعها بتاريخ ٧ربيع الأول ١٣٥٣هـ (١٩يونية ١٩٣٤م) وسجل الإمام عند التوقيع عليها عبارة جديرة بالتسجيل، جاء فيها: بعد أن اطلعنا على هذه المعاهدة

---

(١) حيث بدأت لجنتى المفاوضات جلستها لصياغة تلك المعاهدة يوم ١صفر ١٣٥٣هـ (١٥مايو ١٩٣٤م) وانتهت يوم ٦صفر (٢٠مايو) بما تخللها من مراجعة كل وفد لمرجعه لاقرار المواد، والصيغة النهائية التي يتم اعتمادها.

(٢) ذكر الدكتور فاروق أباظه فى كتابه دراسة تاريخية لقضايا الحدود السياسية ص٥٨ أن الملك عبدالعزيز وقع على المعاهدة يوم ١٨يونيه/ ٦ربيع الأول، وأن الإمام وقعها فى اليوم الثانى ١٩يونيه/ ٧ربيع الأول. ومعنى هذا أن كلاً منهما وقع نسخة منها، ثم تبادلا النسخ الموقعة.

السالفة الذكر، وعلى عهد التحكيم، والكتب التي ألحقت بها، وأمعنّا النظر فيها، صدقناها، وقبلناها، وأقررناها جملة في مجموعها، ومفردة في كل مادة، وفقرة منها، كما أننا نصدقها، ونبرمها، ونتعهد، ونعِد وعداً ملوكياً صادقاً، بأننا سنقوم ـ بحول الله ـ بما ورد فيها، ونلاحظه بكمال الأمانة والإخلاص، وبأننا لن نسمح ـ بمشيئة الله ـ بالإخلال بها بأي وجه كان، طالما نحن قادرون على ذلك. وزيادة في تثبيت صحة كل ماذكر فيها، أمرنا بوضع خاتمنا على هذه الوثيقة، ووقعناها بيدنا، والله خير الشاهدين.

حرر في اليوم السابع من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف، وهذه أول اتفاقية ومعاهدة بيننا وبين حضرة أخينا جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود.

وهذه العبارة تدل على مدى تأثر الإمام بموقف التسامح الذي أظهره الملك عبد العزيز، وهو في موقف قوة!!.

وكانت الإجراءات التنفيذية لمقتضى المعاهدة قد بدأت فور توقيع رئيسي وفدي البلدين، من حيث الإسراع بتشكيل لجان الاستلام والتسليم من الطرفين في كل منطقة من المناطق الحدودية. بنجران، وجبال فيفا، وبني مالك، والعبادل، وتم تسليم الحسن الادريسي، وابن أخيه عبد العزيز ابن محمد الإدريسي، وثلاثمائة من أتباعهما في ١٦صفر ١٣٥٣هـ (٣٠مايو ١٩٣٤م) إلى مندوب الأمير فيصل بن عبد العزيز، فسار بهم من زبيد موضع التسلُّم، إلى الحديدة مقر الأمير فيصل، فأمره بالتوجه برفقتهم

إلى جازان ثم مكة المكرمة، وبعد فترة لحق بهم عبد الوهاب الإدريسى، وفى ١٤ربيع الأول ١٣٥٣هـ (٢٦يونية ١٩٣٤م) أذاعت وزارة الخارجية السعودية بياناً أعلنت فيه أنه تم إخلاء منطقة الجبال (فيفا وبنى مالك والعبادل) وإطلاق رهائنهم، وبذلك تم تنفيذ الشروط المطلوبة[١] وعلى إثر ذلك أصدر الملك عبد العزيز أوامره باطلاق سراح الأسرى اليمنيين فى جازان، ونجران، وكان من بينهم القاضى عبد الله العرشى، وبدأت القوات السعودية عملية الانسحاب من الأراضى اليمنية، تحت إشراف لجان من الطرفين، قامت بعمل محاضر استلام وتسلم، ووصل الأمير فيصل إلى مدينة ميدى عائداً فى ١٥ربيع الأول ١٣٥٣هـ (٢٧يونية ١٩٣٤م) فى طريقه إلى جازان، انتظاراً لانسحاب باقى قواته، ثم أعلنت الحكومة السعودية فى ٤جمادى الأولى/١٤أغسطس انسحاب جميع القوات السعودية عن الأقاليم، والأراضى التى خصصتها المعاهدة لليمن الشقيق[٢].

وعلى إثر ذلك قامت اللجان المختصة من الطرفين بمهمة ترسيم الحدود على الطبيعة، وفق ماجاء فى المعاهدة، وسعت فى عملها هذا سعياً حثيثاً، مراعية الدقة فى عملها، والتحلى بروح الإخاء والود عند التنفيذ، وقدرت عدد الأعلام والأعمدة التى يمكن تثبيتها على الخط الحدودى، بصفة مبدئية بحوالى ٢٤٠عموداً، على طول الخط الذى يبلغ مداه من

---

[١] د.الختزشى، المصدر السابق، ص٢٥٤، ود.عصام ضياء الدين، المصدر السابق، ص٢٨٨.

[٢] د.الختزش، المصدر السابق، ص٢٥٥، والعقيلى، المصدر السابق، ج٢، ص١١٤٠، ود.عصام ضياء الدين، المصدر السابق، ص٢٨٩.

شاطئ البحر الأحمر – فيما بين الموسم وميدى – حتى الربع الخالى حوالى ٤٠٠ ميل[1] وشكلت هيئتان مشتركتان من الدولتين، لترسيم الحدود، إحداهما لمنطقة تهامة، والأخرى لمنطقة الجبال وماإليها، وباشرت كل منهما عملها بالمنطقة المحددة لها، وواصلت كل منهما عملها بصبر وجلد، ثم قدمت اللجنة المشتركة لمنطقة تهامة ثلاثة تقارير موقعة من مندوبى الطرفين، الأول بتاريخ رمضان ١٣٥٤هـ (ديسمبر ١٩٣٥م) والثانى بتاريخ ٢٧شوال ١٣٥٤هـ (٢١يناير ١٩٣٦م) والثالث بتاريخ ٢١ ذى القعدة ١٣٥٤هـ (١٣فبراير ١٩٣٦م) وكل من التقارير الثلاث يتضمن مسحاً لجزء معين من المنطقة الحدودية لعمل هذه اللجنة. كما قدمت لجنة الجبال تقريراً واحداً عن عملها بتاريخ ٢١شوال ١٣٥٤هـ (١٥يناير ١٩٣٦م) يتضمن مسحاً شاملاً للمنطقة الحدودية المكلفة بها، وأوضحت كلا اللجنتين أماكن وضع العلامات والأعمدة، على الحدود، وأوضحت للقبائل على جانبى الحدود، مدى تحركاتهم، ومرعاهم. وغير ذلك تحاشياً لأية منازعات، بين القبائل بعضها وبعض، كما أعطت وثائق للقبائل بهذا التحديد حتى تكون على بينة من الوضع الحدودى، وأعلمتهم بمن يقابلهم على الجانب الآخر من القبائل، لمنع التداخل.

وألحقت محاضر وتقارير هذه اللجان بمعاهدة الطائف فى حينه، لأنها تعتبر مكملة لها، أو بروتوكولات لها.

---

[1] د.سالم، المصدر السابق، ص٤٠٩.

وبذلك استقرت الأوضاع الحدودية بين الدولتين، وانتهت فترة توتر العلاقات بينهما، لتحل محلها فترة جديدة مبنية على أسس من الأخوة، والصداقة، الإسلامية العربية، في العديد من الأنشطة التنموية، والاقتصادية، والتعليمية وغيرها، وتوطدت العلاقات بينهما في كثير من المجالات على المستويين العربي، والدولي .. ورُبّ ضارة نافعة .. فقد كان من نتيجة الحرب السلم الدائم، والتعاون الأخوي. فكل منهما أصبح في نظر الآخر: الدولة الأوْلى بالرعاية. في المفهوم السياسي[1].

وفي عام ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م) كلف الملك عبدالعزيز تركي الماضي القيام بمهمة إلى الإمام يحيى، وأثناء المقابلة قال الإمام: إن الولد الحسين(يقصد ابنه) بعد رجوعه من الحج موسم عام ١٣٦١هـ، ذكر له ماشاهده من جلالة الملك عبد العزيز من الإكرام والاحترام، وقال لي : إن جلالة الملك وحيد دهره، وأفعاله ومساعيه كلها حميدة، ثم أردف الإمام قائلاً : كنت وقت الحرب أقول : إن جلالة الملك سيتفق (أي يريد الاتفاقية ولا يريد احتلال أو ضم أراضي) وأنه لا يحصل من جلالته إلا كل خير، فصدّق الله ظني، وحقق الأمل، وكان الاتفاق، وحسن التفاهم والحمد لله[2].

---

[1] انظر فيما سبق، العقيلي، أضواء على تاريخ الجزيرة العربية، ص٤٤٨-٤٧٣.

[2] المذكرات ص٢٦٦.

وكان الإمام بعد ذلك متفاهماً ومتعاوناً لمصلحة بلده، ومصلحة البلدين بصفة عامة حتى وفاته يرحمه الله. استجابة لما كان يبديه الملك عبد العزيز من حسن معاملة، وأخوة صادقة. بعد تجاوز تلك المرحلة الصعبة.

ولعلنا نذكر الوفد السعودى، فى آخر جولة للمفاوضات بصنعاء (١٦ صفر-١٠ربيع الثانى ١٣٥٢هـ) وقد عانى ماعاناه فى هذه الجولة، عندما عاد إلى الرياض، رفع تقريراً إلى الملك عبد العزيز عن مهمته، جاء فيه: .. إننا ينبغى أن نختط منهاجاً ثابتاً نسير عليه .. إلى أن تتبدل ذهنية القابضين على زمام الأمر فى اليمن[1].

ومرت الأيام وجاء من قبض على زمام الأمر فى اليمن، وكانوا على مستوى المسئولية لبلدهم، وشعبهم وأمتهم الاسلامية العربية، فتلاقوا مع أشقائهم بالمملكة العربية السعودية، روّاد الحكمة والبصيرة، وكانت مذكرة التفاهم، التى وقعت بمكة المكرمة فى ١٤١٥/٩/٢٧هـ، وتم الاتفاق بروح الوفاق على أن تكون معاهدة الطائف أبدية، وليست محددة المدة. وأن يتم الانتهاء من كافة الأمور المعلقة بين البلدين، بروح من الود والإخاء.

---

[1] مذكرات تركى الماضى، ص١٥٨.

ويقود البلدين في عهدنا الحاضر أبناء نجباء أوفياء لمنهج عبد العزيز، في صدق التعامل، والتحلى بالعديد من الفضائل، ومكارم الأخلاق.

وأخيراً آمل أن تكون هذه الدراسة قد أضافت جديداً إلى جهد السابقين، بمزيد من كتلة الإشعاع المنبعثة على إطلالة تاريخ المنطقة المعنية بالدراسة، فالله هو الموفق والمعين، وله الحمد أولاً وأخيراً.

الملاحق

ملحق (١)

معاهدة سنة ١٣٣٨هـ

بين الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

والإمام محمد على الادريسي

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله

يعلم به الناظر والواقف عليه بأن الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل حفظه الله لما أمرنا بالقدوم على الامام محمد بن علي بن إدريس لعقد الأخوة الاسلامية الخاصة وجمع الكلمة على دين الله ورسوله ودعوة الناس إلى ذلك فى التعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله وان تكون اليد واحدة على أعداء الدين، فلما قدمنا على الامام المذكور سره ذلك وأحبه حرصاً على الخير والتعاون عليه فاتفقت الحال منا ومنه على عقد الأخوة بين الامامين المذكورين على مثل ماذكر أعلاه فحيث كان فى المملكة الامام محمد بن على من القبائل والبلدان فى اليمن ماهو فى ملك آل سعود سابقا تركه الإمام عبد العزيز له لأجل محبته للخير ومعاونته عليه وحسن سيرته فعلى هذا لابد من تعريف القبائل وتحديدها ليقوم كل منهما بما اوجب الله عليه فيمن تحت يده من الرعية فصار الذي للإمام عبد العزيز من القبائل جميع يام ووادعة

ومـن تبعهـم مـن بنـى جماعـــة وســحار وشــريّف وقحطــان ورفيــدة وعبيــدة، منهـم بـني بشـر وبنـى طلـق وشـهران وبنـى شـهر وغـامد وعسـير غـامد وجميـع قضـاء محـايل منهـم بنـى ثوعـة وأهـل بـارق وترقـش واهـل الريـش وغـيرهم ممـن تبعهـم وجميـع قبـائل حليّ المذكـورون فـى ولايـة الامـام عبـد العزيـز، وصـار للامام محمد بن علي الادريسي تهامـة سـوى مـاذكر وغـير ذلـك ممـا هـو تحـت يـده ولـه رجـال المـع مـن عسـير خاصـة، ولايعـارض كـل منهمـا مـن تحـت يـد الآخـر ومـاذكر لعبـد العزيـز بـن عبـد الرحمـن مـــن القبــائل في السـراة وتهامـة ويـام وغـيرهم فـالمراد بـه قـــرى وبـوادي في جبـل وسـهل وعليهمـا في ذلـك التنـاصح والتعـاون وبـذل الجهـد فيمـا أوجــب ا لله عليهمـا ممـا يـلزم في ديـن الإسـلام فيمـن تحـت أيديهمـا، هـذا ماصـار وحـرر وقـرر منـا يـانواب الإمـام حيـث كنـا قـائمين مقامـه ومـن الإمـام محمـد بـن علـي بـن إدريـس بحضـوره وإمضائـه صـدر العهـد والميثـاق منـا ومنـه ومـن نكـث فإنمـا ينكـث علـى نفسـه، وا لله ولي التوفيـق، وصلـى ا لله علـى محمـد وعلـى آلـه وصحبـه وسـلم، ١٦ذي الحجـة ١٣٣٨هـ

نـائب الإمـام

عبد ا لله بن محمد الراشد

ناصر بن حمد الجار ا لله

فيصل بن عبـد العزيـز المبـارك

الختـــم

محمـد بـن علـى بـن إدريـس

ملحوظة: لقد تم التصديق على هذه الاتفاقية بتاريخ ١٠صفر ١٣٣٩هـ، ولـذا عرفت فيما بعد باتفاقية "١٠صفر ١٣٣٩هـ".

ملحق (٢)
اتفاقية مكة المكرمة بين الملك عبد العزيز والإدريسي

الحمد لله وحده:

بين ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، وبين الإمام السيد الحسن بن على الإدريسى.

رغبة فى توحيد الكلمة، وحفظاً لكيان البلاد العربية، وتقوية للروابط بين أمراء جزيرة العرب، قد اتفق صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود، وصاحب السيادة إمام عسير، السيد الحسن بن على الإدريسى، على عقد الاتفاقية الآتية:

المادة الأولى: يعترف سيادة الإمام السيد الحسن بن على الإدريسى بأن الحدود القديمة الموضحة فى اتفاقية ١٠صفر سنة ١٣٣٩هـ المنعقدة بين سلطان نجد وبين الإمام السيد محمد بن على الإدريسى، والتى كانت خاضعة للأدارسة فى ذلك التاريخ، تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بموجب هذه الاتفاقية.

المادة الثانية: لايجوز لإمام عسير أن يدخل فى مفاوضات سياسية مع أيّ حكومة، وكذلك لايجوز أن يمنح أيّ امتياز اقتصادى إلا بعد

الموافقة على ذلك من صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

المادة الثالثة: لايجوز لإمام عسير إشهار الحرب أو إبرام الصلح إلا بموافقة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

المادة الرابعة: لايجوز لإمام عسير التنازل عن جزء من أراضى عسير المبينة فى المادة الأولى.

المادة الخامسة: يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بحاكمية إمام عسير الحالى على الأراضى المبينة فى المادة الأولى مدة حياته، ومن بعده لمن يتفق عليه الأدارسة، وأهل العقد والحل التابعين لإمامته.

المادة السادسة: يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بأن إدارة بلاد عسير الداخلية، والنظر فى شؤون عشائرها من نصب وعزل وغير ذلك من الشؤون الداخلية من حقوق إمام عسير، على أن تكون الأحكام وفق الشرع والعدل كما هى فى الحكومتين.

المادة السابعة: يتعهد ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، بدفع كل تعد داخلي أو خارجي يقع على أراضى عسير المبينة فى المادة الأولى، وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الأحوال ودواعى المصلحة.

المادة الثامنة: يتعهد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة والقيام بواجبها.

المادة التاسعة: تكون هذه المعاهدة معمولاً بها بعد التصديق عليها من الطرفين الساميين.

المادة العاشرة: دُوِّنت هذه الاتفاقية باللغة العربية من صورتين، تحفظ كل صورة لدى فريق من الحكومتين المتعاقدتين.

المادة الحادية عشرة: تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة مكة المكرمة. وقعت هذه المعاهدة في تاريخ ١٤ربيع الآخر سنة ١٣٤٥هـ الموافق ٢١ أكتوبر سنة ١٩٢٦م.

ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها	**إمام عسير**
عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود	**الحسن بن على الإدريسى**
(الختم الملوكى)	**(الختم الرسمى)**

تم ذلك بحضور راقم هذه الأحرف

خادم الاسلام

أحمد الشريف السنوسى

(الختم)

ملحق (٣)

معاهدة صداقة وحسن جوار

بين المملكة العربية السعودية،والمملكة المتوكلية اليمنية

حسب الأمر من سيادة الإمام الأعظم يحي بن محمد حميد الدين، وجلالة الملك المعظم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، قد اجتمعنا من طرف الملكين لعقد اتفاقية بين الحكومتين بموجب المواد المبينة أدناه:

المادة الأولى: أن يكون على الدولتين المحافظة على الصداقة وحسن الجوار، وتوثيق عرى المحبة، وعدم إدخال الضرر ببلاد كل منهما على الآخر.

المادة الثانية: يكون على كل من الدولتين تسليم المجرمين السياسيين وغير السياسيين، المحدثين بعد هذه الاتفاقية، كل حكومة عند طلب حكومته له.

المادة الثالثة: يكون على كل من الدولتين معاملة رعايا الدولة الأخرى فى بلادها فى جميع الحقوق طبق الأحكام الشرعية.

المادة الرابعة: يكون على كل من الدولتين الضبط والتسليم لرعايا الدولة الأخرى فى كل الحقوق الشرعية، فما أشكل و لم ينهه الأمراء ولا العمال فمرجعه إلى الملك والإمام.

المادة الخامسة: على كل من الدولتين عدم قبول من يفر من طاعة دولته كبيراً أو صغيراً، مستخدماً أو غير مستخدم، وإرجاعه إلى دولته حالاً.

المادة السادسة: إذا حدث حادث من إحدى الحكومتين في بلاد الأخرى فعلى المحدث أن يحاكم في المحاكم التي وقع فيها الحادث.

المادة السابعة: منع الأمراء والعمال عن التدخل بالرعايا، مما يحدث القلق ويوقع سوء التفاهم بين الدولتين.

المادة الثامنة: أن كل من يسكن من رعايا الطرفين في بلاد الآخر بعد هذه الاتفاقية، وتطلبه حكومته فإنه يساق إلى حكومته حالاً.

هذا ماحصل به التراضي بين المندوبين على أن يكون العمل بهذه الثمان مواد بعد مصادقة وموافقة الملكين المعظمين عليها، (وتحرر ماذكر أعلاه من صورتين بيد كل فريق صورة بتاريخ اليوم الخامس من شهر شعبان سنة ١٣٥٠هـ (٥ اديسمبر سنة ١٩٣١م).

التواقيع والأختام

الوفد اليمني	الوفد السعودي
القاضي عبد الله بن أحمد العرشي	عبد الله بن محمد بن معمر
عبد الله بن علي مناع	فهد بن زعير
أبو طالب بن محمد محجب	عبد الوهاب بن محمد أبو ملحة
	حمد العبدلي
	محمد بن علي الحازمي

صدق على هذه المعاهدة وأصبحت سارية المفعول من ١٥رمضان ١٣٥٠هـ (٢٣يناير سنة١٩٣٢م).

ملحق (٤)

معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية

(معاهدة الطائف لعام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)

بين

المملكة العربية السعودية

وبين

المملكة المتوكلية اليمنية

حضرة صاحب الجلالة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، ملك المملكة العربية السعودية من جهة.

وحضرة صاحب الجلالة الإمام يحي بن محمد حميد الدين، ملك اليمن من جهة أخرى.

رغبة منهما فى إنهاء حالة الحرب التى كانت قائمة لسوء الحظ فيما بينهما، وبين حكومتيهما وشعبيهما، ورغبة فى جمع كلمة الأمة الإسلامية العربية ورفع شأنها، وحفظ كرامتها واستقلالها.

ونظراً لضرورة تأسيس علاقات عهدية ثابتة بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما على أساس المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة.

وحباً فى تثبيت الحدود بين بلاديهما وإنشاء علاقات حسن الجوار، وروابط الصداقة الإسلامية فيما بينهما، وتقوية دعائم السلم والسكينة بين بلاديهما وشعبيهما.

ورغبة فى أن يكونا عضداً واحداً أمام الملمّات المفاجئة، وبنياناً متراصاً للمحافظة على سلامة الجزيرة العربية، قررا عقد معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية فيما بينهما، وانتدبا لذلك الغرض مندوبين مفوضين عنهما وهما:

عن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية:

حضرة صاحب السمو الملكى الأمير خالد بن عبد العزيز نجل جلالته، ونائب رئيس مجلس الوكلاء.

وعن حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن:

حضرة صاحب السيادة السيد عبد الله بن أحمد الوزير.

وقد منح جلالة الملكين لمندوبيهما الآنفى الذكر الصلاحية التامة والتفويض المطلق. وبعد أن أطلع المندوبان المذكوران على أوراق التفويض التى بيد كل منهما، فوجداها موافقة للأصول، قررا باسم مليكيهما الاتفاق على المواد الآتية:

المادة الأولى: تنتهى حالة الحرب القائمة بين المملكة العربية السعودية ومملكة اليمن بمجرد التوقيع على هذه المعاهدة، وتنشأ فوراً بين

جلالـة الملكـين وبلاديهمـا وشـعبيهما حالـة سـلم دائـم، وصداقـة وطيـدة، وأخـوة إسـلامية عربيـة دائمـة، لايمكـن الإخـلال بهـا جميعـاً أو بعضهـا، ويتعهـد الفريقـان السـاميان المتعـاقدان بـأن يحـلا بـروح الـوُدّ والصداقـة جميـع المنازعـات والاختلافـات التـى قـد تقـع بينهمـا، وبـأن يسـود علاقتهمـا روح الإخـاء الإسـلامي العربـى فـى سـائر المواقـف والحـالات، ويشـهدان الله علـى حسـن نواياهمـا، ورغبتهمـا الصادقـة فـى الوفـاق والاتفـاق سـراً وعلنـاً، ويرجـوان منـه سبحانه وتعـالى أن يوفقهمـا وخلفاءهمـا وورثاءهمـا وحكومتيهمـا إلى السـير على هذه الخطة القويمـة التـى فيهـا رضـاء الخـالق وعـز قومهمـا ودينهمـا.

المادة الثانيـة: يعـترف كـل مـن الفريقـين السـاميين المتعـاقدين للآخـر باسـتقلال كـل مـن المملكتـين اسـتقلالاً تامـاً مطلقـاً، وبملكيتـه عليهـا، فيعـترف حضـرة صـاحب الجلالـة الإمـام عبـد العزيـز بـن عبـد الرحمـن الفيصـل آل سـعود، ملـك المملكـة العربيـة السـعودية، لحضـرة صـاحب الجلالـة الإمـام يحـي ولخلفائـه الشـرعيين باسـتقلال مملكـة اليمـن اسـتقلالاً تامـاً مطلقـاً، وبالملكيـة علـى مملكـة اليمـن. ويعـترف حضـرة صـاحب الجلالـة الإمـام يحـي بـن محمـد حميـد الديـن ملـك اليمـن لحضـرة صـاحب الجلالـة الإمـام عبـد العزيـز ولخلفائـه الشـرعيين باسـتقلال المملكـة العربيـة السـعودية اسـتقلالاً تامـاً مطلقـاً، وبالملكيـة علـى المملكـة العربيـة السـعودية. ويسـقط كـل منهمـا أيّ حـق يدعيـه فـى قسـم أو أقسـام مـن بـلاد الآخـر خـارج الحـدود القطعيـة المبينـة فـى صلـب هـذه المعـاهدة.

إن جلالة الإمام الملك عبد العزيز يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه من حماية أو احتلال أو غيرهما في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة لليمن من البلاد التي كانت بيد الأدارسة وغيرها. كما أن جلالة الإمام الملك يحي يتنازل بهذه المعاهدة عن أيّ حق يدعيه بأسم الوحدة اليمانية أو غيرها، في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة للمملكة العربية السعودية من البلاد التي كانت بيد الأدارسة أو آل عائض أو في نجران وبلاديام.

المادة الثالثة: يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على الطريقة التي تكون بها الصلات والمراجعات، بما فيه حفظ مصالح الطرفين، وبما لا ضرر فيه على أيهما، على أن لايكون مايمنحه أحد الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر أقل مما يمنحه لفريق ثالث، ولايوجب هذا على أيّ الفريقين أن يمنح الآخر أكثر مما يقابله بمثله.

المادة الرابعة: خط الحدود الذى يفصل بين بلاد كلٍ من الفريقين الساميين المتعاقدين موضح بالتفصيل الكافي فيمايلي، ويعتبر هذا الخط حداً فاصلاً قطعياً بين البلاد التي تخضع لكلٍ منهما:

يبدأ خط الحدود بين المملكتين اعتباراً من النقطة الفاصلة بين ميدى والموَسَّم على ساحل البحر الأحمر إلى جبال تهامة في الجهة الشرقية، ثم يرجع شمالاً إلى أن ينتهي إلى الحدود الغربية الشمالية التي بين بني جماعة ومن يقابلهم من جهة الغرب والشمال، ثم ينحرف إلى جهة الشرق إلى أن ينتهي إلى مابين حدود "نقعة" و"وعار" التابعتين لقبيلة وائلة وبين

حدود يام، ثم ينحرف إلى أن يبلغ مضيق مروان وعقبة رفادة، ثم ينحرف إلى جهة الشرق حتى ينتهي من جهة الشرق إلى أطراف الحدود بين من عدايام من همدان بن زيد وائلي وغيره وبين يام، فكلما عن يمين الخط المذكور الصاعد من النقطة المذكورة التي على ساحل البحر إلى منتهى الحدود في جميع جهات الجبال المذكورة فهو من المملكة اليمانية، وكلما هو عن يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية، فما هو في جهة اليمين المذكورة هو ميدى وحرض وبعض قبيلة الحرث والمير وجبال الظاهر وشذا والضيعة وبعض العبادل وجميع بلاد وجبال رازح ومنبه مع عرو آل امشيخ، وجميع بلاد وجبال بني جماعة وسحار الشام يباد ومايليها، ومحل مريصعة من سحار الشام، وعموم سحار ونقعة ووعار وعموم وائلة، وكذا الفرع مع عقبة نهوقة، وعموم من عدا يام ووادعة ظهران من همدان بن زيد. هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة. وكل ما هو بين الجهات المذكورة ومايليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً أو تحت ثبوت يد المملكة اليمانية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك هو في جهة اليمين فهو من المملكة اليمانية، وماهو في جهة اليسار المذكورة وهو المُوسَّم ووعلان وأكثر الحرث والخوبة والجابرى وأكثر العبادل وجميع فيفا وبني مالك وبني حريص وآل تليد وقحطان وظهران وادعة، وجميع وادعة ظهران مع مضيق مروان وعقبة رفادة وما خلفهما من جهة الشرق والشمال من يام ونجران والحضن وزور وادعة، وسائر من هو في نجران من وائلة، وكل ما هو تحت عقبة نهوقة إلى أطراف نجران ويام من جهة الشرق هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة، وكل

ماهو بين الجهات المذكورة، وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً أو تحت ثبوت يد المملكة العربية السعودية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك هو فى جهة يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية. وماذكر من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو فى نجران من وائلة فهو بناء على ماكان من تحكيم جلالة الإمام يحي لجلالة الملك عبد العزيز فى يام، والحكم من جلالة الملك عبد العزيز بأن جميعها تتبع المملكة العربية السعودية، وحيث أن الحضن وزور وادعة ومن هو من وائلة فى نجران هم من وائلة، ولم يكن دخولهم فى المملكة العربية السعودية إلا لما ذكر، فذلك لايمنعهم ولايمنع إخوانهم وائلة عن التمتع بالصلات والمواصلات والتعاون المعتاد والمتعارف به. ثم يمتد هذا الخط من نهاية الحدود المذكورة آنفاً بين أطراف قبائل المملكة العربية السعودية وأطراف من عدا يام من همدان بن زيد، وسائر قبائل اليمن، فللمملكة اليمانية كل الأطراف والبلاد اليمانية إلى منتهى حدود اليمن من جميع الجهات، وللمملكة العربية السعودية كل الأطراف والبلاد إلى منتهى حدودها من جميع الجهات، وكل ماذكر فى هذه المادة من نقط شمال وجنوب وشرق وغرب فهو باعتبار كثرة اتجاه ميل خط الحدود فى اتجاه الجهات المذكورة، وكثيرا مايميل لتداخل ما إلى كل من المملكتين، أما تعيين وتثبيت الخط المذكور وتمييز القبائل وتحديد ديارها على أكمل الوجوه فيكون إجراؤه بواسطة هيئة مؤلفة من عدد متساوٍ من الفريقين بصورة ودية أخوية بدون حيف، بحسب العرف والعادة الثابتة عند القبائل.

المادة الخامسة: نظراً لرغبة كل من الفريقين الساميين المتعاقدين في دوام السلم والطمأنينة والسكون، وعدم إيجاد أيّ شئ يشوش الأفكار بين المملكتين، فإنهما يتعهدان تعهداً متقابلاً بعدم إحداث أى بناء محصن في مسافة خمسة كيلو مترات في كل جانب من جانبي الحدود في كل المواقع والجهات على طول خط الحدود.

المادة السادسة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بسحب جنده فوراً عن البلاد التي أصبحت بموجب هذه المعاهدة تابعة للفريق الآخر، مع صون الأهلين والجند عن كل ضرر.

المادة السابعة: يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يمنع كل منهما أهالي مملكته عن كل ضرر وعدوان على أهالي المملكة الأخرى في كل جهة وطريق، وبأن يمنع الغزو بين أهل البوادي من الطرفين، ويرد كل مايثبت أخذه بالتحقيق الشرعي من بعد إبرام هذه المعاهدة وضمان ماتلف، وبما يلزم بالشرع فيما وقع من جناية قتل أو جرح، وبالعقوبة الحاسمة على من ثبت منهم العدوان، ويظل العمل بهذه المادة ساريا إلى أن يوضع بين الفريقين إتفاق آخر لكيفية التحقيق وتقدير الضرر والخسائر.

المادة الثامنة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين تعهداً متقابلا بأن يمتنعا عن الرجوع للقوة لحل المشكلات بينهما، وبأن يعملا جهدهما لحل مايمكن أن ينشأ بينهما من الاختلاف سواء كان سببه ومنشئوه هذه المعاهدة أو تفسير كل أو بعض موادها أم كان ناشئا عن أي سبب آخر بالمراجعات الودية، وفي حالة عدم إمكان التوفيق بهذه الطريقة

يتعهد كل منهما بأن يلجأ إلى التحكيم الذى توضح شروطه وكيفية طلبه وحصوله فى ملحق مرفق بهذه المعاهدة. ولهذا الملحق نفس القوة والنفوذ اللذين لهذه المعاهدة، ويحسب جزءاً منها وبعضاً متمماً للكل فيها.

المادة التاسعة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بان يمنع بكل مالديه من الوسائل المادية والمعنوية استعمال بلاده قاعدة ومركزاً لأيّ عمل عدائى أو شروع فيه، أو استعداد له ضد بلاد الفريق الآخر. كما أنه يتعهد باتخاذ التدابير الآتية بمجرد وصول طلب خطيّ من حكومة الفريق الآخر وهى:

١- إن كان الساعى فى عمل الفساد من رعايا الحكومة المطلوب منها اتخاذ التدابير، فبعد التحقيق الشرعى وثبوت ذلك، يؤدب فوراً من قبل حكومته بالأدب الرادع الذى يقضى على فعله ويمنع وقوع أمثاله.

٢- وإن كان الساعى فى عمل الفساد من رعايا الحكومة الطالبة اتخاذ التدابير، فإنه يلقى القبض عليه فوراً من قبل الحكومة المطلوب منها، ويسلم إلى حكومته الطالبة. وليس للحكومة المطلوب منها التسليم عذر عن إنفاذ الطلب، وعليها اتخاذ كافة الإجراءات لمنع فرار الشخص المطلوب أو تمكينه من الهرب، وفى الأحوال التى يتمكن فيها الشخص المطلوب من الفرار فإن الحكومة التى فرّ من أراضيها تتعهد بعدم السماح له بالعودة إلى

أراضيها مرة أخرى، وإن تمكن من العودة إليها يلقى القبض عليه ويسلم إلى حكومته.

٣- وإن كان الساعى فى عمل الفساد من رعايا حكومة ثالثة، فإن الحكومة المطلوب منها والتى يوجد الشخص على أراضيها تقوم فوراً، وبمجرد تلقيها الطلب من الحكومة الأخرى، بطرده من بلاده وعده شخصاً غير مرغوب فيه، ويمنع من العودة اليها فى المستقبل.

المادة العاشرة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم قبول من يفرّ عن طاعة دولته كبيراً كان أم صغيراً موظفاً كان أم غير موظف، فرداً كان أم جماعة، ويتخذ كل من الفريقين الساميين المتعاقدين كافة التدابير الفعالة من إدارية وعسكرية وغيرها لمنع دخول هؤلاء الفارين إلى حدود بلاده. فإن تمكن أحدهم أو كلهم من احتياز خط الحدود بالدخول فى أراضيه فيكون عليه واجب نزع السلاح من الملتجئ، وإلقاء القبض عليه وتسليمه إلى حكومة بلاده الفار منها، وفى حالة عدم إمكان القبض عليه تتخذ كافة الوسائل لطرده من البلاد التى لجأ إليها إلى بلاد الحكومة التى يتبعها.

المادة الحادية عشرة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بمنع الأمراء والعمال والموظفين التابعين له من المداخلة بأيّ وجه كان، مع

رعايا الفريق الآخر بالذات أو بالواسطة، ويتعهد باتخاذ كامل التدابير التي تمنع حدوث القلق، أو توقع سوء التفاهم بسبب الأعمال المذكورة.

المادة الثانية عشرة: يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن أهل كل جهة من الجهات الصائرة إلى الفريق الآخر بموجب هذه المعاهدة، رعية لذلك الفريق.

ويتعهد كل منهما بعدم قبول أيّ شخص أو أشخاص من رعايا الفريق الآخر رعية له إلا بموافقة ذلك الفريق، وبأن تكون معاملة رعايا كل من الفريقين في بلاد الفريق الآخر طبقاً للأحكام الشرعية المحلية.

المادة الثالثة عشرة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بإعلان العفو الشامل الكامل، عن سائر الأجرام والأعمال العدائية، التي يكون قد ارتكبها فرد أو أفراد من رعايا الفريق الآخر المقيمين في بلاده (أي في بلاد الفريق الذي منه إصدار العفو) كما أنه يتعهد بإصدار عفو عام شامل كامل عن أفراد رعاياه الذين لجأوا أو انحازوا أو بأيّ شكل من الأشكال انضموا إلى الفريق الآخر، عن كل جناية ومال أخذوه منذ لجأوا إلى الفريق الآخر، إلى عودهم كائناً ماكان، وبالغاً مابلغ، وبعدم السماح باجراء أيّ نوع من الايذاء أو التعقيب أو التضييق بسبب ذلك الالتجاه أو الانحياز أو الشكل الذي انضموا بموجبه. وإذا حصل ريب عند أيّ الفريقين بوقوع شيء مخالف لهذا العهد كان لمن حصل عنده الريب أو الشك من الفريقين مراجعة الفريق الآخر، لأجل إجتماع المندوبين الموقعين على هذه المعاهدة، وإن تعذر على أحدهما الحضور فينيب عنه آخر له

كامل الصلاحية والاطلاع على تلك النواحى، ممن له كامل الرغبة والعناية بصلاح ذات البين والوفاء بحقوق الطرفين، بالحضور لتحقيق الأمر حتى لايحصل أيّ حيف ولانزاع وما يقرره المندوبان يكون نافذاً.

المادة الرابعة عشرة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين برد وتسليم أملاك رعاياه الذين يعفى عنهم اليهم، أو إلى ورثتهم عند رجوعهم إلى وطنهم خاضعين لأحكام مملكتهم، وكذلك يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بعدم حجز أى شئ من الحقوق والأملاك التى تكون لرعايا الفريق الآخر فى بلاده، ولايعرقل استثمارها أو أيّ نوع من أنواع التصرفات الشرعية فيها.

المادة الخامسة عشرة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم المداخلة مع فريق ثالث، سواء كان فرداً أم هيئة أم حكومة، أو الاتفاق معه على أيّ أمر يخل بمصلحة الفريق الآخر، أو يضر ببلاده، أو يكون من ورائه أحداث المشكلات والصعوبات له، أو يعرض منافعها ومصالحها وكيانها للأخطار.

المادة السادسة عشرة: يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان اللذان تجمعهما روابط الأخوة الإسلامية، والعنصرية العربية، أن أمتهما أمة واحدة، وأنهما لايريدان بأحد شراً، وأنهما يعملان جهدهما لأجل ترقية شؤون أمتهما فى ظل الطمأنينة والسكون، وأن يبذلا وسعهما فى سائر

المواقف لما فيه الخير لبلاديهما وأمتهما، غير قاصدين بهذا أيّ عدوان على أية أمة.

المادة السابعة عشرة: في حالة حصول اعتداء خارجي على بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين، يتحتم على الفريق الآخر أن ينفذ التعهدات الآتية:

أولاً ـ الوقوف على الحياد التام سراً وعلناً.

ثانياً ـ المعاونة الأدبية والمعنوية الممكنة.

ثالثاً ــ الشروع في المذاكرة مع الفريق الآخر، لمعرفة أنجع الطرق لضمان سلامة بلاد ذلك الفريق، ومنع الضرر عنها، والوقوف في موقف لايمكن تأويله بأنه تعضيد للمعتدى الخارجي.

المادة الثامنة عشرة: في حالة حصول فتن أو إعتداءات داخلية في بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين، يتعهد كل منهما تعهداً متقابلاً بما يأتي:

أولاً ــ إتخاذ التدابير الفعالة اللازمة لعدم تمكين المعتدين أو الثائرين من الاستفادة من أراضيه.

ثانياً ــ منع التجاء اللاجئين إلى بلاده وتسليمهم أو طردهم إذا لجأوا اليها كما هو موضح في المادة (التاسعة والعاشرة) أعلاه.

ثالثاً ـ منع رعاياه من الاشتراك مع المعتدين أو الثائرين، وعدم تشجيعهم أو تموينهم.

رابعاً ـ منع الإمدادات والأرزاق والمؤن والذخائر عن المعتدين.

المادة التاسعة عشرة: يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان رغبتهما في عمل كل ممكن لتسهيل المواصلات البريدية والبرقية، وتزييد الإتصال بين بلاديهما، وتسهيل تبادل السلع والحاصلات الزراعية والتجارية بينهما، وفى إجراء مفاوضات تفصيلية من أجل عقد اتفاق جمركى يصون مصالح بلاديهما الإقتصادية، بتوحيد الرسوم الجمركية فى عموم البلادين، أو بنظام خاص بصورة كافلة لمصالح الطرفين، وليس فى هذه المادة مايقيد حرية أحد الفريقين الساميين المتعاقدين فى أيّ شئ حتى يتم عقد الإتفاق المشار اليه.

المادة العشرون: يعلن كل من الفريقين الساميين المتعاقدين استعداده لأن يأذن لممثليه ومندوبيه فى الخارج، إن وجدوا بالنيابة عن الفريق الآخر، متى أراد الفريق الآخر ذلك فى أيّ شئ وفى أيّ وقت، ومن المفهوم أنه حينما يوجد فى ذلك العمل شخص من كل الفريقين فى مكان واحد فإنهما يتراجعان فيما بينهما لتوحيد خطتهما للعمل العائد لمصلحة البلادين التى هى كأمة واحدة. ومن المفهوم أن هذه المادة لاتقيد حرية أحد الجانبين بأيّ صورة كانت، فى أيّ حق له، كما أنه لايمكن أن تفسر بحجز حرية أحدهما أو اضطراره لسلوك هذه الطريقة.

المادة الحادية والعشرون: يلغى ماتضمنته الإتفاقية الموقع عليها فى ٥شعبان ١٣٥٠ على كل حال اعتباراً من تاريخ إبرام هذه المعاهدة.

المادة الثانية والعشرون: تبرم هذه المعاهدة وتصدق من قبل حضرة صاحبى الجلالة الملكين فى أقرب مدة ممكنة نظراً لمصلحة الطرفين فى ذلك، وتصبح نافذة المفعول من تاريخ تبادل قرارات إبرامها مع استثناء مانص عليه فى المادة الأولى من إنهاء حالة الحرب بمجرد التوقيع، وتظل سارية المفعول مدة عشرين سنة قمرية تامة، ويمكن تجديدها أو تعديلها خلال الستة الأشهر التى تسبق تاريخ انتهاء مفعولها، فان لم تجدد أو تعدل فى ذلك التاريخ تظل سارية المفعول إلى مابعد ستة أشهر من إعلان أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر رغبته فى التعديل.

المادة الثالثة والعشرون: تسمى هذه المعاهدة "بمعاهدة الطائف" وقد حررت من نسختين باللغة العربية الشريفة، بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة، وإشهاداً بالواقع وضع كل من المندوبين المفوضين توقيعه.

وكتب فى مدينة جدة فى اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف.

التوقيع	**التوقيع**
خالد بن عبد العزيز السعود	**عبد الله بن أحمد الوزير**

ملحق (٥)

عهد التحكيم

بين المملكة العربية السعودية وبين مملكة اليمن

بما أن حضرة صاحبي الجلالة الإمامين الملك عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية، والملك يحي ملك اليمن، قد اتفقا بموجب المادة الثامنة من معاهدة الصلح والصداقة وحسن التفاهم، المسماة "بمعاهدة الطائف" والموقع عليها فى السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف على أن يحيلا إلى التحكيم أيّ نزاع أو اختلاف ينشأ عن العلاقات بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما، متى عجزت سائر المراجعات الودية عن حله، فإن الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهدان بإجراء التحكيم على الصورة المبينة فى المواد الأتية:

المادة الأولى: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يقبل بإحالة القضية المتنازع فيها على التحكيم خلال شهر واحد من تاريخ استلام طلب إجراء التحكيم من الفريق الآخر إليه.

المادة الثانية: يجرى التحكيم من قبل هيئة مؤلفة من عدد متساوٍ من المحكمين، ينتخب كل فريق نصفهم، ومن حكم وازع ينتخب باتفاق الفريقين الساميين المتعاقدين، وإن لم يتفقا على ذلك يرشح كل منهما شخصاً، فإن قبل أحد الفريقين بالمرشح الذى يقدمه الفريق الآخر فيصبح وازعاً، وإن لم يمكن الاتفاق على ذلك تجرى القرعة على أيهما يكون

وازعاً، مع العلم بأن القرعة لاتجرى إلا على الأشخاص المقبولين من الطرفين، فمن وقعت القرعة عليه أصبح رئيساً لهيئة التحكيم، ووازعاً للفصل فى القضية، وإن لم يحصل الاتفاق على الأشخاص المقبولين من الطرفين تجرى المراجعات فيما بعد إلى أن يحصل الاتفاق على ذلك.

المادة الثالثة: يجب أن يتم اختيار هيئة التحكيم ورئيسها خلال شهر واحد من بعد انقضاء الشهر المعين لإجابة الفريق المطلوب منه الموافقة على التحكيم لقبوله لطلب الفريق الآخر. وتجتمع هيئة المحكمين فى المكان الذى يتم الاتفاق عليه فى مدة لاتزيد عن شهر واحد بعد انقضاء الشهرين المعينين فى أول المادة وعلى هيئة المحكمين أن تعطى حكمها خلال مدة لايمكن بأيّ حال من الأحوال أن تزيد عن شهر واحد من بعد انقضاء المدة التى عينت للاجتماع كما هو مبين أعلاه، ويعطى حكم هيئة التحكيم بالأكثرية، ويكون الحكم ملزما للفريقين، ويصبح تنفيذه واجباً بمجرد صدوره وتبليغه، ولكل من الفريقين الساميين المتعاقدين أن يعين الشخص أو الأشخاص الذين يريدهم للدفاع عن وجهة نظره أمام هيئة التحكيم وتقديم البيانات والحجج اللازمة لذلك.

المادة الرابعة: أجور محكمى كل فريق عليه، وأجور رئيس هيئة التحكيم مناصفة بينهما، وكذلك الحكم فى نفقات المحاكمة الأخرى.

المادة الخامسة: يعتبر هذا العهد جزءاً متمماً لمعاهدة الطائف، الموقع عليها فى هذا اليوم، السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف، ويظل سارى المفعول مدة سريان المعاهدة المذكورة، وقد

حـرر هـذا مـن نسـختين باللغـة العربيـة، يكـون بيـد كـل مـن الفريقـين السـاميين المتعـاقدين نسـخة.

وإقـراراً بذلـك جـرى توقيعـه فـى اليـوم السـادس مـن شـهر صفـر سـنة ثلاث وخمسـين بعـد الثلاثمائـة والألـف.

التوقيع	**التوقيـــــع**
خالد بن عبد العزيز السعود	**عبـد الله بـن أحمـد الوزيـر**

المراجـــــع

أولاً:-

- القرآن الكريم.
- بعض كتب السنة النبوية.

ثانياً:- الكتب المطبوعة.

د.أباظة، فاروق عثمان

- **الحكم العثمانى فى اليمن(١٨٧٢- ١٩١٨م)** بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م.
- **سياسة بريطانيا فى عسير أثناء الحرب العالمية الأولى**، القاهرة، دارالمعارف ١٩٨٧م.
- **دراسة تاريخية لقضايا الحدود السياسية للدولة السعودية، بين الحربين العالميتين**، القاهرة ١٩٨٧م.

ابن إياس، أبوالبركات محمد بن أحمد(ت ٩٣٠هـ)

- **بدائع الزهور فى وقائع الدهور**، تحقيق الدكتورمحمد مصطفى، القاهرة الطبعة الثانية،١٩٦١-١٩٦٣م.

بامخرمة،عبدا لله الطيب بن عبدا لله بن أحمد، الحضرمى (ت٩٢٨هـ)

- **تاريخ ثغر عدن** - القاهرة

ابن بسام، عبدا لله بن عبدالرحمن بن صالح.

- **علماء نجد خلال ستة قرون.** مكة المكرمة، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

ابن بشر،عثمان بن عبدا لله.
- **عنوان المجد في تاريخ نجد**، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ الرياض، دارة الملك عبدالعزيز،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م
البكرى، أبوعبيد، عبدا لله بن عبدالعزيز، الأندلسى (ت٤٨٧هـ)
- **معجم مااستعجم من أسماء البلاد والمواضع**، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.
البهكلى، عبدالرحمن بن أحمد
- **نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود**، وتكملة الحسن بن أحمد بن عاكش، تحقيق وتعليق محمد بن أحمد العقيلى، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
جارشلى، اسماعيل حقى.
- **أمراء مكة المكرمة في العهد العثمانى**، ترجمة الدكتور خليل مراد، البصرة، ١٩٨٥م.
جاكلين، بيرين.
- **اكتشاف جزيرة العرب.** ترجمة قدرى قلعجى، الرياض الفاخرية، والكاتب العربى.
الجبرتى، عبدالرحمن بن حسن (ت ١٢٤٠هـ)
- **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، القاهرة ١٣٢٢هـ.
الجرافى، عبدا لله بن عبد الكريم.
- **المقتطف من تاريخ اليمن**، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

د.جريس، غيثان بن علي.

– **صفحات من تاريخ عسير**، جدة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

الجريسي، راشد بن علي الحنبلي.

– **مثير الوجد في أنساب ملوك نجد**، تحقيق عبدالواحد محمد راغب، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز،١٣٩٧هـ.

جمعة، محمد كمال.

– **أنتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية**، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز.

د. الجميعي، عبدالمنعم ابراهيم الدسوقي.

– **عسير خلال قرنين (١٢١٥– ١٤٠٨هـ)** الرياض، نادي أبها الأدبي،١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

جون بولدري.

– **العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبان الحكم التركي**، (١٩١٤-١٩١٩م) ترجمة الدكتور سيد مصطفى سالم، القاهرة ١٩٨٢م.

جون.س.ولينكسون.

– **حدود الجزيرة العربية، قصة الدور البريطاني في رسم الحدود عبر الصحراء**، ترجمة مجدي عبدالكريم، القاهرة، مدبولي ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م

ابن حزم، أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد، الأندلسي(ت ٤٥٦هـ)

– **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة، دار

المعارف١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

د.حسن، حسن إبراهيم

– **اليمن البلاد السعيدة**، القاهرة سلسلة اخترنا لك، دار المعارف

ابن الحسين، يحيى بن الحسين بن قاسم (١١٠٠هـ)

– **غاية الأمانى فى اخبار القطر اليمانى**. تحقيق الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور، مراجعة الدكتور محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

الحصرى، أبو خلدون، ساطع.

– **البلاد العربية والدولة العثمانية**، القاهرة، ١٩٥٧م

د.الحفنى، عبدالمنعم.

– **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الأسلامية**. القاهرة.

الحقيل، حمد بن ابراهيم بن عبدالله.

– **كنز الأنساب ومجمع الأداب**. الرياض، الطبعة العاشرة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

حمزة، فؤاد.

– **فى بلاد عسير**، الرياض الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

– **البلاد العربية السعودية**، الرياض، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

– **قلب جزيرة العرب، الرياض**، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

د.الخترش، فتوح عبدالمحسن.

– **تاريخ العلاقات السعودية اليمنية**(١٩٢٦-١٩٣٤م) الكويت، ذات السلاسل، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

د. ابو داهش، عبدا لله بن محمد بن حسين.

- **عسير فى ظلال الدولة السعودية الأولى**، السعودية، نادى أبها الأدبى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

د.الدقاق، محمد السعيد.

- **التنظيم الدولى**، الاسكندرية، ١٩٩٠م.

دلال، عبدالواحد محمد راغب.

- **مطالعات فى المؤلفات التاريخية اليمنية.** القاهرة، مؤسسة دارالتعاون للطبع والنشر، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

د. ربيع، حسنين محمد.

- **البحر الأحمر فى العصر الأيوبى**، ضمن أبحاث الأسبوع العلمى الثالث لسمنار جامعة عين شمس عام ١٩٧٩، القاهرة ١٩٨٠م

الريحانى، أمين.

- **نجد وملحقاته.** الرياض، الفاخرية، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ/١٩٨١م

- **ملوك العرب**، بيروت، الطبعة الثامنة.

ابن زبارة، محمد بن محمد بن يحيى، الحسنى، الصنعانى.

- **أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر الهجرى**، القسم الخامس، القاهرة المطبعة السلفية.

الزركلى، خير الدين.

- **شبه الجزيرة فى عهد الملك عبدالعزيز**، أربعة أجزاء، فى ثلاثة مجلدات. أخذت صفحاتها رقماً مسلسلاً واحداً، بيروت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م

د.آل زلفة، محمد بن عبدالله.

- **دراسات من تاريخ عسير الحديث**، الرياض، ١٤١٢/ ١٩٩١م.

د. الزيلعى، أحمد بن عمر.

- **الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان فى العصور الإسلامية الوسيطة**. الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

د.سالم، السيد مصطفى.

- **الفتح العثمانى الأول لليمن (١٥٣٨- ١٦٣٥م)** الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٧٤م.

- **تكوين اليمن الحديث، اليمن والإمام يحيى (١٩٠٤- ١٩٤٨م** القاهرة ١٩٦٣م

سعيد، أمين.

- **تاريخ الدولة السعودية، الرياض**، دارة الملك عبدالعزيز. جزءان فى مجلد.

سلفاتور أبونتى.

- **مملكة الإمام يحيى، أورحلة فى بلاد العربية السعيدة**، ترجمة طه فوزى، القاهرة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م وهى عبارة عن فصول اختارها المترجم من كتاب سلفاتور، بعنوان " خفايا الحياة فى العربية السعيدة" ووضع المترجم لها هذا العنوان.

سنت جون فيلبى.

- **تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب**. القاهرة، مدبولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

د.السيد، عصام ضياء الدين.

- **عسير فى العلاقات السعودية اليمنية(١٣٣٨هـ - ١٣٧٣هـ)**

القاهرة دار الزهراء للنشر. ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

د.شرف الدين، أحمد حسين.

- **اليمن عبرالتاريخ**، الطبعة الرابعة، الرياض ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

الشوكانى، محمد بن على.

- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، القاهرة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م.

آل الشيخ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف.

- **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، الرياض، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ.

- آل سعود (عن تفرعات نسب آل سعود) الرياض.

صبرى، أيوب باشا.

- **مرآة جزيرة العرب**، جزءان، ترجمة كل من الدكتور فؤاد متولى، والدكتور الصفصافى أحمد المرسى، الرياض، دار الرياض للنشر والتوزيع ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

د. الصواف، فائق بكر، وآخرون.

- **أهمية ثغر جدة**، ضمن أبحاث الأسبوع الثالث لسمنار جامعة عين شمس عام ١٩٧٩م عن البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية، القاهرة١٩٨٠م.

د.عبدربه، سعد زغلول.

- **البرتغاليون والبحر الأحمر**، ضمن أبحاث الأسبوع الثالث لسمنار

جامعة عين شمس عام ١٩٧٩، السابق..
د. عبدالرحيم، عبدالرحمن عبدالرحيم.
– **الدولة السعودية الأولى**، الجزء الأول، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م
– **محمد على وشبه الجزيرة العربية**، الجزء الثانى، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨١م.
آل عبدالقادر، محمد بن عبدا لله بن عبدالمحسن، الأنصارى، الأحسائى.
– **تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء فى القديم والجديد**، الرياض ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.
د.العثيمين، عبدا لله الصالح.
– **تاريخ المملكة العربية السعودية**، الجزء الأول، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
– **بحوث وتعليقات فى تاريخ المملكة العربية السعودية**، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
د. العجلانى، منير.
– **تاريخ البلاد العربية السعودية. عهد الإمام عبدا لله بن سعود**، بيروت.
– **الإمام تركى بن عبدا لله، مؤسس الدولة السعودية الثانية**، الرياض، دار الشبل، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
– **تاريخ مملكة فى سيرة زعيم، فيصل ملك المملكة العربية السعودية**. بيروت.

العجيرى، صالح محمد.

- **تقويم القرون، لمقابلة التواريخ الهجرية والميلادية خلال عشرين قرناً**، الكويت، الطبعة الثانية، ذات السلاسل، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

العقيلى، محمد بن أحمد.

- **تاريخ المخلاف السليمانى**، جزءان، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م

- **أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث**. جدة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- **المعجم الجغرافى، مقاطعة جازان**، الرياض ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

- **عسير فى أطوار التاريخ**، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٦٩١م.

- **نجران فى أطوار التاريخ**، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

د.العمرى، حسين عبدالله.

- **مائة عام من تاريخ اليمن الحديث (١١٦١-١٢٦٤هـ)** دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

ابن عيسى، إبراهيم بن صالح.

- **عقد الدرر**، ملحق بكتاب عنوان المجد فى تاريخ نجد لابن بشر، طبعة وزارة المعارف، الرياض.

د.العيسى، ميّ بنت عبدالعزيز.

- **الحياة العلمية فى نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حتى نهاية الدولة السعودية الأولى**، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز ١٤١٧هـ.

غالب، محمد أديب.
- **من أخبار الحجاز ونجد فى تاريخ الجبرتى**، الرياض، دار اليمامة للبحث والنشر ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
الغلامى، عبدالمنعم.
- **الملك الراشد عبدالعزيز آل سعود**. الرياض، الطبعة الثانية، دار اللواء ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
ابن غنام، حسين.
- **تاريخ ابن غنام، المسمى "روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوى الإسلام**. القاهرة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م.
الفاخرى، محمد بن عمر.
- **الأخبار النجدية**، تحقيق الدكتور عبدالله بن يوسف الشبل، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
الفقى، محمد حامد.
- **أثر الدعوة الوهابية فى الحياة الإجتماعية والعمرانية**. القاهرة ١٩٣٥م.
كمالى، سليمان شفيق باشا.
- **مذكراته عن عسير**، تحقيق محمد بن أحمد العقيلى، نادى أبها الأدبى، السعودية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
الماحى، سيد.
- **نجران، الأرض والناس والتاريخ**. الرياض، الناشر: محمد همام
الماضى، تركى بن محمد بن تركى.
- **من مذكراته عن العلاقات السعودية اليمنية (١٣٤٢-١٣٧١هـ)**

الرياض، دار الشبل، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
مالكى، سليمان عبد الغنى.
– **بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية،** الرياض دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
– **مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج فى الراضى المقدسة، منذ السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية.** الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
ابن المجاور، جمال الدين، يوسف بن يعقوب، الشيبانى، الدمشقى.
– **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسمى " تاريخ المستبصر لابن المجاور"** طبعة ليدن، ١٩٥١م.

المختار، صلاح الدين.
– **تاريخ المملكة العربية السعودية فى ماضيها وحاضرها.** بيروت.
مسفر، عبدا لله بن على.
– **السراج المنير فى سيرة أمراء عسير.** بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
المطاع، أحمد بن محمد.
– **تاريخ اليمن الإسلامى (٢٠٤–١٠٠٦هـ)** تحقيق عبدا لله بن محمد الحبشى، بيروت ١٩٨٦م/ ١٤٠٧هـ.
المقحفى، ابراهيم بن أحمد.
– **معجم المدن والقبائل اليمنية،** صنعاء، دار الكلمة، ١٩٨٥م.
المقريزى، تقى الدين، أحمد بن على (ت ٨٤٥هـ)

- **السلوك لمعرفة دول الملوك**، الجزء الأول والثانى، تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة، القاهرة، دار الكتب المصرية.

د. موسى، محمد يوسف.

- **ابن تيمية**، سلسلة أعلام العرب، القاهرة، وزارة الثقافة والأرشاد القومى، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

مؤلف مجهول.

- **لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبدالوهاب**، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز.

مؤلف مجهول.

- **صفحات مجهولة من تاريخ اليمن**، تحقيق حسين بن أحمد السياغى، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

الميدانى، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابورى، المعروف بالميدانى (٥١٨هـ)

- **مجمع الأمثال**، القاهرة، ١٣٥٣هـ.

الندوة العالمية للشباب الإسلامى.

- **الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة**. الرياض ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

نصيف، محمد حسين.

- **ماضى الحجاز وحاضره**، القاهرة ١٣٤٩هـ.

النعمى، هاشم بن سعيد.

- **عسير قبيلة، وبلاداً**، مجلة العرب، ج٣،٤،ص١٨١، شوال ١٤١٢هـ/

١٩٩٢م.
النهروالى، قطب الدين، محمد بن أحمد، المكى(٩٩٠هـ)
- **البرق اليمانى فى الفتح العثمانى**، الرياض، دار اليمامة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
الهمدانى، الحسن بن أحمد بن يعقوب.
- **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن على الأكوع، باشراف الشيخ حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
الواسعى، عبدالواسع بن يحيى.
- **تاريخ اليمن، المسمى "فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن"** صنعاء، الطبعة الثالثة، الداراليمنية للنشر والتوزيع ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
ابن واصل، جمال الدين، محمد بن سالم.
- **مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب**. تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٧م، ١٩٦٠م.
الوزير، عبدالله بن على.
- **تاريخ اليمن، المسمى " طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى"** تحقيق محمد عبدالرحيم حازم. بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
وهبة، حافظ.
- **خمسون عاماً فى جزيرة العرب**، القاهرة، الحلبى، ١٩٦٠م.
- **جزيرة العرب فى القرن العشرين**، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

ثالثـــاً : الوثائق.

- مجموعة الوثائق التى تضمنها كتاب " بيان عن العلاقات السعودية اليمنية " التى أصدرته وزارة الخارجية السعودية، عام ١٣٥٣هـ. وطبع بمطبعة أم القرى.
- مجموعة وثائق عثمانية، وردت بياناتها فى موضعها من البحث، عند الاستشهاد بها.
- مجموعة وثائق انجليزية، وردت بياناتها فى موضعها من البحث.

رابعـــاً : الدوريات.

- جريدة أم القرى، وهى الجريدة الرسمية للحكومة السعودية.
- جريدة الأهرام ، التى تصدر فى القاهرة.
- جريدة المؤيد، كانت تصدر فى القاهرة.
- مجلة المنار، أصدرها فى القاهرة الشيخ محمد رشيد رضا، وصدر المجلد الأول منها عام ١٣١٥هـ/ ١٣١٦هـ (١٨٩٨/ ١٨٩٩م) .
- مجلة العرب، يصدرها فى الرياض الشيخ حمد الجاسر، صدر أول عدد منها فى رجب ١٣٨٦هـ (اكتوبر ١٩٦٦م)
- مجلة الفتح، أصدرها من القاهرة محب الدين الخطيب، وصدر أول عدد منها فى ١٣٤٤/١١/٢٩هـ (١٩٢٦/٧/١٠م).

المحتويـــــات

الموضوع	الصفحة

رقم الايداع ١٦٦١ /٩٨
الترقيم الدولى ٤ ـ ٥٢٢٣ ـ ١٩ ـ ٩٧٧ I.S.B.N

مطابع دار التعاون للطبع والنشر